

الوساطة بين المتبني وخصومه

للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني

تحقيق وشرح
محمد أبو الفضل إبراهيم
علي محمد البجاوي

المكتبة العصرية
سكيدا - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - 2006 م

موقعنا على الإنترنت:

www.almaktaba-alassrya.com

شركة إنشاء شريف للإنتاج
والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية

الدائرة الشمسية
المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب. ٨٣٥٥ - ١١ - تليفون ٦٥٥.١٥ ٠٠٩٦١١
صيدا - ص.ب. ٢٢١ - تليفون ٧٢.٣١٧ ٠٠٩٦١٧

E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN- 9953-34-496-5



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصل النقد في القرن الرابع إلى أوجّه، فصار خصباً، متسع الآفاق، معتمداً على الذوق الأدبي السليم، مؤتسماً بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح؛ إن حلل فبدوق سليم، وإن علل فمبنيق سديد، وإن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها^(١).

واختفى - أو كاد - تبعاً لذلك، أو نتيجة له، من حَلَبته اللغويون والنحاة، وحمل رايته الأدباء؛ يتميز نقدُهم باستقصاء البحث، وشمول الفكرة، وتوضيح العلل، والموازنة العامة بين الشعراء، وعُنُوا بدراسة الشعر وتقدير رجاله، وتخاصموا فيهم؛ فهذا ينتصر لأبي تمام، وذاك يتشيع للبحتري، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبي وينسبون إليه كل فضيلة في الشعر، وأولئك ينتقصون منه ويَزمونه بالتعقيد والمعاظلة والالتواء؛ وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب؛ وسارت مقالاتهم وكتبهم في كل صُقع وواد.

من هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبو علي الحاتمي، وأبو الحسن بن لُثْكَ البصري، والآمدي، والجرجاني... إلا أن أبا الحسن الجرجاني كان أَضْرَحَهُمْ نقداً، وأوسعهم أفقاً، وأشملهم بحثاً.

فقد ظهر المتنبي فملاً الدنيا وشغل الناس، كما يقول ابن رشيق، واختصم الأدباء في شعره، وقطعوا الأزمان المتواصلة في تحديد أغراضه؛ وتعصب له فريق، وغضّ من شأنه فريق، وكان من الذين غَضُّوا من شعره الصاحب بن عباد، وألّف فيه رسالة سماها: «الكشف عن مساوئ المتنبي»، أقامها على التنقص منه، والخط من مقداره. وقد ذكر الرواة أن الصاحب كان هَيِّنَ المكانة حين وفد المتنبي على ابن العميد، وكان يؤذّ لو قصده أبو الطيب؛ فلما تجاهله جزع وسخط، وألّف فيه هذه الرسالة؛ وذكر فيها من شعر المتنبي أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهاها.

(١) تاريخ النقد الأدبي للأستاذ طه أحمد إبراهيم: ١٤٧.

وكان أبو الفتح عثمان بن جني من ناحية أخرى يرفع من مقداره؛ ويشيد من ذكره؛ وأصبح لكل منهما أشياء.

كتاب الوساطة:

في هذه الحُلبة وذلك المعترك ألف القاضي علي بن عبد العزيز كتاب «الوساطة». قال الثعالبي في البيعة:

«ولما عمل صاحب رسالته المعروفة في إظهار «مساوي المتنبي» عمل القاضي أبو الحسن كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره»؛ فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبخره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد؛ فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنث كتبه وإن أصبَحْتَ دارُهُ شاحِطَةً
كتاب الوساطة في حُسنِهِ لِعَقْدٍ معاليك كالوَأَسِطَةِ

وقال صاحب كشف الظنون:

«أما القاضي أبو الحسن فإنه ادّعى التوسط بين خصوم المتنبي ومحبيه، وذكر أن قوماً مالوا إليه، حتى فضّلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقوماً لم يعذّوه من الشعراء وأزْدَرَوْهُ غاية الازدراء حتى قالوا: إنه لا ينطق إلا بالهوى؛ ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء، ومعانيه كلها مسروقة. فتوسط بين الخصمين، وذكر الحق من القولين».

وليس كتاب الوساطة مختصاً بشعر المتنبي كما يفهم من عنوانه، بل إنه عَرَضَ للأصول الأدبية التي عرفت في عصره، وحلّل أشعار القدماء والمُخَدِّثين؛ وأورد كثيراً من محاسنهم وعيوبهم، وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض، وأخذ وسرقة، واستعارة حسنة أو رديئة، ثم عرض للبيئة وأثرها في الشعر والبداءة وما تحدثه من جَفْوَةٍ في الطبع، والحضارة وما ينشأ عنها من رِقَّةٍ وسهولة، ثم عرض لخصوم المتنبي وأنصاره، ومعانيه المأخوذة أو المخترعة... كل ذلك وغيره أورده في أسلوب واضح، وعرض شامل؛ بما ستراه حين تمضي في قراءة الكتاب.

مؤلف الكتاب:

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي. ولد في جَرْجَان سنة ٢٩٠هـ، ونشأ بها. وكانت الدولة الإسلامية قد بلغت

نُضِجَها العلمي، وتعددت الحواضر الإسلامية تزخرُ بالعلم والعلماء، وأصبحت الرحلة سبيلَ التعلم والدّرس؛ فجاب الأرض، وزار العراق والشام والحجاز، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره، واقتبس العلوم والآداب، وصار فيها علماً وإماماً.

اشتهر بالفقه، وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء، وفسّر القرآن الكريم، وذكره السيوطي في طبقات المفسرين، واشتغل بالتاريخ وله فيها آثار، ثم هو شاعر مُتقِن، وكاتبُ مرسَل، وناقد لَوذعي بصير. وفيه يقول صاحب اليتيمة:

«حَسَنَةُ جُرجان، وفَرْد الزمان، ونادرة الفُلك، وإنسان حَدَقَ العلم، ودُرّة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خطّ ابن مُقْلَة، إلى نشر الجاحظ، ونظم البحرّي؛ وينظم عقد الإحسان والإتقان في كل ما يتعاطاه».

وفيه يقول الصاحب بن عباد:

إذا نحن سلّمنا لك العلم كلّهُ فدعنا وهذي الكُتُب نحسن صدورَها
فإنهم لا يرتضون مجيئنا يَجْزَع إذا نظمتُ أنتَ شذورها

عرف له الصاحب فضله فوَلّاه قضاء الرّي، وكانت حضرةُ الصاحب محطّ رحال العلماء والشعراء والأدباء. واحتفّ به من نجوم الأرض وأبناء الفضل وفرسان الشعر مَنْ يُربي عددهم على من اجتمع على أبواب الرشيد، مثل: أبي الحسن السّلامي، وأبي بكر الخوارزمي، وأبي طالب المأموني، وأبي القاسم الزعفراني، وأبي الفضل الهمداني... وغيرهم.

ولكنّ القاضي علي بن عبد العزيز كان أثرهم عنده، وأقربهم إليه؛ لفضله ومكانته، وعلو منزلته، وشرف نفسه. قال أبو نصر التهذيبي:

سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفْتُ يوماً من دار الصاحب - وذلك قبيل العيد، فجاءني رسوله بعطر الفِطْر، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قُرْب عهد لقائه مشتاقه
أهديتُ عِطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقه

قال، وسمعتُه يقول: إنّ الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفنيّه يوماً من قُرْب تحفّيه بي، وتواضعه لي، فأشدني:

أكرم أخاك بأرض مولده وأمّده من فعلك الحسني
فالعز مطلبوبٌ وملتمسٌ وأعزه ما نيل في الوطن

وكتب إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب يقول: «قد تقدم من وصفي للفاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش - دام علوه - من كتبي ما أعلم أنني لم أؤد فيه بعض الحق، وإن كنتُ دللتُ على جملةٍ تنطق بلسان الفضل، وتكشفُ عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم؛ فأما موقعه مني فالموقع الذي تخطب فيه هذه المحاسن، وتوجهه هذه المناقب؛ وعادته معي ألا يفارقني مقيماً وظاعناً، ومسافراً وقاطناً. وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان، بعد أن شرطتُ عليه تصيير المقام كالإمام، فطالبني مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده؛ فإن عن له ما يحتاج إلى عَرْضِه وجدَّ من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله؛ ليتعجل انكفاؤه إليّ بما رسم - أدام الله أيامه - من مظاهرتة على ما يقدم الرحيل، وبفسح السبيل؛ من بذرقه^(١) إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبة لبعض من في الطريق يتعرف التَّهَجُّج فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل ردّه؛ فإنني ما غاب كالمفضل الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد؛ إن شاء الله».

وقد عرف القاضي أبو الحسن للصاحب كيف يَجْزِيهِ عن وُدّه، ويكافئه عن تحفيه به؛ فسَيَّر فيه مدائح بقول فيها الثعالبِي: «أخلصت على قصد، وأتت من قَرْد، وما فيها إلا صوب العقل، وذوب الفضل».

ومن قوله فيه يهنئه بالبُرء من المرض:

أفي كل يوم للمكارم روعة	لها في قلوب المكرمات وجب
إذا أَلِمْتُ نفس الوزير تألّمت	لها أنفُسٌ تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظتُ وجهاً أحبه	حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه	ولكنه في المكرمات ندوب
تهلّل وجه المجد وابنسّم الندى	وأصبح غُضن الفضل وهو رطب
فلا زالت الدنيا بملكك طليقة	ولا زال فيها من ظلالك طيب



قال الحاكم في تاريخ نيسابور: «ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا، وحُمِل تابوته إلى جرجان فدُفن بها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض

(١) البذرق: الخفارة في الطريق.

راجلين^(١). وكان ذلك - كما يقول ابن خلكان - سنة ٣٦٦هـ^(٢)؛ وعمره ٧٦ عاماً.

أدبه وآثاره:

أما آثاره فقد ذكر منها ياقوت في معجم الأدباء «تفسير القرآن الكريم»، وكتاب «تهذيب التاريخ»؛ نقل عنه ابن خلدون في تاريخه الكبير، وذكره الثعالبي فقال: «إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ، وصحة الروايات، وحسن التصرف في الانتقادات»، وأورد فصلين منه في بتيمة الدهر؛ ثم كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» - وقد سبق الحديث عنه - وله ديوان شعر ذكره ابن خلكان؛ يجمع بين العذوبة والجزالة؛ وتترقق فيه شمائله السمحة الرضوية، ونفسه الكريمة الأبية؛ فمن غزله الرقيق:

أفدي الذي قال وفي نفسه الورد قد أئنع في وجنتي
مثل الذي أشرب من فيه قلت: فمي باللثم يجنيه
ومن قوله في الحنين إلى بغداد:

أراجعة تلك الليالي كعهدها إلى الوصل أم لا يُرتجى لي رجوعها
وصحبة أحباب لبست لفقدهم ثياب حداد يُستجَدُ خليعها
إذا لاح لي من نحو بغداد بارق تجافت جفوني واستطير هُجوعها
سقى جانبي بغداد كل غمامة يحاكي دموع المستهام هُموعها
معاهد من غزلان أنس تحالفت لوحظها ألا يُداوى صريعها
يحن إليها كل قلب كائما يُشاد بحبات القلوب ربيعها
فكل ليالي عيشها زمن الصبا وكل فصول الدهر فيها ربيعها
ومن قوله يصف نفسه:

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أخجما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً من الذم أعتد الصيانة مغنماً
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا مطمع صيرته لي سلماً
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
أشقى به عرساً وأجنيه ذلةً إذا فابتياغ الجهل قد كان أخزماً

(١) راجلين: سائرین علی اقدامهما.

(٢) في معجم الأدباء: جزء ١٤ صفحة ١٥: مات بالري يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. وكذلك في تاريخ أدب اللغة لجورجي زيدان ٢ - ٣٩٢. وفي ابن خلكان (١ - ٥٨٤): وقال غير الحاكم: توفي سنة ٣٩٢، ونقل الحاكم أثبت وأصح.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس تعظما
وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء^(١)، والثعالبي في يتيمة الدهر^(٢)، طائفة من
شعره، تدور حول الفخر والمدح، والغزل وغيرها من فنون الشعر.

مخطوطة الكتاب وعملنا فيه:

وهذا الكتاب كان قد نشره الأديب الأستاذ أحمد عارف الزين بمطبعة العرفان في
صيدا سنة ١٣٣١هـ، وذكر أنه اعتمد على مخطوطتين إحداها عراقية والثانية في
المكتبة الأزهرية. ثم طبع مرة أخرى في مطبعة محمد علي صبيح.

وكلتا هاتين المطبوعتين تخلوان تماماً من الضبط، ويشيع فيهما الخطأ. ولما
شرعنا في نشر هذا الكتاب رجعنا إلى نسخة مخطوطة بالمكتبة الأزهرية برقم ١٥٢٦
أدب، وهي في نحو ١٣٠ ورقة كتبها بخطه سويدي بن أحمد العدوي سنة ١٣٢٨هـ
عن نسخة كتبت في سنة ١٣٢٦هـ، وهذه الأخيرة كتبت عن نسخة مكتوبة سنة
١٣١٦هـ وهي نسخة يشيع فيها الخطأ والتحريف وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) كما
رمزنا إلى النسخة المطبوعة في صيدا بالحرف أ.

ثم عمدنا إلى مراجعة نصوص الشعر على دواوين الشعراء وكتب الأدب،
وضبط الأعلام على المعاجم وكتب التاريخ، وشرحنا بعض ما غمض من الكلمات
والعبارات؛ لنذلل الصعاب ونساعد القارئ على متابعة أفكار المؤلف والانطلاق في
آفاقه.

ثم وضّحنا معالم الكتاب بعنوانات تقرب مرّماه، وتوضّح غايته، ومعظمها
اقتباس من نص المؤلف؛ إذ كان الكتاب كله رسالة واحدة، ومقالة يمضي فيها
المؤلف من أول الشوط إلى نهايته، وشفعناه بالفهارس المتنوعة.

وفي هذه الطبعة الجديدة عدنا إلى الكتاب فزدنا في شرحه وضبطه وتحقيقه؛
كفاء لما لاقى الكتاب من إقبال وتشجيع.

ونرجو أن نكون قد جعلناه في صورة أدنى إلى الكمال، وأقرب إلى الإتيان؛
ونسأل الله أن يجعله عملاً نافعاً مقبولاً.

شعبان سنة ١٣٨٦ (نوفمبر سنة ١٩٦٦).

المحققان

(١) الجزء الرابع عشر صفحة ١٥ وما بعدها.

(٢) الجزء الرابع صفحة ٣ - ٢٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

التفاضل - أطل الله بقاءك - داعية التنافس؛ والتنافس سبب التحاسد^(١)؛ وأهل النقص رجُلان: رجل أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه^(٢)؛ وآخر رأى النقص ممتزجاً بخلقته، ومؤثلاً في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به الهمة عن انتقاله؛ فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وسر ما كشفه العجز عن عورته اجتذابهم إلى مشاركته، ووسمهم بمثل سيمته، وقد قيل^(٣):

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَسَاحَ لَهَا لِسَانٌ حَسُودٌ

صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تستثيزها المحاسد^(٤) لم تبرخ في الصدور كامنة، ومنقبة لو لم تُزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزت فتناولتها ألسنُ الحسد^(٥) تجلّوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتشهّرها وهي تحاول أن تسترها؛ حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسن معرض، واكتست من فضله أزين ملبس؛ فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من برّ والدها فنوّعت بذكره، وقدرت على قضاء حق صاحبها فرفعت من قدره ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِيعَةً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولم نزل العلوم - أيّدك الله - لأهلها أنساباً تتناصر بها، والآداب لأبنائها أرحاماً تتواصل عليها، وأدنى الشرك في نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتعاظ له، والمحاماة دونه، وما من حفظ دمه أن يسفك، بأولى ممن رعى حريمه أن يهتك^(٦)

(١) في ب «الحسد».

(٢) في ب «سعيه».

(٣) البيت لأبي تمام، ديوانه ص ٧٦. (٤) في أ «المحاسدة»، وما أثبتناه عن ب.

(٥) في ب «الفصاح».

(٦) في ب: «وما حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك» وفي أ «وما من حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك».

ولا حرمة أولى بالعناية، وأحق بالحماية، وأجدر أن يَبْذُلَ الكريمُ دونها عِرْضَهُ، ويمتَهِنَ في إعزازها ماله ونفسه من حُرْمة العلم الذي هو رَوْنَقُ وجهه، ووقاية قُدْره، ومَنَار اسمِه، ومِطْية ذِكْره.

وَيَحْسَبُ عِظَمَ مزيته وعلو مرتبته يعظم حقَّ التشارك فيه، وكما تجب حياطته، تجب حياة المتَّصل به وبسببه، وما عقوق الوالد البِرُّ، وقطيعَةُ الأخ المشْفِق، بأشنع ذِكْراً، ولا أقبَحَ سَمّاً من عقوق مَنْ نَاسَبَكَ إلى أكرم آبائك، وشارَكَكَ في أفخر أنسابك، وقاسَمَكَ في أزين أوصافك، ومَتَّ إليك بما هو حظُّك من الشرف، وذريعُك إلى الفخر.

وكما ليس من شرط صِلَة رحمك أن تَجِيفَ لها على الحق، أو تَمِيلَ في نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حُكْم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابهِ إلى الإسراف، بل تَتَصَرَّفُ على حكم العدل كيف صَرَفَكَ، وتَقِفُ على رَسْمه كيف وَقَفَكَ، فتَتَصَيَّفُ تارةً وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهداً لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة - إذا قامت - محتجاً عنك إذا خالفت، فإنه لا حال أشدَّ استعطافاً للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالةً للنفوس المشمِزة، من توقُّفك عند الشبهة إذا عَرَضَتْ، واسترسالك للحجة إذا قهرت، والحكم على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبية خصمك على مكامن جيلك إذا ذهب عنها؛ ومتى عُرِفَتْ بذلك صار قولك برهاناً مسلماً، ورأيك دليلاً قاطعاً، وأتَّهم خصمك ما علمه وتيقنه، وشكٌ فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإن عدلتهم المحبة^(١)، وجبن عن إظهار حُججه وإن لم تكن فيها غميمة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والثدرة.

وما زلتُ أرى أهل الأدب - منذ ألحقني الرغبة بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم - في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين: من مُطِنَب في تقريره، منقطع إليه بجملته، منقطع في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقبه إذا ذُكرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكِيت بالتفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزُرَاية والتقصير، ويتناول من يَنْقُصُه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عَثَرَ على بيت مختل النظام، أو يَنه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصْرَة خطئه، وتحسين زَلَّه ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائب يروم إزالته عن رُتبته، فلم يسلم له فضله، ويحاول حَطُّه عن منزلة بؤاه إياها أدبه؛ فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معاييه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته^(٢).

وكلا الفريقين إما ظالمٌ له أو للأدب فيه؛ وكما أن الانتصار جانبٌ من العدل لا

(١) في أ، ب: «المحنة» وهو تحريف. (٢) في ب «ولبدء معاييه».

يسدّه الاعتذار؛ فكَذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، وَمَنْ لم يفرّق بينهما وقفت به المَلَامَةُ بين تفريط المقصّر، وإسراف المفرط؛ وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا، وأقام بين كل حديث فضلاً؛ وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة وَلَدِ آدَمَ؛ وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان؛ فاستسقاط من عزّ حاله حيف، والتحامل على من وُجّه إليه ظلم. وللفضل آثارٌ ظاهرة، وللتقدم شواهدٌ صادقة، فمتى وُجدت تلك الآثار، وشُهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم؛ فإن عُثِرَ له من بعدُ على زَلّة، ووجدت له بعقب الإحسان هَفْوة انتحل له عذرٌ صادق، أو رُخصة سائغة؛ فإن أعوز قيل: زَلّة عالم، وقلّ من خلا منها، وأيُّ الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح ولم يكن لقلولنا فاضل معنى يوجد أبداً، ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأيُّ عالم سمعت به ولم يزل ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يُهَفْ ولم يسقط!

أغاليط الشعراء

ودونك هذه الدواوينَ الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجدُ فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القَذْحُ فيه؛ إمّا في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهلَ الجاهلية جُدُوا^(١) بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مُستردّلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظنُّ الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظّنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذّبّ عنهم كلّ مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام، وما أراك - أدام الله توفيقك - إذا سمعت قول امرئ القيس^(٢):

أَيَا رَاكِباً بَلَغَ إِخْوَانُنَا مَنْ كَانَ مِنْ كِنْدَةٍ أَوْ وَايِلَ
فَنَصَبَ «بلغ»، وقوله^(٣):

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ^(٤)
فسكن «أشرب»، وقوله^(٥):

لَهَا مَثْنَتَانِ خَطَّانَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ الثُّمُرُ^(٦)
فأسقط النونَ من «خَطَّانَا» لغير إضافة ظاهرة^(٧).
وقول لبّيد^(٨):

تَرَاكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ الثُّفُوسِ حَمَامُها

(١) يقال: جددت يا فلان (على من لم يسم فاعله)، أي صرت ذا جد والجدة: الحظ.

(٢) في الضرائر ص ١٠١، غير معزو لقائل.

(٣) ديوانه ص ١٥٠.

(٤) المستحقب: المكتسب للإثم، والواغل: الداخل على القوم في شراهم.

(٥) ديوانه ص ١٤. اللسان (١٨: ٢٥٤).

(٦) البيت في وصف الفرس. والمثنتان: جنبتا الظهر، والخطاة: المكتنزة من كل شيء. والمعنى: لها مثنتان كساعدي النمر البارک في غلظهما.

(٧) هذا رأي الفراء، وقال: حذفت النون تخفيفاً. وقال الكسائي: أراد خطّاناً؛ فلما حرك التاء رد الألف التي هي لام الفعل، لأنها إنما كانت حذفت لسكونها وسكون التاء، فلما حرك التاء ردها فقال: «خطّاناً».

(٨) شرح المعلقات للتبريزي ص ١٥٥.

فسكن «يرتبط» ولا عمل فيها يَلَم. وقول طرفة^(١):

قد رُفِعَ الفَخُّ فماذا تحذري

فحذف النون. وقول الأسدي:

كنا نرُقِّعُها وقد مُزِّقَتْ واتسع الخخرق على الراقع

فسكن «نرُقِّعُها». وقال الآخر^(٢):

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسباً وابننا نزار وأنتم بيضة البلد^(٣)

فسكن «تعرف»، وقول الآخر:

يا عَجبا والدهر جم عَجبه من عَنزِي سَبني لم أضربه

فرفع «أضربه». وقول الفرزدق^(٤):

وعض رَمَانِ يا ابنَ مَزَوَانَ لم يدع من المال إلا مُسَحَتاً أو مُجَلَّفً^(٥)

فضم مجلِّفاً. وقول ذي الخرق الطهوي^(٦):

يقول الحنى وأبغض العُجَمِ ناطقاً إلى ربنا صَوْتُ الحِمَارِ اليُجَدِّعِ^(٧)

فأدخل الألف واللام على الفعل. وقول رؤبة^(٨):

أقفرَتِ الوُعْشاءُ والعُغْشاءُ من بَعْدِهِمِ والبُرْقُ البَرَارِثُ^(٩)

(١) شعراء النصرانية ص ٢٩٨، يصف قبرة؛ وبقية البيت:

ونسقري ما شئت أن تنسقري

(٢) نسيه صاحب اللسان إلى الراعي يهجو ابن الرقاع العاملي.

(٣) رواية اللسان (٨: ٣٩٤).

تأبى قضاة لم تعرف لكم نسباً وابننا نزار فأنتم بيضة البلد

وعلى هذه الرواية لا يكون الاعتراض. وبيضة البلد: السيد.

(٤) النقاظ: ٢ - ٢٤٨، الضرائر: ٣٩، اللسان ١٠: ٣٧٥.

(٥) المسحت: المهلك، والمجلف: الذي بقيت منه بقية. ووجه الإنكار عطف مرفوع على

منصوب. قال أبو عمرو بن العلاء: لا أعرف لها وجهاً، وكان يونس لا يعرف لها وجهاً. قيل

له: لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه. فقال: كان ينشدها على الرفع، وأنشدنيها رؤية

على الرفع. وتأوله النحاة على الإضمار، فكانه قال: «هو مجلف».

(٦) خزائن الأدب للبغداد: ١ - ١٠، اللسان (٩: ٣٩٠).

(٧) أراد: الذي يجدد. وحمار مجدد: مقطوع الأذن.

(٨) اللسان: ٢ - ٤٢٠، وروايته:

أقفرَتِ الوُعْشاءُ فالعُغْشاءُ من أهلها فالبرق البرارث

(٩) في الأصول «البوارث».

والوعث من الرمل: ما غابت فيه الأرجل والأخفاف، والعثاغت: جمع عثمة؛ وهي الأرض

الليئة البيضاء، والبرق: أماكن في بلاد العرب.

ولإنما هي البراث جمع برث؛ وهي الأماكن السهلة من الأرض، وروى البوارث وكأنه جمع بارثة.

وقول بعض الرّجّاز^(١)؛ أنشده المفضل:

كانت عجوزاً عُمّرتْ زماناً وهي ترى سيئها إحساناً
تعرف منها الأنف والعينان^(٢)

ففتح النون من العينان. وقول آخر منهم - أنشده أبو زيد:

طاروا عليهن قَطِرٌ عَلاها واشدُّ بَمَثْنِي حَقْبٍ حَقَّواها^(٣)
ناجيةً وناجياً أباهما

فرفع حَقَّواها، وحَقَّه النصب، كما قد نصب أباهما، وحَقَّه الرفع. وقول الأقيسر^(٤):

وقد بسدا هَنُك من المئزرِ

وقول نقيع [بن]^(٥) جُرموز:

أَطَوَّفُ ما أَطَوَّفُ ثم آوي إلى أُمِّي ويروني النَّقِيعُ^(٦)
فأدخل الألف في أُمِّي لغير نداء ولا ضرورة.

وغيرُ هذا مما هو أسهلُّ منه قول امرئ القيس^(٧):

كَأَن قَبيراً من عَرَائِنِ وَلِلهِ كَبِيرُ أناسٍ في بِجَادٍ مُزْمَلٍ^(٨)

(١) الضرائر ١٦١، شرح المفصل (٣: ١٢٩)، (٤: ١٤٣) ونسبه أبو زيد إلى رؤية، وقال ابن هشام: إنه شعر مصنوع، وقال المفضل: إنه لرجل من ضبة.

(٢) بعده:

ومن خربن أشبهها ظبياناً

(٣) الحقب: حبل يشد به الرجل إلى بطن البعير، والحقو: الكشح، شرح المفصل: (٣: ١٢٩)، اللسان (٩: ٣٢٢)، ورواية اللسان:

طاروا علاهن فسل علاها

(٤) أنشده سيبويه في الكتاب (٢: ٢٩٧)، وصدّره:

رحت وفي رجلك ما فيهما

وموضوع المواخذه تسكين النون في هنك؛ وحقه التحريك.

(٥) زيادة من معجم الشعراء للمرزباني ص ١٩٥. قال: «أراه سمى النقيع بهذا البيت».

(٦) النقيع والنقيعة: المحض من اللبن يبرد. والبيت في اللسان ١٠: ٢٣٨.

(٧) شرح المعلمات للتبريزي ص ٥٢، واللسان ٣: ٣٣٠.

(٨) ثبير: جبل، والعرائن: الأوائل، والوبل: ما عظم من المطر، والبجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب، ومزمل: ملف.

فخفّض «مُرْمَلاً»^(١)، وهو وصفٌ كبير . وقول الفرزدق^(٢) :
 بِخَيْرٍ^(٣) يَذِي مَنْ كَانَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَجَارِيهِ وَالْمَقْتُولِ لِلَّهِ ضَائِمٌ
 فخفّض ضائم . وقول رؤبة :
 قَدْ شَفَّهَا النُّوحُ بِمَا زُولٍ^(٤) ضَيِّقٌ
 ففتح الياء . ومثال ذلك مما يُخرج الكتاب عن عَرَضِهِ .

بعض ما كان يجري بين الرواة والشعراء

ثم استعرضت إنكار الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهها، وما جرى بين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه في قوله^(٥) :
 فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا^(٦)
 ففتح الياء من موالي في حال الجر، وما جرى له مع عنبسة^(٧) الفيل النحوي حتى قال فيه :

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانٍ^(٨) وَالْفِيلُ شَاغِلٌ لَعَنْبَسَةَ الرَّأْيِ عَلَيَّ الْقَصَائِدَا
 وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى ؛
 حتى قال البردخت^(٩) لبعض النحويين :
 لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِيكَ بِأَحْفَضُ شَاغِلٌ وَأَنْفُ كَمَثَلِ الْعُودِ مِمَّا تَنْبَعُ

- (١) تأول النحاة لخفضه فقالوا: إنه على الجوار مثل قولهم: هذا جحر ضب خرب (بكسر خرب).
- (٢) النفاض: ٢ - ٥٢.
- (٣) في الأصول «تجير»، وصوابه من النفاض.
- (٤) المأزول: المضيق عليه.
- (٥) خزنة الأدب: ١: ١١٤.
- (٦) المولى: الحليف، وهو: المعاهد؛ والرجل إذا كان ذليلاً بوالي قبيلة ليعتز بأفرادها، وإذا والى مولى كان أذل من الذليل. وأراد بالموالي الحضرميين، وكانوا موالي بني عبد شمس بن عبد مناف.
- (٧) هو عنبسة بن معدان الفيل، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه، وكانت لزياد ابن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال: ادفعوها إلي وأكفيكم المؤونة، وأعطيك عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصرًا، ونشأ له ابن يقال له عنبسة، فروى الأشعار وظرف وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق، وبلغ الفرزدق أن عنبسة يفضل عليه جريراً فهجاه. (معجم الأدباء) (١٦: ١٣٣).

(٨) في «ب» «بغداد»، وهو تحريف والبيت وقصته في نزهة الألباء ص ٥.

(٩) البردخت الضبي: هو علي بن خالد؛ وأصل اسمه بالفارسة پرادخت؛ بمعنى الفارغ. هجا جريراً فبلغه الهجاء، وأخبر باسمه فقال: ما البردخت؟ قبل: الذي لا عمل له؛ فقال: ما كنت لأجعل له عملاً ولا شغلاً. ولم يجبه. معجم الشعراء ص ٢٨٠.

تَتَّبِعْ لِحْنًا فِي كَلَامٍ مُرْقَشٍ وَخَلَقْتُ مَبْنِيَّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعِ
فَعَيْنَاكَ إِقْوَاءَ وَأَنْفَكَ مُكْفَأً وَوَجْهَكَ إِيطَاءَ فَأَنْتَ الْمَرْقَعُ^(١)
وَقَوْلِ الْأَصْمَعِيِّ فِي الْكُمَيْتِ: جُرْمَقَانِي^(٢) مِنْ جَرَامِيقِ الشَّامِ لَا يُخْتَجُّ بِشَعْرِهِ،
وَمَا أَنْكَرَهُ مِنْ شَعْرِ الطَّرِمَّاحِ، وَلَحْنٌ فِيهِ ذَا الرُّمَّةِ.

احتجاج النحاة

ثم تصفحت مع ذلك ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج إذا أمكن: تارة يطلب التخفيف عند توالي الحركات، ومرة بالإتباع والمجاورة؛ وما شاكل ذلك من المعاذير المُمْتَحَلَة، وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجة؛ وتبينت ما زاموه في ذلك من المَرَامِي البعيدة، وارتكبوا لأجله من المراكب الصعبة، التي يشهد القلب أن المحرك لها، والباعث عليها شدة إعظام المتقدم، والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد، وألفته النفس.

عود إلى أغاليط الشعراء

ثم عدت إلى ما عدده العلماء من أغاليطهم في المعاني، كقول امرئ القيس^(٣):

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا شَعْرٌ مُنْتَشِيزٌ^(٤)
وهذا عيب في الخيل. وقول زهير^(٥):
يَخْرُجْنَ مِنْ شَرِبَاتٍ مَاؤُهَا طَلْحٌ^(٦) عَلَى الْجَذُوعِ يَخْفَنُ الْغَمُّ وَالْغَرْقَا^(٧)

(١) الإقواء في الشعر: مخالفة القوافي في الإعراب، والإكفاء: مخالفة هجاء القوافي، والإيطاء: تكرير القافية باللفظ والمعنى.

(٢) قال في القاموس: «الجرامقة» قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل صدر الإسلام، الواحد جرمقاني.

(٣) ديوانه ص ١٢، واللسان: ١٠: ٤٥١.

(٤) رواية الديوان: «سعف». الخيفان من الجراد: المهازيل، وفرس خيفانة: تشبه الجراد في خفتها. قال الأصمعي: وإذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريماً. ورواية اللسان:

لَهَا ذَنْبٌ خَلْفَهَا مَسْبُطٌ

(٥) ديوانه ص ٤٠.

(٦) اللسان (١٣: ٤٢٤)، الموشح ص ٤٧.

(٧) البيت في وصف الضفادع. الشربات: جمع شربة؛ وهي حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويه، والطلح: الكدر، ويريد بالجدوع جذوع النخل، قال المرزباني: «والضفادع لا تخرج من الماء لخوفها من الغمر والغرق، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ».

والضفادع لا تخاف شيئاً من ذلك . وقول سلمة بن الخرشب^(١) :
 إذا كان الحزامُ لِقْضَرَيْنِهَا أماما حيث يَمْتَسِكُ الْبَرِيمُ^(٢)
 يقول : إن الحزامَ يقرب في جولانه إذا أكثر من عدّوه فيصير أمام القصريين .
 قال الأصمعي : أخطأ في الوصف ؛ لأن خيرَ جزي الإناث الخضوع ، وإنما
 يُختار الإشراف^(٣) في جزي الذكور ، فإذا اختضعت تقدّم الحزام ، كما قال بشر بن أبي
 خازم^(٤) :

نُسُوفٍ^(٥) لِلْحِزَامِ بِمِرْفَقَيْنِهَا يَسُدُّ خَوَاءَ طُبَيْزِهَا الْغُبَارُ^(٦)
 وقد ساعد مُتَمُّمٌ بن نُؤيرة على هذا الوصف سلمة فقال^(٧) :

وكأنه قَوَتْ الْجَوَالِبُ جَانِئاً رِثْمٌ تَضَايَفُهُ كِلَابٌ ، أَخْضَعُ^(٨)
 فوصف الذكر بالخضوع ، وإنما يُختار له الاشتيراف . وكقول الجعدي :

كَأَن تَوَالِيَهُمَا بِالضَّحَى نَوَاعِمُ جَفَلٍ مِنَ الْأَثَابِ^(٩)
 والجعل : صغار النخل ، وإنما المراد الكبار ، وبه يصح الوصف فيما زعموا .

وقول أبي ذؤيب بصف الفرس^(١٠) :
 قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ لَحْمَهَا بِالنَّيِّ فَهِيَ تَتَوَخَّعُ فِيهَا الْإِضْبَعُ^(١١)

(١) شرح المفضليات : ١ - ٣٨ .

(٢) يصف فرسه . القصريان : مثني القصري ، هي الضلع ، والبريم : خيط تشده المرأة في وسطها . أراد أنها تلتفت إذا جال حزامها واضطرب لكثرة عدوها ، فصار أمام قصريها في مثل الموضع الذي تشد فيه المرأة على حقوها .

(٣) الخضوع والإشراف : ضربان من سير الخيل .

(٤) المفضليات (٢ : ١٤٣) ، اللسان (٨ : ٢٧٠) ، والبيت في وصف فرس .

(٥) في أ ، ب «تسوق» ، وهو تحريف .

(٦) تنسف الحزام : تدفعه . الخواء : الفرجة . الطلي من الفرس ؛ بمنزلة الضرع من الشاة والبقرة ؛ يقول : إذا امتلأت عدوا ستر الغبار ما بين طلييها .

(٧) المفضليات (١ : ٤٩) ، اللسان (١ : ٤٣) .

(٨) فوت : فاتتا الجوالب ؛ مصدر وقع حالاً ؛ والجوالب : من قولهم : جلب الفارس على الفرس إذا رصد له قوماً في طريقه يصيحون به في الرهان . جانثا : مكبا ، يقال : جنأ في عدوه ، إذا ألح وأكب . الرثم : الطلي الخالص البياض . تضايفه الكلاب : أخذن بضيفه - بكسر الضاد - أي بناصيته ، جئن من هاهنا وهاهنا . وهن كلاب الصائد . أخضع : متطامن الرقبة ، وهو من الخضوع . وتقدير البيت : كأنه رثم أخضع تضايفه كلاب . شرح المفضليات (١ : ٤٩) .

(٩) الأثاب : شجر ينبت في بطون الأودية في البادية .

(١٠) المفضليات (٢ : ٢٢٧) ، اللسان (٣ : ١٣٠) .

(١١) قصر الصبوح لها : جعل صبوحها اللبن دون الماء ، وشرح اللحم : خالطه الشحم . والنّي : =

قال الأصمعي: حمارُ القصار خيرٌ من هذا، وإنما يُوصفُ الفرسُ بصلابة اللحم.

وقول أبي التجم:

تَسْبِجُ أَخْرَاهُ وَيُطْفِئُ أَوَّلَهُ

واضطراب مآخيرِ الفرس قبيح. وقول المسبب بن علس^(١):

وَكَأَنَّ غَارِبَهَا رُبَاوَةً مُخْرِمَةً وَتُمْدُئُنِي جَدِيلَهَا بِشِرَاعٍ^(٢)

أراد تشبيه العنق بالدقل^(٣) فغلط، كما غلط طرفة في السكان فقال:

كُسْكَانٌ بُوصِي بِدَجَلَةٍ مُضْعِدٍ^(٤)

وإنما يريد الدقل. وقول امرئ القيس^(٥):

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْصَّلِ

والثريا لا تتعرض، وإنما تتعرض الجوزاء. وقول رؤبة:

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا قَى الْأَسْوَدَا^(٦)

فجعل الأفعى دون الأسود، وهي أشدُّ نكاية منه. وقول زهير^(٧):

كَأَخْمِرٍ عَادِثٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمْ

= الشحم. وتثوخ فيها الإصبع، أي لو أدخل أحدهم إصبعه في لحمها لدخل لكثرة لحمها وشحمها.

(١) شرح المفضليات (٢: ٦٠).

(٢) الغارب: ما بين السنام والعنق. والرباوة: منقطع الجبل حيث استدق. والمخرم: مقطع أنف الجبل، والجديل: الزمام. وثنيه: ما اتثنى منه، أراد تمدد جدليها بعنق طويلة، فشبهها بشراع السفينة.

(٣) الدقل: خشبة طويلة في وسط السفينة يمد عليها الشراع.

(٤) صدره:

وأتلسع نهاض إذا صعدت به

المعلقات بشرح التبريزي ص ٦٩.

السكان: ذنب السفينة. والبوصي: نوع من السفن، أو هو الملاح.

(٥) ديوانه ص ٢٥.

(٦) الأفعى: حية عريضة رقشاء دقيقة العنق، لا تنفع معها رقبة ولا ترياق. والأسود حية خبيثة تسليخ جلدها كل عام، وتسمى أسود سالخ.

(٧) في وصف الحرب. وصدره:

فَتَنْتِجُ لَكُمْ غُلْمَانَ أَشَامَ كُلِّهِمْ

المعلقات بشرح التبريزي ص ١١٣.

وإنما هي أحمَرُ ثمود^(١). وقول ليلي. ويروى لَحْمِيد:

لما تخايلت^(٢) الحمُولَ حسبَها دُوماً بأَيْلَةٍ ناعماً مَكْمُوماً^(٣)
والدُّوم لا أكمَام له.

هذا ما يعرفونه صباحاً ومساءً. ويمارسونه على طول الدهر؛ فدَغ ما يخفى عليهم ويَبْعُد عن أبصارهم. كقول أبي ذؤيب في الدُّرَّة^(٤):

فجاء بها ما شئتُ من لَطْمِيَّةٍ يدُور الفِراثُ حولَها ويَمُوجُ
فالفِراث هو العَذْب، والدُّرَّة، لا يوجد إلا في المِلح. وقول الآخر^(٥):
فيه الرماحُ وفيه كلُّ سابِغَةٍ جدلاءُ مُحْكَمَةٍ من نَسِجِ سَلامٍ^(٦)
وقول الآخر^(٧):

وكلُّ صَمُوتٍ ثَلَاثَةٌ تُبْعِيَّةٌ ونَسِجُ سُلَيْمٍ كلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٨)
أرادا داود فغلطاً إلى سليمان، ثم حرِّفاً اسمه فقال أحدهما: سَلام، وقال الآخر: سُلَيْم، كما قال الآخر:

والشيخ عثمان بن عف

أراد ابن عقان. وقال الآخر:

ومِخْوَرٌ أُخْلِصَ من ماء اليلْب^(٩)

(١) أحمر ثمود: لقب قدار بن سالف، عاقر ناقة صالح، وإنما قال: كأحمر عاد لإقامة الوزن لم يمكنه أن يقول كأحمر ثمود، أو وهم فيه.

(٢) في المزهري (٢: ٣١٣): «لما تحاملت».

(٣) قال السيوطي: في المزهري: الدوم: شجر المقل، والمكموم لا يكون إلا النخل، فظن أن الدوم هو النخل.

(٤) اللسان ١٦: ١٧، وروايته:

فجاء بها ما شئت من لطمية تدور البحار فوقها وتموج واللطمية: هي الدرة.

(٥) هو الحطيطية، والبيت ورد في اللسان - مادة سلم بهذه الصورة، وورد أيضاً فيه - مادة جدل: فيه الجبياد وفيه كل سابغة

(٦) السابغة: الدرع الوسيعة. ودرع جدلاء: محكمة النسيج.

(٧) هو النابغة الذبياني. ديوانه ص ٦٤.

(٨) الصموت من الدروع: اللينة المس. وثلاثة: واسعة. وتبعية: منسوبة إلى تبع وهو ملك اليمن. والقضاء: المحكمة. ودرع ذائل: طويلة الذيل.

(٩) في الأصل: ومحرر من ماء اليلب. وما أثبتناه عن اللسان (٢: ٣٠٦).

جعل اليلب حديداً وإنما هي سيور؛ كما قال غيره :

لم تذر ما نسج اليرندج قبلها^(١)

[فإنه ظن أن اليرندج نسج^(٢)]، وإنما اليرندج جلود. وقول الآخر^(٣) :

برية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفسقا
فجعل الفسق بقلا.

وأشبه ذلك مما يكثر تعقبه، ولم يذكر إلا اليسير منه فيما نريده - شككت في أن نفع هذا الحكم عام، وجدواه شامل، وأن المتقدم يضرب فيه بسهم المتأخر، والجاهلي يأخذ منه ما يأخذ الإسلامي، وأنه قول لا حظ له في العصبية، ولا نسب بينه وبين التحامل.

وليس يجب إذا رأيتني أمدح مُحدثاً أو أذكر محاسن خضري أن تظن بي الانحراف عن متقدم، أو تنسبني إلى الغرض من بدوي؛ بل يجب أن تنظر مغزاي فيه، وأن تكشف عن مقصدي منه، ثم تحكم علي حكم المنصف المتثبت، وتقضي قضاء المُقسط المتوقف.

(١) تمامه :

ودراس أعوص دارس متخدد

(٢) زيادة من اللسان (٣ : ١٠٨).

(٣) هو أبو نخيلة. اللسان ٢ : ١٨٤.

الشعر

أنا أقول - أيدك الله - إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء، ثم تكون الدُّرّة مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فَمَن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مَرَبَّتُهُ من الإحسان.

القدماء والمحدثون

ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمُخَضَّر^(١)، والأعرابي والمولّد؛ إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمّس، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر؛ فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلّة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية؛ ولا طريق للرواية إلا السمع؛ وملاك الرواية الحفظ، وقد كانت العرب تروي وتحفظ، ويُعرف بعضها برواية شعرٍ بعض؛ كما قيل: إن زهيراً كان راوية أوس، وإن الحطيئة راوية زهير، وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جؤيّة؛ فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراه، وكان عبيد راوية الأعشى ولم تُسمع له كلمة تامة، كما لم يسمع لحسين راوية جرير، ومحمد بن سهل راوية الكُميت، والسائب راوية كثير؛ غير أنها كانت بالطبع أشدّ ثقة وإليه أكثر استئناساً؛ وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة، وإنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة. ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفلقاً، وابن عمه وجارَ جنباه ولصيق طُنبه بكيتاً مُفحماً^(٢)؛ وتجد فيها الشاعرَ أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب؛ فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحِدّة القريحة والفطنة!

وهذه أمور عامة في جنس البشر لا تخصيص لها بالأغصّار، ولا يتصف بها دهرٌ دون دهر. فإن قلت: فما بال المتقدمين حُصّوا بمتانة الكلام وجزالة المنطق وفخامة

(١) شاعر مخضرم: أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد. قال ابن بري: أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم (بكسر الراء) لأن الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا أذان إبلهم، ليكون علامة لإسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا، ويقال لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم. وأما من قال: مخضرم (بفتح الراء) فتأويله عنده أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام.
اللسان (٥: ٧٥).

(٢) البكي: من قل كلامه خلفة. والمفحم: من لا يقدر أن يقول شعراً.

الشعر، حتى إن أعلّمنا باللغة وأكثرنا رواية للغريب لو حفظ كل ما ضمت الدواوين المروية، والكتب المصنفة من شعر فخل، وخبر فصيح، ولفظ رائع - ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوط مروئي، وجلّ الغريب محفوظ منقول - ثم أعانه الله بأصح طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة، ثم حاول أن يقول قصيدة، أو يقرض بيتاً يقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أسره، وصلابة معجّمه لوجده أبعد من الغيوق^(١) مُتناولاً، وأصعب من الكبريت الأحمر مطلباً؟ قلت: أحلتك على ما قالت العلماء في حمّاد^(٢) وخلف^(٣) وابن دأب^(٤) وأضرابهم، ممن نحلّ القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أضعافه، وضُعب على أهل العناية إفراؤه وتعثر، مع شدة الصعوبة حتى تكلف قُلّي الدواوين واستقراء القصائد فنفي منها ما لعله أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقيل^(٥) وهؤلاء محدثون حضريون، وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظر الاحتجاج بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقاة الشعراء.

فإن قلت: فما بال هذا التَّمط والطريقة، وهذه المنقبة والفضيلة ينفرد بها الواحد في العصر وهو مشحون بالشعر، وكان فيما مضى يشمل الدُّهماء ويعم الكافة؟ قلت لك: كانت العرب ومن تبعها من السلف تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره، ولا أنسها سواه، وكان الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقّه أن يُختص بفضل تهذيب، ويُفرد بزيادة عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمّل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً.

اختلاف الشعر باختلاف الطبائع

وقد كان القوم يختلفون في ذلك، وتباین فيهِ أحوالهم، فيرق شعرُ أحدهم، ويضلّب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّرُ منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق؛ فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام

- (١) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها.
- (٢) هو خلف بن حيان. أصله من خراسان، من سبي قتيبة بن مسلم؛ وكان من أفرس الناس لبيت شعر؛ وكان شاعراً يحمل الشعر على لسان العرب، وينحله إياهم. توفي سنة ١٨٠. فهرس ابن النديم ص ٧٤.
- (٣) هو حماد بن سابور؛ من سبي الديلم. كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها؛ وهو الذي جمع السبع الطوال. توفي سنة ١٥٥. وفيات الأعيان (١: ١٦٤).
- (٤) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب. كان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم؛ وكان يضعف في روايته. وكان في المدينة يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب، فسقط وذهب علمه: وخفيت روايته. توفي سنة ١٧١. المزهر (٢: ٢٥٩)، معجم الأدباء (١٦: ١٥٢).
- (٥) كذا في ب، وفي أ: «قيل».

بقدر دُمَاةِ الْخَلْقَةِ وَأَنْتَ تَجِدُ ذَلِكَ ظَاهِرًا فِي أَهْلِ عَصْرِكَ وَأَبْنَاءِ زَمَانِكَ، وَتَرَى الْجَافِي الْجَلْفَ مِنْهُمْ كَثْرَ الْأَلْفَاظِ، مَعْقِدَ الْكَلَامِ، وَغَرَّ الْخَطَابِ؛ حَتَّى إِنَّكَ رُبَّمَا وَجَدْتَ أَلْفَاظَهُ فِي صَوْتِهِ وَنَعْمَتِهِ، وَفِي جَرْسِهِ وَلَهْجَتِهِ. وَمِنْ شَأْنِ الْبِدَاوَةِ أَنْ تُخْذَلَ بِبَعْضِ ذَلِكَ؛ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ بَدَأَ جَفَاً». وَلِذَلِكَ تَجِدُ شِعْرَ عَدِيِّ - وَهُوَ جَاهِلِي - أَسْلَسَ مِنْ شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ وَرَجَزَ رُؤْيَا وَهُمَا أَهْلَانِ؛ لِمُلَازِمَةِ عَدِيِّ الْحَاضِرَةِ وَإِيطَانِهِ الْرِيفِ، وَبُعْدِهِ عَنِ جَلَاةِ الْبَدْوِ وَجَفَاءِ الْأَعْرَابِ، وَتَرَى رَقَّةَ الشَّعْرِ أَكْثَرَ مَا تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الْعَاشِقِ الْمُتِمِّمِ، وَالْغَزَلِ الْمُتَهَالِكِ؛ فَإِنْ اتَّفَقَتْ لَكَ الدِّمَاءَةُ وَالصَّبَابَةُ، وَانْضَافَ الطَّبَعُ إِلَى الْغَزَلِ؛ فَقَدْ جُمِعَتْ لَكَ الرِّقَّةُ مِنْ أَطْرَافِهَا.

أثر التحضر في الشعر

فلما ضرب الإسلام بِجَرَانِهِ، وَاتَّسَعَتْ مَمَالِكُ الْعَرَبِ، وَكَثُرَتْ الْحَوَاضِرُ، وَنَزَعَتْ الْبُؤَادِي إِلَى الْقُرَى، وَفُشِيَ التَّأْدِبُ وَالتَّنْظِيفُ اخْتَارَ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ أَلْيَنَهُ وَأَسْهَلَهُ، وَعَمَدُوا إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ذِي أَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ اخْتَارُوا أَحْسَنَهَا سَمْعًا، وَأَلْطَفَهَا مِنْ الْقَلْبِ مَوْقِعًا؛ وَإِلَى مَا لِلْعَرَبِ فِيهِ لُغَاتٌ فَاقْتَصَرُوا عَلَى أَسْلَسِهَا وَأَشْرَفَهَا؛ كَمَا رَأَيْتَهُمْ يَخْتَصِرُونَ [الفاظ] ^(١) الطَّوِيلَ؛ فَإِنَّهُمْ وَجَدُوا لِلْعَرَبِ فِيهِ نَحْوًا مِنْ سِتِينَ لَفْظَةً؛ أَكْثَرَهَا يَشِيعُ ^(٢) شَنْعٌ؛ كَالْعَشْنَطِ وَالْعَنْطَنَطِ وَالْعَشْنَقِ، وَالْجَسْرَبِ وَالشَّوْقَبِ وَالسَّلْهَبِ وَالشَّوْذَبِ، وَالطَّاطِ وَالطُّوْطِ، وَالْقَاقِ وَالْقُوقِ ^(٣)، فَنَبَذُوا جَمِيعَ ذَلِكَ وَتَرَكَوْهُ، وَاکْتَفَوْا بِالطَّوِيلِ لِحِفَّتِهِ عَلَى اللِّسَانِ، وَقِلَّةِ بُؤُ السَّمْعِ عَنْهُ. وَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي طَلَبِ التَّسْهِيلِ حَتَّى تَسَمَّحُوا بِبَعْضِ اللَّحْنِ، وَحَتَّى خَالَطَتْهُمْ الرِّكَائِكَةُ وَالْعُجْمَةُ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَيْسَ الْحَضَارَةُ وَسَهُولَةُ طِبَاعِ الْأَخْلَاقِ، فَانْتَقَلَتْ الْعَادَةُ، وَتَغَيَّرَ الرَّسْمُ، وَانْتَسَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ، وَاحْتَدَّوْا بِشَعْرِهِمْ هَذَا الْمِثَالُ، وَتَرَفَّقُوا مَا أَمَكْنَ، وَكَسَوْا مَعَانِيَهُمُ الْطَفَّ مَا سَنَحَ مِنَ الْأَلْفَاظِ، فَصَارَتْ إِذَا قِيسَتْ بِذَلِكَ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ يَتَبَيَّنُ فِيهَا اللَّيْنُ، فَيُظَنُّ ضَعْفًا، فَإِذَا أُفْرِدَ عَادَ ذَلِكَ اللَّيْنُ صَفَاءً وَرَوْنَقًا، وَصَارَ مَا تَخِيلْتَهُ ضَعْفًا رَشَاقَةً وَلُطْفًا؛ فَإِنْ رَامَ أَحَدُهُمُ الْإِغْرَابَ وَالْإِقْدَاءَ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْقَدَمَاءِ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ بَعْضِ مَا يَرُومُهُ إِلَّا بِأَشَدِّ تَكْلُفٍ، وَأَتَمَّ تَصْنَعٍ؛ وَمَعَ التَّكْلُفِ الْمُقْتِ، وَلِلنَّفْسِ عَنِ التَّصْنَعِ نُفْرَةً، وَفِي مَفَارِقَةِ الطَّبِيعِ قِلَّةَ الْحَلَاوَةِ وَذَهَابَ الرُّونُقِ، وَإِخْلَاقُ الدِّيَابِجَةِ.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في ب: «أكثرها فيه شنع».

(٣) وردت هذه الألفاظ في الأصلين محرفة ومصحفة، فأصلحناها من لسان العرب وفقه اللغة للشعالبي. وكل هذه الألفاظ ترادف الطويل.

تكلف أبي تمام وتفاوت شعره

وربما كان ذلك سبباً لطُمُس المحاسن؛ كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام، فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على نوعير اللفظ، فقبح^(١) في غير موضع من شعره، فقال^(٢):

فكأنما هي في السَّماع جنادلٌ وكأنما هي في القلوب كواكبُ

فتعسف ما أمكن، وتغلغل في التصتب كيف قدر، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف إليه طلب البديع، فتحمله من كل وجه، وتوصل إليه بكل سبب، ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية، فاحتمل فيها كل غث ثقل، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل؛ فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكدُّ الخاطر، والحمل على القريحة؛ فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حَسَره^(٣) الإعياء، وأوهن قوته الكلال. وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن، أو الالتذاذ بمُسْتظرف؛ وهذه جريرة التكلف!

ولست أقول هذا غصاً من أبي تمام، ولا تهجيناً لشعره، ولا عصبية عليه لغيره. فكيف وأنا أدينُ بتفضيله وتقديمه، وأتحلُّ مولاته وتعظيمه، وأراه قبلة أصحاب المعاني، وقُدوة أهل البديع! لكن ما سمعتني أشرطه في صدر هذه الرسالة أنه يحظر إلا إتباع الحق وتحري العدل والحكم به لي أو علي. وما عدوت في هذا الفصل قضية أبي تمام، ولا خرجت عن شرطه أن يقول في يوسف السراج شاعر مصر في وقته^(٤):

فلو بُشِ المقابر عن زهير لعول^(٥) بالبكاء وبالنَّحيب
متى كانت معانيه^(٦) عيالا على تفسير بُقراط الطبيب
وكيف ولم يزل للشعر ماء يرفُّ عليه ريحانُ القُلُوبِ

(١) في أ «فتبيح».

(٢) حُسرة: أكله وأضعفه.

(٣) عول: رفع صورته بالبكاء: ورواه الديوان «لصرح».

(٤) رواية الديوان «قوافيه».

(٥) ديوانه ص ٢٩.

(٦) ديوانه ص ٤٨٩.

فخبرني هل تعرفُ شعراً أحوج إلى تفسير بقراط ونأويل أرسطوليس من قوله^(١):
جَهْمِيَّةُ الأوصاف إلا أنهم قد لَقَّبُوها جَوْهَرَ الأشياءِ^(٢)
وقوله^(٣):

يومَ أفاض جوى أغاصَ تَعَزُّياً خاض الهوى بَخَرِي حِجَاهِ المَزِيدِ
وأَيُّ شعرٍ أَقلُّ ماءً، وأبعد من أن يَرِفَ عليه رِيحانُ القلوب من قوله^(٤):
خَشْنَتْ عليه أخت بني الخُشْنِ وأنجح فيك قول العاذِلَيْنِ
ألم يُقْنِعْكَ فيه الهجرُ حتى بَكَلْتُ^(٥) لَقَلْبِهِ هَجراً يَبِينُ^(٦)
فهل رأيت أغثَ من «بكلت» في بيت نسيب! ومن قوله^(٧):

أطلالَ الرسوم لَطالَ ما قد أطلت منك أجيادُ الظباءِ
بها شُغِلَتْ دبابيجُ^(٨) البهاءِ فضخوةٌ وجهها نشر الضَّحاءِ
لنا أيام لم تُذمَّ اللبالي بذكر البَيْنِ عِزَّيْنَ الصِّفاءِ
فأضحى البَيْنُ لا يَرْضَى لَطَرُفي نواه بالبكيِّ من البكاءِ
لقد طلع الفراقُ على ابن صَبْرِي فأثَّكله جلابيبُ العِزِّاءِ
فالعجب كلُّ العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله^(٩):

أَيَّامَنَا ما كُنْتَ إلا مَوَاهِباً وكنْتَ بإسعافِ الحبيبِ حَبَاباً

(١) ديوانه ص ٣.

(٢) بصف الخمر. والجهمية في الأصل: فرقة دينية تنسب إلى جهنم بن صفوان؛ ومذهبهم أنه لا فعل للمخلوقين؛ وإنما الفاعل هو الله سبحانه؛ فكانهم يصفون المخلوقات بالضعف. فهو يعيب للخمر التي صدق عليها نعت الجهمية بالضعف أن يسميها غيرهم جوهر الأشياء؛ أي أصلها.

(٣) ديوانه ص ١١١.

(٤) ديوانه ص ٣٢١؛ الموشح ص ٣١٠.

(٥) بكل: خالط، ورواية الديوان: «قرنت».

(٦) قال المرزباني في الموشح: «ومن ابتداءات أبي تمام المذمومة:

خَشْنَتْ عليه أخت بني خَشِينِ

وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهم، وإنما أوقعه فيه محبته هنا للتجنيس».

(٧) لم نثر عليها في نسخ الديوان.

(٨) في الأصل: «دبابيج»، ولم نجدها في كتب اللغة، فأصلحناها كما رأينا، لأن الدبج النقش، والدباج يجمع على دبابيج ودبابيج. المعرب ١٤٠، ١٤٣، الجمهرة (١: ٢٧)، اللسان (٣: ٨٦).

(٩) ديوانه ص ١٦.

سُغِرِبَ تَجْدِيداً لَعَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ
وَمَعْتَرِكَ لِلشَّوْقِ أَهْدَى بِهِ الْهُوَى
كَوَاعِبَ زَارَتْ فِي لَيْالٍ قَصِيرَةٍ
سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ خُرِّ أَوْجِهِ
وَجِوَةً لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبَ
وَقَوْلُهُ (٢):

وَلَقَدْ أَرَاكَ فَهَلْ أَرَاكَ بِغَبْطَةٍ
أَعْوَامَ وَضَلَّ كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرٍ أَرْدَقَتْ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلَهَا
وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غَلَامٌ
ذَكَرَ النَّوَى، فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
يَجْوَى (٣) أَسَى، وَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامٌ

كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغث! وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغُرَرَ في ديوانه كيف يرضى أن يقرن إليها تلك الغُرَرَ! وما عليه لو حذف نصف شعره، فقطع ألسن العيب عنه، ولم يشرع (٤) للعدو باباً في ذمّه!

اختلاف شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة

ومن جنائيات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعه أن أخذهم بينا هو مُسْتَرْسِلٌ في طريقته، وجارٍ على عادته يَخْتَلِجُهُ (٥) الطَّبَعُ الْخَضِرِيُّ، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الخنث، فإذا أنشد في جلال القصيدة، ووجد قلقاً بينها نافرأ عنها؛ وإذا أضيف إلى ما وراءه وأمامه تضاعفت سهولته، فصارت زكاًكة. وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبعه، فينظم أحسن عقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة، حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعز طريق، ويتعسف أخشن مَرَكَب، فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طلاوة ما قد قدّم؛ كما فعل أبو تمام في كثير من شعره؛ ومنه قوله (٦):

لَوْ حَارَ (٧) مَرْتَاذُ الْمَنِيَةِ لَمْ يَجِدْ
قَالُوا الرِّحِيلَ؛ فَمَا شَكَّكَتْ بِأَنَّهَا
إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا
فِي الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنْ تَلْذَا

(١) نجل: جمع نجلاء. وهي العين المتسعة.

(٢) ديوانه ص ٢٧٩. (٣) في الديوان: «نحوي».

(٤) شرعت الباب إلى الطريق؛ أنفذته إليه، وشرع الباب: أفضى إلى الطريق، وأشرعه إليه.

(٥) اختلجه: جذب، وفي الأصل: حتى يخلجه.

(٦) ديوانه ص ٢٤٢. (٧) رواية الديوان: «جاء».

أَتُظَنُّنِي أَجْدَ السَّبِيلِ إِلَى الْعَزَا وَجَدَ الْجِمَامِ إِذَا إِلَيَّ سَبِيلًا!
رَدُّ الْجَمُوحِ الصَّغْبِ أَسْهَلُ مَطْلَبًا مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلًا
ذَكَرْتُكُمْ الْأَنْوَاءَ ذُكِرَى بَعْضُكُمْ^(١) فَبَكَتْ عَلَيْكُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ النُّوَى فَوَجَدْتُهَا سِيفًا عَلَى أَهْلِ الْهَوَى مَسْلُولا
ثُمَّ عَدَلَ عَنِ النَّسِيبِ فَقَالَ:

لَوْ جَازَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي الْخَلْقِ مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا
مَنْ كَانَ مَرْعَى عِزِّهِ وَهَمُومِهِ رَوْضَ الْأَمَانِيِّ لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا
فَهُوَ كَمَا تَرَاهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ هَذَا الدِّيَابِجَ الْخُسْرُوَانِيَّ، وَالْوَشْيَ الْمُنَمْنَمَ، حَتَّى يَقُولَ:

لَلَّهِ دَرْكُ أَيِّ مَغْبَرٍ قَفْرَةٍ لَا يُوَحِّشُ ابْنَ الْبَيْضَةِ الْإِجْفِيلًا^(٢)
أَوْ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هَزَةً تَشَأَى الْعَيُونَ تَعَجْرُفًا وَذَمِيلًا^(٣)

فَنَقُصُّ عَلَيْكَ تِلْكَ اللَّذَّةَ، وَأَحْدِثْ فِي نَشَاطِكَ قَفْرَةً؛ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَحَدُ مَا نُعْيِي عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ، وَنَسْقُولُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا إِذَا اسْتَوْفَيْنَا هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ. وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مُتَنَاسِقَةً مُقْتَرَنَةً، وَلَمْ يَكُنْ يَجْمَعُهَا قَصِيدَةً، وَتَسْمَعُ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ لَكَانَ أَخْفَى لَعْنِيهَا، وَأَسْتَرَّ لَشَيْئِهَا؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ بَعْدَ مَا بَيْنَ قَوْلِهِ:

كَادَتْ لِعِزِّفَانِ النُّوَى أَلْفَاطُهَا مِنْ رِقَّةِ الشُّكُوى تَكُونُ دُمُوعًا
وَقَوْلِهِ^(٤):

هَنَّ الْأَبْجَارِيَّ يَا بُجَيْرُ أَهْدَى لَهَا الْأَبْؤُسَ الْغَوِيرَ
وَقَوْلِهِ^(٥):

أَهْيَسُ أَلَيْسَ لَجَاءَ إِلَى هِمَمٍ تَغْرِقُ الْأَسَدَ فِي آذِيهَا أَلَيْسَا^(٦)
لَكِنَّا افْتَرَقْتَ فَغَابَتْ، وَلَمْ تَقْتَرَنَّ فَتُعْرَبْ وَتُشْهَرْ.

(١) فِي دِيْوَانِهِ: «بَعْضُهُمْ».

(٢) خَرَجَ إِلَى صِفَةِ النَّاقَةِ بِغَيْرِ ذَرِيعَةٍ إِلَى الْخُرُوجِ. وَابْنُ الْبَيْضَةِ: الظِّلْمُ. وَالْإِجْفِيلُ: الْكَثِيرُ الْإِجْفَالِ.

(٣) التَّعَجْرَفُ: النَّشَاطُ فِي السَّيْرِ. وَالذَّمِيلُ: نَوْعٌ مِنْهُ. وَتَشَأَى: تَسْبِقُ.

(٤) الْمَوَازَنَةُ بَيْنَ أَبِي تَمَامٍ وَالْبَحْتَرِيِّ ص ١١.

(٥) دِيْوَانُهُ ص ١٥٣.

(٦) الْأَهْيَسُ: الشُّجَاعُ، وَالْأَلَيْسُ مِثْلُهُ. وَاللَّيْسُ: جَمْعُ أَلَيْسَ؛ وَهُوَ الشُّجَاعُ الَّذِي لَا يَبَالِي بِالْحَرْبِ وَلَا بِرُوعِهِ. وَالْآذِي: الْمَوْجُ.

الأسلوب عند المؤلف

ومتى سمعتني أختارُ للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على الطبع، وأحسن له التسهيل؛ فلا تظن أني أريدُ بالسَّخِّ السَّهْلَ الضَّعِيفَ الرِّكِيَّ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث؛ بل أريد الثَّمَطَ الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السَّوْقِيَّ، وانحط عن البدويِّ الوحشيِّ، وما جاوز سَفْسَفَةَ نُضْرٍ ونُظْرَائِهِ، ولم يبلغ تَعَجُّرُفَ هِمِّيَّانِ بْنِ قُحَّافَةَ^(١) وأضرابه؛ نعم، ولا أمركُ بإجراء أنواع الشعر كلِّه مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعة مذهب بعضه؛ بل أرى لك أن تُقسِّمَ الألفاظ على رُتَبِ المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستيظائك؛ ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك؛ بل ترتب كلاً مرتبته وتوقيه حقه، فتلطَّف إذا تغرَّلت، وتُفخِّمُ^(٢) إذا افتخرت، وتتصرَّف للمديح تصرُّف مواقعه؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والطَّرَف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدَام؛ فلكل واحد من الأمرين نَهْجٌ هو أَمْلَكُ به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه.

وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصود على الشعر دون الكتابة، ولا بمختصَّ بالنظم دون النثر؛ بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلاف كتابك في التشوق والتهنئة واقتضاء المواصله، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومثَّيت.

فأما الهجو فأبلغه ما جرى مَجْرَى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قرَّبت معانيه وسهَّل حفظه؛ وأسرع عُلُوْقَه بالقلب ولُصُوْقَه بالنفس؛ فأما القَذْف والإفحاش فسبَاب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم.

(١) هميان بن قحافة: أحد بني عامر؛ راجز إسلامي محسن؛ عاش في الدولة الأموية.

(٢) يقال: فخم الكلام، إذا عظمه، ومنطق فخم: جزل.

المطبوعون من الشعراء

وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر، فتصفح شعر جرير وذو الرمة في القدماء، والبحراني في المتأخرين، وتنبع نسب متيمي العرب، ومتغزلي أهل الحجاز؛ كعمر، وكثير، وجميل، ونصيب، وأضرابهم، وقسّمهم بمن هو أجود منهم شعراً، وأفصح لفظاً وسبكاً؛ ثم انظر واحكم وأنصف، ودعني من قولك: «هل زاد على كذا!» و«هل قال إلا ما قاله فلان!» فإن روعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم، وإنما تفضي إلى المعنى عند التفتيش والكشف. وملاك الأمر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمّل والاسترسال للطبع، وتجنب الحمل عليه والعنف به؛ ولست أعني بهذا كل طبع، بل المهدّب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلّته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصوّر أمثلة الحسن والقبح.

السهل الممتنع من شعر البحراني

ومتى أردت أن تعرف ذلك عياناً، وتستثبته مواجهة، فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضل ما بين السمع المنقاد والغصبي المستكره فاعمد إلى شعر البحراني، ودع ما يصدر به الاختيار، ويعدّ في أول مراتب الجودة، ويتبين فيه أثر الاحتفال، وعليك بما قاله عن عفو خاطره، وأول فكرته، كقوله^(١):

ألام على هوائك وليس عدلاً	إذا أحببت مثلك أن ألاماً ^(٢)
أعيدي في نظرة مستثيب	توخى الأجر أو كره الأثاماً
نرتي كبداً محرقة وعينا	مؤرقة وقلبا مستهما
تساءت دار علوة بعد قرب	فهل ركب بلغها السلاماً!
وجدد طبقها عثبا علينا	فما يعتادنا إلا لئاماً
وربت ليلة قد بث أنقى	بعينيهما وكفّيهما المداماً
قطعنا الليل لثما واعتاقا	وأفنيناه ضماً والتزاماً

(١) ديوانه (٢: ٢٢٥).

(٢) الأثام: الإثم.

وقوله^(١):

إِنْ كَانَ أَقْصَى الْوُدِّ عِنْدَكَ يَنْفَعُ
مِنْكَ الصُّدُودُ وَيَا نَّ وَصْلُكَ أَجْمَعُ
وَجُدِّي وَيَدْعُونِي هَوَاكَ فَاتَّبِعْ
أَنِّي أَمْرُؤُ كَلِيفٌ بِحُبِّكَ مُرْلَعُ

أُضْفِيكَ أَقْصَى الْوُدِّ غَيْرَ مَقْلَلٍ
وَأَرَاكَ أَحْسَنَ مَنْ أَرَاهُ وَإِنْ بَدَأَ
يَعْتَادَنِي طَرَبِي إِلَيْكَ فَيَغْتَلِي
كَلِيفاً بِحُبِّكَ مَوْلِعاً وَيَسْرُنِي
وقوله^(٢):

أَوْ فَاشْرِكِيهِ فِي اتِّصَالِ سُهَادِهِ
خَلَّيْتُ^(٣) عَنْهُ وَنَمْتُ عَنْ إِسْعَادِهِ
بَاتَتْ تَقْلُقُ فِي صَمِيمِ فُؤَادِهِ
وَجَنَّبْتَهُ^(٤) فَرَأَيْتَ ذَلِكَ قِيَادِهِ
وَذِي وَلَمْ أَمْلِكْ عَسِيرَ وَدَادِهِ
فَبُلَّيْتُ بَعْدَ صُدُودِهِ بِسِعَادِهِ

رُدِّي عَلَى الْمُشْتَقِ بَعْضَ رُقَادِهِ
أُسْهَرْتَهُ حَتَّى إِذَا هَجَرَ الْكَرَى
وَقَسَا فُؤَادُكَ أَنْ يَلِينَ لِلْمَوْعِدَةِ
وَلَقَدْ عَزَزْتَ فَهَانَ طَوْعاً لِلْهَوَى
مَنْ مُنْصَفِي مِنْ ظَالِمٍ مَلَكُتُهُ
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ غَيْرَ سَالِفٍ وَدَّهِ
وقوله^(٥):

خِيَالٌ إِذَا أَبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا
هَبُوبِ نَسِيمِ الرُّوضِ تَجْلِبُهُ الصُّبَا
إِلَيْهِ وَإِلَّا قُلْتُ: أَهْلًا وَمَرْحَبَا
يَرِينِي أَنَاةَ الْخَطُونِ نَاعِمَةِ الصُّبَا
وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا
غَلِيلاً وَلَافْتَكَّتْ أُسِيرًا مُعَذَّبَا
جَهَامًا^(٦) وَإِنْ أَبْرَقَتْ أَبْرَقَتْ خُلْبَا^(٧)
دَلَالًا فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبَا
وَأَمَّنْ خَوَانًا وَأَعْتَبُ^(٨) مُذْنَبَا

أَجِدُّكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لَزِينَا
سَرَى مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَجْلِبُهُ الْكَرَى
وَمَا زَارَنِي إِلَّا وَلِهْتُ صَبَابَةً
وَلِيلَتْنَا بِالْجَزَعِ بَاتَ مَسَاعِفَا
أَضْرَّتْ بِضُوءِ الْبَدْرِ، وَالْبَدْرُ طَالَعُ
وَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا أَتَاهُ لِأَطْفَا
عَلِمْتُكَ إِنْ مَنِيَتْ مَنِيَتْ مَوْعِدَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
فَوَا أَسْفَى حَتَامَ أَسْأَلُ مَا نَعَا

(١) ديوانه (٢: ٧٥).

(٢) ديوانه (١: ٥٥).

(٣) خلى الأمر وتخلّى عنه: تركه.

(٤) يقال جنب فلان فلاناً، إذا دفعه وأقصاه.

(٥) ديوانه (١: ١٢٩).

(٦) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٧) البرق الخلب: المطمخ المخلف.

(٨) أعتبه: طلب منه العتبي؛ والعتبي: الرضا.

سأثني فؤادي عنك أو أتبع الهوى إليك إن استعفى^(١) فؤادي أو أبى
ثم انظر: هل تجد معنى مبتذلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً! وهل ترى صنعة
وإبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً! ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقّد ما
يتداخلك من الارتياح، ويستخفك من الطرب إذا سمعته، وتذكر صَبوة إن كانت لك
تراها ممثلة لضميرك، ومصورة تلقاء ناظرِك.

طبع البحتری في المدح

فإن قلت: هذا نسيب والنفس تهش له، والقلب يعلّق به، والهوى يُسرّع إليه،
فأنشِدْ له في المديح قوله^(٢):

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن وجدنا لفُتح^(٣) ضريبنا
هو المرء أبدت له الحادِثا تُعزّماً وشيكاً ورأياً صليباً
تنقّل في خُلُقني سُودِدو سماحاً مُرجّجاً وبأساً مهيباً
فكالسيف إن جئته صارخاً وكالبحر إن جئته مستثيباً
فتى كرم الله أخلاقه وألبسه الحمد بُرداً قشيباً
وأعطاه من كل خير يُعْذ دُحْظاً ومن كل مجد نصيباً
فدينّاك من أيّ خطب عرا ونائبة أوشكت أن تُثوباً

ثم خرج إلى الاستعطاف وأخذ في العتاب:

وإن كان رأيك قد حال فيّ فألبستني^(٤) بعد بشر قطوباً
وحَيّبت أسبابي النازعات إليك وما حقها أن تخيباً
يُريّبنني الشئ تآتي به وأكبرُ قدرك أن أشّرباً
وأكره أن أتمادى على سبيل اغترار فألقى شُعوباً^(٥)
أُكذّب ظني بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذوباً
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذمّ الزمان وأشكو الخطوباً
ولا بد من لَوْنة أنتحي عليك بها مُحْطئاً أو مُصيباً

(١) في ديوانه: «استعفى».

(٢) ديوانه (١ : ٥١).

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، كان أديباً شاعراً فصيحاً. اجتمعت له خزانة كتب حافلة، وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧.

(٤) في ديوانه: «فلقيتني».

(٥) شعوب: النية.

أَبْصَحَ وَرَدِّي فِي رَاحَتَيْهِ
أَبِيعَ الْأَحْبَةَ بَيْعَ السَّوَامِ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ
وَمَا كَانَ سَخَطُكَ إِلَّا الْفِرَاقُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَا
سَأَصْبِرُ حَتَّى الْأَقْيَرِ رِضًا
أَرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصْحَ
لَكَ رَنْقًا وَمَزْعَايَ مَخْلًا جَدِيبًا
وَأُنْثِي عَلَيْهِمْ حَبِيبًا حَبِيبًا
يُشَقِّقُ فِيهِ الْوَدَاعُ الْجِيُوبَا
أَفَاضَ الْعَيُونَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
تَخَالَجَنِي الشُّكُّ فِي أَنْ أَتُوبَا
لَكَ إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا
وَأَنْظُرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَتُوبَا

العذب من شعر جرير

وإنما أَحَلَّكَ عَلَى الْبُخْرِيِّ؛ لَأَنَّهُ أَقْرَبُ بِنَا عَهْدًا، وَنَحْنُ بِهِ أَشَدُّ أُنْسًا، وَكَلَامُهُ
الْبِقَ يَطْبَاعِنَا، وَأَشْبَهَ بَعَادَاتِنَا؛ وَإِنَّمَا تَأَلَّفَ النَّفْسُ مَا جَانَسَهَا، وَتَقَبَّلَ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ
إِلَيْهَا. فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فِي شَعْرِ غَيْرِهِ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي شَعْرِهِ، وَأَنْ تَعْتَبِرَ الْقَدِيمَ
كَاغْتِيَارِ الْمَوْلَدِ فَانْشُدْ قَوْلَ جَرِيرٍ^(١):

أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَنِيْلَهُ
إِذَا مَا أَرَادَ الْحَيُّ أَنْ يَتَفَرَّقُوا^(٢)
فَيَا لَبِئْتَ أَنَّ الْحَيَّ لَمْ يَتَزَيَّلُوا^(٣)
إِذِ الْحَيُّ فِي دَارِ الْجَمِيعِ كَأَنَّمَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّ بِالْعَوْرِ حَاجَةٌ
نَظَرْتُ بِرَهْبًا^(٤) وَالظَّعَائِنُ بِاللَّوَى^(٥)
وَمَا أَبْصَرَ النَّارَ الَّتِي وَضَحَتْ لَنَا
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى أَيْحَ^(٦) لِي الْهَوَى
خَلِيلِي لَوْلَا أَنْ تَظُنَّا بِي الْهَوَى
إَلْبِنَا نَوَى ظَمِيَاءَ حُيَيْتٍ وَادِيَا^(٧)
وَحَثَّتْ جَمَالَ الْحَيِّ حَثَّتْ جَمَالِيَا
وَأَمْسَى^(٨) جَمِيعًا جِيرَةً مُتَدَانِيَا
يَكُونُ عَلَيْنَا نِصْفُ حَوْلٍ لِيَالِيَا
وَأُخْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بَدَا لِيَا
فَطَارَتْ بِرَهْبًا شُعْبَةً مِنْ قُوَادِيَا
وَرَاءَ جُفَافٍ^(٩) الطَّيْرِ إِلَّا تَمَارِيَا
عَلَى مَا تَرَى مِنْ هِجْرَتِي وَاجْتِنَابِيَا
لَقُلْتُ سَمِعْنَا مِنْ عُقَيْلَةَ ذَاعِيَا

(١) نقائض جرير والفردزق (١: ١٥٩)، ديوانه ص ٦٠١.

(٢) يقول: أنبت هذا الوادي عشبا، فانتجعتهم ظمياء وأهلها، فأقاموا فيه، فالتقينا به.

(٣) في النقائض والديوان: «يتزبلوا»، وهي بمعنى يتفرقوا.

(٤) في النقائض والديوان: «يتفرقوا».

(٥) في أ «وأمسرا».

(٦) رهبا: قاع في الصمان في ديار بني تميم: معجم البلدان.

(٧) اللوى: واد من أودية بني سليم.

(٨) جفاف الطير: ماء لبني جعفر بن كلاب.

(٩) في النقائض: أبيض.

قِفَا فَاسْمَعَا صَوْتَ الْمُتَادِي لَعْلَهُ
وَلَوْ أَنَّهَا شَاءَتْ شَفَّتْنِي بِهِيْنِ
فَإِنَّكَ إِنْ تُعْطِي قَلِيلًا قَطَّالِمَا
دُنُو عِتَاقِ الطَّيْرِ أَسْمَحْنَ بَعْدَمَا
إِذَا اكْتَحَلْتَ عَيْنِي بِعَيْنِكَ مَسْنِي^(١)
وَيَأْمُرْنِي الْعُدَّالُ أَنْ أَغْلِبَ الْهَوَى
فِيَا حَسَرَاتِ الْقَلْبِ فِي إِثْرِ مَنْ يُرَى
تُعَيِّرُنِي الْإِخْلَافَ لَيْلَى وَأَفْضَلْتُ
تَخْطِي إِلَيْنَا مِنْ بَعِيدِ خَيَالِهَا
فَحُيِّيتَ مِنْ سَارٍ تَكْلَفُ مَوْهِنَا

ثم خرج فقال:

وإني لعفُ الفقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى
وإني لَأَسْتَحْيِيكَ وَالْخَرْقُ^(٢) بَيْنُنَا
وَقَائِلَةٌ، وَالذَّمْعُ يَغْسِلُ كُحْلَهَا:
فَرُدِّي جَمَالَ الْبَيْنِ^(٣) ثُمَّ تَحْمَلِي
تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي
وَإِنِّي لَمَغْرُورٌ أَعْلَلُ بِالْمُنَى
فَأَنْتَ أَجْبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً
بَأْيِ نَجَادٍ^(٤) تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا

سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي اخْتِمَالِيَا
مِنْ الْأَرْضِ أَنْ تَلْقَى أَخَا لِي قَالِيَا
أَبْعَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ الْمَوَالِيَا^(٥)
فَمَا لَكَ فِيهِمْ مِنْ مُقَامٍ وَلَا لِيَا
قُدُوتِكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
لِيَالِي أَرْجُو أَنَّ مَالِكَ مَالِيَا
فَلِنْ أَعْرَضْتُ أَيَقْنَتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا^(٦)
قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا

(١) حَلَات: منعت؛ والصوادي: العطاش.

(٢) شمس: امتنع.

(٣) أي الاكحال.

(٤) الخداري: الأسود.

(٥) الموهن: الجزء من الليل، والمترخي: البعيد.

(٦) الخرق: القفر.

(٧) الموالي: بنو العم.

(٨) في النقاظ: الحي.

(٩) رواية النقاظ:

فلن عرضت فلني لا أبا ليا

فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة

(١٠) نجاد السيف: حماله.

بَأْيٍ سِتَانٍ تَطْعَنُ الْقُرْمَ^(١) بَعْدَ مَا
 أَلَمَ أَكْ نَاراً يَضْطَلِبُهَا عَدُوَّكُمْ
 وَبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمْ بِمِمينه
 إِذَا سَرُّكُمْ أَنْ تُمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقِ
 أَنَا ابْنُ صَرِيحِي خَنْدَفٍ غَيْرَ دَعْوَةٍ
 وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ
 أَلَا لَا تَخَافَا نَبْوَءَ فِي مُلِمَّةٍ
 نَزَعَتْ سِتَاناً مِنْ قَنَاتِكَ مَا ضِيَا
 وَحِزْزاً لِمَا أَلْجَأْتُمْ مِنْ وَرَائِيَا
 وَقَابِضَ شَرِّ عَنَّاكُمْ بِشَمَالِيَا
 جَوَادٍ فَمُدُّوا وَابْسُطُوا مِنْ عَنَائِيَا
 يَكُونُ مَكَانُ السَّيْفِ مِنْهَا مَكَانِيَا^(٢)
 وَلِلْسَيْفِ أَشْوَى^(٣) وَفَعَةً مِنْ لِسَانِيَا
 وَخَافَا الْمَنَآيَا أَنْ تَفُوتَكُمَا بِبَا

وإنما أثبت لك القصيدة بكمالها، ونسختها على هيئتها، لترى تناسب أبياتها وازدواجها، واستواء أطرافها واشتباهاها، وملاءمة بعضها لبعض، مع كثرة التصرف على اختلاف المعاني والأغراض.

الحشو في الشعر

وقد علمت أن الشعراء قد تداوَلُوا ذكر عيون الجآذِر ونواظر الغزلان؛ حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسب تخلو منه إلا في النادر الفذ؛ ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس^(٤):

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي
 بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفِلٍ^(٥)
 أَوْ قَابِلَتُهُ بِقَوْلِ عَدِيِّ بْنِ الرَّفَاعِ:

وَكَاثِنُهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا
 عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ^(٦)

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قريتهما منه؛ والمعنى واحد، وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيدٌ عن البديع؛ إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة، التي كسته هذه البهجة. هذا وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذِفَ لاستغني عنه وما لا فائدة في ذكره؛ لأن امرأ القيس قال: «من وَخْشٍ وَجَرَّةٍ»، وعدياً قال: «من جآذِرِ جاسم»، ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما في إتمام

(١) القرم: السيد. ورواية النفاثض: «القوم».

(٢) الصريح: الخالص؛ ويريد بصريحي خندف: مدركة وطابخة ابني إلياس بن معد. والدعوة: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه.

(٣) يقال رمى فأشوى؛ إذا لم يصب.

(٤) الديوان ص ٢٨.

(٥) وجرة: موضع بين مكة والبصرة. والمطفل: ذات الطفل من الإنسان.

(٦) اللسان (١٤: ٣٦٦). وجاسم: موضع بالشام. والجوذِر: ولد البقرة.

النظم، وإقامة الوزن، ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وَجْرة وجاسم، فإنما يَطْلُبُ به بعضهم الإغرابَ على بعض؛ وقد رأيتُ طبَّاءَ جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الأطباء. وسألت من لا أخْصِي من الأعراب عن وحش وَجْرة فلم يَرَوْا لها فضلاً على وحش ضَرِيَّة^(١) وغزلان بُسَيْطَة^(٢)، وقد يختلف خَلْقُ الطُّبَّاءِ وألوانها باختلاف المُنْشَأِ والمَرْتَعِ؛ وأما العيون فقل أن تختلف لذلك؛ وأما ما تَمَمَّ به عدي الوصف، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على إثر هذا البيت^(٣):

وَسَنَانُ أَيْقَظُهُ^(٤) الثُّعَاسُ فَرَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

فقد زاد به على كلِّ مَنْ تقدم، وسبق بفضله جميع من تأخر، ولو قلتُ: اقتطع هذا المعنى فصار له، وحَظَرَ على الشعراء ادِّعاء الشُّرك فيه لم أرني بَعُدْتُ عن الحق، ولا جَانَبْتُ الصُّدُق. وقد تغزل أبو تمام فقال^(٥):

دَغْنِي وَشُرْبُ الْهُوَى يَا شَارِبَ الْكَاسِ فَإِنِّي لِلَّذِي حَسِنَتْهُ حَاسِي
لَا يُوجِشُكَ مَا اسْتَعْجَمْتُ مِنْ سَقَمِي فَإِنْ مَنْزَلُهُ مِنْ^(٦) أَحْسَنِ النَّاسِ
مَنْ قَطَعَ الْفَاطِطِ^(٧) تَوْصِيلُ مَهْلَكَتِي وَوَصَلَ الْحَاضِطِ تَقْطِيعُ أَنْفَاسِي
مَتَى أَعِيشَ بِتَأْمِيلِ الرَّجَاءِ إِذَا مَا كَانَ قَطْعُ رَجَائِي فِي يَدِي يَاسِي^(٨)

فلم يَخُلْ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة؛ طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غَزَلِه. وحق لها؛ فقد جمعت على قِصَرِها فنونا من الحُسن، وأصنافاً من البديع، ثم فيها من الإحكام والمتانة والقوة ما تراه؛ ولكنني ما أظنك تجد له من سِوَةِ الطرب، وارتياح النفس ما تجده لقول بعض الأعراب^(٩):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضُّمَارِ^(١٠)
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجِدِ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارٍ^(١١)

(١) ضرية: موضع بنجد.

(٢) بسطة: موضع ببادية الشام.

(٣) اللسان (١١: ٤١٨).

(٤) رواية اللسان «أقصده»، ورنق النوم في عينه. خالطها.

(٥) ديوانه ص ٤٤٥.

(٦) في الأصلين في. وهذه رواية الديوان.

(٧) في الأصل: أوصاله.

(٨) اليأس: قطع الأمل.

(٩) ديوان الحماسة (٣: ٢١٤)، واللسان (٦: ٢٣٥)، ونسبها للصمة بن عبد الله القشيري.

(١٠) المنيفة: ماء لبني تميم، والضمار: موضع.

(١١) يقال: تمتع بكذا ومن كذا، والشميم: مصدر شم، والعرار: وردة ناعمة صفراء، طيبة الرائحة.

أَلَا يَا حَبِيبًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضُهُ غِبِّ الْقَطَارِ^(١)
وعيشك إذ يحلُّ القوم نَجْدًا^(٢) وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ
شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَّهُنَّ وَلَا سِرَارِ^(٣)
فَأَمَّا لِيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ
فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المأخذ، قريب التناول.

وكانت العرب إنما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتُسَلِّمُ السُّبْقَ فيه لِمَنْ وَصَفَ فَأَصَابَ، وشبّه فقارب، وبَدَّه فَأَغْزَرَ، وَلِمَنْ كَثُرَتْ سَوَائِرُ أَمْثَالِهِ وشوارد أبياته؛ ولم تكن تعباً بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفيل بالإبداع^(٤) والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض.

(١) النفع: تضيوع الرياح بالطيب، والرياء: الرائحة، وغب كل شيء: عاقبته، والقطار: جمع فطر؛ وهو المطر. ورواية الحماسة واللسان:

ورِيَّا رَوْضَهُ بَعْدَ الْقَطَارِ

(٢) رواية الحماسة:

وَأَهْلَكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيَّ نَجْدًا

(٣) سرار الشهر: آخره.

(٤) يقال: أبدع الرجل؛ إذا أتى بالبديع.

البدیع

وقد كان يقع ذلك^(١) في خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد؛ فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميَّزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسمَّوه البديع؛ فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفترط.

مُثل من الاستعارة الحسنة

فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير^(٢):

وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصُّبَا وَرَوَّاحِلُهُ^(٣)

وقول لبيد^(٤):

إِذْ أَصْبَحْتُ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا^(٥)

وقول ابن الطُّرَيْيَّة^(٦):

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِيحُ^(٧)

(١) ذلك؛ أي استعمال البديع والاستعارة.

(٢) ديوانه ص ٢٤.

(٣) صدره:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

قال الأعلام: «هذا مثل ضربه؛ أي ترك الصبا وركوب الباطل. وتقدير لفظه: عريت أفراس ورواحل كنت أركبها في الصبا وطلب اللهو».

(٤) شرح المعلفات للتبريزي ص ١٥٨، نهاية الأرب (٧: ٤٩).

(٥) صدره:

وغداة ربح قد وزعت وقرة

والضمير في أصبحت يعود على الغداة؛ أي أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال؛ وهي أبرد الرياح.

(٦) أسرار البلاغة ص ١٦. وقبله:

ولما قضينا من منى كل حاجة

وشدت على دهم المهارى رحالنا

(٧) الأباطيح: جمع أبطح، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى.

وقول الحارث بن جِلْزَة^(١):

حتى إذا التَفَعَ الطُّبَاءُ بِأَطْفَالِهِمْ
راف الظَّلَالِ وَقَلْنَ فِي الكُنُسِ^(٢)
وقول أبي نُؤَاسٍ^(٣):

أعطتك ريحانها العُقَار

وقوله:

بصحن خَدُّ لَمْ يَغْضُ مَآؤُهُ وَلَمْ تَخْضُهُ أَغْيُنُ النَّاسِ
وقوله^(٤):

جَرَنْتُ مَعَ الصُّبَا طَلْقَ الْجُمُوحِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْتُورُ الْقَبِيحِ
وقوله:

مَبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهَا يَرْتَعُ فِيهَا أَطْيَابُ الثَّمَرِ
وقوله:

وَإِذَا بَدَأَ اقْتَادَتْ مَحَاسِنُهُ قَسَرَ إِلَى أَعْيُنِ الْحَدَقِ
وقوله يصف الكأس^(٥):

بَنِينَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءٍ مُدَامَةٍ مُكَلَّلَةٌ حَافَاتُهَا بِنَجُومٍ
وقول مسلم:

ولما تلاقينا قضى الليلُ نَحْبَهُ

وقوله^(٦):

ظَلَمْتُكَ إِنْ لَمْ أَجْزِلِ الشُّكْرَ إِنَّمَا جَعَلْتَ إِلَى شُكْرِي نَوَالَكَ سُلْمًا
فَانْظُرْ كَمْ بَيْنَ اسْتِعَارَتِهِ السُّلْمِ، وَاسْتِعَارَةِ أَبِي تَمَامٍ لَهُ فِي قَوْلِهِ^(٧):

مَاضِرٌ أَرْوَعَ يَزْتَقِي فِي هِمَةٍ رَوْعَاءٍ^(٨) أَنْ لَا يَرْتَقِي فِي سُلْمٍ

(١) شعراء النصرانية ص ٤٢٠.

(٢) قلن: نمن وقت القائلة؛ وهي الظهيرة. والكنس: جمع كناس؛ وهو مكان الأطباء في الشجر.

(٣) ديوانه ص ٢٧٤، عجزه:

وَحَانَ مِنْ لَيْلِكَ السَّفَارُ

(٤) ديوانه ص ٢٥٧.

(٥) ديوانه ص ٣٢٧.

(٦) مختارات البارودي (١: ١١٥).

(٧) ديوانه ص ٣١٣. ومختارات البارودي (١: ٢١٣).

(٨) في الديوان ومختارات البارودي: «علياء».

وأوّل من علمناه افتتح هذه اللفظة الحُصين بن الحُمَام المُرّي في قوله^(١) :
 فلستُ بمبتاع الحياة بذلة ولا مُرتقٍ مِن خَشْيَةِ الموت سُلماً
 وهذا قريب من الحقيقة، وإن كان فيه شُعْبة من ضرب المثل .
 وقول أبي تمام^(٢) :

أَذْنْتُ نَقَاباً عَلَى الْحَذَيْنِ وَانْتَقَبْتُ^(٣) لِلنَّاطِرِينَ بِقَدْ^(٤) لَيْسَ يَنْتَقِبُ
 وقوله^(٥) :

وقد علّم الأفشين وهو الذي به بَصَانُ رِداء الملك عن كل جاذب^(٦)
 وقوله^(٧) :

رَقَّتْ حَوَائِشِي الدَّهْرُ فَهِيَ تَمَزَّمُرُ وَعَدَا الثَّرَى فِي خَلْبِهِ يَتَكَسَّرُ^(٨)
 على أن لفظة «يتكسر» حَضْرِيَّةٌ مولدة .
 وقوله^(٩) :

وكم سرق^(١٠) الدُّجَى من حُسْنِ صَبْرٍ وَغَطَى من جِلَادٍ فَنَى جَلِيدٍ
 وقوله^(١١) :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ^(١٢) كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ
 وقول البحري^(١٣) :

يُذَكِّرُنَا زَيَا الْأَحْبَةِ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فِي جَنَحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدٍ
 وقوله يصف الخيال^(١٤) :

إِذَا نَزَعَتْهُ مِنْ يَدَيَّ انْتِبَاهَةً عَدَدَتْ حَبِيباً رَاحَ مِنِّي أَوْ عَدَا

(١) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٤) . (٢) ديوانه ص ٤٧ .

(٣) في الديوان : «انتسبت» . (٤) في أ «بقد» ، وصوابه من ب .

(٥) ديوانه ص ٤٢ .

(٦) الأفشين : كان عبداً للمعتصم فاصطنعه ورفع شأنه ، ثم قتله . والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلي ؛ أحد قواد المأمون ثم المعتصم ، مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
 وهي من عيون القصائد .

(٧) ديوانه ص ١٥٦ .

(٨) تمرمر : تمايل . والثرى : التراب . والحلي : الزينة . وتكسر : تنثنى .

(٩) ديوانه ص ١٠٦ .

(١٠) في الأصلين «شرق» ، وما أثبتناه عن الديوان .

(١١) ديوانه ص ٣٧٢ . (١٢) الغطارفة : السادة .

(١٣) ديوانه (١ : ١٣٦) . (١٤) ديوانه (١ : ١٧٤) .

وقوله^(١):

وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كُتُبِهِ

وقوله^(٢):

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَبْطَأْتُ وَدَكَ زُرَّتُهُ بِتَفْوِيفِ شِغْرِ كَالرِّدَاءِ الْمُحَبَّرِ^(٣)

وقول ابن المعتز:

أَقُولُ وَدَمَعَ الْعَيْنُ تَسْرِقَهُ يَدِي حَذَارُ لَدَمَعَ الشَّامِتِ الْمَتَوَدِّ

وقوله^(٤):

سَارُوا وَقَدْ خَضَعَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ لَهُمْ حَتَّى تَوْقَدَ فِي ذَيْلِ الدُّجَى الشَّفَقُ

وقوله:

لَوْ تَرَانَا إِذَا انْتَبَهَيْنَا قَعُودًا نَسْتَشْفِ الْقُرَى عَنِ الْأَحْلَامِ

وقوله^(٥):

مَا زَالَ يَلْطِمُ خَدَّ الْأَرْضِ وَابِلُهَا حَتَّى وَقَّتْ خَدَّهَا الْغُدْرَانُ وَالْخَضِرُ

وشتان ما بين هذا اللطم ولطم أبي تمام في قوله^(٦):

مَلْطُومَةٌ^(٧) بِالْوَرْدِ أَطْلَقَ دُونَهَا فِي الْخَلْقِ فَهُوَ مَعَ الْمَثُونِ مُحَكَّمُ

وإنما نازع أبا نُوَاسَ قوله^(٨):

يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّرَّ مَنْ نَزَجَسَ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بَغْثًا

فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان، وحصل هو على نَقْصِ السَّرَقِ

والتقصير؛ لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص.

وقول كُشَّاجِمٍ يصف السحاب^(٩):

مُقْبِلَةٌ وَالْخَضْبُ فِي إِقْبَالِهَا وَالرَّعْدُ يَحْدُو الْوُزْقَ^(١٠) مِنْ جِمَالِهَا

(١) ديوانه (١ : ٦٨). (٢) ديوانه (١ : ١٥٠).

(٣) البرد المفوف: الرقيق. والمحبر: الموشى.

(٤) ديوانه (١ : ٤١)، وقد رواه «في ثوب الدجى».

(٥) ديوانه (٢ : ١٢١). (٦) ديوانه ص ٢٨٤.

(٧) رواية الديوان: «مظلومة للورد أطلق طرفها».

(٨) نهاية الأرب (٧ : ٤٦). وفي هامش ب قبله:

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتَ فِي مَاتَمِ يَنْدُبُ شَسْجَوًا بَيْسَنَ أَتْرَابِ

(٩) ديوانه ص ١٥٩.

(١٠) في الأصلين: والرعد يحدو البرق من أحجالها
وهذه رواية الديوان.

بخطبة^(١) أبدع في ارتجالها
تجلّ لها الريح عن استعجالها
فحين ضاق الجو عن مجالها
جئوبها تشكو إلى شمالها
كأنما تسألها^(٥) عن حالها
وكاد أن ينهض لإستقبالها
حتى لقال^(٧) الشرب من تهطالها
ثم انثنى يثنى على فعالها

وقول السري الموصلي^(٩):

أقول لحنان العشي المغرد^(١٠)
تبسم عن ري البلاد صبيبه^(١١)
ويا ديرها الشرقي لا زال رائح
عليلة أنفاس الرياح كأنما
يشق جيوب الورد في جنباته
يهز صفيح البارقي المتوقد
ولم يبتسم إلا لإنجاز مزعد
يحل عقود المزن فيك ومعتد^(١٢)
يعل بماء الورد نرجسها الندي
نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد

فقد جاءك الحسن والإحسان، وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ.

(١) في الأصلين:

مخطبة أبدع في أرجالها

وهذه رواية الديوان.

(٢) في الديوان: «كما».

(٣) رواية الديوان:

فحين ضاق الجو عن مجالها
كأنما يسألها عن حالها
والزهر قد أصغى إلى مقالها
وراحت الرياح من كلالها

(٤) يقال: جاء على أدلاله: أي وجهه، ورواية الديوان: «على دلالتها».

(٥) في الديوان: «نسألها».

(٦) في الديوان: «فسمحت».

(٧) رواية الديوان:

حتى أتاك الشرب من هطالها

(٨) في الأصلين: «لي».

(٩) ديوانه ص ٩٧، وقد قال هذه القصيدة يتشوق إلى الموصل ويذكر خرابها.

(١٠) في الأصلين: «مغرد». وهذه رواية الديوان.

(١١) في الديوان: حبيبه.

(١٢) في الديوان: «ينتدي».

مَثَل من الاستعارة السيئة

فإذا سمعت بقول أبي تمام:

باشرت أسباب الغنى بمدائح ضربت بأبواب الملوك طُبُولا
وبقوله^(١):

لها بين أبواب الملوك مَزَامِيرُ من الذكر لم تنفخ ولا هي تزمُرُ
وبقوله^(٢):

إذا ما الدهر جرَّ^(٣) جرَّت أيادي يديه^(٤) فغشَّت الدنيا ظلالا
وبقوله^(٥):

يا دهر قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هذا الأنام من خَرَقِكَ^(٦)
وبقوله^(٧):

إلى ملك في أيكَة المجد لم يَزَلْ على كبد المعروف من نيله بَرْدُ^(٨)
وبقوله^(٩):

كأنني حينَ جرَّدْتُ الرجاء له عَظِبَ^(١٠) صبيته ماءً على الزمنِ^(١١)
وقول أبي نواس:

يا عمرو أضحط مبيضةً كَبدي فاصبغ بياضاً بعصفُر العنبِ

فاسدد مسامعك، واستغش^(١٢) ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحوه؛ فإنه مما يُصدئ القلب ويُغميه، ويطمس البصيرة، ويكذ القريحة.

(١) ديوانه ص ١٦٠. (٢) يمدح أبا سعيد: ديوانه ص ٢٦٦.

(٣) في الديوان: «جار». (٤) في الديوان: «يدبك».

(٥) ديوانه ص ٢١٠.

(٦) الأخدعان: عرقان في العنق، والخرق: المحقق.

(٧) ديوانه ص ١٠٨.

(٨) الأيكَة: الشجر الملتف. ورواية الديوان:

لدى ملك من أيكَة الجود لم يزل على كبد المعروف من نيله برد
(٩) ديوانه ص ٣٣٤.

(١٠) في الديوان: «غضا».

(١١) كذا رواه، وفي مختارات البارودي (١: ٢١٦).

كأنني يوم حررت الرجاء له عضبا أخذت به سيفاً على الزمن
(١٢) يقال: استغشى ثيابه، وتغشى بها: تغطى بها حتى لا يرى ولا يسمع؛ وفي التنزيل: ﴿واستغشوا ثيابهم﴾.

الفرق بين التشبيه والاستعارة

وربما جاء من هذا الباب ما يظنُّه الناس استعارةً وهو تشبيه أو مثل ؛ فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكّر أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس :

وَالْحُبُّ ظَهْرٌ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عِنانَهُ انصَرَفَا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر يُديره كيف شئت إذا ملكت عِنايته ؛ فهو إمّا ضرب مَثَل أو تشبيه شيء بشيء ؛ وإنما الاستعارة ما اكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها تقريب الشَّبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .

التجنيس المطلق

فأما التجنيس ؛ فقد يكون منه المطلق ، وهو أشهر أوصافه ، كقول النابغة^(١) :
وَأَقْطَعُ الْخَرْقُ بِالْخَرْقَاءِ قَدْ جَعَلْتَ بَعْدَ الْكَلَالِ تَشْكِي الْأَيْنِ وَالسَّامَا^(٢)
وقول الشَّنْفَرَى^(٣) :
فَبِئْسَ كَأَنَ الْبَيْتِ حُجْرَ فَوْقَنَا بَرِيْحَانَةَ رِيْحَتِ^(٤) عِشَاءَ وَطُلْتَ
وقول رؤبة :

أَحْضَرْتُ أَهْلَ حَضْرَمُوتٍ مَوْتَا

فجانس في موضعين في بيت رجز .

وقول أبي تمام^(٥) :

تَطْلُ الطُّلُولُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَتَمَثِّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارُ الْمَوَائِلُ^(٦)

(١) ديوانه ص ٦٧ .

(٢) الخرق : الواسع من الأرض الذي ينخرق فيه الريح . والخرقاء : الناقة التي بها هرج من نشاطها . والأين : الإعياء . والسام : الفتور والملل ؛ يشير إلى بعد السفر وطوله ، وأنه استعمل هذه الناقة نشيطة في أول أمرها حتى أعيت من طول السفر ؛ فلو كانت مما يشتكي لشكت طوله . شرح ديوان النابغة للبطلبوسي ص ٦٧ .

(٣) مهذب الأغاني (١ : ٩٦) .

(٤) ريحت : أصابتها ريح ، فجاءت بنسيمها .

(٥) ديوانه ص ٢٥٥ .

(٦) تطل : تسكب . الطلول : الآثار . وتمثل : تقتله بتعذيب . الموائل : الدوارس .

فجانس في المصراعين .

وقول البحري^(١) :

صَدَقَ الْغُرَابُ لَقَدْ رَأَيْتَ حَمُولَهُمْ^(٢) بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غَرْبِ
فجانس بثلاثة ألفاظ .

التجنيس المستوفى

وقد يكون منه التجنيس المستوفى ، كقول أبي تمام^(٣) :

ما مات من كرم الزمان فإنه^(٤) يحيا لدى يحيى بن عبد الله^(٥)

فجانس بيحيا ويحيى ، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر ؛ وإنما عُدَّ في هذا الباب لاختلاف المعنيين ؛ لأن أحدهما فعلٌ والآخر اسم ؛ ولو اتفق المعنيان لم يُعَدَّ تجنيساً ، وإنما كان لفظة مكررة ، كقول امرئ القيس^(٦) :

فلما دنوت تَسْدِيئُهَا^(٧) فثوباً نَسِيْتُ وثوباً أَجَزَّ

فقد تكرر في البيت ذكر الثوب ، كما تكرر ذكر يحيى في بيت أبي تمام ، إلا أن هذين اتَّفَقَ معناهما ، واختلف ذاك المعنيان ؛ فَعُدَّ الأول من البديع .

ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعضُ أهل الأدب قول الأعشى^(٨) :

إِنْ تَسْدِ الْحَوْصَ^(٩) فَلَمْ تَعُدْهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ

فأقول : إنه قد جانس بعامر وعامر ؛ لأن الأول اسم رجل^(١٠) ، والآخر اسم قبيلة . وأراه يخالف قول الآخر^(١١) :

قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضَّبَبِيعَاتِ كُلِّهَا ضَبَبِيعَةَ قَيْسٍ لَا ضَبَبِيعَةَ أَضَجَمَا

لأن كليهما قبيلتان ، فكأنما جمع بين رجلين مُتَّفَقِي الاسم .

(١) ديوانه ص ١٩ . (٢) رواية الديوان والعمدة : «شموسهم» .

(٣) ديوانه ص ٣٤١ ، نهاية الأرب (٧ : ٩٠) ، الطراز (٢ : ٣٥٧) .

(٤) رواية الديوان :

من مات من حدث الزمان فإنه

(٥) من قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد الله .

(٦) ديوانه ص ٩ .

(٧) تسديئها : تناولتها وقصدت إليها .

(٨) قصص العرب (٣ : ١٠٥) .

(٩) الحوص : هم قوم الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وعمرو بن الأحوص .

(١٠) هو عامر بن الطفيل ، أحد فتاك العرب وشعرائهم .

(١١) العمدة (١ : ٢٢٧) .

التجنيس الناقص

ومنه التجنيس الناقص، كقول الأخنس بن شهاب:
 وحامي لواء قد قَتَلْنَا وحاملٍ لواءٍ منعنا والسيوفُ شوارعُ
 فجانس «بحامي وحامل»، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر.

ومثله قول أبي تمام^(١):
 يمدُّون من أيدي عواصٍ عواصِمٍ تطول^(٢) بأسيافٍ قواضٍ قواضٍ
 فأما قوله:

خَلَّفْتُ بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ لِي سَكَنًا قد كان عيشي به حُلُوءًا بِحُلُوءَانِ
 فهو من الأول وليس بناقص؛ لأن الألف والنون في حلوان زائدتان.
 ومنه التجنيس المضاف، كقول البحتري^(٣):

أيا قمر التمام أعنت ظُلماً عليّ تطاول الليل التمام^(٤)
 ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يُعدّ تجنيساً؛ ولكنَّ أحدهما صار
 موصولاً بالقمر، والآخر بالليل؛ فكانا كالمختلفين. وقد يكونُ من هذا الجنس ما
 تجانس به المفردُ بالمضاف، وقد تكون الإضافة اسماً ظاهراً ومكنياً، وقد تكون نسباً.
 ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد^(٥):

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب وإن كان مرضياً فقل شعر كاتب^(٦)

المطابقة

وأما المطابقة فلها شعبٌ خفية، وفيها مكانن تغمُض، وربما التبتت بها أشياء

(١) ديوانه ص ٤٢، أسرار البلاغة ص ١٣، نهاية الأرب (٧: ٧١)، الطراز (٢: ٣٦٢).

(٢) في الديوان: «تصول».

(٣) ديوانه ص ٢٤٦.

(٤) أتم القمر: اكتمل، وهو بدر تمام (بفتح التاء وكسرهما، ويرى ابن دريد أنه بكسرهما)، وليل التمام: أطول ليالي الشتاء.

(٥) العمدة (٢: ٤٤).

(٦) قال ابن رشيق: «وهو داخل عندي في باب الترديد؛ إذ كان قوله عند السخط «شعر كاتب» إنما معناه التقصير به، وبسط العذر له؛ إذ ليس الشعر من صناعته، كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون نحو كتابي إذا لم يكن مجوداً. وقوله عند الرضا: «شعر كاتب» إنما معناه التعظيم له وبلوغ الغاية في الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات؛ فقد ضاد وطابق في المعنى وإن كان اللفظ تجنيساً مردداً».

لا تميّز إلا للنظري الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضع هو أملك به. ولم نفتح هذا الكلام وقصدنا ما جرى بنا القول إليه؛ لكن الحديث شجون، وربما احتاج الشيء إلى غيره فذكر لأجله، وربما اتصل بما هو أجنب منه فاستصحبه.

ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دغبل^(١):

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
وقول مسلم بن الوليد:

مُسْتَعْبِر يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ
وقول أبي تمام^(٢):

وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُبُهَا^(٣) مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ الْمَالِ
وقوله:

أَرْضَى الثَّرَى وَأَسْخَطَ الْغُبَارَا

وقوله^(٤):

هذا الذي عرفت يدهاء ساحتي من بعد ما جهل البخيل مكانه
فكل هذا باب واحد، وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي، كقول البحتري^(٥):

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى وَيَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
لما كان قوله: «لا أعلم» كقوله: أجهل، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته. ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجدته قول أبي تمام^(٦):

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسَ قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ دَوَابِلُ
فطابق «بهاتا وتلك»، وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى. وبمنزلة الضدين.

وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه؛ كقول كعب بن سعد^(٧):
لَقَدْ كَانَ: أَمَّا جَلْمُهُ فَمَرُوحٌ عَلَيْنَا وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبٌ^(٨)

(١) نهاية الأرب (٧: ١٠٠). (٢) مختارات البارودي (١: ١٩٧).

(٣) النص: السير السريع. (٤) ديوانه ص ٢٩٩.

(٥) ديوانه (٢: ٢٢٩).

(٦) ديوانه ص ٢٢٧، نهاية الأرب (٧: ٩٩)، وقد نسبته هناك إلى ابن المعتز.

(٧) جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٥، والأمالى ٢: ١٤٨ من قصيدته التي مطلعها:

تَقُولُ سَلِيمِي مَا لَجَسْمِكَ شَاحِبَا كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الطَّعَامُ طَبِيبَا

(٨) مروح علينا: قريب منا. والعزيب: البعيد، مثل العازب.

لما رأى الحلم والجهل، ومروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة. ولو أَلَحَقْنَا ذلك بها لوجب أن نُلْحِقَ أكثر أصناف التقسيم، ولا تَسَعُ الخَرْقُ فيه حتى يستغرق أكثر الشعر. ولنا في استيفاء هذا الكلام وتحديد هذه الأضراب قولٌ سَتُفَرِّدُ له كتاباً يُحْتَمَلُ استقصاؤه فيه.

التصنيف

ومن أصناف البدیع التصنيف؛ كقول الشاعر^(١) :
ولم يكن المغترُّ بالله إذ سَرَى لِيُعْجِزَ، والمعتزُّ بالله طالبُه
وقوله^(٢) :
فكأنَّ السَّليلَ والنُّثرةَ الحَضَّ مداء منه على سَلِيلٍ غَرِيف^(٣)
وقوله^(٤) :
ما بعيني هذا الغزال الغرير من فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ من فُتُورٍ
وقول إسماعيل بن عبَّاد :
عَمَائِمٌ هُنَّ فوقَ أَرْؤُسِنَا عَمَائِمٌ لَمْ يُذَلَّنَ بالخَرْقِ^(٥)
وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس؛ لكن ما أمكن فيه التصنيف فله بابٌ على جِلاله، وجانبٌ يتميَّز به عن غيره.

التقسيم

ومنه التقسيم، وقد يكون موصولاً، كقول زهير^(٦) :
يَطْعُهُمْ ما ارتَمَوْا حتى إذا أَطْعَمُوا ضَارَبَ حتى إذا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا^(٧)
فقسَّم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم أَلْحَقَ بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولاً به، مقروناً إليه. ونحوه قول عترة^(٨) :
إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرَرُ وَإِنْ يَسْتَلْحِمُوا^(٩) أَشَدُّ وَإِنْ نَزَلُوا بِضِيقٍ أَنْزَلُ

(١) هو البحرى، ديوانه (١ : ١٨). (٢) ديوانه (١ : ١٠٤).

(٣) السليل: غلالة تلبس تحت الدرع، والنثرة: الدرع الواسعة، والحصداء: المحكمات، والغريف: القصباء. وسليل الغريف: الأسد. والبيت من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.

(٤) ديوانه (٢ : ١٤). (٥) أي لم يجعل ذيلهن من الخرق.

(٦) ديوانه ص ٤١.

(٧) يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيف اعتنق كل قرن قرنه والتزمه.

(٨) ديوانه ص ١٠٠.

(٩) يقال: استلحمتنا رجل من العدو أي تبعنا.

فهذا كالأول في الصنعة، وإن كان إنما أزوج كل قسم بقريته، وما هو وفقه، ولم يرض الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدماً، وارتفع عليه درجة. وقد تكون القسمة مطلقة غير مشفوعة، كقول النابغة^(١):

فلله عينا من رأى أهل قبة أضّر لمن غاذى وأكثر نافعا
وأعظم أحلاماً وأكرم سيداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا
فهذا ضرب من التقطيع على معانٍ مختلفة؛ ولست أسمح بتسميته تقسيماً؛ وقد رأيت من يطلق له هذه التسمية.

جمع الأوصاف

ومما يقارب هذا جمع الأوصاف، كقول أبي ذؤاد:
بعيد^(٢) مدى الطرف خاطي البضيع مُنَمَّرَ المَطَا سَمْهَرِي العَصْب^(٣)
وقد يجمع على نوع آخر كقول النابغة^(٤):
خَدِيدُ الطَّرْفِ وَالْمَنْكِـ ب وَالْعُرْقُوبِ وَالْقُلُوبِ
وقد يُعد فيه التثنية والترصيع، كقول امرئ القيس^(٥):
والماء مُنْهَمِرٌ وَالشَّدُّ مُنْحَدِرٌ وَالْقُصْبُ مُضْطَمِرٌ وَالْمَتْنُ مُلْحُوبٌ^(٦)

(١) لم نثر عليهما في الديوان، وهما في العمدة (٢: ٢٢).

(٢) في أ «بديع»، وصوابه في ب.

(٣) خاطي البضيع: ممتلئ اللحم، وممر: مفتول، والمطا: جبل المتن، والسهمري: الشديد، والعصب؛ جمعه أعصاب؛ وهي أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها، وفي العمدة: «سهمري القصب».

(٤) نسبة أبو علي القالي إلى أبي ذؤاد. وقال أبو عبيد البكري: «الصحيح أنه لعقبة بن سابق الهزاني». وقبله:

طويـل طامـح الطرف إلى مـفـزعة الكـلب

(٥) ملحوظ ديوانه ٢٢٦. وقد قال ابن بري: زعم الجوهري أنه لامرئ القيس، والبيت لإبراهيم بن عمران الأنصاري؛ قال وقبله:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني

إذا تبصرها الراؤون مقبلة

رقساقتها ضرم وجريها خذم

والعين قاذحة واليد سابحة

اللسان (٢: ١٧٠).

وله في اللسان (٢: ٢٣٣) رواية أخرى غير منسوبة:

فالعين قاذحة والرجل ضارحة والقصب مضطمر والمتن ملحوب

(٦) القصب: أسفل البطن من الأمعاء، ويريد به الخصر على المجاز؛ والمضطمر: المهزول، ويقال: لحب متن الفرس وعجزه: املاس في حدود.

وقد يمتنع بعضُ الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعاً؛ لكنه أحدُ أبواب الصنعة، ومعدود في حلِّي الشعر، وله أشباه تجري مجراه، وتذكر معه؛ كالاتفات والتوصل وغيرهما، ولو أقبلنا على استيعابها، وتمييز ضرورها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال. ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شغلنا معظمه بغيره؛ وإنما قدمنا هذا البُذَّ^(١) توطئةً لما نذكره على أثره، وتدرجاً إلى ما بعده؛ ليكون كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره.

الاستهلال والتخلص والخاتمة

والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تستعطف أسماعَ الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولم تكن الأوائِلُ تخصُّها بفضْل مراعاة؛ وقد احتذى البُخْترِي على مثالهم إلا في الاستهلال، فإنه غنيَّ به فاتفتت له فيه محاسن؛ فأما أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كلَّ مذهب، واهتمَّ به كل اهتمام، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد، وأحسن وزاد.

(١) البُذَّ: الشيء القليل.

بدء الوساطة

ثم نعدل إلى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول: إن خَضُم^(١) هذا الرجل فريقان: أحدهما يعمُّ بالنقص كلُّ مُخَدَّث، ولا يرى الشعرَ إلا القديمَ الجاهلي وما سُبِكَ به ذلك المنهج، وأُجْرِي على تلك الطريقة؛ ويزعم أن ساقه الشعراء رُؤبة، وابن هَرَمَة، وابن مَيَّادَة، والحَكَمُ الخُضْرِي^(٢)، فإذا انتهى إلى مَنْ بعدهم - كبشار وأبي نواس وطبقتهم - سَمَّى شعرهم مُلْحاً وطُرفاً، واستحسن منه البيت استحسان النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة؛ فإذا نزلت به إلى أبي تمام وأضرابه نُفِضَ يده، وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرضوا بيتاً قط، ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد.

وَمَنْ [كان] هذا رأيه ومذهبه، وهذه دعواه ونُحِلَّتْ فقد أعطاك ما أردت من وجه وإن مانتك سواه، وسَمَحَ لك بما التمسْت وإن التوى عليك في غيره؛ لأن الذي انتصبت له، وشغلت عنايتك به - إلحاق أبي الطيب بهذه الطبقة، وإضافته إلى هذه الجملة، وقد بذل ذلك، وقرب مطلبه عليك؛ فإن تكن الجماعة منسلخة من الشعر، موسومة بالنقص، مستحقة للنفي، فصاحبك أولهم؛ وإن تكن قد غلقت منه بسبب، وحظيت منه بطائل، وكان له فيه قدم، ومنه حظ وموقع، فهو كأحدهم.

وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المحدث والمُخَدَّث بسبيل؛ كما لا نسب بينه وبين تفضيل قديم على قديم، وإنما يستعيب لك هذه المخاطبة مَنْ وافقك على فضل أبي تمام وحزبه، وسلّم محل مسلم ومَنْ بعده، فتجعل هؤلاء شهودك وحججك، وتقيم شعرهم حكماً بينه وبينك؛ فإنك لا تدعي لأبي الطيب طريقةً بشار وأبي نواس، ولا منهاج أشجع والخريمي، ولو ادّعيته فإنما كنت تخادع نفسك، أو تُباهت^(٣) عقلك، وإنما أنت أحد رجلين: إما أن تدعي له الصنعة المحضة فتُلجِّقه بأبي تمام وتجعله من جزبه، أو تدعي له فيه شركاً وفي الطبع خطأ، فإن مِلت به نحو الصنعة فَضَّلَ مِثْلَ صِيرَتِهِ فِي جَنَّةٍ^(٤) مسلم، وإن وفّرت قسطه من الطبع عدلت به قليلاً نحو البُخْترِي.

(١) الخصم: يستوي فيه المفرد والجمع.

(٢) في الأصلين: «الحضري»، تصحيف. وهو الحكم بن معمر، منسوب إلى الخضر، قبيلة في قبس عيلان.

(٣) أصل باهته: استقبله بأمر لا يعلمه وهو منه بريء، فبهت منه.

(٤) الجنة: الناحية.

وأنا أرى لك إذا كنت متوخيًّا للعدل، مؤثراً للإنصاف أن تقسم شعره؛ فتجعله في الصدر الأول تابعاً لأبي تمام، وفيما بعده واسطة بينه وبين مُسلم.

القدماء والشعر الحديث

وما أكثر مَنْ ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جَلَّة الرواة، مَنْ يلهج بعيب المتأخرين؛ فإن أحدهم يُنشد البيت فيستحسِّنه ويستجيده، ويَعَجِّب منه ويختاره؛ فإذا نُسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كَذَب نفسه، ونَقَض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهونَ مَحْمَلاً وأقلَ مَرَزَأة من تسليم فضيلة لِمُحَدَّث، والإقرار بالإحسان لمولَّد.

إسحاق الموصلي والأصمعي

حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: أنشدت الأصمعي:
هَلْ^(١) إِلَيَّ نَظَرَةٌ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُبَلِّ الصَّدَى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِشْدِي وَكَثِيرٌ مِنْ ثَجْبِ الْقَلِيلِ
فقال: واللَّهِ هذا الدِّبَاجُ الْخُسْرَوَانِي، لِمَنْ تنشدني؟ فقلت: إنهما ليلتهما فقال:
لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر^(٢).

وعن ابن الأعرابي^(٣) في أبيات أبي تمام في الرِّؤُوس نحو من هذا. وله نظائر مشهورة تُحكى عن الأصمعي ومَنْ بعده. وقد بعدت بهم العصبية في ذلك إلى تناول بعض المتقدمين.

شعر أبي دُوَاد وعدي بن زيد

زعم الأصمعي أن العرب لا تُروِي شعر أبي دُوَاد وعدي بن زيد؛ لأن ألفاظهما ليست بَنَجْدِيَّة؛ وكيف يكون ذلك! وهذا معاويةُ يفضِّل عديا على جماعة الشعراء. وهذا الحطَّيئة يُسأل: مَنْ أشعر الناس؟ فيقول: الذي يقول، وأنشد لأبي دُوَاد^(٤):

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُذْماً وَلَكِنْ فَقَدْ مِنْ قَدْ رَزْنَتْهُ الْإِعْدَامُ
مِنْ رَجَالٍ مِنَ الْأَقَارِبِ مَاتُوا مِنْ حُذَاقِ هِمِ الرُّؤُوسِ الْكِرَامِ^(٥)
فِيهِمْ لِلْمُلَايِنِينَ أُنَاةٌ وَغُرَامِ^(٦) إِذَا يُسْرَادُ عَرَامُ

(١) الأغاني (٥: ٧١).

(٢) رواية الأغاني: «فقال: هذا الدِّبَاجُ الْخُسْرَوَانِي، هذا الوشي الإسكندراني: لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليته؛ فتبينت الحسرة في وجهه، وقال: أفسدته أفسدته: أما إن التوليد فيه لبين».

(٣) انظر أخبار أبي تمام للصولي ص ١٧٣.

(٤) مهذب الأغاني (١: ١٤٨)، وروى البيت الثاني في اللسان (١١: ٣٢٤) هكذا:

ورجال من الأقارب كانوا من حذاق هم الرؤوس الخيار

(٥) حذاق: رهط أبي دُوَاد الإيادي. (٦) العرام: الشراة والأذى.

أبو رياش القيسي وشعر البحري

ولقد يتفق لأحد هؤلاء غلبة الإنصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت، فيخلع رداء العصبية، ويضعي ويميز فيرجع. حدثني جماعة من أصحاب [أبي] رياش القيسي^(١)، ولا نعرف في زماننا راوية تقدمه، وكان معروفاً بالتحامل على هؤلاء والغض من أبي تمام والبحري خاصة، حتى إن نسخ هذين الديوانين قلت بالبصرة في وقته؛ لقلة الرغبة فيهما: أنه أنشد ذات يوم قول البحري^(٢):

نظرتُ إلى طَدَانٍ فقلت ليلى هناك وأين ليلى من طَدَانٍ^(٣)!
ودون^(٤) مزارها إيجاف^(٥) شهر وسبع للمطايا أو ثمان
ولما غربت أغراف سلَمى لهنَّ وشرقت قُنن القِنان^(٦)
تصوبت^(٧) البلاد بنا إليكم وغننى بالإياب الحاديان

فقال: أحسن والله! من هذا البدوي المطبوع؟ فقبل: إنها للوليد بن عبيد، فقال: أعذ، فأعيدت، فرجع عن رأيه فيه، وحض الناس على رواية شعره.

التحامل في النقد

ولو أنصف أصحابنا هؤلاء لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار؛ لأن أحدهم يقف محصوراً بين لفظ قد ضيق مجاله، وحذف أكثره، وقلَّ عدده، وخطر معظمه. ومعان قد أخذ عفوها، وسبق إلى جتدها؛ فأفكاره تنبث في كل وجه، وخواطره تستفتح كل باب؛ فإن وافق بعض ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل: سرق بيت فلان، وأغار على قول فلان. ولعل ذلك البيت لم يفرع قط سمعه، ولا مز بخلده؛ كأن التوارد عندهم ممتنع، وانفاق الهواجس غير ممكن! وإن افترع معنى بكراً، أو افتتح طريقاً مبهماً لم يرض منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وألذه في السمع؛ فإن دعاه حب الإغراب وشهوة التنوق إلى تزيين شعره وتحسين

(١) هو أحمد بن إبراهيم أبو رياش القيسي اللغوي. روى عن مشايخ البصرة، وروى عنه عبد السلام البصري وطبقته. إنباه الرواة (١: ٢٥).

(٢) ديوانه (٢: ٢٨١).

(٣) طدان: قال ياقوت: هو موضع بالبادية في شعر البحري. وفي الأصلين «ظاران»، والتصحيح عن الديوان.

(٤) رواية الديوان: «ودون لقاءها». (٥) الإيجاف: نوع من السير.

(٦) في الأصلين:

ولما عرفت أعراف ليلى لهنَّ وشرقت قُنن القيان
وهذه رواية الديوان.

والأعراف: جمع عرف، وهو كل عال مرتفع، والأعراف أيضاً: ضرب من النخل.

(٧) في الأصلين: «قصويت»، وهذه رواية الديوان.

كلامه، فوشَّحه بشيء من البديع، وحلَّاه ببعض الاستعارة قبل: هذا ظاهرُ التكلف، بيِّن التعسف، ناشف الماء، قليل الرُّونق. وإن قال ما سَمَحْتُ به النفس ورضي به الهاجس قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل؛ فإحسانه يُنْأَوَّل، وعيوبه تُسْتَحَل، وزَلْته تتضاعف، وعذره يُكْذَبُ؛ فلا تشتغلن بهذه الطائفة ما دمت تنظر بين المتنبي وأهل عصره، وأخِر المنازعة في هذا الرأي، وإن كان الخلاف الأكبر، فإن لكل مقام مقالا. وإنما خصمك الألد، ومخالفك المعاند، الذي صمذت لمحاكمته، وابتدأت بمنازَعته ومحاكَمته، مَنْ استحسِن رأيك في إنصاف شاعر، ثم ألزمتك الحيفَ على غيره، وساعدك على تقديم رَجُل، ثم كلَّفك تأخير مثله؛ فهو يسابقك إلى مدح أبي تمام والبحثري، ويسوِّغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومي؛ حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله، وأسميته في عداد مَنْ يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور، ونفر ينفار المَضييم، فغَضَّ طَرْفه، وثَنَّى عِظفه، وصعَّر حَده، وأخذته العزة بالإثم، وكأنما رَوَى بين عينيه عليك المحاجم.

وأقيل عليك أيها الراوي المتعصب فأقول لك: خَبَّرني عَمَن تعظَّمه من أوائل الشعراء، ومَنْ تفتتح به طبقاتِ المحدثين؛ هل خلص لك شِعْر أحدهم من شائبة، وصفا من كَثير ومَعابة؟ فإن ادَّعيت ذلك وجدت العِيان حَجيَّتكَ، والمُشاهدة خَصَمَكَ؛ وَغَدْنَا بك إلى أضعاف ما صَدَرْنَا به مخاطبتك، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دَعواكَ، وَيَحْجُزُكَ إن كان بك أدنى مُسْكة عن قولك. فإن قلت: قد أغثُر بالبيت بعد البيت أنكره، وأجد اللفظ بعد اللفظ لا أستحسنه، وليس كل معانيهم عندي مرضية، ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة. قلنا لك: فأبو الطيب واحدٌ من الجملة، فكيف خُصَّ بالظلم من بينها، ورجل من الجماعة فليَمَ أفرد بالحيف دونها؟ فإن قلت: كَثُرَ زَلُّهُ، وَقَلَّ إِحْسَانُهُ، واتسعت معاييه، وضائق محاسنه. قلنا: هذا ديوانه حاضراً وشعره موجوداً ممكناً؛ هلم نستقرئه ونتصقَّحه، ونقلبه ونمتحنه، ثم لك بكل سيئة عشر سنوات، وبكل نقيصة عشر فضائل، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته، وقادك الاضطرار إلى القبول أو البُهْت، ووقفت بين التسليم والعناد غَدْنَا بك إلى بقية شعره فحاجبناك به، وإلى ما فضل بعد المقاصة فحاكمناك إليه.

موازنة بين ابن الرومي والمتنبي

وقد تجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيلَ ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره، وهي تناهزُ المائة أو تُزْبِي أو تُضْعِف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين؛ ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها، جارية على رسلها؛ لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ، وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تُختار، ومعان تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء، وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار.

تفاوت شعر أبي نواس

ولو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل، ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه، وعددت منفيّه ومختاره، لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت، ولأكبرت من شأنه ما استحققت، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدث شعراً أعم اختلالاً، وأقبح تفاوتاً، وأبين اضطراباً، وأكثر سفسفة، وأشد سقوطاً من شعره هذا؛ وهو الشيخ المقدم والإمام المفضل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي، وفسر ديوانه ابن السكيت.

جيد شعر أبي نواس

فهل طمست معاييه محاسنه؟ وهل نقص رديّه من قدر جيده؟ وهل ضرّ قوله^(١):
يحميك مما يستسر بفعله ضحكات وجه لا يريبك مُشرق
حتى إذا أمضى عزيمة أمره أخذت بسمع عدوه والمنطق
وقوله^(٢):

يا ناثق لا تسأمي أو تبُلغي ملكا تقبيل راحته والركن سيان
متى تحطّي إليه الرّخل سالمة تستجمعي الخلق في تمثال إنسان
وقوله^(٣):

لعمرك ما غاب الأمين محمد عن الشيء يغنيه إذا حضر الفضل
ولولا مواريت الخلافة أنها له دونه ما كان بينهما فضل
فإن كانت الأحساب^(٤) فيها تباين فقولهما قول وفعلهما فعل
أرى الفضل للدين وللدن جامعا كما السهم في الفوق والرّيش والنّصل^(٥)
وقوله^(٦):

إذا نحن أثينا عليك بصالح فأنت كما تُثني وفوق الذي تُثني

(١) ديوانه ص ٦٢. (٢) ديوانه ص ٦٥.

(٣) ديوانه ص ٨٧.

(٤) رواية الديوان ومختارات البارودي: «الأجسام».

(٥) الفوق: موضع الوتر من السهم، والرّيش: ما يوضع في السهم، والنّصل: حديدة السهم.

(٦) مختارات البارودي (١: ١١٤).

وإن جربت الألفاظ مئناً بمدحة
لغيرك إنساناً^(١) فأنت الذي تُعني
وقوله^(٢):

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ
خِفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدَاً
خَابَ مَنْ أَشْرَى إِلَى مَلِكٍ^(٤)
فَامْضُ لَا تَمُنَّنْ عَلَيَّ يَدَا
رُبَّ فَتَيَانٍ رَبَّاتِهِمْ
فَاتَّقُوا بِي مَا يَرِيْبُهُمْ
وقوله^(٦):

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي
وإذا عددت سنيّ كم هي لم أجذ
وقوله:

بَأَثُوا وَفِيهِمْ شَمُوسٌ دُجْنٌ^(٨)
تَعُومُ أَعْجَازُهُنَّ عَوْماً
وقوله^(٩):

وكأسٍ كمصباح السماء شربتها
أنت دونها الأيام حتى كأنها
على قبلة أو موعِد بلقاء
تساقط نور من فتوق سماء

(١) في أ «إنسان»، وصوابه في ب. (٢) ديوانه ص ٦٦.

(٣) جاء في شرح ديوان أبي نواس ما نصه تعليقاً على هذا البيت:

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ
فَقَالَ: أَخْبِرْكَ؛ كَانَتْ لِي صَدِيقَةٌ تَحْبِنِي كَثِيراً، فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا كَانَتْ تَخْتَلِفُ إِلَى آخِرِ مَنْ أَهْلَ
الرَّيْبِ، فَلَمْ أَصْدُقْ حَتَّى تَتَبَعْتَهَا فَرَأَيْتَهَا تَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ جَاءَنِي
- وَكَانَ لِي صَدِيقاً - فَكَلَمَنِي فَصَرَفْتُ وَجْهِي عَنْهُ وَقُلْتُ:

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ مِنْ عَفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ
ثُمَّ جَعَلْتُ ذَلِكَ صَدْرَ مَدِيحِ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيِّ.

(٤) في الديوان: «إلى بلد».

(٥) ربأت: حرست، والعبيق: نجم معروف، والسحر: قبيل الفجر، ومسقط: منصوب على الظرفية.

(٦) ديوانه ص ٢٩٥.

(٧) رواية الديوان:

قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدي عن أن تحث إلى فمي بالكاس

(٨) ديوان المعاني: (١: ٢٤٦)، والقرون: جمع قرن: وهو الضفيرة من الشعر.

(٩) مختارات البارودي (٤: ٤).

وقوله^(١):

قامت تريك وأمر الليل مجتمع صبحاً^(٢) تولد بين الماء والعنب
 كأن صغرى وكبرى من فواقعها^(٣) حصباء دُرٍّ على أرض من الذهب^(٤)
 كأن تزكاً قياماً في جوانبها ثَوَّاتُ الرمي بالنشَّاب من كُثب^(٥)
 وإن كان النحويون ينكرون صغرى وكبرى بغير ألف ولام.
 وقوله^(٦):

فإذا علاها الماء ألْبَسَهَا زَبْداً شبيهة جلاجل الججل^(٧)
 حتى إذا سكنت جوامحها^(٨) كتبت بمثل أكارع النمل^(٩)
 خطمين من شتى ومُجْتَمِع عُقْل من الإعجاب والشُّكُل
 وقوله^(١٠):

فتمشَّت في مفاصلهم كتمشي البُزْء في السَّقَم
 ومن سلك هذا المسلك من شعره فقد صافح السماء وتناول النجوم.

رديء شعر أبي نواس

[هل ضرَّ قوله هذا] غَثَاثَةُ^(١١) قوله يمتدح الأمين^(١٢):

فعصا نداءً بِراحتي أعلو بها الإفلاس قَرعاً

- (١) ديوانه ص ٢٤٣، ومختارات البارودي (٤ : ٥).
- (٢) في الأصلين: «صبح»، وصوابه من الديوان.
- (٣) كذا في الأصلين، وفي الديوان ومختارات البارودي. والذي في كتب الشواهد: «فواقعها»؛ وهي ما يعلو الخمر.
- (٤) الحصباء: الحصى.
- (٥) شبه الحبيب بنشاب يختلف من ترك يترامون من كُثب، ذلك لأنه في كأس، وهو موضع ضيق.
- (٦) ديوانه ص ٣١١، ومختارات البارودي (٤ : ١٥).
- (٧) الضمير في علاها يعود على الخمر في بيت قبله.
- صفراء مجدها مرازبها جللت عن النظراء والمثل
 والجلالجل: جمع جلجل وهو الجرس الصغير، والحجل: الخلخال، وفي الأصلين «خلال» وهو تحريف. ورواية البارودي:
- فإذا علاها الماء ألْبَسَهَا نمشا شبيهه جلاجل الحجل
 في الأصلين: «جوانحها».
- (٩) أكارع النمل: أرجله. أخذه من قول الأخطل:
- تدب دبيباً في العظام كأنه دبيب نمال في نقا يتهيل
- (١٠) مختارات البارودي (٤ : ١٦). (١١) غثاثة: فاعل ضر في ص ٥٢؛ والزيادة ليتضح المعنى.
- (١٢) ديوانه ص ١٢٤.

وعليّ سورّ مانعٌ فلو أنّ دهرًا رابني وقوله ^(٢) :	من جوده إن خفتُ كسعا ^(١) لصفعته بالكف صفعًا
مال رجل المال أضحت مالاً موالك من جأ وقوله:	تشتكي منك الكلالا ء اختلى منها وكالا
أيامن وجهه الداحي ^(٣) أمالني منك يا ظا وضعف قوله:	ومن منزله الماحي لم إلا اللاهي واللاحي
ألا يا قمر الدار ويا نفحة نسرين ويا جدول بستان ويا كعبين من عاج ويا زرداً لفتيان ويا مشواك جمّاش وقوله:	ويا منكة عطار ويا وردة أسحار علي شاطئ أنهار ويا غرة دينار ويا لفبة أكار ويا طنبور شطار ^(٤)
قد غنينا عن الشّتا وعن الحشول لعلما وعن الفزّش والوطا قدم الصيف بالولا بالمناديل والغسلا والطنابير والطبوا يخشّر الناس في القيا أنامالي وللبربا لست ممن يطوف في أركبُ المرد في الديا	وعن اللبس لنفرا مة والكنّ والصّلا ^(٥) ببيوت بلا كرا ية قدامه اللّوا لة والشّعل والرّدا ل وبالرقص والغنا مة مُزدا بلا لحي ط وللعزّو والفدا عرفات ولا منى روفي الممدن والقري

(١) في الأصلين «لسعا»، وما أثبتناه عن الديوان.

(٢) ديوانه ص ١١٩.

(٣) الداحي: المنبسط.

(٤) الجمّاش: المتعرض للنساء، والشطار: الخليج.

(٥) الصلاة: الرقود.

فإذا ما تمنعوا وعصوا أبذل الرشا
وهو كما تراه في سُخْف اللفظ، وسوء النظم، وسقط المعنى، وقوله:
خُمْدان مَالِك تَغْضَبُ علي من غير مُغْضَبٍ
فقد حلفتُ يميناً فثِق بذلك مني
فالبَخْر أصبح شاني وقد تَسَالَيْسَتْ أَلَا
وقوله:

ذاك الذي من يد اللـ فكل جانب قلبي
شوقاً إليه يميل حق الهوى فيميل
وتبي يكون الخليل حسناً بوذ رسول
يفعله قط ملول إليه قط بخيل
للود حين يجول ما أفصح الطُرف حدا
وقوله:

ونائح هب في الغصون ضحى يدعو بذكر على اسمه لهوى
وقوله:

فاردد علي حياتي
وقوله^(١):

قد حكى البدر بهاكا واردها بالحسن لما
وقوله:

عليو يا ريموده وقد علمت لعمروا
بالاستلاب إذا ما أصبخت لي مستعده
إله أنك جلدته مشيت لي مشى نجده

ورجرجت من وزاها
وقوله :
أرداف إيزار بسنده

قد صبغت بنت المدينية
وسألت ما شطها أجرة
فاسلفوا يا قوم في...
فإنها أعشق بغاية
يا عمرو ما بال المدينة
لا تأكل العصيان مشويه
للفطريا عباس فوهيته
واشترطت في المشط رازيه
من ثقيد بيت المال بخيه
لهذه المعصوبة النيه

ونحو هذا مما يمل الناظر، ويضيع وقت الكاتب. ولو وجد لأبي الطيب بيت مثله، وحرف يقاربه لعصب بعاره، ولانطلقت الألسن بعيبه، وصدر به ديوان مثالبه وصحيفة ماويه.

اللعن في شعر أبي نواس

فإن طلب اللعن والغلط أخذ عليه مثل قوله^(١) :
وضيف كأس محدثه ملك
تبه معلن وظرف زنديق
فسكن الهاء، وقوله : «يا ربّي الجبار». فرفع «الجبار».
وقوله^(٢) :

يا خير من كان ومن يكون
إلا النبي الطاهر الميمون
وقوله^(٣) :

فلما خشي الإيبا
ء من ضحى وجلاس
وإنما هو الإباء.
وقوله^(٤) :

وإذا نزعنا إلى الغواية فليكن
لله ذاك النزع لا للناس

فساد العقيدة في الشعر

وإنما هو نزع عن الشيء نزوعاً، وأبيات كثيرة يضعف عذره في معظمها، وإن كان باب التأويل يتسع، ومذاهب الاحتيال في النحو لا تضيق.
ووجد له في الإحالة مثل قوله^(٥) :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التي لم تخلق

(١) ديوانه : ص ٨٩.

(٢) الموشح : ص ٢٦٧.

(٣) ديوانه ص ٩٥.

(٤) ديوانه ص ٢٩٥.

(٥) الموشح ص ٢٦٨.

وقوله:

حتى الذي في الرحم لم يك نطفة لفؤاده من خوفه خفقان
وقوله يصف الباري، جل أن يوصف:
إن الذي لا يختب سائله جوهره غير جوهر البشر
وقوله:

كانت ذخيرة صانع متنوق^(١)

يعنيه - جل وعز.

خطأ الوزن في شعر أبي نواس

ومن الخطأ في الوزن قوله:

رأيت كل من كا ن أحما معتوها
فسي ذا السزمان صار المقدم الوجيها
يارب نذل وضيع نوهته تنسويها
هجوته لكيمما أزيده تشويها
فبعضه «مستعلن مفعول وفعل»، وبعضه «مستعلن فاعلان».

فساد العقيدة عند أبي نواس

والعجب ممن ينقص أبا الطيب، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله^(٢):

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أخلى من التوحيد
وقوله^(٣):

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم^(٤) وإحدى ما لكم من مناقب
وهو يحتمل لأبي نواس قوله:

قلت والكأس على ك قمي تهوي لالتشامي
أننا لا أعرف ذاك السد يوم في ذاك الزحام
وقوله^(٥):

يا عاذلي في الدهر ذا هجر لا قدر صح ولا جبر

(١) متنوق: متأنق. ديوانه (١ : ٣١٥).

(٢) ديوانه (١ : ١٥٤). (٤) رواية الديوان: «أبوك».

(٥) الموضح ص ٢٧٦، وروي البيت الأول هكذا:

يا ناظرأ في الدين ما الأمر لا قدر صح ولا جبر

ما صح عندي من جميع الذي يُذكر إلا الموت والقبر
فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهر
وقوله^(١):

عاذلتي بالسفاه والزجر^(٢) استمعي ما أبث من أمري
باح لساني بمضمهر السر بين رياض السرور لي شيع
موقنة بالممات جاحدة وليس بعد الممات مُنقلب
وقوله:

أترك لذة الصهباء نقداً لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم بَغث حديث خرافة يا أمَّ عمرو
وقد روي أنهما لديك الجن .
وقوله^(٤):

فدع الملام فقد أطمعت غوايتي ونبذت موعظني وراء جداري
ورأيت إيثار اللذّاذة والهوى وتمتعا من طيب هذي الدار
أحرى وأحزم من تنظر أجل ظني به رَجَسَم من الأخبار
إنني بعاجل ما ترين موكل وسواه إرجاف من الآثار
ما جاءنا أحد يخبر أنه في جنة مذ مات أو في النار

فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمنَحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُذت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزُبَيْر وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بُكْماً خرساً، وبكاء^(٥) مفحمين؛ ولكنَّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر.

(١) الموشح: ٢٧٧.

(٢) في أ «الهجر»، وما أثبتناه عن ب.

(٣) بيضة العقر: آخر بيضة تبيضها الدجاجة إذا هرمت.

(٤) الموشح ص ٢٧٧، مع تغيير في رواية الأبيات.

(٥) البكاء: جمع بكيء، وهو من قل كلامه خلقة.

تفاوت شعر أبي تمام

الجيد من شعر أبي تمام

ولو لزمت هذا المثال في شعر أبي تمام لتظاهرت عليك الحُجج، وكثرت عندك الشواهد، فقوي في نفسك رأيي واعتقادي، وتصور لك صدقي وإصابتي؛ إذ رأيته يقول^(١):

أَمْوَسَى بَنَ إِبرَاهِيمَ دَعْوَةَ خَامِسَ	بِهِ ظَمَأُ التَّشْرِيبِ لَا ظَمَأُ الْوَزْدِ ^(٢)
جَلِيدٍ عَلَى عَتَبِ الْخُطُوبِ إِذَا عَزَّتْ ^(٣)	وَلَيْسَ عَلَى عَتَبِ الْأَخْلَاءِ بِالْجَلْدِ
أَأْمْنَحُ هَجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتَهُ ^(٤)	إِذَا لَهْجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى	مَعِي وَإِذَا مَا لِمُتُّهُ لِمُتُّهُ وَخَدِي
أَزْدُ يَدِي عَنْ عِزِّ حَرٍّْ وَمَنْطَقِي	وَأَمْلَأُهَا مِنْ لِبْدَةِ الْأَسَدِ الْوَزْدِ
فَإِنْ يَكُ سَخَطٌ عَنْ أَوْ تَكُ هَفْوَةٌ	عَلَى خَطَأٍ مِنِّي فَعَذْرِي عَلَى عَمْدِ

ويقول^(٥):

وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لِلنَّوَائِبِ أَضْبَحَتْ	خَلَائِقُهُ جَمْعاً عَلَيْهِ نَوَائِبُ
وَقَدْ يَكْهَمُ ^(٦) السِّيفُ الْمَسْمِيُّ مَنِيَّةً	وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمَظْفَرُ خَائِباً

(١) ديوانه ص ١٢٨، ومختارات البارودي (١: ١٦٤).

(٢) الخامس: الظمان لم يرد الماء منذ أربعة أيام، والتشريب: اللوم. وموسى بن إبراهيم ممدوح أبي تمام.

(٣) رواية البارودي:

جلید علی عتب الخطوب إذا التوت

ورواية الديوان:

جلید علی ریب الخطوب وعتبها

(٤) رواية البارودي:

أَأَلْبَسَ هَجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتَهُ

ورواية الديوان:

اسربل هجر القول من لو هجوته

(٥) ديوانه ص ١٧، ومختارات البارودي (١: ١٧).

(٦) يكهم: يقطع.

فآفة ذا ألا يُصَادِفَ مَضْرِباً^(١) وآفة ذا ألا يصادف ضارباً
وقوله^(٢):

أقول وقد قالوا استراحت لموتها لقد نزلت ضنكاً من اللحد والثرى
وكننت أرْجِي الثُّرْب وهي بعيدة لها منزلٌ تحت الثرى وعهدُها
ويقول^(٤):

أرى الناسَ مِنْهَاجَ الندى بعد ما عَفَتْ ففي كل نجد في البلاد وغائر
فيا أيها السَّاري اسرِّ غير محاذر ويقول^(٧):

ذو الوُدِّ مني وذو القربى بمنزلةٍ في دهري الأول المذموم أعرفهم
عصابة جاورث آدابهم أدبي ويقول^(٨):

فتى مات بين الضُّرب والطَّعن مَيْتَةً لنن أبغض الدهرُ الخؤون لفقده
وكيف احتمالي للسحاب صنيعة ويقول^(٩):

وما اشْتَبَهَتْ طريق المجد إلا وما سافرتُ في الآفاق إلا
مقيم الظن عندك والأمانى هداك لِقَبْلَةِ المعروف هادي
ومن جَدُّوك راحلتي وزادي وإن قلقك ركابي في البلاد

(١) رواية البارودي والديوان: «رامياً».

(٢) ديوانه ص ٣٥٦. (٣) الذرع: الطاقة.

(٤) ديوانه: ٤٥.

(٥) عفت: درست. والمهايج: الطرق الواسعة. ومحت: بليت. واللواحب: الطرق الواضحة.

(٦) جنان الظلام: قلبه.

(٧) ديوانه ص ٣٣٢. (٨) ديوانه ص ٣٦٩.

(٩) ديوانه ص ٧٩، ومختارات البارودي (١: ١٥٣).

الردىء من شعر أبي تمام

فيترقى في هذه الدَّرَجِ العالية، ويتصرف هذا التصرف المعجز، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب، ويقول^(١):

أصبحت نيء العقل فاضل لمينم بيدي السج الناس في الإنضاج
ويقول^(٢):

ألا لا يمدُّ الدهرُ كفاً بسيتي إلى مجتدي نضر فتقطع للزُّند^(٣)
ويقول^(٤):

لو كان كلُّها عبيدٌ حاجةً يوماً لرأى شذقماً وجديلاً^(٥)
وأظنه لو وجد لفظة أسقط من «زنى»، وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها.
ويقول^(٦):

نم وإن لم أنم كراي كراكا شاهدي الذم إن ذاك كذاكا^(٧)
طال ضري نفسي فداؤك بل من أنا حتى تكون نفسي فذاكا^(٨)
ضاق صدري بل كيف أستطيع أن أضجِر إذ كان ناظري لا يراكا
ذهبت مقلتي بالدم والدمح إلى النار^(٩) إذ نجت مقلتاكا
ويقول^(١٠):

بنفسي من هواه أخي وتزبي وجببه رضيع بنات قلبي
ومن قد شقني وصبرت حتى ظننت بأن نفسي نفس كلب

(١) ديوانه ص ٤٩١.

(٢) ديوانه ص ١١٥.

(٣) في الأصل: «من الزند».

(٤) ديوانه ص ٢٤٣، والموشح ص ٣١١.

(٥) البيت في وصف المطايا، وعبيد: هو عبيد الراعي. قال شارح ديوان أبي تمام: شذقم وجديل: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر اللخمي؛ يضرب بهما المثل. ورواية الديوان: «لأنسى».

(٦) ديوانه ص ٤٥٥.

(٧) رواية الديوان:

شاهدي منك أن ذاك كذاكا

(٨) رواية الديوان:

طال صبري تغديك نفسي وقلت نفسي مثلي عن أن تكون فذاكا

(٩) في الديوان: «ففي النار».

(١٠) لم نجدهما في الديوان.

ويقول:

فَقَسَمْتُ لِي وَقَاسَمْتَنِي بِسُلْطَا نِ مِنَ السَّحَرِ مَقْلُنَا عَبْدُوسِ
فَالْقَسِيمِ الْقَسَامِ عَنْ لِحْظَاتِ مِنْهُمَا يَخْتَلِسْنَ حُبَّ النَفُوسِ
فَالَّذِي قَاسَمْتَ بَلْخُظْ إِذَا اللَّيْلِ لَمْ تَمُطِ مِنَ الْكُرَى الْمَنُفُوسِ
ولست أدري - بشهد الله - كيف تصوّر له أن يتغزل وينسب، وأتي حبيب
يستعطف بالفلسفة! وكيف يتّسع قلب عبدوس هذا؛ وهو غلام غِرّ، وحدث مُتَرْفٍ
لاستخراج العويص وإظهار المعمى!

ويقول^(١):

لَمْ يَبْرَحِ الْبَيْنُ الْمُشِيتُ جَوَانِحِي حَتَّى تَرَوْتُ مِنْ دَمٍ مَسْمُومٍ
ويقول^(٢):

أَأَنْتَ حَاجَتِي غَرَضُ التَّوَانِي وَأَنْتَ الدَّلُوفُ فِيهَا وَالرُّشَاءُ^(٣)
ويقول^(٤):

ضَاحِي الْمَحْيَا لِلْهَجِيرِ وَلِلْقَنَا تَحْتَ الْعَجَاجِ تَخَالُهُ مَخْرَأَتَا^(٥)
ويقول^(٦):

تُثَقِّى^(٧) الْحَرْبُ مِنْهُ حِينَ تُغْلِي مَرَاجِلُهَا بِشَيْطَانِ رَجِيمٍ
ويقول^(٨):

وَلَّى وَلَمْ يُظْلَمْ وَمَا ظَلِمَ امْرُؤٌ حَتَّى النَّجَاءُ^(٩) وَخَلْفَهُ التَّنِينَ^(١٠)

(١) ديوانه ص ٣٠٦، وفي الديوان: «من هوى مسموم».

(٢) ديوانه ص ٣٩٤.

(٣) الرشاء: الحبل.

(٤) ديوانه ص ٦٤.

(٥) الضاحي: البارز؛ والمحيا: الوجه، والهجير: شدة الحر، والقنا: الرماح، والعجاج: الغبار، وتخاله: نظنه.

(٦) ديوانه ص ٢٨٨، والموشع ص ٣٠٦.

(٧) في الأصلين: «تنمي» وما أثبتناه عن الديوان والموشع: وتثقي: تجعل أثافي، وهي الحجارة. والمراجل: القدور.

(٨) ديوانه: ٣٢٧، والموشع: ٣٠٨.

(٩) في أ «حيث»؛ والتصحيح عن ب، وهو يوافق ما في الديوان والموشع.

(١٠) قال المرزباني في الموشع تعليقا على هذا البيت:

«فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفسنين (الممدوح) هل كان يزيده على أن يسميه التنين! وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به ممدوحاً بشجاعة ولا غيرها».

فهو يجعل الممدوح تارة دلوأ، وتارة محراثاً، ومرة رشاء، وأخرى تثنياً وشيطاناً رجيماً؛ وأظنه جَسَرَ على ذلك لما سمع قول جرير^(١):

أبام^(٢) يدعونني الشيطانَ من غزلي وهنَّ يهوينني إذ كنتُ شيطاناً

وما أبعد ما بين الكلامين، وأشد تفاوت ما بين الموضعين! ويقول^(٣):

كان الزمان بكم كلباً^(٤) فغادركم بالسيف والدهرُ فيكم أشهرُ الحرم

ويقول^(٥):

فحرام عليك أن تفرعيها مة قلبي بدمعك المهراف

وما تكاد قصيدة من شعره تسلم من أبيات ضعيفة؛ وأخرى غثّة، لا سيما إذا طلب البديع وتنبع العويص؛ فجاء بمثل قوله^(٦):

لعمري لقد حرّرتُ يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يُبرِّد

وقوله^(٧):

لن يأكلوا هم ولا عشيرتهم ما كنزوه من صامت الحساب^(٨)

وقوله^(٩):

ذُلتُ بهم عُنق الخليطِ وربما كان المُمَنَّع أخدعاً وصليفاً^(١٠)

وقد أولع بذكر الأخدع؛ فردده في عدة أبيات لم يوفق إلا في واحد منها.

قال^(١١):

سأشكر فُرْجَةَ^(١٢) اللَّبِّبِ^(١٣) الرخني ولبن أخادع الزَّمينِ الأبِّي

وقال^(١٤):

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

(١) ديوانه ص ٥٩٧.

(٢) رواية الديوان: «أزمان».

(٣) ديوانه ص ٢٧٠.

(٤) رواية الديوان: «حربا».

(٥) لم نجدها في الديوان.

(٦) ديوانه ص ١٠١، والموشح ص ٣٠٨.

(٧) ديوانه ص ٤٨٧.

(٨) رواية الديوان:

(٩) لم يأكلوا هم ولا عشيرتهم ما كنزوه من صامت النشب
ديوانه ص ٢٠٦، والموشح ص ١٨٣.

(١٠) الخليط: المخالط. والأخدع: عرق في العنق. والصليف: عرض العنق.

(١١) ديوانه: ص ٣٤٤.

(١٢) الفرجة: السعة.

(١٣) اللبب: المنحر، وفي الديوان: «الليت» وهو صفحة العنق.

(١٤) ديوانه ص ٢١٠.

وقال^(١):

فَضْرِبْتَ الشَّتَاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادِرْتُهُ عَوْدًا^(٢) رَكُوبًا
وقد أحسن في قوله^(٣):

وَمَا هُوَ إِلَّا الرَّحَى أَوْ حَدُّ مَرْهَفٍ تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْذَعِي كُلِّ مَائِلٍ
وقد ذكره البحرني صفحا، فقال^(٤):

عَطَفَ إِذْ كَارَكَ يَوْمَ رَامَةَ أَخْذَعِي شَوْقًا وَأَعْنَاقُ الْمَطْنِي قَوَاصِدُ
فَوْقَ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالْحَسَنِ فِي الْمَوْقِعِ الَّذِي تَرَاهُ .
وقوله^(٥):

لَوْلَمْ تَفْتِ مُسْنُ الْمَجْدِ مَذْزَمٍ بِالْجُودِ وَالْبَاسِ كَانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا
وقوله^(٦):

كَانُوا رِدَاءَ^(٧) زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَأَنَّمَا لَبَسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا
وقوله^(٨):

وَلَدَيْكَ آلَاتُ جَنُوبٍ كُلِّهَا فَاحْطُمِ بِأَضْلِيِّهِنَّ أَنْفَ الشَّمَالِ
فَإِنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى التَّكَلُّفِ، وَفَارَقَ الطَّبْعَ إِلَى التَّعَمُّقِ أَرَاكَ مِثْلَ قَوْلِهِ^(٩):
أَلَا سَبِيلَ نَدَى إِلَّا سَبِيلَ بَلَى لَوْ كُنْتُ حَيًّا لِأَضْحَى لِلْنَدَى سُبُلَ
وقوله^(١٠):

لَوْلَمْ يَمْتَ بَيْنَ أَطْرَافِ الرَّمَاحِ إِذَا لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمْتَ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ
وقوله^(١١):

أَبْعَدَ الَّتِي مَا قَبْلَهَا أَفْبَعْدَهَا مَقَامَ لِحَرْ قُلْتَ أَنْتَ عَجُولُ^(١٢)

(١) ديوانه ص ٢٧.

(٢) في الديوان: «قودا»، والعود: المسن من الإبل.

(٣) ديوانه ص ٢٤٩.

(٤) ديوانه (١: ١٤٢).

(٥) ديوانه ص ٢٠٤، وتفت: تدق، والبأس: الشدة.

(٦) الموشح ص ٣١٣، وديوانه ص ٢٠٦.

(٧) رواية الديوان: «برود». (٨) ديوانه ص ٢٣٦.

(٩) ديوانه ص ٣٨٤. (١٠) ديوانه ص ٣٨٨.

(١١) ديوانه ص ٤٠٨.

(١٢) رواية الديوان:

أَبْعَدَ السِّي مَا بَعْدَهَا مَتْلُومَ عَلَيْكَ لِحَرْ قُلْتَ أَنْتَ مَلُومَ

وقوله^(١):

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أم مذهب
وقوله^(٢):

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمن منك إلا بالرضا
بلغنا أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي سمعه يشد هذا البيت، فقال له أن:
يا هذا، لقد شقت على نفسك، إن الشعر لأقرب مما تظن.
فإن أظهر التعجرف، وتشبه بالبدو، ونسي أنه حضري متأدب، وقروي متكلف
جاءك بمثل قوله^(٣):

قد قلت لما أطلحتم الأمر وانبعث عشواء تالية غبساً دهاريساً^(٤)
وقوله^(٥):

فعنيقها يعضيدها ووشيجها سعدائها وزميلها تئومها^(٦)
وقوله^(٧):

إن الأشياء إذا أصاب مُشَذَّبٌ منه اتمهل دُزى وأث أسافلاً^(٨)
وقوله^(٩):

وحادث^(١٠) أخرق داوئله رداعة داهية ذردبيس^(١١)
وقوله^(١٢):

ومزخزحاتي عن ذراك^(١٣) عوائق أضحزن بي للعنفير المؤبد^(١٤)

(١) الموشح ص ٣٠٩، وأسرار البلاغة ص ٤، وديوانه ص ٣٩.

(٢) ديوانه ص ١٨٧. (٣) ديوانه ص ١٧١.

(٤) أطلحتم: أظلم، وعشواء: ضعيفة البصر، والغبس: جمع غبساء وهي المظلمة، والدهاريس: الدواهي.
(٥) ديوانه ص ٣١٢.

(٦) العنيق: المعانق. والعضيد: بقلة تشبه الهندياء البري. والوشيج: اشتباك القرابة، والسعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل. والزميل: الرفيق. والتئوم: شجر.

(٧) ديوانه: ٣٨٠.

(٨) الأشياء: صغار النخل. اتمهل: انتصب واعتدل. أث النبت: كثر والتف.

(٩) ديوانه ص ١٨٠.

(١٠) في الديوان: «وحائن»، والحائن: الأحق، وكذلك الأخرق.

(١١) الرداعة: من ردع فلان إذا وجع جسده كله، والدردبيس: الداهية.

(١٢) ديوانه ص ١١٤.

(١٣) في الديوان: «هواك».

(١٤) أضحزن: قصدن الصحراء. العنفير: الداهية. والمؤبد: من الأبدية.

وقوله^(١):

مُقَابِلٌ فِي دِرَى الْأَذْوَاءِ مَنْصَبُهُ عَيْصاً فَعِيصاً وَقُدْمُوساً فَقُدْمُوساً^(٢)
ثم لو لزم ذلك واستمر عليه ديناً وعادة، واتَّخَذَهُ إِمَاماً وَقَبِيلَةً لَقُلْنَا: بدويٌّ جرى
على طَبْعِهِ، أو متَحَضِّرٌ حَنَّ إِلَى أَصْلِهِ؛ لكنه يُعْرِضُ عَنْهُ ضَفْحاً، ويتناساه جملة،
ويقول وهو يمدح خليفة^(٣):

مَا زِلْتُ فِي الْعُفُوفِ لِلذَّنُوبِ وَإِطْ لَأَقِي لِعَانَ فِي جُرْمِهِ غُلْبِقُ^(٤)
حَتَّى تَمْتَنِّي الْبُرَاءَ أَتْهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوَا فِي الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ^(٥)
فنازعه المعنى، وانفرد دونه بِالْعَيْبِ؛ لأنَّ أبا ذَهَبٍ زعم أن البراءَ يَتَمَتَّنُونَ أن
يُذْنِبُوا فَيُصِيبُوا عَفْوَ، وَلَا تَقْصُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَمْدُوحِ؛ لأنَّ انفِرَادَهُ بِالْعَفْوِ مُتَعَدِّرٌ،
وإنما سبَّه إلى ذلك ذَنْبُ الْمَجْرِمِ وَخَطَأُ الْجَانِي.

وزاد أبو تمام فزعم أنَّهم يَتَمَتَّنُونَ الْيُثْمَ؛ ليصلوا إلى رِفْدِهِ، وَيُلْحَقُوا بِالْأَيْتَامِ فِي
تَكْفُلِهِ، وَالْمَمْدُوحِ مِمَّنْ مِنْ إِفَاضَةِ الْعَدْلِ، وَبِثِّ الْعُرْفِ، وَإِغْنَائِهِمْ عَنْ هَذَا التَّمَنِّي
الَّذِي لَا يَخْتَارُهُ الْعَاقِلُ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ الْجَهْدِ مِنْهُ، وَوُصُولِ الْقُنُوطِ إِلَى قَلْبِهِ، وَاسْتِيْلَاءِ
الضَّنْكِ عَلَى مَعِيشَتِهِ؛ وليس من صفة الجواد أن يعرِّضَ مُدَّاحِهِ وَقَصَّادَهُ، وَمَنْ عُلِقَتْ بِهِ
أَمَالُهُ، وَسَمِتَ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ لِسُوءِ الْحَالِ، وَيَكْلَفُهُمُ الْأَمَانِي الرُّذْلَةَ. وقد مَدَحَ أبا
المغيث^(٦)، فقال^(٧):

اسْقِ الرِّعْيَةَ مِنْ بَشَاشَتِكَ الَّتِي لَوْ أَنَّهَا مَاءٌ لَكَانَ مَسُوساً^(٨)
إِنْ الْبَشَاشَةُ^(٩) وَالنَّدَى خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ عَفَّةٍ جَمَسَتْ عَلَيْكَ جُمُوساً^(١٠)

(١) ديوانه ص ١٧٢.

(٢) الذرى: الأعالي. والأذواء: هم ملوك اليمن، منهم ذو يزن وذو رعين. والمنصب: المرتبة.
العيص: الأصل. والأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر. والقدموس: الملك
العظيم.

(٣) كذا في الأصلين، وهذان البيتان ليسا لأبي تمام، كما هو واضح من كلامه بعد، وهما لأبي
دهبل الجمحي، والبيت الذي يشير إليه لأبي تمام هو:

وتكفل الأيتام عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتام
وقد أخذ هذا من قول أبي دهب. وبهذا تفهم عبارته.

(٤) العاني: الأسير، وغلق الأسير والجاني: لم يقد.

(٥) البراء: الأبرياء. والقذ: سير من جلد غير مدبوغ.

(٦) هو موسى بن إبراهيم الرافقي.

(٧) ديوانه ص ١٧٧.

(٨) المسوس هنا: العذب الصافي.

(٩) في الديوان: «إن الطلاقة». (١٠) جمست: جمدت.

لو أنَّ أسباب العَفَافِ بلا تُقَى نفعت لقد نفعت إذا إبليساً
فليت شعري عنه لو أراد هَجُوه، وقصد الغَضَّ منه، هل كان يزيدُ على أن يذمَّ
عِفَّتَه، ويصفُها بالجموس والجمود، وهما من صفات البرد والثقل، ثم يختم الأمر بأن
يضرِبَ له إبليس مثلاً، ويقيمُه بإزائه كُفُوءاً، هذا وهو يقولُ في مثل ذلك غيرَ مَدَحٍ،
وبحيث يحتمل الاتساع ولا يضيق التصرف^(١):

عجبا^(٢) لعمري أنَّ وجهك مُغرِض عني وأنتَ بوجهِ نفعِكَ مقبلُ
أولا ترى أنَّ الطلاقَةَ جُئِئَةً من سوء ما تجني الظنونَ ومَغِئِلُ!
ومودةً مطويةً منسجورةً فيها إلى إنجاحها متعلِّلُ
إن يُغَطِّ وجهاً كاسفاً من تحته كرمٌ وطيبُ خليقةٍ لا تدخلُ^(٣)
فلَرُبَّ ساريةِ الغمامِ مطيرةً جادت بوابِلها وما تتهلَّلُ^(٤)

على أنه قد تحامل بقوله: «إن يعط وجهاً كاسفاً»، وبقوله في مثله^(٥):

ليس يدري إلا اللطيفُ الخبيرُ أي شيء تُطوى عليه الصُّدُورُ
فتطلَّق^(٦) مع العناية إنَّ الـ بشرفي أكثر الأمور بشيرُ
إنما البشرُ روضةٌ فإذا كا ن ببذلِ فروضةٍ وعَديِر
فتكلم بما تُجْمِجُ^(٧) فالمنـ طقُ عنوانُ ما يجنُّ الضميرُ

فيتوصَّل إلى مُرادِه أحسنَ ما توصل، ويُعبِّر عن ذات نفسه بألفاظٍ عبارة؛ وقوله^(٨):

شكوت إلى الزمانِ نحولَ جسمي^(٩) فأرشدني إلى عَبدِ الحميدِ

وإنما يُرشد في نحول الجسم إلى الأطباء، فأما الرؤساء والممدوحون فإما
يُلْتَمَس عندهم صلاحُ الأحوال؛ وقوله^(١٠):

تكاذ عطاياه يجنُّ جئونها إذا لم يعوذها بنعمةِ طَالِب^(١١)

(١) ديوانه ص ٢٤٠، وقد قالها لأبي دلف.

(٢) في الديوان: «عجب».

(٣) في الديوان:

كرم وحلم خليقة لا يجهل

(٤) السارية: السحابة. العارض: المعارض في الأفق. يتهلل: يبرق، ورواية الديوان:

فلرب سارية عليك مطيرة قد جاء عارضها وما يتهلل

(٥) ديوانه ص ٣٩٧.

(٦) تطلق الشيء: سر به فظهر ذلك في وجهه.

(٧) الجمجمة: ألا يبين الإنسان كلامه. جنة وأجنه: ستره.

(٨) في الديوان: «نحول حالي».

(٩) ديوانه ص ١٣٦.

(١٠) ديوانه ص ٤١.

(١١) التعويذ: الرقية يرقى بها الإنسان.

وما بالها يُخرجها إلى الجنون، وَيَلْتَمِس لها المَوْذُ^(١) والرُقَى، هَلَّا فَكَّ أَسْرَهَا،
وقدم خلاصها، ولم ينتظر بها نعمة الطالب، ففعل ما قاله أبو الطيب^(٢) :

وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَّاهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبًا

وقد تداول الناس هذا المعنى، فقال مُسلم :

أَخْ لِي يَعْطِينِي إِذَا مَا سَأَلْتُهُ وَلَوْ لَمْ أَعْرِضْ بِالسُّؤَالِ ابْتِدَآنِيَا

وقال أبو العتاهية :

وَإِنَّا إِذَا مَا تَرَكْنَا السُّؤَالَ فَلَمْ نَبْغِ نَائِلَهُ يَبْتَدِينَا

وإن نحن لم نبغ معروفه فمعروفه أبدأ يبتغينا

وقال أبو تمام^(٣) :

فَأُضْحِتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرْدَا^(٤) تَسَائِلُ فِي الْآفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلٍ

وقوله^(٥) :

وَرَأَيْتَنِي وَسَأَلْتُ^(٦) نَفْسَكَ سَيِّبَهَا لِي ثُمَّ جَدْتُ وَمَا انْتَضَرْتُ سُؤَالِي

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله :

أَنْفَقْتَهُ^(٧) فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبًا

وقوله^(٨) :

قُلْتُ^(٩) مِنَ الرِّيقِ نَافِعَ الدُّوْبِ إِلْ لَا أَنْ بَرُدَ الْأَكْبَادِ فِي جَمْدِهِ

فقد سلك مُفسِّرو هذا البيت غير طريق، وقالوا فيه غير قول، فلم يزيدوا على

تأكيد المحال بالمحال، وإضافة الخطأ إلى الخطأ، وما معنى جمد الريق؟ وكيف

يكون برد الأكباد في جامده دون ذائبه! وقد أعطاك أن ذوبه نافع مر، وهل بعد الرزي

برد الأكباد!

وبقوله^(١٠) :

أَلَدَّ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالُ عَلَى الظُّلْمَا وَأَطْرَفَ مِنْ مَرِّ الشَّمَالِ بِبَغْدَادَ

(١) العوذ (بفتح الواو) : جمع عوذة، وهي الرقية أيضاً.

(٢) ديوانه (١ : ١٣٢). (٣) ديوانه ص ٢٤٧.

(٤) في الديوان : «شربا» ؛ والشرب : الضامرة.

(٥) ديوانه ص ٢٤٧. (٦) في الديوان : «فسألت».

(٧) في أ «لأنفقتة»، تحريف، صوابه من ب والديوان.

(٨) ديوانه ص ٩١.

(٩) التقلت : النقرة في الصخر فيها ماء. الناقع : قاطع العطش.

(١٠) لم نجده في الديوان.

فجعل الشمال طرفه ببغداد، وهي أكثر الرياح بها هبوباً. وقد رواه بعض الرواة «أظرف»؛ ولا أعرف معنى الظرف في الريح؛ وقوله^(١):

ورحبَ صَدْرُ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةً كوسعه لم يضق عن أهله بلدٌ

وهذا المعنى فاسد؛ لأنه جعل البلاد إنما تضيق بأهلها لضيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتساع صدره لم تضيق البلاد. ونحن نعلم أن البلاد لم تُخَطَّط في الأصل على قدر سعة الأرض وضيقها، وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة، ولا تساع ما فيها من المدن أيضاً، وهي على حالها؛ وإنما تؤسس وتبتدئ على قدر الحاجة إليها؛ فإذا استمر بها الزمان وكثرت العمارة، وظهر فيها ما يستدعي الناس إليها ضاقت، فإن جاورتها فُسِّحَ وعِراض^(٢) وسعت، وإلا احتمل لها بعض الضيق؛ فلو اتسعت الأرض حتى امتدت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها. وقوله^(٣):

سبعون شهراً كلُّها في كُله لي عائقٌ عن منزلي وبلادي

فجعل لكل كلاً، كما جعل للدهر دهرأ في قوله^(٤):

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرأً أَتَى عِبَائِهِ أَثْقَلُ

وقوله^(٥):

رقيقٌ حواشي الحلم لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ^(٦) بكفِّيك ما ماريت^(٧) في انه بُرْدُ

والبرد لا يوصف بالرقّة، وإنما يوصف بالصفافة والدقة. وقد أقام الرقة مقام اللطف والرشاقة في موضع آخر، فقال^(٨):

لَكَ قَدْ أَرَقُّ^(٩) مَنْ أَنْ يُحَاكِي بقضيبٍ في السُّعْتِ أَوْ بِكَثِيبٍ^(١٠)

والقذ لا يوصف بالرقّة. وقوله^(١١):

لَا إِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ نَاسَبَتْ لدقة معنى نظمها لؤلؤ العقد

ومناسبة اللآلئ في دقة النظم لا يُفْتَحَر بها، ولا يجعل ما يناسبه في ذلك لآل؛ وإنما يشبه باللالئ في الصفا والرونق والحسن، وقد يكون من سَقَط الخرز وصغاره ما

(١) ديوانه ص ٩٧.

(٢) العروسة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس بها بناء، وجمعها عراض.

(٣) لم نجده في الديوان. (٤) ديوانه ص ٢٤٥.

(٥) ديوانه ص ١٢١. (٦) في الديوان: «لو أن خلقه».

(٧) ماريت: جادلت. البرد: الثوب. (٨) ديوانه ص ٤٣٤.

(٩) في الديوان: «أدق». (١٠) الكثيب: التل من الرمل.

(١١) لم نجده في الديوان.

هو أدقُ نظماً من اللؤلؤ؛ وقد تُنظَّم الأعراب نيجانها من حَبِّ الخَنْظَل، وهو أدقُ نظماً من كل جوهر نفيس، وإنما أراد ذِكْرَ السبب الذي أفاده شبه اللؤلؤ فزلاً عنه. وقوله^(١):

من الهيف لو أن الخلاخل صُبِّرت لها وشحاً جالت عليها الخلاخل^(٢)

أراد وصفها بدقَّة الحَصْر، فوصفها بغاية القصر والضؤولة؛ لأن الوشاح يؤخذ من العاتق ويوشح إحدى طرفيه الصُّدر والبطن، والآخر الظهر، حتى ينتهي إلى الكشح ويلتقي على الورك. وكيف حالٌ من يَجُول الخلاخل من عانقها وكشحها، وهل تكون هذه من البشر فضلاً عن أن تُنسَب إلى الحُسْن! وقوله^(٣):

يَدي لمن شاء زَهْنٌ لم يَذُقْ جِرعاً من راحتيك دَرَى ما الصَّابُ^(٤) والعسل

فحذف عمدة الكلام، وأخلَّ بالنظم؛ وإنما أراد أَرَادَ يَدي لمن شاء رهن (إن كان) لم يَذُقْ. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه. وقوله^(٥):

حَلَّتْ محلَّ البِكر من مُعْطَى وقد رُفَّت من المعْطَى زَفَافُ الأيِّم

معنى الأيِّم لغة وشرعاً

فجعل الأيِّم مقابل البِكر في التقسيم، والأيِّم قد تكون بكراً؛ وإنما هي التي لا زوج لها، يقال: أمت المرأة تتيِّم أَيْمَةً. وكذلك الرجل إذا مات امرأته؛ وإنما لأهل اللغة قولان: أحدهما أن المرأة قد تكون أَيْمًا إذا لم يكن لها زوج؛ وإن لم تكن تُكَيِّمُ قط. والثاني أنها لا تكون أَيْمًا إلا وقد نُكِّحت، ثم خَلَّتْ بموت أو طلاق؛ بكراً كانت أو غير بكر، بنتى عليها الزوج أو لم يَتَّيَّن. ويقال: تأيَّمت المرأة؛ إذا لم تُنكح بعد موت زوجها.

فأما قول النبي ﷺ: «الأيِّم أحق بنفسها من وليها، والبكر تُسْتَأْذَنُ في نفسها». فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة؛ فجعلوا الأيِّم عاماً في الثَّيِّب والبكر، وجعلوا اللفظة الثانية مفردة بحكم، وداخلية من الثانية في حكمها، وأبى أصحابنا ذلك؛ فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيِّم الثَّيِّب، وليس يُحفظ عنه، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيِّم والثَّيِّب في اللغة عبارتان عن معنى واحد، فيجد العائب طريقاً

(١) ديوانه ص ٢٥٦.

(٢) الهيف: الرقيقات. والخلاخل: حلى يلبس في الساق. والوشح: شبه فلاتد عريضة تشد بين الكنف والخاصرة.

(٣) ديوانه ص ٢٢٨.

(٤) الصاب: عصير نبت مر.

(٥) ديوانه ص ٣١٣.

إلى عيبه، ولكنه لُطف في الفكر فتوصل به إلى استخراج ما غمض على غيره؛ وذلك أنه رأى الخبر تضمن ذكر الأيم والبكر، ووجد البكر معطوفاً على الأيم؛ وكان ظاهر الخطاب وحقيقة اللغة يقتضي تغاير المعطوف والمعطوف عليه. ومن الظاهر عند أهل اللسان أن الشيء لا يُعطف على نفسه؛ هذا هو الأصل المطرد، فإن وُجد في الكلام ما يخرجه عنه، وأصيب ما يخالف هذه القضية فزائل عن الظاهر تابع لدليله؛ كما يوجد عموم يُخص، وأمر يُحمل على النذب، وخبر يراد به الأمر؛ فلا يُترك له موضوعات الأصول ولا يُعترض به على حقائق اللغة.

وكما لا يُعطف بالشيء على نفسه؛ فكذلك لا يُعطف به على جملة هو بعضها؛ لأنه يكون معطوفاً به على نفسه وعلى شيء آخر معه.

ولو قال قائل من أهل اللغة موثوق بسداده: جاءني عمرو وأكرماني أبو زيد؛ لوجب أن يكون أحدهما غير الآخر في مفتضى الظاهر؛ وكذلك لو قال: وجدت عبد الله عافلاً وأبا محمد فاضلاً لكان المعقول منهما تغايرهما، وإن أمكن أن يكون المسمى هو المكنى.

فلما تقرر عنده الأصل، ووجد الأدلة تُقوده إليه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه، فجعل الأيم غير البكر؛ ولبس غير الأباكر إلا الثيب. وليس يعترض هذا قول من يزعم أنه إقرار بالعدول عن الظاهر، ومفارقة الحقيقة، فقد سلم للمخالف ورفعت المنازعة في هذه الدلالة؛ لأننا نقول: إن في الخبر ظاهرين متقابلين؛ أحدهما حقيقة الأيم وهو انطلاؤها على كل خالية من حُرمة النكاح، والثاني ظاهر العطف ووجوب تمييز المعطوف عليه، فلما تقابل هذان الظاهران، ولم يكن من رفض أحدهما بُد اتبع المتعارف، واستسلم لعادة الخطاب؛ وعادة الاستعمال في اللغات مقدمة على حقائقها، وهي أولى بالظاهر من أصولها.

وأما أنا فأرى ظاهر الترتيب من ظاهر الألفاظ المنفردة، وإن كان من أصحابنا من يُخالفني فيه.

وفي الإفصاح بما أشرت إليه، وتبيين ما أجملته كلام يتسع، ولا يتصل بالغرض الذي قصدناه، وإنما نبذت منه نبذا اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام، جمع فيه بينه وبين الشافعي في التكثير، ووازن بين قولهما في الخطأ، ولم أستحسن ما يتسرع إليه أصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة، والتشبث بالشواذ المردودة، ووجدت المعنى الذي ذكرته مستقيماً على اللغة والمعقول، وكالمصرح به في لفظه؛ فأوامت إليه.

شعر المتنبي

ثم أعود إلى نسق الكتاب وأكتفي بما قدّمته من هفوات أبي تمام وإن كان ما أغفلته أضعاف ما أثبتته؛ إذ البغية فيه الاعتذار لأبي الطيب، لا التعي على أبي تمام. وإنما خصّصت أبا نؤاس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي المطبوعين، وإمامي أهل الصنعة، وأريك أن فضلهما لم يحيمهما من زلل، وإحسانهما لم يصف من كدر؛ فإن أنصفت فلك فيهما عبرة ومفنع، وإن لججت فما تُغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

وقد رأيتك - وفّقك الله - لما احتفلت وتعمّلت، وجمعت أعوانك واحتشدت، وتصفّحت هذا الديوان حرفاً حرفاً، واستعرضته بيتاً بيتاً، وقلّبت ظهره وبطنه، لم تزد على أحرف تلقّتها، وألفاظ تمخّلتها، اذعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضاً بالتّعسف والعثانة، وبعضاً بالضعف والركاكة، وبعضاً بالتعدي في الاستعارة؛ ثم تعدّيت بهذه السّمة إلى جملة شعره، فأسقطت القصيدة من أجل البيت، ونفيت الديوان لأجل القصيدة، وعجلت بالحكم قبل استيفاء الحجة، وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة، فعبت قوله^(١):

فَتَنَى أَلْفَ جُزْءٍ رَأَيْتُهُ فِي زَمَانِهِ وَمَا قَلَّ جُزْءُ بَعْضِهِ الرَّأْيَ أَجْمَعُ^(٢)
وقوله^(٣):

وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ
وقوله^(٤):

فَقَلَقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَشَا قَلَاقِلَ عَيْسٍ^(٥) كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ^(٦)

(١) ديوانه (٢: ٢٤٢).

(٢) رواية الديوان:

(٣) ديوانه (٣: ١٧٤).

(٤) ديوانه (٣: ١٧٥).

(٥) في أ «عش». تحريف. والعيس: إبل يخالط بياضها شقرة.

(٦) قال أبو نصر بن المرزباني: «ثلاثة من الشعراء رؤساء؛ شلشل أحدهم، وشلسل الثاني، وقلقل =

أقل جزئي بعضه الرأي أجمع

- عَنَاءَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِيثَ كِرَامَتِي وليس بَعَثَ أَنْ تَغِيثَ ^(١) الْمَاكِلُ
وقوله ^(٢):
- لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّادِقِيَّةِ ^(٣) لَا حِقْ
وقوله ^(٤):
- عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعَظْمُ عَظْمًا عَنِ الْعَظْمِ
وقوله ^(٥):
- وَلَسْتُ بِدُونِ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْهَى الْجَوْدُ الَّذِي خَلَفَهُ خَلْفُ
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَعْضُ مِنْ كُلِّ وَلَكِنَّكَ الضَّعْفُ
وَلَا الضَّعْفُ حَتَّى يَتَّبِعَ الضَّعْفُ ضِعْفَهُ وَلَا ضِغْفُ ضِغْفٍ الضَّعْفُ بَلْ مِثْلُ أَلْفُ
وقوله ^(٦):
- قَبِيلُ أَنتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُكَ بِشَرِّ الْمَلِكِ الْهُمَامُ
وقوله ^(٧):
- كَيْفَ تَرْتَبِي السِّي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رءَاهَا ^(٨) غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي
وقلت: ما زلنا نتعجب من قول مسلم بن الوليد ^(٩):
- سُلْتُ وَسَلْتُ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولا
حتى جاء المتنبي، فملأ ديوانه من هذا الجنس، فأنسانا بيتَ مسلم.
- وقوله ^(١٠):
- أَبَا شُجَاعٍ بِقَارِسٍ عَضْدَ الدِّ ذَوْلَةَ فَنَّا خُسْرُو شَهَنشَاهَا ^(١١)

= الثالث؛ فالذي شلشل الأعشى، وهو من رؤساء شعراء الجاهلية، وهو الذي يقول:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول

والذي سلسل مسلم بن الوليد، وهو من رؤساء المحدثين، قال:

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

وأما الذي قلقل فالمتنبي: شرح ديوان المتنبي (٣: ١٧٦).

(١) الغث: الهزال. (٢) ديوانه (٢: ٣٥٠).

(٣) اللادقية بلد الممدوح (الحسين بن إسحاق التنوخي)، وهي من بلاد الساحل بالشام.

(٤) ديوانه (٤: ٥٨).

(٥) ديوانه (٢: ٢٩٠).

(٦) ديوانه (٤: ٧٩).

(٧) ديوانه (٢: ٣٦٢).

(٨) رءاهها: رآها. رقا الدم والدمع؛ إذا انقطع، وإنما أبدل الهمزة ياء لأنه آخر البيت.

(٩) التبيان (٣: ١٧٦).

(١٠) ديوانه (٤: ٢٧٥).

(١١) يمدح بالبيت عضد الدولة؛ وقد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته، وسماه بملك الملوك: «شاهنشاه».

وقوله^(١):

رِوَاثُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ^(٢) وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَمَالٍ
يُعَلِّلُهَا نَطَاسِي^(٣) الشُّكَايَا وَوَاحِدَهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا اللَّوَاتِي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِجَالِ^(٤)
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا نَجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضُ النُّعَالِ^(٥)
وقوله^(٦):

أَوْهٍ مِنْ أَنْ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَضَلُّ وَاهِبًا وَأَوْهٍ مَرَاهِبًا^(٧)
وقوله^(٨):

كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الرُّنْدُ وَالْآ نَتَ فِيهِ^(٩) وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ
يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلَاقِ وَقَوْلُهُ^(١٠):

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايِ^(١١) حَاشٍ
وقوله^(١٢):

وَرَبِّمَا يَشْهَدُ^(١٣) الطَّعَامَ مَعِي مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ
وقوله^(١٤):

إِنِّي عَلَى شَعْفِي بِمَا فِي خُمْرِهَا لِأَعِفَّ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا

- (١) ديوانه (٣ : ١٣)، (٣ : ١٦)، (٣ : ١٧)، يرثي والده سيف الدولة.
- (٢) المسبطر: الممتد. قال صاحب: ذكره الأسطرار في مريثة النساء من الخذلان.
- (٣) النطاسي: الحاذق في الأمور. الشكايا؛ واحدها شكوى.
- (٤) الحجال: ما يستر النساء، وهو الخدر.
- (٥) الجنازة، بالفتح والكسر: النعش.
- (٦) ديوانه (٤ : ٢٧٠).
- (٧) يقول: أتوجع لأنني لا أرى محاسنها، وأصل توجعي وتعجبي أنني رأيته فهويتها.
- (٨) ديوانه (٢ : ٣٦٩، ٣٧١)، والآفاق: جمع أفق. وهو نواحي الدنيا.
- (٩) الضمير يرجع إلى الدهر في البيت قبله، وهو: ليت لي مثل جد ذا الدهر في الأد همر أو رزقه من الأرزاق
- (١٠) ديوانه (٢ : ٢٠٧).
- (١١) في الأصلين: «حشاه»، وهذه رواية الديوان.
- (١٢) ديوانه (٣ : ٢٧٠).
- (١٣) في الأصلين: «أشهد»، وهذه رواية الديوان.
- (١٤) ديوانه (١ : ٢٢٦). والخمر: جمع خمار، وهو ما تختمر به المرأة.

وقوله^(١):

لَا خَلْقَ أَشْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا^(٢)
وقوله^(٣):

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُرَادُ وَهَمِّي
وَمَا أَنَا وَخَدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرِ كُلُّهُ
وقوله^(٦):

وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا
يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا^(٧)
وقوله^(٨):

قَسَا فَالْأَسَدُ تَفَزَّعَ مِنْ يَدَيْهِ^(٩)
وَرَقَّ فَنَحْنُ نَفَزَّعُ أَنْ يَذُوبَا
وقوله^(١٠):

وَسَيْفِي لِأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ
لِيَضْرِبَ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ^(١١)
وقوله^(١٢):

أَيْفِطِمَةُ التَّوْرَابُ^(١٣) قَبْلَ فِطَامِهِ
وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ^(١٤)
وقوله^(١٥):

إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مُسْتَمْتَعًا بِهِ
تَحَرُّقَتْ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَحَرَّقْ

(١) ديوانه (١ : ٢٣٢).

(٢) راء: مقلوب رأى، كما يقال: ناء ونأى.

(٣) ديوانه (٢ : ١٥٨).

(٤) أود: جمع ود، والشطر: النصف. قال العكبري: «ذا حشو».

(٥) يقول: أنا ما انفردت بعمل هذا الشعر؛ ولكن شعري أعانني على مدحك؛ لأنه أراد مدحك كما مدحته.

(٦) ديوانه (١ : ١٤٢).

(٧) يريد أنه شيخ في شبابه لعقله وكمال رأيه، وإن كان شاباً.

(٨) ديوانه (١ : ١٤٢).

(٩) في الديوان: «من قواه».

(١٠) ديوانه (٢ : ٦).

(١١) يريد: وغمدك من الحديد الذي منه السيف.

(١٢) ديوانه (٣ : ٥٠).

(١٣) التراب: التراب.

(١٤) في الأصلين: «إلى الأرض». وهو خطأ، صوابه من الديوان.

(١٥) ديوانه (٢ : ٣٠٧).

وقوله^(١) :

أَعَرَّكُمْ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَزُّهَا
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِيْلِيثٍ إِلَّا قَرِيْسَةٌ
إِذَا الطُّغْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةً
إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ
عَلَيَّ^(٢) شَرُوبٌ لِلْجِيُوشِ أَكُولُ
غَدَاهُ^(٣) فَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فِيلُ
هِيَ^(٤) الطُّغْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَدُوُّ
فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ^(٥) لَهَا وَطُبُولُ
وقوله^(٦) :

فَكُلُّكُمْ أَتَى مَا أَتَى أَبِيهِ
فَكُلُّ فِعَالٍ كَلَّكُمْ عَجَابُ
وقوله^(٧) :

مُلِثَ الْقَطْرِ أَغْشَطَهَا رُبُوعَا
أَسَائِلُهَا عَنِ الْمَتَدْبِرِهَا
إِذَا مَا سَتَ رَأَيْتَ لَهَا ازْتِجَاجَا
تَأْلَمَ دَرَزُهُ وَالْدَّرَزُ لَيْنُ
دِرَاعَاهَا عَدُوًّا دُمْلَجِيهَا
أَحْبَبُكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلُ
أُمْنِسِي الْكَنَاسَ وَخَضَرَ مَوْنَا
وَالَا فَاسَقِهَا السُّمَّ النَّقِيْعَا^(٨)
فَلَا تَذِرِي وَلَا تُذِرِي دُمُوعَا^(٩)
لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نُزُوعَا^(١٠)
كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبُ الصَّنِيْعَا^(١١)
يُظُنُّ صَجِيْعُهَا الزُّنْدَ الصَّنِيْعَا^(١٢)
ثَبِيرَا^(١٣) أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيْمَ رِيْعَا
وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيْعَا^(١٤)

(١) ديوانه (٣ : ١٠٧ ، ١٠٨) ، يمدح سيف الدولة .

(٢) هو اسم سيف الدولة .

(٣) غداه : صار له غذاء ، والضمير راجع إلى الليث .

(٤) في الأصلين : « هو » ، والضمير يعود على الشجاعة ، وهذه رواية الديوان .

(٥) عيب على المتنبي جمع بوق على بوقات ؛ والقياس يعضده ؛ إذ له نظائر .

(٦) ديوانه (١ : ٨٥) .

(٧) ديوانه (٢ : ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧) .

(٨) المثلث : الدائم المقيم . والرُبُوع : جمع ربع . والنقيع : المتنع .

(٩) تدبير المكان : اتخذته داراً ، وتذري : تلقى دموعاً .

(١٠) قبله :

ترفع ثوبها الأرذاف عنها فيبقى من وشاحيها شسوعا

(١١) الدرز : موضع الخياطة المكشوفة من الثوب . العضب : السيف ، والصنيع : المحكم الصقل والصنعة .

(١٢) الدمليج : المعضد من الحلبي ؛ يصف ذراعها بالغلظ .

(١٣) ثبير : جبل بالحجاز . وابن إبراهيم هو علي بن إبراهيم التنوخي ، الممدوح .

(١٤) الكناس ، وحضرموت ، وكندة ، والسبيع : أمكنة بالكوفة ، سميت بأسماء من سكنها ، وفي الأصلين « أمسي السكون » . يقول : أنت أنسيتي بإحسانك والدتي وبلدي وأهلي .

وقوله^(١):

جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفُهُ
وَقُوفَيْنِ فِي وَقَفَيْنِ: شُكْرٍ وَنَائِلٍ
وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا
سُمُورًا أَوَدَّ الدَّهْرُ أَنْ اسْمَهُ كَفَ^(٢)
فَنَائِلُهُ وَقَفَ، وَشُكْرُهُمْ وَقَفَ^(٣)
عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(٤)

وقوله^(٥):

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ لِفَاصِدٍ
وَمِنْ تَحْتِهِ قَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ
وقوله^(٦):

رَجُلٌ طَيْبُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدُ^(٧)
وَمِنْ طَيْبِ الرُّجَالِ مَنْ صَلَّصَالٍ
وقوله^(٨):

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ
سُ بَنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي
وقوله^(٩):

لَا يَسْتَكِينُ الرَّغْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنَا^(١٠)
تَنْقَاصُ الْأَوْهَامِ عَنْ إِذْرَاكِهِ
مِثْلُ الَّذِي الْأَقْلَاكُ فِيهِ وَالذُّنَا^(١١)
وقوله^(١٢):

وَلَيْذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا
مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ^(١٣)

(١) ديوانه (٢: ٢٨٥).

(٢) يقول: هو جواد علت كفه في الخير والشر؛ الخير لأوليائه والشر لأعدائه. والدهر يتمنى أن يكون كفا يشارك كفه.

(٣) يقول: الناس والممدوح فريقان واقفان في شيتين وقفين؛ أحدهما على الناس منه وهو العطاء، والثاني على الممدوح من الناس وهو الشاء.

(٤) يقول: لما فقدنا نظيره ومن يكون له مثلاً، (لأنه عديم المثل) دام الكشف عن مثل له، ثم بطل لأننا أيسنا من وجود مثله.

(٥) ديوانه (٢: ٢٨٩).

(٦) ديوانه (٣: ١٩٨).

(٧) العنبر الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والصلصال: الطين اليابس.

(٨) ديوانه (٣: ٢٠١).

(٩) ديوانه (٤: ٢٠١).

(١٠) أي لا يحسن عدم الإحسان، والإحسان الأول مصدر والثاني ضد الإساءة.

(١١) الذنأ: جمع دنيا؛ كالعلا جمع عليا والقصا جمع قصيا.

(١٢) ديوانه (٣: ٢٥٢).

(١٣) يقول: إنما سميت أغطية العيون جفونتها؛ لأنها ضمت أحداً تعمل عمل السيف.

وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ .
وقوله (١) :

جَفَحَتْ (٢) وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بها بهم شِيمَ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرَدَ لَائِلُ
وقوله (٣) :

الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ
وقوله (٤) :

فَتَبَيْتُ تُسَيِّدُ مُسَيِّدًا فِي نَيْهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ (٥)
وقوله (٦) :

كُفِّي أَرَانِي وَنِكَ لَوْمَكَ أَلْوَمَا هُمْ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِ أَنْجَمَا (٧)
وقوله (٨) :

رَمَانِي خَسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ وَآخِرُ قُطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ (٩)
وقوله (١٠) :

فَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَمَلَ حِلْمِهِ عَنِ الْأَرْضِ لَانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْجِمْلُ
وقوله (١١) :

أَنْسَى يَكُونُ أَبَا الْبِرِّيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدًا
وقوله (١٢) :

خَفِ اللَّهُ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْزَعٍ فَإِنْ لَحَتْ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ (١٣)

(١) ديوانه (٣ : ٢٥٨) .

(٢) جفح : تكبر وفخر . والشيم : جمع شيمة ، وهي الخليفة . والأعر : الأبيض .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٦١) . (٤) ديوانه (١ : ١٧) .

(٥) الإسَاد : الإسراع في السير ، أو سير الليل بلا تعريس ، أو سير الإبل بالليل مع النهار . والنبي : الشحم . والمهمة : المفازة . والإنضاء : فاعل لاسم الفاعل .

(٦) ديوانه (٤ : ٢٧) .

(٧) كفي : دعني واتركي ، أنجم : أقلع ؛ يقال : أنجمت السماء ؛ إذا أقلعت من المطر .

(٨) ديوانه (٣ : ١٧٤) .

(٩) خساس الناس : أرادلهم ، والصائب ، بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصيبه وأصابه يصيبه فهو صائب ومصيب .

(١٠) ديوانه (٣ : ١٨٨) . (١١) ديوانه (١ : ٣٤٠) .

(١٢) ديوانه (٢ : ٣٤٩) .

(١٣) العواتق : جمع عاتق ، وهي الجارية المقاربة للاحتلام . وفي رواية : فإن لحت ذابت في الخدور العواتق

وقلت: لما أنكر عليه حاضرت غيره فجعله ذابت.

وقوله^(١):

مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَسُنَّ بِهِ يُنْتَمُهُمُ فَالْمُوتِمُ الْعَجَابُ الْيَتِمُ^(٢)

وقوله^(٣):

تَحَرَّجَ عَنِ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جِسْمٍ^(٤)

أَطْعَمَكَ طَرَعِ الدَّهْرِ يَابْنَ ابْنِ يُوسُفَ لِسَهْوَتِنَا وَالْحَاسِدُوكَ بِالرَّغَمِ^(٥)

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي فَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصِ نَفْسُهُ^(٦)

لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمُ عَلَيَّ امْرُؤٌ يَمْشِي بَوْفَرِي^(٧) مِنَ الْجِلْمِ

وقوله^(٩):

وَأَنْتَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ

وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بَنَّا وَبِالْجَنِّ فِيهِ^(١٠) مَا دَرْتَ كَيْفَ تَرْجِعُ

وقوله^(١١):

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَبْلُغُنَا الْمَسْوَطَةَ بِالتَّنَادِ^(١٢)

(١) ديوانه (٤ : ٥٣).

(٢) الموتم الجابر اليتيم: مبتدأ وخبر، أي أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى الأبناء الأيتام ويصطنعهم.

(٣) ديوانه (٤ : ٥٤، ٥٦).

(٤) التحرج: الكف عن الشيء والإمساك عنه، وحقن الدماء: حفظها وتركها في أبدانها. يريد: أنه يريق دماء الأعداء ولا يحفظها.

(٥) ارتفع «الحاسدون» عطفاً على الضمير المرفوع في «أطعماك»، وحذف النون في: «الحاسدون» لأنه شبه باسم الموصول؛ كأنه قال: والذين حسدوك. وقد جاء مثله فيما أنشده سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتئهم من ورائهم وكف

(٦) القرن: كفاء الرجل في شجاعته، والجائزة: ما يعطاها الشاعر، والكلم: الجرح، أي أعطني ذهباً بقدر ما تسع ضربتك الواسعة.

(٧) القرى: الظاهر. والمكمن: المخفي والمستتر، الدهم: الكثير.

(٨) الوفري: الثقل.

(٩) ديوانه (٢ : ٢٤٧).

(١٠) الضمير في «فيه» للقلب، يقول، قلبك قد أحاطت به الدنيا، وهو فيها من جملة ما فيها، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه.

(١١) ديوانه (١ : ٣٥٣).

(١٢) التناد: يوم القيامة.

وقوله^(١):

وَأَبْعَدَ^(٢) بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ



قلت: قد جمع في هذه الأبيات وفي غيرها مما اختدّى به خذوها بين البرد والعشاة، وبين الثقل والوخامة، فأبعد الاستعارة، وعوّص اللفظ، وعقّد الكلام، وأساء الترتيب، وبالع في التكلف، وزاد على التعمق؛ حتى خرج إلى السخف في بعض، وإلى الإحالة في بعض. وقلت: كيف يُعَدّ في الفحول المُفْلِقين من يقول^(٣):

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمْ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْقَوْلَاذَا
فَعَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَلْتُ ثِيَابَهُ بَدَمَ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الْأَفْحَاذَا
أَعْجَلْتُ أَنْفُسَهُمْ^(٤) بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَسَنَ قَوْلُهُمْ لَا فَارِسَ إِلَّا ذَا
طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَقَدْ نَشَأَ^(٥) مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إِلَى كَلْوَاذَا
فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلُوءَةً أَوْ ظَنَّهَا الْبَزْنَزِيَّ وَالْأَرَاذَا^(٦)
وقوله^(٧):

بَشَّرْتُ صَوْرَ غَايَةِ فِي آيَةٍ يَنْفِي الطُّنُوءَ وَيُفْسِدُ التَّقْيِيسَا
يَا مَنْ نَلُودُ مِنَ الزَّمَانِ بِظُلْمِهِ أَبْدَأُ وَنَطْرُدُ بِأَسْمِهِ إِبْلِيسَا
إِنِّي نَشَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقِدْ^(٨) كَثُرَ الْمَدْلَسُ فَاخْذَرْ التَّدْلِيسَا^(٩)
حَجَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ إِنْطَاكِيَّةٍ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسَا

(١) ديوانه (١: ٣٥٨).

(٢) الضمير في أبعد وقرب يعود على المسير في بيت قبله. وقرب وبعد، نصبهما نصب المصادر.

(٣) ديوانه (٢: ٨٣).

(٤) في الديوان: «أعجلت ألسنهم»، جمع لسان.

(٥) في الديوان: «ونشؤه»، وكرخايا وكلواذا: قريتان من أعمال بغداد.

(٦) البرني والأزاد: نوعان من أجود التمر.

(٧) ديوانه (٢: ١٩٧ - ٢٠٠).

(٨) انتقد الدراهم: أخرج الزيف منها.

(٩) صدره من قول الحكمي:

نشرت عليك الدر يا در هاشم فيما من رأى درأ على الدر ينثر
وعجزه ينظر فيه إلى قول ابن الرومي:
أول ما أسأل من حاجة أن يقرأ الشعر إلى آخره
ثم كفاني بالذي ترتني في جودة الشعر وفي شاعره

- خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَاوَيَ الْخَرَابِ وَيَسْكُنُ النَّاؤُوسَا^(١)
وقوله^(٢) :
- وَلَعَلِّي مُؤَمِّلٌ بَغَضَ مَا أَبْ لُعُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ
لِسِرِّي لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقُطْطِ مِنْ وَمَرْوِي^(٣) مَرْوَلِبْسُ الْقُرُودِ
وقوله^(٤) :
- أَلْقَى الْكِزَامُ الْأَلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيبِي^(٥) عِنْدَ الْقَرْضِ وَالسُّنَنِ
فَهُنَّ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَّ^(٦)
وقوله^(٧) :
- جَعَلْتُكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةً لَأَتُكَ بِالْيَدِ لَا تُجْعَلُ^(٨)
وقوله^(٩) :
- وَنُصْفِي الَّذِي يُكْتَى أَبَا الْحَسَنِ^(١٠) الْهَوَى وَتُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَهَ وَلَا يُكْتَى
وقوله^(١١) :
- وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَخِ بَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ
وقوله^(١٢) :
- لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ^(١٣) بِالرُّودْبَا رِي وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِبَارِ

- (١) الناووس: مقابر النصارى، وقيل: مقابر المجوس.
(٢) ديوانه (١: ٣٢٠).
(٣) مروى مرو: ثياب رفاق تنسج بها.
(٤) ديوانه (٤: ٢١٤).
(٥) باد الشيء: هلك، وأباده غيره: أهلكه. الخصيبى: هو الممدوح نسبة إلى الجد، وهو أبو عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي.
(٦) أصل الحجر المنع، وحجر القاضي على فلان: منعه من التصرف. والمنن: جمع منة، وهو ما يمكن به الإنسان على صاحبه.
(٧) ديوانه (٣: ٧١).
(٨) يقول: جعلتك بالقول عدة أعتدها، وعصمة أعتقدها؛ لأنك أرفع قدراً من أن تتناول بالجوارح.
(٩) ديوانه (٤: ١٦٦).
(١٠) أبو الحسن: هو علي بن عبد الله سيف الدولة الممدوح.
(١١) ديوانه (٢: ٣١).
(١٢) ديوانه (٢: ١٧٩).
(١٣) في الأصلين «البزاة»، وهذه رواية الديوان. والسراة: الأشراف، جمع سري على غير قياس. والروذباري: هو الممدوح نسبة إلى بلد أبيه، وهي من بلاد المعجم.

فَارْسِيَّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ نَاجٍ كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوازٍ^(١)
فَكَأَنَّ الْفَرِيدَ وَالْدَّرَّ وَالْيَا قُوتَ مَنْ لَفْظُهُ وَسَامَ الرُّكَازِ^(٢)
تَقَضَّمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي دُونَهُ قَضَمَ سُكَّرِ الْأَهْوَاِ
ويقوله^(٣):

وَنَهَبُ ثُقُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى بِأَهْلِ الْمَجْدِ مَنْ نَهَبِ الْقَمَاشِ^(٤)
وَمِنْ قَبْلِ النُّطَاحِ وَقَبْلِ يَأْنِي^(٥) تَبَيَّنَ لَكَ النُّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ
تُطَاعِنُ كُلَّ خَيْلٍ سِزَتْ فِيهَا وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الْجَحَاشِ^(٦)
أَتَى خَبَرَ الْأَمِيرِ فُقَيْلَ كَرُوا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لِحَقُّوا بِشَاشِ^(٧)
ويقول^(٨):

مُسْتَقِيلٌ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا نَ تُجُومًا أَجُرُّ هَذَا الْبِنَاءِ
وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخْرُ مِنْ الْأُمِّ وَاهٍ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ
أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَيَّي بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
وَلَك^(٩) النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا يَسُ رَحَ بَيْنَ الْعَبْرَاءِ وَالْحَضْرَاءِ
يَقْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذُرْتُ^(١٠) الشَّمُ سُبُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ
إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّدَى فَمَنْ خَيْرٌ مَنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ
ويقول^(١١):

مَا أَتَصَفَّ الْقَوْمُ ضُبَّةً^(١٢) وَأُمَّةُ الطَّرْطُوبَةِ^(١٣)

- (١) أبرواز: هو أبرويز أحد ملوك العجم، وإنما غيره للوزن.
(٢) الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، أو الكبار منه. والسام: عروق الذهب؛ يقول: كأن هذه الأشياء مأخوذة من لفظه لحسنه ونفاسته.
(٣) ديوانه (٢: ٢١٠، ٢١٣).
(٤) القماش: متاع البيت ومتاع الإنسان.
(٥) يأنى: يحين؛ من أنى الشيء؛ إذا حان، وأراد: قبل أن يأنى.
(٦) رواية الديوان: «ولو كان النبط»، والنبط: قوم بسواد العراق حراثون.
(٧) الكر: الرجوع على القرن بعد الفر للجولان، وشاش: موضع بما وراء النهر.
(٨) ديوانه (١: ٣٢).
(٩) في الأصلين: «ملك».
(١٠) ذرت الشمس: بدت أول ما تطلع. (١١) ديوانه (١: ٢٠٤، ٢٠٨).
(١٢) ضبة اسم من يهجوه بهذه القصيدة، وهو ضبة بن يزيد العتيبي؛ وكان فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب.
(١٣) الطرطبة: القصيرة الضخمة، وقيل: المسترخية الثديين.

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَنَاكُوا الْأُمَّ غُلْبَةً^(١)
 فَلَا بَمَنْ مَاتَ فُخْرٌ وَلَا بَمَنْ نِيكَ رَغْبَةٌ
 وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ تَرْحَمَةً لَا مَحَبَّةَ
 مَا كُنْتُ إِلَّا دُزَابًا نَفَثْتَ عَنَّا مِذْبَةً
 وَكُنْتُ تَنْخَرُ^(٢) تِيهَا فَصِرْتَ تُضْطَرُّ رَهْبَةً
 وَإِنْ بَعُدْنَا قَلِيلًا حَمَلْتَ زُمَحًا وَحَرْبَةً
 ويقول^(٣):

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبَرِّ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ
 وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَفٍّ تِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ

كثرة استعماله لاسم الإشارة

وقلت: وهو أكثر الشعراء استعمالاً لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صناعة الشعر، دالة على التكلف، وربما وافقت موضعاً يليق بها، فاكتست قبولاً؛ فأما في مثل قوله في هذين البيتين: «ومن حق ذَا الشريف عليك»؛ و«في وقتك ذَا»، وقوله^(٤):

لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذِ^(٥) مِنْكَ هُوَ عَقِمْتَ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَاءَ
 وقوله^(٦):

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللَّيُوثُ كَمَالُهُ يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفُهُ بِجَمَالِهِ
 وقوله^(٧):

وَإِنْ بَكَيْنَا^(٨) لَهُ فَلَا عَجَبٌ ذَا الْجَزُرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَغْهُودٍ
 وقوله^(٩):

ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ [دُنْيَا^(١٠) دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ]
 وقوله^(١١):

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتَقْ^(١٢) مُقَدِّمٌ قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمٌ

(١) الغلبة: المغالبة. (٢) في الديوان: «تفخر».

(٣) ديوانه (٢: ٣٨٤).

(٤) ديوانه (١: ٣١).

(٥) اللذ: لغة في الذي. (٦) ديوانه (٣: ٥٩).

(٧) ديوانه (١: ٢٦٢).

(٨) رواية الديوان: وإن جزعنا. وجزر البحر: رجوع مائه إلى خلف ونضوبه.

(٩) ديوانه (٤: ٢٦٣).

(١٠) يقال هو ابن عمي دنية: وهو القريب.

(١١) ديوانه (٣: ٣٨٩).

(١٢) الدمستق: صاحب جيش الروم.

وقوله^(١) :

أَبَا الْمَسْكُ ذَا الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إليه ، وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيًا^(٢)
وقوله^(٣) :

نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي بُرِيَ مِبْلَادُهُ
كَلِمَا قَالَ تَائِلٌ^(٤) : أَنَا مِنْهُ سَرَفٌ ، قَالَ آخِرٌ : ذَا اقْتِصَادُهُ
وقوله^(٥) :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فِهَذَا وَإِلَّا فَالْهُدَى ذَا فَمَا الْمَهْدِي !
وقوله^(٦) :

يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بَذَا الْوَعْدِ وَيُخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ^(٧)
وقوله^(٨) :

وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِيْنَ طُرًّا لِأَوَّلِ مِئْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ^(٩)
وقوله^(١٠) :

فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا^(١١) بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا
وقوله^(١٢) :

حَلَفْتُ لَذَا بَرَكَاتِ عُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا قَاتَهُمْ أَمَلٌ
فهذا صالح ، وقوله^(١٣) :

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْرَكَضَتْ بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَا^(١٤)

(١) ديوانه (٤ : ٢٨٩) .

(٢) أبو المسك : كنية كافور ، وتاق يتوق توقا ، إذا نازعه الحنين إلى الوطن وغيره . يخاطبه ويناديه : يا أبا الحسن ، هذا الذي كنت أشتاق إليه وأحن ، وهذا الوقت الذي كنت أرجو لقاءه وأتمناه .

(٣) ديوانه (٢ : ٤٨) .

(٤) في الأصلين : « قائل » .

(٥) ديوانه (٢ : ٦٧) .

(٦) ديوانه (١ : ٦٨) .

(٧) النقْد : خلاف النسيئة .

(٨) ديوانه (٣ : ١٠) .

(٩) الناعون : جمع ناع ، وأصله رفع الصوت . و« طرا » : نصب على الحال ، والبيت من قصيدة في رثاء أم سيف الدولة .

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٧٨) .

(١١) الضمير يعود على همم في البيت الذي قبله ، وهو :

تسجمت فسي فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

(١٢) ديوانه (٣ : ٣١١) .

(١٣) ديوانه (١ : ١٤٢) .

(١٤) الفاء واقعة في جواب أما فيما قبل .

فهو - كما تراه - سخافة وضعفا، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكره من هذه الإشارة؛ وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حَزْفاً، والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في القَرط والثُدرة، أو على سبيل العَلط والقلته.

التعقيد في شعره

وقلت: احتملنا له ما قدمناه على ما فيه من فُنون المعاييب، وأصناف القبايح؛ كيف يُحتمل له اللفظ المعقد، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجها، وتقوم فائدة الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه، كقوله^(١):

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ^(٢)

وَمَنْ يَرَى هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْهَائِلَةَ، وَالتَّعْقِيدَ الْمُفْرِطَ، فَيَشْكُ أَنْ وَرَاءَهَا كَنْزاً مِنْ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ فِي طَيِّهَا الْغَنِيمَةَ الْبَارِدَةَ؛ حَتَّى إِذَا فَتَشَهَا، وَكَشَفَ عَنْ سِتْرَهَا، وَسَهَرَ لِيَالِي مَتَوَالِيَةٍ فِيهَا حَصَلَ عَلَى أَنَّ «وَفَاءَ كَمَا يَا عَاذِلِي بِأَنْ تُسْعِدَانِي إِذَا دَرَسَ شَجَايَ، وَكَلِمَا اِزْدَادَ تَدَارُساً اِزْدَدَتْ لَهُ شَجْواً؛ كَمَا أَنَّ الرَّبْعَ أَشْجَاهُ دَارُسُهُ».

فَمَا هَذَا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يَضِيعُ لَهَا حِلَاوَةُ الْلفظ، وَبِهَاءُ الطَّبَعِ، وَرَوْنَقُ الْاِسْتِهْلَالِ، وَيَشْتَخِ عَلَيْهَا حَتَّى يُهْلَهْلِلَ لِأَجْلِهَا التَّنْجِجَ، وَيُفْسِدَ النِّظْمَ، وَيَفْصِلَ بَيْنَ الْبَاءِ وَمَتَعَلَقِهَا بِخَبَرِ الْاِبْتِدَاءِ قَبْلَ تَمَامِهِ، وَيَقْدِّمَ وَيُؤَخِّرُ، وَيَعْتَمِي وَيَعْوِصُ!

وَلَوْ اِحْتَمَلَ الْوِزْنَ تَرْتِيبَ الْكَلَامِ عَلَى صَحْتِهِ فَقِيلَ: «وَفَاؤُكُمَا بِأَنْ تُسْعِدَا أَشْجَاهُ»^(٣) طَاسِمُهُ كَالرَّبْعِ، أَوْ «وَفَاؤُكُمَا بِأَنْ تُسْعِدَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ»، لَظَهَرَ هَذَا الْمَعْنَى الْمَضْنُونَ بِهِ، الْمَتَنَافَسُ فِيهِ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ» فَخَطَابُ مَسْتَأْنَفٍ، وَفَصْلٌ مَنْقُطِعٌ عَنِ الْأَوَّلِ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: «وَفَاؤُكُمَا وَالرَّبْعَ أَشْجَاهُ مَا طَسَمَ، وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ مَا سَجَمَ».

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ^(٤):

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَلْتَنَّا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ^(٥)

(١) ديوانه (٣: ٣٢٥).

(٢) الطاسم: الدارس، والساجم: السائل.

(٣) هذه الجملة خبر: وفاؤكما.

(٤) ديوانه (١: ٣٥٣).

(٥) اللييلة: تصغير ليلة، والمنوطة: المعلقة، والتنادي: كناية عن القيامة. يقول: إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة، فهي لطولها بمنزلة ليالي الدهر كلها؛ إلا أن كل واحدة من تلك الليالي طويلة أيضاً؛ حتى كأنها ست ليال في ليلة.

تعرّض فيه لوجوه من الطعن: منها قوله: «سُدّاس»، وقد زعموا أنها غيرُ مَرْوِيّة عن العرب، وإنما رُويَ أَحَادٌ وَثْناءً وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ وَعُشْرًا، وهذه معدولات لا يُتجاوز بها السماعُ، ولا يسوغُ فيها القياس.

ومنها أنه أقام أحاداً وسُدّاساً مقام واحد وستة؛ والعربُ إنما عدلوا به عن واحد واحد، واثنين اثنين، ولذلك لا يقولون للثنين والثلاثة. هذا ثْناءٌ وهذا ثَلَاثٌ؛ وإنما يقولون: جاء القوم أحاداً ومَثْنَى وَثَلَاثَ: أي واحداً واحداً، واثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة؛ وبذلك نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَدَى﴾ [سبأ: ٤٦]. أي اثنين اثنين، وقال تعالى: ﴿فَأَنكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣]، أي اثنين اثنين، وثلثاً ثَلَاثاً، وأربعاً أربعاً.

ومنها أنه صغر الليلة، ثم وصفها بالطول، ووصلها بالثَنَادِ، حتى احتاج إلى إطالة الاعتذار إلى التناول والاستشهاد. وأنت إذا امتحنت الذي غزاه لم تجد أكثر من «أَوَاحِدَةٍ لَيْلَتُنَا هَذِهِ أَمْ سِتُّ لَيَالٍ فِي وَاحِدَةٍ» وهل يساوي ذلك - وإن عُرِضَ سَمْحاً مطاوعاً وَوُجِدَ سهلاً مَوَاتِيّاً - أن يُفْتَحَ به قصيدة، أو تُغْفَدَ عليه قافية!

وما باله خَصَّ سُدّاساً، وَعُشْرًا أَكْثَرَ إِنْ أَرَادَ التَّكْثِيرَ! واجتماع عشر ليالٍ أطول من اجتماع ست. فَإِنْ ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّهُ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ لَيَالِي الْأُسْبُوعِ، فجمعها في الست والواحدة، فكمملت سَبْعاً استدلَّ النَّابِءُ على ضعف بصره بالحساب؛ لأن الست في الواحدة ست، فأين السابعة؟ وَلَيْمَ اقْتَصَرَ على الأسبوع وهو يريدُ المبالغة في الطول؟ وهلا بلغ أقصى ما يحتمله الوزن وأكثر ما يُمكنه النظم!

فإِنْ تَوَسَّعَتْ فِي الدَّعَاوَى فَضَّلَ تَوَسَّعَ، وَمِلَّتْ مَعَ الْخَفِيفِ بَعْضَ الْمِيلِ حَتَّى تَنَاولَتْ طَائِفَةً مِنَ الْمُخْتَارِ، فَجَعَلَتْهُ فِي الْمُنْفَى، وَأَخَذَتْ صُدْرًا مِنَ الْجِدِّ فَجَعَلَتْهُ مَعَ الرَّدِيِّ - وَلَسْنَا نُنَازِعُكَ فِي هَذَا الْبَابِ - فَهُوَ بَابُ يَضِيقُ مَجَالَ الْحُجَّةِ فِيهِ، وَيَصْعَبُ وَصُولُ الْبَرْهَانِ إِلَيْهِ. وإنما مداره على استشهاد القرائح الصافية، والطبائع السليمة، التي طالت مُمَارَسَتُهَا لِلشَّعْرِ، فَحَذَقَتْ نَفْسَهُ، وَأَثْبَتَتْ عِيَارَهُ، وَقَوَّيَتْ عَلَى تَمْيِيزِهِ، وَعَرَفَتْ خِلَاصَهُ، وَإِنَّمَا تُقَابِلُ دَعْوَاكَ بِإِنْكَارِ خُصْمِكَ، وَتُعَارِضُ حُجَّتَكَ بِإِلْزَامِ مَخَالَفِكَ إِذَا صِرْنَا إِلَى مَا جَعَلْتَهُ مِنْ بَابِ الْغَلْطِ وَاللَّحْنِ، وَنَسَبْتَهُ إِلَى الْإِحَالَةِ وَالْمِنَاقِضَةِ، فَأَمَّا، وَأَنْتَ تَقُولُ: هَذَا غَثٌّ مُسْتَبَرَدٌ، وَهَذَا مُتَكَلَّفٌ مُتَعَسِّفٌ، فَإِنَّمَا تَخْبِرُ عَنْ بُيُوتِ النَّفْسِ عَنْهُ، وَقَلَّةِ ارْتِيَاكِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ.

الحكم على الشعر

والشعر لا يحبُّ إلى النفوس بالنظر والمحاكاة، ولا يحلِّي في الصدور بالجدال والمُقايَسة؛ وإنما يعطُّها عليه القبول والطلاوة، ويقربُه منها الرونق والحلاوة؛ وقد يكون

الشيء مُتَقَنَّاً مُحْكَمًا، ولا يكونُ حُلُوءاً مَقْبُولًا، ويكونُ جَيِّدًا وَثِيقًا، وإن لم يكن لطيفاً رَشِيقًا. وقد يجدُ الصورةَ الحسنةَ والخَلْقَةَ الثَّامَّةَ مقليةً ممقوتةً، وأخرى دونها مُسْتَحْلَاةٌ مَوْمُوقَةٌ؛ ولكلِّ صناعةٍ أهلٌ يُرْجَعُ إليهم في خصائصها، ويُسْتَظْهَرُ بمعرفتهم عند اشتباه أحرالها.

وما أنكرُ أن يكونَ كثيرٌ مما عددته من هذه الأبيات ساقطةً عن الاختيار، غيرَ لاحقةٍ بالإحسان، وأن منها ما غلبَ عليه الضعفُ، ومنها ما أثر فيه التعسفُ؛ ومنها ما خانه السُّبُكُ؛ فسَاءَ تربيتهُ، وأخلَّ نظمه. ومنها ما حمل عليه التعمقُ؛ فخرج به إلى العَثَاةِ والبَزْدِ، وإن كان أكثرُها لم يأت من قِبَلِ المعنى وشرِّفه، وكنا نجد لكل واحد منها مثلاً يحسنه، وشبيهاً يعضده ويسدده. ولكن الذي أطالبك به وألزمك إياه ألا تستعجلَ بالسيئة قبل الحسنة، ولا تقدِّمَ السُّخْطَ على الرحمة، وإن فعلت فلا تُهْمِلِ الإنصافَ جملةً، وتخرج عن العَدْلِ صِفْراً؛ فإن الأديبَ الفاضل لا يستحسن أن يعقد بالعرثرة على الذنب اليسير من لا يحمد منه الإحسان الكثير؛ وليس من شرائط النُصْفَةِ أن تنعي على أبي الطَّيِّبِ بيتاً شَدَّ، وكلمةً نَدَرَتْ، وقصيدةً لم يُسْعِدْ فيها طَبْعُهُ؛ ولَفْظَةً قصرت عنها عنايته، وتَنَسَّى محاسنَه، وقد ملأت الأسماعَ، وروائعُه وقد بهرت. ولا من العدل أن تُؤَخِّرَ الهَفْوَةَ المنفردة، ولا تقدمه الفضائلُ المجتمعة، وأن تحطه الزلَّةُ العابرة ولا تنفعه المناقبُ الباهرة.

وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين لهذه الأبيات التي أنكرتُها، ولم تسلِّمَ له قصب السُّبُكِ ونصال النضال، وتُعَنُّون باسمه صحيفة الاختيار لقوله^(١):

هُوَ الْجَدُّ ^(٢) حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أَخْتَهَا	وَحَتَّى يَكُونَ ^(٣) الْيَوْمَ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا ^(٤)
وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَازَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ	وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا!
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ	وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا ^(٥)
أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ ^(٦)	فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا

(١) ديوانه (١ : ٢٨٦)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويهنته فيها بعيد الأضحى.

(٢) الجد: الحظ.

(٣) في الديوان: «يُصِير».

(٤) يقول: الحظ يفرق بين الشيء وما يساويه، فيجعل لأحدهما مزية على الآخر؛ حتى لقد يقع التفاضل بين العين وأختها.

(٥) أنت في الشطرين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور، والبيت تأكيد لما قبله.

(٦) الكبت: الصرف والإذلال.

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ^(١) حَمَلْتُهُ
أَجْزَنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فَلَأَمَّا
وَدَغَ كُلَّ صَوْتٍ دُونَ صَوْتِي فَلَأَنِّي
تَرَكْتُ السَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قُلَّ مَالُهُ
وَقَبِذْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً
إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغَنَى
وقوله^(٥):

وَأُطْمَعُ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهِمْ
وَكَاثُ^(٧) بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّاهَا
وَكُنْتُ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهَا^(٨)
وِظْلُ الطَّعْنِ فِي الْخَيْلَيْنِ خَلْسًا
مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ
إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوءَ عَنْهُمْ
وَأِنْ جُنْحُ الظَّلَامِ أَثْجَبَ عَنْهُمْ
إِذَا قَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلْتَهُمْ
يَرْوْنَ الْمَوْتَ قُدَّامًا وَخَلْفًا
وَنَزَقَهَا اخْتِمَائِكَ وَالْوَقَارُ^(٦)
نُفُوسًا فِي رَدَّاهَا تُسْتَشَارُ
وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ^(٩)
كَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَهُمْ^(١٠) اخْتِصَارُ^(١١)
لَأَرْوِسُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِشَارُ
دَجَا لَيْلَانٍ: لَيْلٌ وَالْعُيَارُ
أَضَاءَ الْمَشْرِفِيَّةِ^(١٢) وَالنَّهَارُ
بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ
فَبِخُتَارُونَ وَالْمَوْتُ اضْطِرَارُ

(١) السمهري: الرمح؛ منسوب إلى سمهر؛ اسم رجل كان يقوم الرماح، وفي الأصلين «السمهري»، وهذه رواية الديوان.

(٢) الصدى: الصوت الذي يسمع من بعيد كأنه يحكي قولك أو صياحك.

(٣) السرى: مشي الليل. والعسجد: الذهب. يقول: استغنيت عن السرى بوصولي إليك، فتركته خلفي لمن أحوجه الفقر إليه، وأثريت بنعمتك؛ حتى لو شئت أنعلت أفراسي بالذهب.

(٤) في رواية: «جعلتك».

(٥) ديوانه (٢: ١٠١)، من قصيدة يصف إيقاع سيف الدولة بالقبائل العربية.

(٦) عامر: اسم قبيلة، ولذلك منعها من الصرف، وقال «عليهم»، وفي رواية: «عليها». ونزقها: حملها على النزق، والنزق: الخفة والطيش.

(٧) الضمير في «وكانت» يعود على الفرسان في بيت قبله.

(٨) في الديوان: «إليهم».

(٩) الغرار: الحد.

(١٠) في الديوان: «بينهما».

(١١) يريد أنهم ما زالوا يتخالسون الطعن، فيسرع إليهم الموت؛ فكانهم يختصرون الآجال.

(١٢) جنح الليل: جانبه، والمشرقية: السيوف.

إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ^(١) غَيْرَ هَادٍ
فَمَنْ طَلَبَ الطَّعَانَ قَدْ أَهْلَى
يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَغَبِّ
بَتَوَكَّعٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ
بِهَا مِنْ قُطْعِهِ أَلَمٍ وَنَقْصٍ
لَهُمْ حَقٌّ بِشَرِّكَكَ فِي زَرَارٍ
لَعَلَّ بَنِيهِمْ لِبَنِيكَ جُنْدٌ
وَقَوْلُهُ^(٤):

نَزَلُوا فِي مَصَارِعَ عَرَفُوهَا
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ أَلْهَا
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا
أَبْصَرُوا الطَّغْنَ فِي الْقُلُوبِ دَرَاكَ
يَنْفُضُ الرُّوعَ أَيْدِيًا لَيْسَ تَنْذِرِي
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ
إِنَّ دُونَ أَلْيَى عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَخْ
عَصَبَ الدَّهْرِ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا
إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سَبَاغٌ
مَنْ أَطَاعَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَاباً

يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ
مُتَذَرِّئِي^(٥) عَلَيْهِمُ الْأَوْصَالَ
وَتُرِيهِ لِكُلِّ غُضُوبٍ مِثْلًا
قَبْلَ أَنْ يُنْصِرُوا الرُّمَاحَ خَيَالًا^(٦)
أُسَيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَغْلَالًا^(٧)
طَلَبَ الطَّغْنَ وَخَدَهُ وَتَزَالَ^(٨)
دَبَّ وَالتَّهَرُّ مِخْلَطًا مِزْيَالًا^(٩)
وَبَسَّاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالًا
بَتَفَارِسَنَ جَهْرَةً وَاعْتِيَالًا^(١٠)
وَاعْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالًا^(١١)

(١) السماوة: بادية بين الكوفة والشام.

(٢) الحرار: العطاش. الأسل: الرماح.

(٣) القرح من الخيل: جمع قارح، وهو الذي استكمل سنه.

(٤) ديوانه (٣: ١٤٠)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر نهوضه لغزو الروم.

(٥) الهام: الرؤوس، وتذري: تثر وتفرق. ويريد بالأوصال: الأعضاء.

(٦) الدراك: التابع، وخيالاً: متخيلاً.

(٧) الروع: الخوف والفرع. والأغلال: جمع غل، وهو رباط تشد به اليد إلى العنق.

(٨) قال العكبري: وهذا من قول الحكيم «الجبين ذلة كامنة في نفس الجبان» فإذا خلا بنفسه أظهر شجاعته.

(٩) الدرب: المدخل من أرض العدو. والأحذب: جبل. والتهر: موضع. وفلان مخلط مزيال: موصوف بالشجاعة وجودة الرأي، أي كثير المخالطة للأمور ثم يزايها، أو مزيا عن أطراف بلاده.

(١٠) الأنيس: جماعة الناس. والتفارس: التقاتل. والاعتيال: القتل بالخدعة.

(١١) الغلاب: الغلبة. والاعتصاب: الأخذ بالقهر.

وقوله^(١):

قَادَ الْجِيَادَ^(٢) إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْدُ
إِنْ حُلِّيَتْ رُبَطْتُ بِآدَابِ الْوَعَى
فِي جَحْفَلٍ^(٤) سَتَرَ الْعُيُونَ غَبَارُهُ
يَزْمِي بِهَا الْبِلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ
حَتَّى عَبَّرَ بَأَرْسَنَاسٍ^(٥) سَوَابِحاً
يَقْمُضُنْ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ
بَسَخَرَتْ عَوْدَ أَوْ يُذِمُّ لَأَهْلِيهِ
فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَدَمٌ مِنَ الْوَرَى
نَظَرُوا إِلَى زَبَرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا
وَقَوَارِسُ يُخْبِي^(١٠) الْجِمَامُ نَفُوسَهَا
مَا زِلْتُ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكاً فِي الذَّرَى
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا
وقوله^(١٣):

لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمِلُهُ
تَحْمَلْتُهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَمَمُ^(١٤)

- (١) ديوانه (٤ : ١٧٦).
- (٢) الجياد: جمع جواد على غير قياس.
- (٣) الوعى: من أسماء الحرب. والأرسان: جمع رسن، وهو ما يكون في رأس الدابة.
- (٤) الجحفل: الجيش العظيم.
- (٥) أرسناس: نهر بالشام بارد الماء جداً، يسيل من ذوب الثلج.
- (٦) يقمضن: يثبن لشدة برده. والمدى: جمع مدية، وهي السكين. والخصيان: جمع خصي من الخيل.
- (٧) الذمام: العهد. والحدثنان: حوادث الدهر.
- (٨) أدم: أجار، وبنو حمدان: قبائل سيف الدولة.
- (٩) زبر الحديد: قطعه. والعقبان: جمع عقاب، وهو من سباع الطير.
- (١٠) في الأصلين: «يخبي». والحمام: الموت.
- (١١) الدراك: التتابع: وذرى الشيء: أعلاه.
- (١٢) الجماجم: جمع جمجمة، وهي أعلى الرأس. يريد أن الضرب لا يقع إلا في وجهه أو رأس ولا يتعرض لسائر الجسد.
- (١٣) ديوانه (٤ : ١٦).
- (١٤) كلت: ضعفت. والهمم: جمع همة، وهي العزيمة.

سُحِبَتْ تَمْرٌ يَحْضَنُ الرَّانِ مُنْسِكَةً
وَشُرِبَ أَخْمَتِ الشَّعْرَى شَكَائِمَهَا
تَزْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهُمْ سَعَةً
ضَرَبَتْهُ^(٥) بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً
وفيها:

هَنْدِيَّةٌ^(٦) إِنْ تُصَغَّرَ مَعْشَرًا صَغُرُوا
قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقِ^(٧) فَكَانَ لَهَا
وَقَدْ تَمَمَّوْا عَدَاةَ الدُّزْبِ فِي لَجِبٍ
فَكَانَ أَثَبَتْ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً
لَا يَأْمَلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ
أَلْهَى الْمَمَالِكِ عَنْ قَخِرٍ فَقُلْتُ بِهِ
مُقَلِّدًا قَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ^(١١)
وقوله^(١٢):

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ

- (١) حصن الران: موضع من بلاد سيف الدولة. والنقم: جمع نعمة، كنعم جمع نعمة.
- (٢) الشرب: جمع شارب؛ وهي الفرس الضامر. الشعري: نجم يطلع في الصيف ويكون فيه شدة الحر.
- (٣) الشكائم: جمع شكيمة، وهي رأس اللجام، والحكم: جمع حكمة، وهي ما على أنف الفرس.
- (٤) الشفرات: جمع شفرة، وهي حد السيف. والباترات: القاطعات. ومكامن الأرض: الخفيات منها. والغيطان: جمع غائط، وهو المظمن من الأرض.
- (٥) الطود: الجبل، والشمم: العلو.
- (٦) هندية: منسوبة إلى الهند.
- (٧) تل بطريق: بلد.
- (٨) الدرب: موضع. والذجب: اختلاف الأصوات.
- (٩) يقول: كانت جسامهم الثابتة ساقطة بين يديك وأرواحهم منهزمة.
- (١٠) يريد أنهم لا يضربون ضربة إلا قطعوا بها رأساً، فالرؤوس المقطوعة على قدر الضربات.
- (١١) ذا شطب: سيفاً فيه طرائق، والضمير في «منهما» للشكر والسيف.
- (١٢) ديوانه (٣: ٣٦٦)؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويعاتبه.

إِذَا رَأَيْتَ تُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً
وَمُهْجَةً مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا
رِجْلَاهُ فِي الرُّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ
يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِشُكْرِمَةٍ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَامِدُنَا
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْنُكُمْ ذَاكَ مَغْرَقَةً
مَا أَبْعَدَ الْغَيْبَ وَالثَّقْصَانَ مِنْ شَيْمِي^(٥)
لَيْتَ الْعَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ
وَشَرُّ مَا قَنَصْتُهُ رَاحَتِي قَنَصٌ
ويقول^(٩):

السَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهَهُ
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا
تُنْشِئُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ
إِذَا مَرَزْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا
يَا زَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودِّعُهُ
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ
وَالدَّهْرُ لَفُظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ
وَالْبَاسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ
بِالسُّنَنِ مَا لِهُنَّ أَفْوَاهُ
أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ
مُودِّعٌ دِينَئُهُ وَدُنْيَاهُ
فِيكَ مَزِيدٌ، فَزَادَكَ اللَّهُ

- (١) المهجة: الروح. والهم: ما اهتمت به. والجواد: الفرس الكريم. والحرم: ما لا يحل انتهاكه.
- (٢) أي إذا فارقتكم ووجدنا كل شيء، فوجدانه والعدم سواء لأنه لا يغني غناءكم أحد.
- (٣) أخلقنا: أحرانا. الأمم: القصد؛ يقول: ما كان أحراناً ببركم لو كان أمركم في الاعتقاد لنا مثل أمرنا في الاعتقاد بكم.
- (٤) النهي: العقول. الذم: العهد.
- (٥) في الديوان: «من شرفي».
- (٦) الأمطار.
- (٧) يصم: يعيب.
- (٨) الرحم: جمع رخمة، وهي طائر يشبه النسر في الخلقة. والشهب: جمع أشهب، وهو ما فيه بياض يخالطه سواد، والبراة جمع باز؛ وهو من جوارح الطير.
- (٩) ديوانه (٤: ٢٦٣). من قصيدة يمدح فيها أبا العشار، ويودعه حين سفره.

وقوله^(١):

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَهَا
فَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ
قَادَ الْمَقَانِبَ أَفْصَى شَرْبِهَا نَهْلٌ
لَا يَعْتَقِي^(٥) بَلَدَ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ
يُطْمَعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ
دَمَ الدُّمُسْتَقِ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ
فِيهَا الْكُمَاةُ الَّتِي مَفْطُومُهَا رَجُلٌ
كَأَنهَا تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكِهِمْ
إِذَا دَعَا الْعَلِجُ عَلِجاً حَالِ بَيْنَهُمَا
لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرَتْكُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ
وَإِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ أَنْتَ فَارِسُهُ
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
لَا يُسْلِمُ الْكَرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتُهُ
وَمَا حَمِدْتُكَ فِي هَوْلِ ثَبَّتَ لَهُ

فِي الدَّرْبِ وَالْدَّمُ فِي أَعْطَافِهَا دَفْعُ^(٢)
وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ^(٣)
عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذْنَى سَيْرِهَا سَرَعُ^(٤)
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبْعُ
حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقْعُ
سُودُ الْعِغَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَرَعُ^(٦)
عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلَيْهَا جَذَعُ^(٧)
فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسْعُ
أَظْمَى^(٨) تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضَّلْعُ
فَلَيْسَ بِأَكْلٍ إِلَّا الْمَيْتَةُ الضَّبْعُ
لِكِي يَكُونُوا بِلَا فُسْلٍ^(٩) إِذَا رَجَعُوا
وَكَانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(١٠)
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضْعُ
إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشَّيْعُ^(١١)
حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ^(١٢)

- (١) ديوانه (٢: ٢٢٣)، من قصيدة، أنشدها سيف الدولة، وقد عاد منهزماً من غزو الروم.
- (٢) خفت: أسرعت في الهزيمة. وقرها: ثبتها. والدرب: المضيق. وأعطافها: جوانبها. والدفعة من الشيء: ما انصب منه بمرة.
- (٣) أوحدته: تركته وحيداً. والقذع: الفحش.
- (٤) المقانِب: جمع مقنب، وهو زهاء الثلاثمائة من الخيل، والنهل: الشرب أول مرة.
- (٥) يعتقي: يعوق.
- (٦) الدمستق: صاحب جيش الروم، والقزع: المتفرق من السحاب.
- (٧) الضمير يعود على «سود العِغَام» في البيت قبله. الجذع: الذي أتى عليه حولان، والحولي: الذي أتى عليه حول.
- (٨) العليج: الرجل من كفار العجم. والأظمى: الرمح.
- (٩) الفسل: الدنيء العاجز من الرجال.
- (١٠) يشينك: يعيبك. الضرع: الضعيف.
- (١١) أسلمه: خذله. والكر: الرجوع مرة بعد أخرى. والأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر كل شيء. والشيع: الأتباع.
- (١٢) تمتصع: تذهب في الأرض هاربة. يقول: لم أحمذك في مواقف الهول إلا بعد أن اختبرتكَ، وعرفت ثباتك.

فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ بِهِ حَرَقٌ
وقوله (٢):

وَقَدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ بِهِ زَمَعٌ (١)

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَتَكَ فِيهِمْ
وَأَنْ دَمًا أَجْرَنْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشُّجَاعَةِ وَالنُّدَى
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
وقوله - يرثي عبداً لسيف الدولة (٥):

فَلَيْمَ مِنْهُمْ الدَّغْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ (٣)
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ
عَلَى الْقَتْلِ مُؤْمِقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ (٤)
وَأَنْ فُرَادَا رُغْنَتُهُ لَكَ حَامِدٌ
وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدٌ
لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى
سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا
وَأَوْفَى حَيَاةَ الْعَابِرِينَ لِصَاحِبٍ
وفيها:

بَكَى بَعْثُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبٍ
مُنَعْنَا بِهَا مِنْ جَنِيَّةٍ وَذُحُوبٍ
حَيَاةِ أَمْرِي خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبٍ

فَإِنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ
كَأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جِدَ
وَلَوْ لَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيِّنَتَا
تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَبْنِكَ فَأَلَمَّا
وقوله (٦):

فَمِنْ كَفِّ مِثْلَافٍ أَعْرَّ وَهُوبٍ
إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بَعْثُوبٍ
عَقَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبٍ
بَكَيْتَ وَكَانَ الضُّخْكَ بَعْدَ قَرِيبٍ

نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ (٧) نَمْشِي كَرَامَةً
لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ تُلِمْ بِهِ رَكْبَا

(١) الزمعة: رعدة تعتري الشجاع من الغضب.

(٢) ديوانه (١: ٢٧١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة؛ وقد أراد الذهاب إلى خرشنة، فعاقه الثلج.

(٣) انتضى السيف: جرده، يريد أنه سيف يجرده كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة، ويغمد ما تعود من الإحسان والصفح.

(٤) الشاكد: المعطي.

(٥) ديوانه (١: ٤٩).

(٦) ديوانه (١: ٥٦)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر ببناء مرعش.

(٧) الأكوار: جمع كور؛ وهو رحل الناقة.

تَذُمُ السَّحَابَ العُرَّى فِي فَعْلِهَا بِهِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ
ذَكَرْتُ بِهِ وَضَلًا كَانَ لَمْ أَفْزِ بِهِ
وقوله فيها:

مَضَى بَعْدَ مَا التَّفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً
وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطُّغْنِ سَوْرَةٌ
أَرَى كُلَّنَا يَنْبَغِي الْحَيَاةَ بِسَغِيهِ^(٣)
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الثَّقَى
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاجِدٌ
وفيها:

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً
وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ
وَجَيْشٌ يُشْنِي كُلَّ طَوْذٍ كَأَنَّهُ
كَانَ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُعَارَةَ^(٦)
ويقول - يذكر رسول صاحب الروم^(٧):

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ازْتِيَاخَكَ لِلثَّدَى
وَحَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا
وَكَتَّابَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامُهَا
وَقَدْ سَارَ فِي مَسَرَّكَ مَتَاهَا رَسُولُهُ
وَكُنْتُ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ
فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ
لَاذَرَبَ مِنْهُ بِالطُّغْيَانِ وَأَخَذَقِ^(٨)
قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْنِكَ سُبْقِي
فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُقَلِّقِ
كَتَبْتُ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الدُّمُسْتَقِ^(٩)

(١) في الديوان: «وثبا».

(٢) أراد بقوله «الرماحان» رماح الفريقين. والهدب: شعر الجفن. أي انهزم بعد ما اشتبكت الرماح ساعة، واختلط بعضها ببعض، كما تختلط الأهداب العليا والسفلى عند النوم.

(٣) في الديوان: «لسعيه».

(٤) في الأصلين: «الحرب».

(٥) الخريق: الريح الشديدة.

(٦) مغاره: إغارته. واللجاجة: الغبار.

(٧) ديوانه (٢: ٣١١).

(٨) السمهرية: الرماح المنسوبة إلى سمهر؛ وهو رجل كان يقوم الرماح. والصاغر: الذليل.

وأدرب، من الدربة، وهي العادة والجرأة على الأمر.

(٩) القدال: مؤخر الرأس.

وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمَ مِنْهُمْ حَبِيساً^(١) لِقَادٍ أَوْ رَفِيقاً لِمُعْتِقِي
وقوله^(٢):

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ ذَهْرِهِمْ
أَشَدُّهُمْ فِي التُّدَى هِرَّةً
سَمَا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهُمُومِ
وَمَنْ كُنْتُ بَخْرًا لَهُ يَا عَلِيَّ
وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا
وَكُنْ إِذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَلِي^(٣)
وقوله^(٤):

وَرَعْنِ بِنَا قَلْبَ الْفَرَاتِ كَأَنَّمَا
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجُهُ كُلِّ سَابِجٍ^(٥)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ
تَمَلُّ الْحُضُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا
وَلَمَّا رَأَوْهُ وَخَذَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ
فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وَشَيَّعَ قُلُوبَهُمْ^(٦)
وَأَنَا لَتَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِ
وفيها:

شَرِيكَ الْمَتَابَا وَالتُّفُوسُ غَنِيَّةٌ فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُؤِثَّهُ غُلُولُ^(٧)

(١) في الديوان: «أسيراً».

(٢) ديوانه (٢: ٩٦) من قصيدة أنشدها سيف الدولة، وقد استبطأ مدحه وأنكر ذلك.

(٣) رواية الديوان:

قواف إذا سرن عن مِقْوَلِي

ويروى أيضاً: «وهن إذا سرن».

(٤) ديوانه (٣: ١٠٢).

(٥) السابج: الفرس الذي يمد يديه عند الجري. وغمرة الماء: مجتمعه. والمسيل: مجرى ماء المطر.

(٦) التليل: العنق. (٧) الفل: المنهزم.

(٨) رواية الديوان:

بضرب حزون البيض فيه سهول

(٩) الغلول: ما أخذ من الغنائم قبل القسمة.

فَإِنْ تَكُنِ الدُّوَلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا
لِيَمَنْ هَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً
وَقَوْلُهُ (١):

أَيَذْرِي مَا أَرَابَكَ (٢) مَنْ يُرِيبُ
يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا
[وَكَيْفَ تُعَلِّكَ الدُّنْيَا بِشْيَاءٍ] (٤)
وَكَيْفَ تَتُوبُكَ الشُّكُورَى بِدَاءٍ
مَلَيْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ
وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا
مُجَلِّحَةً (٨) لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي
وَقَوْلُهُ (١٠):

وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ
بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ (١١)
مَا يَنْقُطُ الْعَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَبْتَسِمُ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا
وَقَوْلُهُ (١٣):

يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرُ
فَلَا انْتَهَى لَكَ فِي أَغْوَامِهِ عُمُرُ
مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفُ (١٤)

(١) ديوانه (١: ٧٢).

(٢) أرابك: أفزعك، والذي أفزع سيف الدولة دمل شكاه منه.

(٣) المقة: الحب.

(٤) زيادة من الديوان.

(٥) زيادة من الديوان.

(٦) دم صبيب: مصبوب.

(٧) الجنيب: المجنوب. والعشير: الغبار.

(٨) مجلحة: مصممة ماضية.

(٩) في الأصلين: المناحل. والمناحر: جمع منحور وهو موضع الذبح من الحلق.

(١٠) ديوانه (٣: ٣٧٥)، من قصيدة أنشدها يمدح سيف الدولة وقد عوفي من مرضه.

(١١) الديم: جمع ديمة، وهي السحابة.

(١٢) العارض: ما يلي الباب من داخل القم.

(١٣) ديوانه (٢: ٩٧)، من قصيدة يهنئ بها سيف الدولة بعيد الفطر.

(١٤) روضة أنف: لم ترع.

فَإِنْ حَطَّكَ مِنْ تَكْرَارِهَا^(١) شَرَفَ
 وقوله يذكر رسول صاحب الروم^(٢) :
 وَأَنْتَى اخْتَدَى هَذَا الرُّسُولُ بِأَرْضِهِ
 وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي جِيَادَهُ
 أَتَاكَ يَكَاذُ الرَّأْسِ يَجْحَدُ عَنْقَهُ
 فَمَا بَلَّغْنَاهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً
 وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثْتَ بِهِ
 فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ
 إِذَا عَايَنْتَكَ الرُّسُلُ هَانَتْ ثُقُوسُهَا
 وَقَدْ رَعَمُوا أَنَّ الثُّجُومَ خَوَالِدُ
 وَمَا كَانَ أَذْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا
 وقوله^(٣) :

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأُمُورِ حَتَّى
 وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْقُلُوبُ حَتَّى
 إِذَا مَا سِرْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ
 وَلَوْ غَيْرُ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا
 وَلَا قَى دُونَ ثَايِهِمْ^(٤) طِعَانًا
 وَخَيْلًا تَغْتَذِي رِيحَ الْمَوَامِي^(٥)
 ويقول^(٦) :

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا
 وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّافِيَيْنِ الْعَمَائِمُ^(٧)

(١) الضمير في تكرارها للأعوام . (٢) ديوانه (٣ : ١١٢) .

(٣) القساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذي تثيره الخيل بحوافرها .

(٤) في الديوان : « تحت الذعر » .

(٥) الجحافل : جمع جحفل ، وهو الجمع العظيم ، واستنظرته : انتظرته .

(٦) نظر فيه إلى قول البحثري :

لحظوك أول لحظة فاستصغروا من كان يعظم عندهم ويبجل

(٧) ديوانه (١ : ٧٦) ، أنشدها سيف الدولة وقد أوقع بيني كلاب .

(٨) في الأصلين : « نأيهم » . والثاني : جمع ثاية ، وهي حجارة تجعل حول البيت يأوي إليها الراعي ليلاً ، وهي مبارك الإبل ومرابض الغنم .

(٩) الموامي : جمع موماة ، وهي المغازاة . والسراب : الذي تراه نصف النهار كأنه ماء .

(١٠) ديوانه (٣ : ٣٨٠) .

(١١) الحدث : قلعة ، وسميت حمراء لأنها بنيت بحجارة حمراء ، أو لكثرة ما جرى عندها من الدماء .

سَقَّتْهَا الْعَمَامُ الْعُرُ قَبْلَ نُزُولِهِ
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَضَبَحَتْ
طَرِيدَةً دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَّدَتْهَا
تُفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
أَتَرَكُ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ
وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوْ أَقِفُ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى^(٢) هَزِيمَةً
ضَمَمْتُ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً
بَضْرِبَ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ^(٣) غَائِبٌ
وَقَوْلُهُ^(٤):

وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَضَبَحَ جَالِساً
وَكُلُّ أُنَاسٍ يَشْتَبِعُونَ إِمَامَهُمْ
وَرُبُّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثَتْهُ
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ
وَرَبُّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى أَصْبَبَتْهَا
جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا
وَقَوْلُهُ^(٥):

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى
خُلِفْتُ أَلَوْفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصُّبَا
أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا
لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بِأَكْبَا

(١) الجثث: جمع جثة، وهي الجسد. والتمائم: العوذ، واحدها تميعة. جعل الاضطراب بالفتنة فيها جنونا لها.

(٢) كلّمى: جرحى، وهزيمة: مهزومة.

(٣) في الأصلين: «والدهر غائب».

(٤) ديوانه (٣: ٣٩٣)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة.

(٥) في الأصلين «وأيامه».

(٦) القتام: الغبار.

(٧) البدياء: الأرض المقفرة البعيدة. والفض: الكسر. والختام: طابع الكتاب.

(٨) الكاعب: التي بدا ثديها للنهود. وشب الغلام: نشأ وكبر.

(٩) ديوانه (٤: ٢٨٤)، من قصيدة يمدح بها كافوراً، وهي أولى مدائحه له.

فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَ بِرَبِّهَا
وَجُزْءاً مَدَدْنَا بَيْنَ أَذَانِهَا الْقَنَا
تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتْ الصُّفَا
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعَا
تُجَادِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً
قَوَاصِدَ كَافُورِ تَوَارِكِ غَيْرِهِ
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ رَمَائِهِ
تُحَوِّزُ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي
وقوله (٤):

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونِ لِي
يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتَ جَيْشاً وَرَيْهَ
وَأَلْقَى الْقَمَّ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ
فَكُنْ فِي اضْطِئَاعِي مُحْسِناً كَمُجْرِبِ
وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبِ
وقوله (٧):

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُجِبِّهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِ (٨)
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ
وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالشَّكْلِمِ

(١) يريد خيلاً قليلاً الشعر، وهو مدح للفرس. والعوالي: الرماح.

(٢) الصفا: الصخر. والبزاة: جمع باز. وحوافيا: جمع حاف.

(٣) في رواية: «وتنظرن».

(٤) ديوانه (٢: ٢٧)، من قصيدة يمدح فيها كافوراً.

(٥) يشتهبون بمعنى يتشابهون. يقول: ما زال أهل الدهر يتشابهون إلى قبل وصولي إليك، حتى ظهرت أنت لي؛ فإذا أنت فردهم.

(٦) التقريب: ضرب من العدو، وكذلك الشد. والجواد: الفرس.

(٧) ديوانه (٤: ١٣٥)، من قصيدة يمدح بها كافوراً، وقد أهداه فرساً أدهم.

(٨) نظر فيه إلى قول الشاعر:

وما فسدت لي - يشهد الله - نية
عليك بل استفسدتني فاتهممتني

وما كلُّ هاءٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
وَأَبْلَجٌ^(١) يَغْصِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَةٌ
فَسَاقٍ إِلَيَّ الْعُزْفَ غَيْرَ مُكَدِّرٍ
فَأَحْسَنَ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ
ولو كنتُ أدري كم حَيَاتِي قَسَمْتُهَا
وقوله^(٣) :

أَمَا تَغْلُطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى
وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ^(٥)
وَعَيْنِي إِلَى أَذُنِّي أَغْرَ^(٦) كَأَنَّهُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جَسْمِهِ فِي إِهَابِهِ
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءُ أَذُنِي عَنْ أَنَّهُ
وَأَصْرَعُ أَيُّ الْوَحْشِ قَفِيئُهُ بِهِ
وما الخيلُ إِلَّا كالصديقِ قَلِيلَةٌ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَايَتِهَا^(٩)
وفيها :

يُرِيدُ بِكَ الْحُسَّادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ
إِذَا طَلَبُوا جَدَّوَاكَ أَعْطُوا وَحُكِّمُوا
وَسُمُرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُذَرَّبُ^(١٠)
وإن طلبوا المجد الذي فيك خيُّوا

- (١) في الديوان: «أبلج»، بالخاء، وهو العظيم، وهو من صفة الملوك. أما الأبلج بالميم فهو الجميل الوجه.
- (٢) الممجج: الذي لا يفهم. يقول: لم يكدر إحسانه إلي بالمن، ولم ينغصه بالأذى.
- (٣) ديوانه (١: ١٧٧)، من قصيدة يمدح فيها كافوراً.
- (٤) الاستفهام للتعجب، وتنائي: تفاعل، من التأني وهو البعد.
- (٥) كمتته، أي كمتت فيه، فترك الحرف ونصب الضمير مفعولاً به.
- (٦) الأغر: ذو الغرة، وهي البياض، ويريد به الفرس.
- (٧) الإهاب: الجلد. والرحيب: الواسع. يصف فرسه بعرض الصدر وسعة الجلد عليه؛ وكلاهما يقتضي سعة الخطو وسرعة العدو.
- (٨) قفيته: أتبعته؛ يقول: إذا طردت به وحشاً أدركه فصرعه. وأنزل عنه بعد الطرد وهو باق على نشاطه وقوة جريه؛ مثلما كان حين الركوب.
- (٩) الشيات: جمع شبة، وهي اللون.
- (١٠) المدرَّب: المحدد.

ولو جاز أن يَخُورُوا عَلَاكَ وَهَبَتْهَا
وَأَظْلَمَ أَهْلُ الظُّلَمِ مِنْ بَاتِ حَاسِدًا
وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ
وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي
وقوله^(١):

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ
جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ
وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ
فَعَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
تَحْبُو الرِّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا
سَهَرْتُ بَعْدَ رَجِيلِي وَخَشَةَ لَكُمْ
وَأِنْ بُلَيْتُ بِوُدِّ مِثْلٍ وَدَّكُمْ
وقوله^(٧):

بِرْغَمِ شَبِيبٍ^(٨) قَارَقَ السَّيْفَ كَفُهُ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيرَ الْتِفَافُهُ
ثَنَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا
وقوله^(١٠):

عُيُونُ رَوَاجِلِي إِنْ حِزْتُ عَيْنِي
وَكُلُّ بُغَامٍ رَايَحَةَ بُغَامِي^(١١)

- (١) ديوانه (٤ : ١٣٦)، من قصيدة قالها بمصر، وقد بلغه أن قوماً نعه في مجلس سيف الدولة.
- (٢) الضغن: الحقد والحسد. (٣) البهائم: الأرض التي لا يهتدى فيها.
- (٤) الرواسم: الإبل التي سيرها الرسيم (ضرب من السير)، الثفن: جمع ثفنة، وهي واحدة ثففات البعير، وهو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ.
- (٥) المرير: جمع مريرة، وهي القوة من الخيل. واستمر: استقام. وارعوى: انزجر. والوسن: النعاس.
- (٦) قمن: خليق وجدير. يقول: إن كنت في قوم آخرين وعاملوني معاملتكم فارتقهم كما فارتقكم.
- (٧) ديوانه (٤ : ٢٤٣)، من قصيدة يذكر فيها شبيباً ومخالفته كافوراً.
- (٨) شبيب هذا هو ابن جرير العقيلي، من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة.
- (٩) ثنى يده: ردها. والبنان: الأصابع؛ واحدها بنانة.
- (١٠) ديوانه (٤ : ١٤٣)، من قصيدة يصف فيها الحمى التي كانت تفتاده بمصر.
- (١١) حرت: تحيرت. البغام: صوت الناقة للتعب. ورزحت الإبل: سقطت من الإعياء هزلاً. شبه نفسه في التحير بالبهيمة؛ لأنها لا تدري أين تذهب.

فَقَدْ أَرَدَ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ
وَلَمَّا صَارَ وَدُ السَّاسِ خُبَاً^(٢)
وَصِرْتُ أَشْكَ فِيمَنْ أَضْطَفِيهِ
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً
وقوله^(٣) :

وَذَا لِسِرْتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا^(٤)
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي
أَرَاقِبُ وَفَتْهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ
وَيَضُوقُ وَغْدَهَا وَالصُّدُقُ شُرٌّ
ومنها :

أَلَا يَا لَيْتَ شِغْرِ يَدَيَّ أَتْمَسِي
وَهَلْ أَزِيهِ هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ
فَرُئْتَمَا شَقْنِيَتْ غَلِيلَ صَدْرِي
وَضَاقَتْ حُطَّةٌ فَحَلَضْتُ مِنْهَا
وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ
تَصَرَّفَ فِي عَنَانٍ أَوْ زِمَامٍ^(٥)
مُحَلَّاةٍ الْمَقَاوِدَ بِاللُّغَامِ^(٦)
بِسَيْرٍ أَوْ قَنَازَةٍ أَوْ حُسَامٍ
خَلَّاصَ الْخَمْرِ مِنْ تَسْجِجِ الْفِدَامِ^(٧)
وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ

- (١) قال ابن السكيت: العرب إذا عدت للسحاب مائة بركة؛ لم تشك في أنها ماطرة.
- (٢) الخب: المكر. والود: الحب والصدقة.
- (٣) ديوانه (٤: ١٤٦)؛ من القصيدة السابقة.
- (٤) المطارف: جمع مطرف، وهو من الشباب التي في طرفها علمان. والحشاي: جمع حشية، وهو ما حشي من الفرش مما يجلس عليه.
- (٥) قال الواحدي: يريد أنه يعرق لفراقها؛ فكأنها تغسله؛ لعكوفهما على ما يوجب الغسل. وإنما خص الحرام للقفية؛ وإلا فالجماع على الحلال كالجماع على الحرام.
- (٦) بأربعة سجام؛ أي ذات سجام فحذف. وأراد بالأربعة اللحاظين والموقين.
- (٧) العنان للفرس، والزمام للإبل، يقول: يا ليت يدي علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان الفرس أو زمام الإبل!
- (٨) الراقصات: الإبل. اللغام: زيد يخرج من فم البعير.
- (٩) القدماء: ما يجعل على رؤوس الأباريق التي يكون فيها الخمر.

يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئاً وَذَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
وَمَا فِي طَبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ أَضُرُّ بِجَسْمِهِ طُولَ الْجَمَامِ^(١)
تَعَوَّدَ أَنْ يُعْبَرَ فِي السَّرَابِ^(٢) وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ^(٣) لَهُ فَيَزَعِي وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ اضْطِبَارِي وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حُمَّ اغْتِزَامِي
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ

وهذه القصيدة كلها مختارة؛ لا يعلم لأحد في معناها مثلها. والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد، قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها؛ فجاءت مطبوعة مصنوعة. وهذا القسم من الشعر هو المطيع المؤيس.

قصيدة لابن المعتدل في الحمى

وقد أحسن عبد الصمد^(٤) بن المعتدل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحمى، وقصر في الضادية وفي مقاطيع له في وصفها، وكان أبا الطيب قصد تنكّب معانيه فلم يُلَمَّ بشيء منها؛ قال عبد الصمد^(٥):

وَبِئْتُ الْمَنِيَّةَ تَنْتَابُنِي هَدُؤًا وَتَطْرُقُنِي سُخْرَهِ^(٦)
إِذَا وَرَدَتْ لَمْ يَدْعُ وَزَدَهَا عَنِ الْقَلْبِ حَجَبٌ وَلَا سُتْرَهِ^(٧)
كَأَنَّ لَهَا ضَرَمًا فِي الْحَشَى وَفِي كُلِّ غُضْوٍ لَهَا جَمْرَهِ
إِذَا لَمْ تَرُخْ أَضْلًا فِي الْعَشَى فَأَقْصَى مَوَاعِدِهَا بُكْرَهِ
لَهَا قُدْرَةٌ فِي جَسُومِ الْأَنَامِ حَبَاهَا بِهَا اللَّئُ ذُو الْقُدْرَهِ
تَغَالَيْتُ بِأَسْمِ سَوَاهِلِهَا كَأَنْ لَيْسَ لِي بِأَسْمِهَا خُبْرَهِ
فَطَوَّرْتُ الْقُبْهَ^(٨) سَخْنَةً وَطَوَّرْتُ الْقُبْهَ فَتْرَهِ
أَسْأَلُ أَهْيَ عَنْ سَخْنَتِي وَأَمْنَحُهُمْ نَظْرَةَ نَظْرَهِ

- (١) الجمَام: أصله أن يترك الفرس فلا يركب؛ ويريد به هنا الراحة.
- (٢) السرايا: جمع سرية، وهي التي تسري إلى العدو في الحرب. والقَتَام: الغبار.
- (٣) لا يطال له: لا يرخى له الطول، وهو الجبل.
- (٤) هو من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، توفي نحو سنة ٢٤٠هـ.
- (٥) ديوان المعاني (٢: ١٦٧)، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات.
- (٦) السخرة كالسحر: آخر الليل قبيل الصبح.
- (٧) السترة: ما استترت به من شيء كائنًا ما كان.
- (٨) في ديوان المعاني: ألقبها (بالياء).

فأَجْزَعُ إِن قِيلَ لِي حُمْرَةٌ وَأَشْفَقُ إِن قِيلَ لِي صُفْرَةٌ
وَصِرْتُ إِذَا جُعْتُ بَوْمًا ظَلَلْتُ كَأَنَّ عَلَى كَبِيدِي شَفْرَةٌ
وَيَرْبُو الطَّحَالُ إِذَا مَا شَبَعْتُ فَتَعْلُو التَّرَائِبُ وَالصُّدْرَةَ^(١)
فَأُمْسِي كَأَنِّي مِنْ مَعْدَتِي لَبَسْتُ الثِّيَابَ عَلَى زُكْرَةٍ^(٢)
إِذَا مَا رَأَيْتُ امْرَأً مَظْلَقًا لَهُ الْأَكْلُ تَخْتُقْنِي الْعَبْرَةُ
كَأَنِّي فِي مَنْزِلِي مُخَصَّبًا بَبْلَقَعَةٍ جَذْبَةٍ قَفْرَةٍ

موازنة بين المتنبي وابن المعتز

فأحسن وأجاد، وملح واتسع، وأنت - إذا قُست أبيات أبي الطيب بها على قصيرها، وقابلت اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظٌّ في النقد تبينت الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكره أن أبت حكماً أو أفضل قضاء، أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُخِين مصيب.



وقوله^(٣):

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بَيْضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تُسَوِّدُ بَيْضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ^(٤)
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ اخْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَزْجُلِهَا حَتَّى مَرَقْنَا بِنَا مِنْ جَوْشٍ وَالْعَلَمِ^(٥)
فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَا رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزَّلَمِ^(٦)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَفْلَامِي قَوَائِلُ لِي: الْمَجْدُ لِلْسَيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ^(٧) بِهِ

(١) الصدر: الصدر.

(٢) الزكرة: زق يجعل فيه شراب أو خل.

(٣) ديوانه (٤: ١٥٥)، من قصيدة يذكره مسيره من مصر ويرثي فاتكا.

(٤) العذر: جمع عذار، والمراد به الشعر النابت في موضع العذار، واللمم: جمع لمة، وهي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

(٥) جوش والعلم: جبلان، والضمير يعود على البيت الذي قبله، وهو:

لا أبغض العيس لكمني وقيت بها قلبي من الحزن أو جسمي من السقم

(٦) أخطروا أرواحهم: حملوا أرواحهم على الخطر. الأيسار: هم الذين ينحرون الجزور ويتقارعون عليها بالفداح، وهو ما كانت تفعله الجاهلية. والزلم: السهم.

(٧) الكتاب: مصدر الكتابة.

مَنْ أَقْتَضَى بِسَوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
تَوَهُّمَ الْقَوْمِ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً
فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَسْزُورَهُمْ
صُنًا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ
وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتُهُ
وقوله (٤):

تَزَاخَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجْزِ بَبَا
فَكُنْتُ أَشْهَدُ مُحْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ
وقوله (٥):

إِنْ تَرَيْنِي أَدُمْتُ بَعْدَ بَيَاضِ
صَحْبَتُنِي عَلَى الْفَلَاةِ قَتَاةً (٦)
سَتَرْتُكَ الْجَحَالَ عَنْهَا وَلَكِنْ
وقوله (٩):

أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى
إِذَا حَارَ مَالًا فَقَدْ حَارَهُ
وقد عَلِمْتُ خَيْلَهُ أَنَّهُ
قَتَاةٌ، وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ
قَتَى لَا يُسَرُّ بِمَا لَا يَهَبُ
إِذَا هُمْ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ

(١) في الديوان:

بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

- (٢) الخدم: جمع خذوم، وهو السيف القاطع.
(٣) الكرم: قصر اليد، وفي الأصل: الكرم. قال ابن القطاع: قد صحف هذا البيت جماعة فرووه.
«الكرم»: ضد البخل، ولا معنى له هنا، وإنما الصحيح الكرم (بالزاي)، وهو قصر اليدين بالبخل.

(٤) ديوانه (٢: ٩٨).

(٥) ديوانه (٣: ١٥٠)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويشكره على هديته.

(٦) أدم: شحبه لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره. والقناة: الرمح.

(٧) يريد الشمس. وجعلها قتاة لأن الزمان لا يؤثر فيها.

(٨) اللمي: سمرة تكون في الشفتين.

(٩) ديوانه (١: ٩٩)، من قصيدة أرسلها إلى سيف الدولة وقد كتب إليه يستدعيه.

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعِ مِنْ أَرْضِهِمْ
وَلَا تَغْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهٍ
وَقَوْلُهُ - يصف السيف^(٢) :

قَلَّدْتَنِي بِمِثْنِهِ بِحُسَامٍ
كَلِمَا اسْتُلَّ ضَا حَكْنُهُ إِبَاءً
مَثْلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَشْيَةُ الْفَقْ
مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَقِّ ذَهَباً يَحُرُّ
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْ
جَمَعَ الدَّهْرُ حَذَّهَ وَيَذِيهِ
وَقَوْلُهُ^(٦) :

تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
وَأَوْجُهُ فِثْيَانِ حَيَاءٍ تَلْتُمُوا
إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوْدَّةً
وَمَنْ يَضْحَبُ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْنِسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ
كَأَنَّا أَرَادَتْ سُكْرُنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ
فَتَى قَاتَتِ الْعَدَوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى
وَمَبْثُوثَةً^(٩) لَا تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ

تَجَائِبُ^(٧) لَا يُفَكِّرُنَ فِي التَّحْسِ وَالسَّعْدِ
عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفاً مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ
أَجَارَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ
يَسْرِ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ^(٨) وَالْأُسْدِ
فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاةَ سِوَى الرُّعْدِ
فَلَمْ يُخْلِسْنَا جَوْ هَبْطَنَاهُ مِنْ رَفْدِ
فَمَا أَرَمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ
بِمَشْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَشْصُورَةِ الْجُنْدِ
وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا تَجْدِ

(١) الضمير في أتاهم للدمستق، السيب: شعر الناصية والعرف والذنب. العسيب: منبت الذنب من الجلد والعظم.

(٢) ديوانه (٢: ٥٠).

(٣) إِبَاءُ الشمس: ضوءها. الأَرَادَ: يجوز أن يكون جمع رَأَد وهو الضوء، وأن يكون جمع رَدَد، وهو التراب.

(٤) الأثر: فرند السيف. وهو ماؤه وجوهره.

(٥) المدجج: المغطى بالسلاح. البدادان: جانبا السرج.

(٦) ديوانه (٢: ٦١)، من قصيدة قالها وقد ورد عليه كتاب من عضد الدولة يستزيره، فسار إليه، وودع ابن العميد.

(٧) التجائب: جمع نجيب، وهو الكريم من الإبل.

(٨) الأساود: الأفاعي.

(٩) المبثوثة: الغارة التي تشن. وهذه الكلمة معطوفة على «كتائب» في بيت قبله وهو:

إذا ارتقبوا صباحاً رأوا قبل ضوءه كتائب لا يردي الصباح كما تردي

يَغِضُنْ إِذَا مَا غِرُنْ فِي مُتَّفَافِدٍ^(١) مِنْ الْكُثْرِ غَانٍ بِالْبَعِيدِ عَنِ الْحَشْدِ
حَثَّ كُلُّ أَرْضٍ تُزْبَةُ فِي^(٢) غُبَارِهِ فَهَنْ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ^(٣) فِي الْبُرْدِ
وقوله^(٤):

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتُ عَلَى قُودِي لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَجِيلاً
لَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِعَ لَيْسَ بِدَرِي
وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصِرٌ بَوَجْدٍ إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طَرْقِي فَكُونِي فَلَوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِينَ خَمْسٍ
وقوله^(٥):

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي الْقَلْبَ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بَوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ وَقَوْلُهُ^(٦):

قَسُومٌ بُلُوغُ الْغَلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنٌ تُحُورِ الْكُمَاةَ لَا الْحُلُمَ^(٧)

(١) في الأصلين: «عدن». وفي الديوان «يغصن» بالصاد. المتفاد الذي يفقد بعضه لكثرتة واضطرابه.

(٢) في الأصلين: «من».

(٣) الطرائق هنا: الخطوط في الشيء.

(٤) ديوانه (٢: ٣٨٧)، من قصيدة قالها عند وداع سيف الدولة.

(٥) الذرى: الكنف والناحية.

(٦) تشرين: شهر من أشهر الفرس، وهو أول سنتهم؛ والسمك يرى في هذا الوقت نفسه.

(٧) ديوانه (٣: ٢٩٣)، من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس.

(٨) السنابك: مقدم الحوافر.

(٩) ديوانه (٤: ٦٤)، من قصيدة يمدح فيها علي بن إبراهيم التنوخي.

(١٠) النحور: جمع نحر، وهو موضع القلادة، والكماة: جمع كمي وهو المستتر في سلاحه، والحلم: البلوغ. يقول: بلوغ الغلام عند هؤلاء الممدوحين أن يحمل على الأعداء في الحرب فيقطعهم.

كَأَنَّمَا يُؤَلِّدُ التُّدَىٰ مَعَهُمْ إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوتَا تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اغْتِيَادَهُمْ^(٢) إِنْ بَرَفُوا^(٣) فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ حَلَفُوا بِالْغُمُوسِ^(٤) وَاجْتَهَدُوا أَوْ رَكِبُوا الْحَيْلَ غَيْرَ مُسَرَّجَةٍ أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَاقِحًا^(٥) أَخَذُوا تُشْرِيقَ أَعْرَاضَهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ أَعْيَدُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ وَقَوْلُهُ^(٦):

مَلِكٌ سَيَّانٌ قَنَاتِهِ وَبَنَائِهِ إِنْ تَلَقَّه لَا تَلَقَ إِلَّا جَحْفَلًا وَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا كَالْبَحْرِ يَقْفِذُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا وَقَوْلُهُ يَصِفُ كَلْبًا^(٩):

فَحَلَّ كَلَابِي^(١٠) وَثَاقَ الْأَخْبُلِ
عَنْ أَشَدِّقِ مُسَوِّجِرٍ^(١١) مُسْلَسَلٍ

- (١) الصنيعة: ما صنعوا من المعروف؛ يقول: إذا عادوا فإنهم يظهرون بالعداوة، وإذا اصطنعوا صنيعة أخفوها.
- (٢) الاعتداد: ما يعتد به؛ يريد أنهم لا يعتدون بصنيعهم وإنعامهم؛ كأنهم لم يعلموا بذلك.
- (٣) برقوا: خوفوا وهددوا.
- (٤) الغموس: هي اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم.
- (٥) اللاقح: الحرب الشديدة.
- (٦) ديوانه (١: ١٢٥)، من قصيدة يمدح فيها علي بن منصور الحاجب.
- (٧) عرفا: معروفا. (٨) الجحفل: الجيش. القسطل: الغبار.
- (٩) ديوانه (٣: ٢٠٣)، من قصيدة يصف فيها كلباً أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي.
- (١٠) الكلاب: الذي يسوق الكلاب ويصيد بها.
- (١١) الأشدق: الواسع الشدق؛ والمسوجر: الذي في رقبته ساجور؛ القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب.

مُؤَجَّدِ الْفُقْرَةِ^(١) رَخْوِ الْمَفْصِلِ
لَهُ إِذَا أَذْبَرَ لَحْظَ الْمُقْبِلِ
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَذْوُ الْمُسْهَلِ
يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُضْطَلِّي
بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ
فُتْلِ الْأَيَادِي رِبْذَاتِ^(٢) الْأَرْجَلِ
آثَارُهَا أَمْثَالُهَا فِي الْجُنْدَلِ
يَكَاذُ فِي الْوَتْبِ مِنَ التَّفْتُلِ^(٣)
يَجْمَعُ بَيْنَ مَثْنِيهِ وَالْكَلْكَلِ
وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ

وقوله^(٤) :

أَغْرَّ أَغْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا
يُفِيلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ^(٥)
جُرْدَاءَ مِلءِ الْجِرَامِ مُجْفَرَةٍ
إِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتُ: لَا تَلِيلَ^(٦) لَهَا
سَارٍ وَلَا قَفَرٍ فِي^(٧) مَوَاكِبِهِ
إِنَّكَ مِنْ مَغْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا
كَتِيبَةٍ^(٨) لَسْتُ رِيَّهَا نَفْلُ
بِالْهَرَبِ اسْتَكْثَرُوا الَّذِي فَعَلُوا
أَزْيَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِيلُ
تَكُونُ مِثْلِي عَسِيبَهَا الْخُصْلُ^(٩)
أَوْ أَقْبَلْتُ قُلْتُ: مَا لَهَا كَفَلُ
كَأَنَّمَا كُلُّ سَبَسٍ^(١٠) جَبَلُ
مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا
وَبِلْدَةٍ لَسْتُ حَلِيَّهَا عَاطِلُ

(١) مؤجد: قوي موثق. رخو المفصل: شديد الممتن لين المفاصل.

(٢) فتل: جمع فتلاء وهي اليد التي بانَتْ عن الصدر فلم يمسها عند العدو. الربذات: الخفيفات السريعات.

(٣) التفتل: الانفتال؛ وهو السرعة.

(٤) ديوانه (٣: ٢١٣)، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار، وقد فصد لعله.

(٥) السابحة: الفرس التي كأنها تسبح في جريها.

(٦) الجرداء: القليلة الشعر. مجفرة: واسعة الجوف. العسيب: عظم الذئب.

(٧) التليل: العنق. والكفل: الردف.

(٨) في الأصلين: «من».

(٩) السبسب: المتسع المستوي من الأرض.

(١٠) الكتيبة: الجماعة من الخيل. والنفل: الغنيمة. والعطل: التي لا حلي عليها. يقول: كل جماعة لست أميرها، فهي غنيمة لمن وجدها، وكل بلدة لست زينتها فهي عاطل.

ثم وصف خطأ الفاصد فقال :

عُذِرَ الْمَلُومِينَ فِيكَ أَتَاهُمَا
مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدَا
خَامَرَهُ إِذْ مَدَدَتْهَا جَزَعُ
أَبْلَغَ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبِ
وقوله (٣) :

سَبَقَتْ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى
وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ بِمِثْلِ شَيْءٍ
أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ
وقوله (٤) :

مَحَكُ (٥) إِذَا مَطَّلَ الْغَرِيمُ بَدَنِيهِ
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ
ثم وصف الأسد فقال (٦) :

وَقَعْتَ عَلَى الْأَرْدُنْ (٧) مِنْهُ بَلِيَّةٌ
مُتَحَضِّبٌ بَدَمَ الْقَوَارِسِ لَا بَسْ
مَا قُوبِلْتُ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنُّنَا
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ بَيْهٍ
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ (٨) إِلَى يَأْفُوجِهِ
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُرْمَجَرُ نَفْسُهُ
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا
أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ وَبَرِيرَ (٩) دُونَهَا

- (١) الآسي : الطبيب، والمبضع : حديدة الفاصد، والبطل : الشجاع.
(٢) خامره : خالطه، والحذافة : الحذق.
(٣) ديوانه (٣ : ٢٣١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.
(٤) ديوانه (٣ : ٢٣٥)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر الأسد.
(٥) المحك : اللجوج.
(٦) ديوانه (٣ : ٢٣٧).
(٧) الأردن : موضع بالشام.
(٨) الغيل : الأجمة.
(٩) الفريق : الجماعة.
(١٠) الغفرة : الشعر اجتمع على فناه.
(١١) شكل الدابة : شد قوائمها بحبل.
(١٢) بربر : صاح.

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٌ^(٢)
نَيْالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا
تَنذِي سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرَتْهَا
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
وَيَذُقُ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ^(٤) كَأَنَّهُ
أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ
وَالْعَارَ مَضَاضٌ^(٥)، وَلَيْسَ بِخَائِفٍ
قَبَضْتُ مِنْبِئْتَهُ يَدَيْهِ وَعُنُقُهُ
وَلَوْلَا أُبَيَاتُ الْبِحْتَرِي فِي هَذَا الْمَعْنَى لَعُدْتُ هَذِهِ مِنْ أَفْرَادِ أَبِي الطَّيِّبِ؛ لَكِنِ
الْبِحْتَرِيُّ قَالَ يَصِفُ قَتْلَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَسَدًا عَرَضَ لَهُ^(٦):

عُدَّةٌ لَقِيتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ
يَحْضُنُهُ مِنْ نَهْرِ نَيْزِكَ مَغْقِلٌ
إِذَا شَاءَ عَادَى عَانَهُ^(٨) أَوْ عَدَا عَلَى
بِجَرٍّ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلِّ شَارِقٍ
فَلَمْ أَرِ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا
هَزْبَرٌ مَشَى يَبْغِي هَزْبَرًا وَأَعْلَبٌ
أَذَلُّ بِشْغَبٍ^(١٢) ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ

- (١) الأزل: القليل اللحم.
- (٢) ظامئة الفصوص: عطاش ليست برخوة رهلة. طمرة: وثابة.
- (٣) السوالف: جمع سالفة، وهي صفحة العنق، استحضرتها: حملتها على الحضر، وهو العدو.
- (٤) الحججار: الأحجار. الحضيض: قرار الأرض عند منقطع الجبل.
- (٥) مضاض: موجد ومحرق. والحتف الهلاك.
- (٦) ديوانه (١: ٥٦).
- (٧) في الديوان: «تسامى روضه». تأشب: التفت.
- (٨) العانة: القطيع من حمر الوحش.
- (٩) تقنص: اقتنص، اصطاد. الربرب: القطيع من بقر الوحش.
- (١٠) العييط: من عبط الذبيحة إذا نحرها من غير علة وهي سميكة فتية. الرميل: الملطخ بالدم.
- (١١) النكس: الضعيف.
- (١٢) شغبهم وبهم وعليهم: هيج الشر عليهم.

فَأَخْجَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَظْمَعاً وَأَقْدَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَباً
حَمَلْتُ عَلَيْهِ السِّيفَ، لَا عِزْمُكَ انْثَنَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَسْدُهُ نَسَباً
وَكُنْتُ مَتَى تَجْمَعُ بِمِينِكَ تَهْتِكُ الضُّدَّ رِيْبَةً أَوْ لَا تُبْقِ لِلْسِّيفِ مَضْرِباً

فاستوفى المعنى، وأجاد في الصِّفة، ووصل إلى المراد، وأما أبو زبيد فإنما وصف خلق الأسد وزئيره وجراثة وإقدامه، وكأنما هو مرعوب أو محذر، والفضل له على كل حال، لكن هذا غرض لم يرُمه، ومذهب لم يسلكه.

وقوله^(١):

نَيْطَطُ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِي مِخْرَبٍ^(٢) مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى
أَمْضَى إِزَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ^(٣) وَاسْتَفْرَبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا
وقوله^(٤):

وَجَدْتُ السُّدَامَةَ غَلَابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ^(٥)
تُسِيءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ^(٦)
وَأَنْفَسُ مَا لِلْقَتْلِ لُبُهُ وَدُو السُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ
وَقَدْ مُتُّ أَمْسٍ بِهَا مَوْتُهُ وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ^(٧)
وقوله^(٨):

قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ^(٩) فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَقَّى الْهُنْدُوَانِيَّ وَالنُّصْرُ
فَتَجَاءُ بِهِ صَلْتُ^(١٠) الْجَبِينِ مُعْظَمًا تَرَى النَّاسَ قُلًا حَوْلَهُ وَهُمْ كُثْرُ
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشُّوقُ نَحْوَهُ يُسَاسِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ

(١) ديوانه (٤: ١٩٩)، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.

(٢) المحرب: صاحب الحرب الممارس لها. والضمير يعود على السيف وإن لم يذكره.

(٣) قد: حرف لما مضى، وجعلها بمنزلة الأسماء؛ فأعربها.

(٤) ديوانه (٢: ٣٥٠) وهي أبيات أنشدها بدر بن عمار حين عرض عليه الصبحة.

(٥) المدامة: الخمر؛ يقول: إنها تغلب العقول فلا تستطيع مقاومتها.

(٦) أي تسيء أدبه في اللفظ والحركات؛ فلا يتقيد بأداب المجلس، وتحسن أخلاقه بما تظهر فيه من حب السباحة وطيب المفاهكة.

(٧) جعل ذهاب عقله بالخمر موتاً، فقال: ومن مات مرة لا يشتهي أن يعود إلى الموت.

(٨) ديوانه (٢: ١٥٥)، من قصيدة يمدح فيها علي بن أحمد الأنطاكي.

(٩) في الأصلين: «الصمت»، تحريف. والقرآن: مقارنة الكوكبين، استعارة لاجتماع جدييه في نسبه. والصلت: جد الممدوح لأمه، وعامر: جده لأبيه. والهندواني: السيف المطبوع.

(١٠) صلت الجبين: واضح الجبين.

وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامَ عَثْبِي كَأَنَّمَا
وَقَوْلُهُ (٢):

وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجَدٍ قُلُوبِنَا
وَدُسْنَا بِأَخْقَافِ الْمَطِيِّ تُرَابَهَا
دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ
جِسَانُ التَّقِي يَنْقُشُ الْوُشْيَ مِثْلَهُ
وَيَبْسِمُنَّ عَنْ دُرٍّ تَقْلُدُنَّ مِثْلَهُ
مِنَ الْجِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلُ دُونَهُ
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
وَفِيهَا:

وَذِي لَجَبٍ (٥) لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ كَالِيلَةٍ
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ قَرْجَةً
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةً (٧)
وَطَغْنَ غَطَارِيفُ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ
حَمَتُهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

بَنَاجٍ، وَلَا الْوُخْشُ الْمُقَارُ بَسَالِمٍ
تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَاعِمِ (٦)
تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ
ضِرَاباً يُمَسِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ
عَرَفَنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ (٨)
سُيُوفُ بَنِي طُعْجٍ بَنِ جُفِّ الْقِمَاقِمِ (٩)

(١) الخبير، بالضم والكسر: الاختبار.

(٢) ديوانه (٤: ١١٠)، من قصيدة يمدح فيها الحسن بن عبيد الله بن طغج.

(٣) الأذواد: جمع ذود؛ وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل.

(٤) التراقي: جمع ترقية، وهي العظام التي فوق الصدر. والمباسم: جمع مبسم، وهو الثغر.

(٥) اللجب: كثرة الأصوات في الحرب.

(٦) القشاعم: السور. ورواية الديوان:

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة

(٧) برقة: موضع ذو حجارة ورمل وطين. والضراب: المحاربة.

(٨) الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم. والردينيات: جمع رديني، وهو الرمح المنسوب إلى ردينة؛ امرأة من العرب كانت تقوم الرماح. والمعصم: موضع السوار من الساعد.

(٩) الضمير في حمته يعود إلى «ذي لجب» وهو الجيش، القماقم: جمع قمقام، وهو السيد العظيم.

هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرُّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَأَحْسَنُ مِنْهُ^(١) كَرَّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ
 وَلَوْلا اخْتِقَارُ الْأَسَدِ شَبَّهَتْهُمْ بِهَا^(٢) وَلَكِنَّهَا مَغْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ
 كَرِيمٌ نَقَضَتْ النَّاسَ لَمَّا لَقِيَتْهُ^(٣) كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَادِمٍ^(٤)
 وَكَادَ سُرُورِي لَا يَقْبِي بِئِذَا مَتَنِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ
 وقوله^(٥):

وَشَامِخٌ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدُ^(٦)
 قَزْدٌ كَيَّا فَوْخِ الْبَعِيرِ الْأَضِيدِ^(٧)
 يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالْجَلْمَدِ^(٨)
 فِي مِثْلِ مَثَنِ الْمَسْدِ الْمُعَقَّدِ^(٩)
 زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ
 [لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمْرُدِ]^(١٠)
 بِكُلِّ مَسْقِي الدَّمَاءِ أَسْوَدِ
 [مُعَاوِدِ]^(١١) مُقَوِّدِ مُقْلَدِ
 كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ
 يَقْتُلْ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي^(١٢)
 فَتَارٍ مِنْ أَخْضَرِ مَمْطُورِ نَدِي

(١) في الأصلين: «منها».

(٢) هكذا بالأصل، قال في شرح العكبري: وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه:

«شبهتهم بها». وفي الديوان: «شبهتها بهم».

(٣) رواية الديوان:

كريم نقضت الناس لما بلغته

(٤) المعنى: نفضت الناس لما وصلت نفض القادم حثالة زاده، لاستغنائه عنه بعد القدوم عليه.

(٥) ديوانه (٢: ٣). اجتاز الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ببعض الجبال، فأنارت الغلمان ظلياً فتلقفته الكلاب، فأنشد هذه الأرجوزة مرتجلاً.

(٦) الأقود: المنقاد طولا.

(٧) الأصيد: الذي في عنقه اعوجاج من داء به. والصيد: داء يأخذ الإبل في أعناقها.

(٨) الجلمد: الصخر.

(٩) المسد: الحبل من ليف أو شعر.

(١٠) الزيادة من الديوان. التمرد: اللعب والبطر.

(١١) معاود: يعاود الصيد. ومقود: جعل له مقود يقاد به إلى الصيد. ومقلد: له قلادة. والزيادة من الديوان.

(١٢) لا يدي: أي لا يطالب بديّة ولا تجب عليه دية.

كَأَنَّهُ بَذَّ عِذَارَ الْأَمْرِ
فَلَمْ يَكْذُ إِلَّا لِخُتْفِ يَهْتَدِي
وَلَمْ يَقْعْ إِلَّا عَلَى بَطْنِ يَدِ

وقوله (١):

فَتَى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُوهُ
فَقَدْ غَيَّبَ الشُّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ
أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ
لَعَلَّكَ فِي وَقَبٍ شَغَلَتْ فَوَادَهُ
وقوله (٥):

يَرَى الْجُبْنَاءَ أَنَّ الْجُبْنَ عَقْلٌ (٦)
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ
وقوله (٨):

يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَغْ
بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِ
وَتَكَاذُ الظُّبَى لِمَا عَوَّدُوهَا
وَتَنَاضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَغْنَقِ

(١) ديوانه (١: ١٥٢)، من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي.

(٢) في الأصلين: «الأعادي»، وهذه رواية الديوان.

(٣) الرغائب: جمع رغبة، وهي العطية التي يرغب فيها.

(٤) الرواجب: واحدتها راجبة، وهي مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل، والفاطميون: أولاد فاطمة، الكتائب: جمع كتيبة، وهي الجماعة من الخيل.

(٥) ديوانه (٤: ١٢٠)، من قصيدة أنشدتها أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وقد غزا أنطاكية.

(٦) رواية الديوان:

يَرَى الْجُبْنَاءَ أَنَّ السَّعْجَ عَقْلٌ

(٧) رواية الديوان:

عَلَى قَدْرِ الْقَرِيحَةِ وَالْعُلُومِ

(٨) ديوانه (٢: ٣٦٦)، من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي.

(٩) الحارث بن لقمان: جد أبي العشائر (الممدوح). والعناق: الخيل الكرام.

وإذا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْفِ
كُلِّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا
جَاعِلٍ دِرْعَهُ مَنِيئَتَهُ إِنْ
كَرِمَ خَشَنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ
وَمَعَالٍ إِذَا ادَّعَاهَا سِوَاهُمْ
وقوله (٣):

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحْلُهُ الثُّوَارُ (٤)
وَإِذَا ازْتَحَلْتَ فَشَيْعَتُكَ سَلَامَةٌ
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْفِدَى
أَنْتَ الَّذِي بَجَحَ (٦) الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ
وقوله فِي بَازٍ أَطْلُقُ (٧):

وطائرة تَتَّبِعُهَا الْمَنَايَا
كَأَنَّ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غِلَازٍ
فَأَقْعَصَهَا بِحُجْنٍ (١٠) تَحْتَ صُفْرِ
كَأَنَّ الرِّيشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ
فَقُلْتُ: لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمٌ سَوْءٌ
عَلَى آثَارِهَا زَجَلُ الْجَنَاحِ (٨)
مُسْخَنَ بَرِيشٍ جُؤْجُؤِ الصَّحَاخِ (٩)
لَهَا فِعْلُ الْأَيْسَةِ وَالرَّمَاخِ (١١)
عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَاخٍ
وَإِنْ حَرِصَ النَّفْسُ عَلَى الْفَلَاحِ

- (١) الذمر: الرجل الشجاع، والمحاق - بضم الميم وكسرهما: نقصان القمر في أواخر الشهر.
(٢) الشفار جمع شفرة، وهي حد السيف، والرقاق: الحداد القاطعات.
(٣) ديوانه (٢: ٨٦)، يمدح سيف الدولة.
(٤) فِي رَوَايَةٍ:

سِرْ حَيْثُ شَتَّتَ يَحْلُهُ النُّوَارُ

- (٥) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. والمدرار: الدائم الدر.
(٦) بجح، بالكسر ويفتح: فرح.
(٧) ديوانه (١: ٢٥٩)، وهي أبيات أنشدها وقد أرسل أبو العشائر بازيًا على حجلة فأخذها.
(٨) زجل الجناح: الذي يضرب بجناحيه إذا طار.
(٩) الجؤجؤ: صدر الطير؛ يريد نقش صدره، فشبّه سواد صدره برؤوس أقلام غلاظ مسحن في ثوب أبيض.
(١٠) القمص: دق العنق، وهو الموت السريع؛ وحجن: جمع أحجن، أحجن المخالب: معوجها.
(١١) فِي الْأَصْلِينَ: «فعل الأسنه والصفاح».

وقوله^(١):

فَوَاهِبٌ وَالرُّمَاحُ تَشْجُرُهُ^(٢) وَطَاعِنٌ وَالْهَبَاتُ مُثْصِلَةٌ
وَكَلِمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى وَكَلِمَا جَاهَرَ الْعَدُوَّ ضَحَى
وقوله^(٣):

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنْ اخْتِقَارِكَ^(٤) كُلُّ مَا تَخْبُو بِهِ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا فَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرِكَ وَأَبْدَى سَحَاؤَكَ عَجَزَ كُلِّ مُثَمَّرٍ
وقوله^(٥):

فَكَأَنَّهَا^(٦) وَالِدْمَعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا دَهَبٌ بِسِمْنَطِي لَوْلَوْ قَدْ رُصِّعَا
تَشْرَتْ^(٧) ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِيَالِي أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا
وقوله^(٨):

وَشَكِيَّتِي^(٩) فَفُذُّ السَّقَامِ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ

(١) ديوانه (٣: ٢٧٣)؛ من قصيدة يمدح فيها أبا العناتر الحمداني.

(٢) تشجره: تنفذ فيه وتخالطه.

(٣) ديوانه (٣: ٣٤٩)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

(٤) في الأصلين: «ومن ارتياحك».

(٥) الهاء في «سيفها» للدولة. والابتلاء: التجربة والاختبار.

(٦) تتوج: ليس التاج. يقول: الخليفة يتجمل بك؛ كما يتجمل بالتاج والخاتم.

(٧) المعرك: الحرب، وقائم السيف: ما يكون في يد الضارب.

(٨) ديوانه (٢: ٢٦٠)، من قصيدة يمدح فيها عبد الواحد بن العباس الكاتب.

(٩) الضمير في كأنها للصفرة في البيت قبله، وهو:

سُفِرَتْ وَبَرَقَ عِهَا الْحَيَاءُ بِصَفْرَةٍ سَتَرَتْ مُحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكْ بَرَقَ عِهَا
(١٠) في الديوان:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها

(١١) ديوانه (١: ١٤)، من قصيدة يمدح فيها هارون بن عبد العزيز الأدرجي.

(١٢) الشكية والشكوى والشكاية بمعنى.

مَثَّلْتَ عَيْنَكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلَتَاهُمَا نَجْلَاءُ
قوله: «فَتَشَابَهَا» كان حقّه «فَتَشَابَهَتَا»، ولكن حمل الجراحة على الجرح والعين
على العضو.

تَفَذْتُ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرَبَّمَا تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمَرَاءُ^(١)
وقوله^(٢):

كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مَنَاحَاتٍ فَلَمَّا سِرَزَ^(٣) سَالَا
لَبَسَنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ كُنِي يَضُنُّ بِهِ الْجَمَالَ
بَدْتُ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطُ^(٤) بَانَ وَقَاحَتْ عَنِبرًا وَرَزَتْ غَزَالَا
وقوله^(٥):

كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُولِي إِنَّمَا أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُولًا^(٦)
أَجْدُ الْجَفَاءِ عَلَى سِوَالِكِ مَرْوَةٍ وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَالِكِ جَمِيلَا
وَأَرَى قَلِيلَ تَذَلُّلٍ مَمْلُولَا وَأَرَى تَذَلُّلَكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا
تَشْكُرُ زَوَادِكَ الْمَطِيئَةَ فَوْقَهَا شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتَ هَوَاكَ دَخِيلَا
وقوله^(٧):

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا
لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِيَّ هَجَرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضُّئَى^(٨)
بِنَا فَلَوْ حَلَيْتُنَا لَمْ تَذِرْ مَا أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتَقَعْنَا تَلَوْنَا^(٩)
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ^(١٠) الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا
أَفْدِي الْمُوَدَّةَ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا نَظَرًا فَرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتِ ثَنَا^(١١)

- (١) الصعدة: الفتاة التي نبتت معتدلة فلا تحتاج إلى تفويم، والسابري: الدرع العظيمة التي لا ينفذها شيء؛ وقيل السابري: الثوب الرقيق.
- (٢) ديوانه (٣: ٣٢٢)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.
- (٣) رواية الديوان: «ثرن»: أي أثاروها للرحيل.
- (٤) الخوط: القضيبي، والعنبر: ضرب من الطيب.
- (٥) ديوانه (٣: ٢٣٣)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.
- (٦) الكحلاء: التي بعينها كحل. سولي؛ أي سولي، وأصله مهموز. والأجل: المدة.
- (٧) ديوانه (٤: ١٩٥)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل.
- (٨) الجرم: الذنب.
- (٩) بنا: تفرقنا. وحليتنا: وصفتنا. وامتقع لونه: إذا تغير حياء أو خيفة.
- (١٠) أراد أن تحترق. وأشفقت: خفت.
- (١١) أراد «ثناء»، وقصر للفاضة. كذلك سكن زفرات لضرورة الشعر.

أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً
ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنًا^(١)
وقوله^(٢):

إِلَامٌ^(٣) طَمَاعِيَّةُ الْعَاذِلِ
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ
وَإِنِّي لِأَعَشُّ مِنْ عَشَقِكُمْ
وَلَوْ زُلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ
أَيْنِكِرُ خَدْيَ دُمُوعِي وَقَدْ
أَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ
وَهَبْتُ السُّلُوءَ لِمَنْ لَامَنِي
كَأَنَّ الْجُفُونَ^(٧) عَلَى مُقْلَتِي
وقوله^(٨):

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَحِبَّةِ سَلُوةً^(٩)
وَأَنَّ رَجِيلاً وَاحِداً حَالٌ بَيْنَنَا
إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ^(١٠) أَدْنَى إِلَيْكُمْ
وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّراً
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الْأَيْسَّةِ فَوْقَهُ
أَمَّا فِي الثُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا
وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حُمُولُ
وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّجِيلِ رَجِيلُ
فَلَا بَرَحْتَنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ
لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ
فَلَيْسَ لِظَمَانٍ إِلَيْهِ وَصُولُ
لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ السَّمَاءِ ذَلِيلُ

(١) الديدن: العادة.

(٢) ديوانه (٣: ٢١)؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر استنقاذه تغلب بن داود من الأسر.

(٣) إلى: من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من «ما» استخفافاً، وكذلك يفعلون في: به، قيم، عم. والطماعية: مصدر كالطمع.

(٤) يريد إن الطبيعة لا تنقاد لتألقها، ولا تتأني لمخالفتها.

(٥) في الديوان:

نحولسي وكل امرئ ناحل

(٦) المسلك السابل: الطريق الجادة.

(٧) في الأصلين: «جفوني».

(٨) ديوانه (٣: ٩٥)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

(٩) سلوة، منصوب بفعل محذوف تقديره: ما سلوتهم سلوة، أو بإسقاط حرف العجر، يريد عن سلوة. أو مفعول له.

(١٠) الروح: نسيم الرياح.

أَلَمْ يَرْ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكَ رُؤْيَايَ
لَقَيْتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ^(١) الْفَجْرَ لُفْيَا
وَبُؤْمَا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عِلَامَةٌ
وقوله^(٢):

دِمْنٌ تَكَاثَرَتْ أَلْهُمُومٌ عَلَيَّ فِي
فَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَّتْ بِهَا
وَلَطَّالَمَّا أَفْتَيْتُ رِيْقَ كَعَابِهَا^(٣)
وقوله^(٤):

شَامِيَّةٌ^(٥) طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا
فَقَبَّلْتُ نَاطِرِي تَعَالِطُنِي
تَبْلُ خَذْيٍ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ
مَا تَفَضَّتْ فِي يَدِي عَدَائِرُهَا
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ^(٦) بِهِ
لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ^(٧) سَائِرَةٌ
كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُفْلَتَهَا
وقوله^(٨):

أَوْمًا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلَوَّحَةً
مِمَّا أَرْقِرُقُ فِي الْفُرَاتِ دُمُوعِي^(٩)

(١) درب القلة: موضع ببلاد الروم.

(٢) ديوانه (٤ : ٧)، من قصيدة قالها في صباه.

(٣) عروة بن حزام: صاحب عفرأ، أحد العشاق المشهورين.

(٤) الكعاب: الكعاب، وهي الجارية التي قد كعب نهدها.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٧٠)؛ من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة.

(٦) شامية: نسبة إلى الشام. والمحيا: الوجه.

(٧) ما: يجوز أن تكون بمعنى الذي؛ فتكون مبتدأ خبره «جعلته»، وأن تكون شرطية. والغدائر:

الضفائر. والدمام: الخمر. وأفواه الطيب: أخلاطه. يقول: صفاتها لكثرة الطيب فيها يتفرض

الطيب منها، فالذي يتفرض علي منها من الطيب يطيب به الخمر.

(٨) الحجال: جمع حجلة، وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس.

(٩) الحمول: الإبل التي تحمل الهودج؛ كان فيها نساء أو لم يكن.

(١٠) ديوانه (٢ : ٢٤٨)، من أبيات قالها في صباه.

(١١) الصرارة: نهر يأخذ من الفرات، فينسكب في دجلة. وقرق الماء: إذا صبه.

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحْلَتِي فَكَأَنَّمَا وَقُولُهُ ^(١) :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْيِكَ أَنْ أَرَى
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَالِكٍ خَلَقَهُ وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةً
وَحَفِيفُ أَجْنَحَةِ الْمَلَائِكِ حَوْلَهُ حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا ^(٧) كَأَنْ ضَرِيحَهُ
كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بَرْدُ حَيَاتِهِ وَقُولُهُ ^(٨) :

تَفَرَّ إِذَا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ وَقُولُهُ ^(٩) :

وَمَنْ لَمْ يَغْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ ^(١٠) حَتَّى فَصِرْتَ إِذَا أَصَابَتْ نِي سِهَامٍ
وَهَانَ ^(١٢) فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًا
وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالِ
فُؤَادِي فِي غَشَاءٍ مِنْ نِسَالِ تَكْسَرَتِ النَّصَالِ عَلَى النَّصَالِ ^(١١)
لَأَتِي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي لِأَوَّلِ مَيِّتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ

(١) ديوانه (٢: ١٢٩)، من قصيدة يرثي فيها محمد بن إسحاق التوخي.

(٢) تغور: تذهب وتختفي.

(٣) رضوى: اسم جبل في المدينة؛ شبه المرثي به لعظمته وفخامة قدره.

(٤) الطور: جبل كلم الله موسى عليه.

(٥) الواجفة: المضطربة، وتمور: تذهب وتجيء.

(٦) الملائك: جمع ملك على غير قياس، وصور: جمع أصور، وهو المائل.

(٧) الجدث: القبر.

(٨) ديوانه (٢: ١٣٣)، من القصيدة السابقة.

(٩) ديوانه (٣: ٨)، من قصيدة يرثي فيها والدته سيف الدولة.

(١٠) الأرزاء: جمع رزء، وهي المصيبات. والغشاء: ما يغطي الشيء ويشمله.

(١١) النصال: جمع نصل، وهي الحديد التي في السهم.

(١٢) أضمر الفاعل لدلالة الكلام عليه، والتقدير: وهان رمي الدهر، لدلالة قوله: رمانى الدهر.

كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسِ
صَلَاةِ اللَّهِ خَالِقَنَا حَنُوطٌ^(١)
عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّزْبِ صَوْنًا
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصًا
وفيها:

أَتْتَهُنَّ الْمَصَائِبُ^(٢) غَافِلَاتٍ
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
وقوله^(٥):

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا
لَكَ إِلْفٌ^(٦) يَجْرُهُ وَإِذَا مَا
وَوَفَاءٌ نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ
إِنْ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَرُونًا لَدَمْعُ
أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ النَّيِّ لَكَ فِي الْحَزَنِ
أَيَّنَ خَلَفَتْهَا عَدَاةٌ لَقِيَتْ الرِّ
قَاسَمَتَكَ الْمَثُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا
فَإِذَا قَسَتْ مَا أَخَذَنْ بِمَا عَا
وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى
وَلَعَمْرِي لَقَدْ شَعَلَتْ الْمَنَايَا

(١) الحنوط: طيب يستعمل في غسل الميت.

(٢) رفع «ذكرناه» بجديد؛ ووضع الضمير المتصل مكان المنفصل كما في قوله تعالى: «أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا».

(٣) رواية الديوان:

أَتْتَهُنَّ الْمَصِيبَةَ غَافِلَاتٍ

(٤) في الأصلين: «مع».

(٥) ديوانه (٣: ١٢٤)، من قصيدة يعزي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى، ويسليه بالكبرى.

(٦) الإلف: السكون إلى الشيء والغبطة به، يجره: يسحب إليك الحزن.

(٧) الاستهلال: الانسكاب.

(٨) صل الحديد: إذا صوت.

(٩) تغلى: تفصل.

(١٠) في الديوان: «أغدرن»، وهو مثل غادرن. وسرى: أذهب. وسلى: عزى.

وكم انتشت بالسيف من الدهر^(١)
 عدها نضرة عليه فلما
 وإذا لم تجد من الناس كفواً
 ولذيذ الحياة أنفس في التـ
 وإذا الشيخ قال أف فـمـا مـ
 آلة العيش صيحة وشباب
 أبداً تسترد ما تهـب الدهـر
 وهي مغشوقة على العذر لا تحـ
 كل دمع يسيل منها عليها
 شيم الغانيات فيها فلا أذ
 يا مليك الورى المفرق مخياً
 قلد الله دولة سيفها أنـ
 فيه أغنت الموالى بذلاً
 أيها الباهر العقول فما يـ
 من تعاطى تشبهاً بك أغيا
 وإذا ما انتهى خلودك ذاع
 وقوله^(٦):

النوم بعد أبي شجاع نافر
 إنني لأجبن من فراق أحبتي

والليل مغي^(٧) والكواكب طلـع
 وتحس نفسي بالحمام^(٨) فأشجع

(١) انتاشه من صرعة؛ إذا نعشه.

(٢) في الأصلين: «صار».

(٣) الضمير في رآه للدهر. صال: وثب. والتبل: الحقد والعداوة. والختل: افتراس الشيء على خديعة وحين غفلة.

(٤) الشيم: الطبايع. والغانيات: النساء الشواب. يريد أن الدنيا طبعها طبع الغواني؛ لا تصونه وداً، ولا تقيم عهداً.

(٥) في الديوان:

قال لا زلت أو نرى لا مثلاً

(٦) ديوانه (٢: ٢٦٨)؛ من قصيدة يرثي فيها أبا شجاع فانتكا. وذلك بعد أن خرج من مصر.

(٧) معي: من إعياء الماشي وهو كلاله، والطلع: التي تغمر في مشيها عرجا.

(٨) الحمام: الموت.

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً
تَصْفُو الْحَيَاةَ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
وَقَوْلُهُ (٤):

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعَ لِي صِدْقُهُ أَمْلَأُ
نَعَثَرْتُ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا
فَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنُصْرَهَا
وَمَا (٧) ذَكَرْتُ جَمِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا
غَلَا تَنَلُّكَ اللَّيَالِي إِنْ أُنِيدَ بِهَا
وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وَرَبِمَا احْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَّائَتَهُ (١٠)

فَزِعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
شَرِفْتُ بِالدمعِ حَتَّى كَادَ يَشْرُقُ بِي
وَالْبُرْدُ (٥) فِي الطَّرِيقِ وَالْأَفْلَامُ فِي الْكُتُبِ
فَإِنْ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَيْبِ (٦)
إِلَّا بِكَفَيْتُ، وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ
إِذَا ضَرَرْتَنِ كَسَرَنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ (٨)
فَإِنَّهُمْ يَصِدُّنَ الصَّفَرَ بِالْخَرَبِ (٩)
وَفَاجَأْتُهُ بِأَمْرِ غَيْرِ مُحْتَسَبٍ
وَلَا انْتَهَى أَرْبَ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ

- (١) يريد أنه لا يلين لأعدائه إذا غضبوا؛ بل يزيد قسوة عليهم، ويجزع عند عتب الصديق، فيلين له ويتقادر.
- (٢) يسومها: يكلفها؛ أي وتصفو الحياة لمن يغالط نفسه في حقيقة الموت، ويمنيها السلامة والبقاء فتطمع في المحال، ولا تبالي بما ترى من العبر.
- (٣) تفرع: تضرب، ورعت: أخفت. يقول: إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء، فهو سلاح عليك لا لك.
- (٤) ديوانه (١: ٨٧). كانت قد توفيت أخت سيف الدولة بميفارقين، وورد خبرها إلى الكوفة؛ فقال المتنبي قصيدة يرثيها، ويعزيه بها، وكتب بها إليه من الكوفة.
- (٥) البرد: جمع برید، وهو الرسول، وسكن الراء على لغة تميم.
- (٦) تغلب الغلباء: إن كانت من تغلب الغالبين الناس لشجاعتهم وعزهم فإنها أفضل منهم.
- (٧) في الديوان: «ولا». أي بكيت لمودتي إياها، ولكل مودة سبب، وسبب مودتي ما ذكرت من صنائعها.
- (٨) النبع: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي. والغرب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار؛ أي لا أصابتك الليالي بسوء؛ فإنها تغلب القوي بالضعيف.
- (٩) يعن، من الإعانة، والضمير لليالي، والخرب: ذكر الحبارى.
- (١٠) اللبائنة: الحاجة، وكذلك الأرب.

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهَجَّتِهِ
وَقَوْلُهُ (١):

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ (٢) فَمَا بَالُنَا
تَبَخَّلُ أَيْدِينَا بِأَزْوَاجِنَا
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى
لَمْ يَرَقْرُقْ (٤) الشَّمْسُ فِي شَرْقِهِ
يَمُوتُ رَاعِي (٥) الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ
وَرَبَّمَا زَادَ عَلَى عُمُرِهِ
وَعَايَةُ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ
فَلَا قُضِيَ حَاجَتُهُ طَالِبٍ
حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمَلٍ مَا
وَقَوْلُهُ - يَرِثِي جَدَّتَهُ (٩):

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتَ بِنَا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السَّرُورُ فَإِنِّي
تَعَجَّبُ مِنْ حَظِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا (١٠)
وَتَلَثَّمَهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ
رَقًا (١٣) ذَمُّهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا

(١) ديوانه (١ : ٢١١)، من قصيدة يرثي بها عمه عضد الدولة، ويعزیه فيها.

(٢) في الديوان: «الموتى».

(٣) في الديوان: «هي».

(٤) قرن الشمس: أول ما يبدو منها.

(٥) يريد براعي الضأن: أحقر القوم وأجهلهم.

(٦) الضمير في عمره يعود إلى جالينوس. السرب هنا: النفس، والضمير في «زاد» يعود إلى الراعي.

(٧) أفرط في الأمر: جاوز الحد فيه.

(٨) السائر: الذي حمل إلى أبي شجاع عضد الدولة الكتاب بوفاتها.

(٩) ديوانه (٤ : ١٠٤).

(١٠) في الأصلين: «كأنما».

(١١) الغراب الأعصم: الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وهو قليل الوجود.

(١٢) اللثم: التثقيب. وسحما: سودا.

(١٣) رقا الدم والدمع: إذا انقطع، وأصله الهمزة.

ولم يُسلِّها إلا المَتَايَا، وإنما
وَكُنْتُ قَبِيلَ الْمَوْتِ أَسْتَغْظِمُ النَّوَى
وما انسَدَّتِ الدنيا عليَّ لِضِيْقِهَا
وقوله (٢):

يَا أَخْتَ مُعْتَبِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى
يَزْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَقَافِ وَعِنْدَهُ
رَاعَتُكَ زَائِعَةُ الْبَيَاضِ بَعَارِضِي
لَوْ كَانَ يُمَكِّنِي سَفَرْتُ (٤) عَنِ الصَّبَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ (٦) فَمُطْلَقُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
الظُّلْمُ مِنْ شَيْمٍ (٧) الثُّفُوسُ فَإِنْ تَجِدُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي
ثم هجا وقال:

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلِغِ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ
وَجُفْرُوهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ
يَقْلِي مُفَارَقَةَ الْأُكُفِّ قَذَالُهُ
مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ
تَحْتَ الْعُلُوجِ (٩) وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ
مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِضْرُ
قِرْدٌ يَقْنَهُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلَطَّمُ
حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ

(١) يقول: لم يسلمها عني إلا الموت، والموت الذي أذهب سقمها بالحزن لأجلي كان أشد من السقم.

(٢) ديوانه (٤: ١٢٢)، في هجاء ابن كيغَلغ.

(٣) الراتعة: التي تروح الناظر. والأسحم: الأسود. والعارض: ما يلي الخد.

(٤) سفرت: أظهرت وكشفت. والتشم: ستر الوجه.

(٥) أبيض يقق: شديد البياض.

(٦) الحفاظ: المحافظة على العهود وغيرها، وعاف: من العفو عن الإساءة.

(٧) الشيم: جمع شيمة وهي الخليقة. وفي الأصلين: «الظلم».

(٨) لا يزعوي: لا يقلع. ورواية الديوان:

عن غيه وخطاب من لا يفهم

(٩) العلوج: جمع علج، وهو الرجل الأعجمي، والحصار الوحشي.

وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
وَقَوْلُهُ ^(١) :

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
أَمْ أَذْنُهُ فِي يَدِ التَّخَّاسِ دَائِمِيَّةٌ
وَقَوْلُهُ ^(٢) :

وَأَسْوَدُ أَمَّا الْقَلْبُ مِنْهُ فَضَيِّقٌ
يَمُوتُ بِهِ غَيْظًا عَلَى الذَّهْرِ أَهْلُهُ
إِذَا مَا عَدِمْتَ الْأَصْلَ وَالْعَقْلَ وَالنَّدَى
وَقَوْلُهُ ^(٣) :

كَأَنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ
نَائِرُهُ نَائِرُ السُّيُوفِ دَمًا
وَالْحَيْلُ قَدْ فَصَلَ الضِّيَاعَ بِهَا
فَلْيُرْنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ
وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَشَرْتُ
وَقَوْلُهُ ^(٤) :

❦ ❦ ❦

(١) ديوانه (٢ : ٤٦)، من قصيدة قالها عند خروجه من مصر، يهجو فيها كافوراً.

(٢) الصيد : جمع أصيد، وهم الملوك ذوو الكبرياء.

(٣) لم نقف عليها في ديوانه.

(٤) النخب : الجبان.

(٥) ديوانه (٤ : ١٦٤)، من أبيات يمدح فيها عضد الدولة، وكان قد نشر ورداً.

(٦) العنم : شجر له ثمر أحمر؛ يشبه به بنان الجواري.

(٧) يروى «جوده»؛ قال في التبيان : «من رواه مذكراً رجع إلى الممدوح، ومن رواه مؤنثاً رجع إلى الياء». والضمير في «منه» يعود إلى الورد.

(٨) يقول : قل للورد لست خيراً مما نثرت يداه، وإنما جعلك - حين نشرك - عوذة للكرم.

حسن التخلص والخروج

ومن حُسْنِ التخلص وحسن الخروج قوله^(١):

حَدَقَ يَذْمُ^(٢) مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا بَذَرُ بْنُ عَمَّارٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
وقوله^(٣):

وَهَزُّ أَطَارِ السُّنُومِ حَتَّى كَأَنَّنِي مِنْ السُّكْرِ فِي الْعَرَزِينَ ثَوْبُ شُبَارِقِ^(٤)
شَدُّوا بَابِي إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كَيْزَانُهَا وَالْتِمَارِقِ^(٥)
وقوله^(٦):

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ يَزَبِيهَا^(٧) فَقُلْتُ لَهَا مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا
فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلْمُغِيثِ يُزَى لَيْتَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلِ إِذَا انْتَسَبَا
وقوله^(٨):

وَحُبَيْثٌ مِنْ خُوصِ الرُّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ ذَارِشٍ^(٩) فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا
حَالاً مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا

(١) ديوانه (٣: ٢٣٥).

(٢) يذم: يجير ويعطي الذمام، وأذمه: أجاره.

(٣) ديوانه (٢: ٣٤٤).

(٤) الهز: التحريك والإزعاج. أراد بالسكر: النعاس. الغرز: ركاب من خشب، وقيل: من جلد للإبل خاصة. الشبارق: الخلق المقطع.

(٥) الذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين، والجمع ذفريات وذفارى. والكيران: جمع كور، وهو الرحل، والنمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة تحت الراكب وغيره. أراد ما يكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز.

(٦) ديوانه (١: ١١٢).

(٧) الترب: اللدة، والشادن من الظباء وغيرها: الذي شدن قرنه وقوي وترعرع.

(٨) ديوانه (١: ١٢٥).

(٩) الخوص: جمع خوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدارش: ضرب من الجلود، وهو من جلد الضأن، يريد: بدلت من خوص الركاب بخف أسود من رديء الجلود، وأنا ماش راكب.

وقوله^(١):

جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذُ خَالِصٍ مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورٌ كَامِلٌ
حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رُؤُ يَتُهُ الْمُتَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ^(٢)
وقوله^(٣):

وَمَقَانِبُ^(٤) بِمَقَانِبٍ عَادَرْتُهَا أَقْوَاتٌ وَخَشِ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا^(٥) غُرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عَمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا
وقوله^(٦):

وَعَيْنٌ ظَنَّنَا نَحْتَهُ أَنْ عَامراً^(٧) عَلَا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرُ
وقوله^(٨):

إِذَا ضَلُّتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكِ وَإِنْ قَلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ
وَلَا فَخَاثَنِي الْقَوَافِي وَعَاقَنِي عَنْ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ضَعْفُ الْعَزَائِمِ
وقوله^(٩):

وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلٍ^(١٠)
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النُّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ^(١١)
وقوله^(١٢):

تَوَدَّعَهُمُ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ قَنَا ابْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبٍ فَيَلْقَى^(١٣)
وقوله^(١٤):

وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارَ صَيَّرَ ظَهْرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَيَّ ظَهْرَ حَرَامِ
وقوله^(١٥):

كَلِمَا رَحِبْتُ بِنَا الرُّوْضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَضَدْنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ

(١) ديوانه (٣: ٢٥٤).

(٢) الهائل: المهيب المخيف.

(٣) ديوانه (١: ٢٢٨).

(٤) المقانِب: جمع مقنَب، وهو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(٥) الضمير في أقبلتها للمقانب، وأقبلته الشيء: إذا وجهته إليه.

(٦) ديوانه (٢: ١٥٣).

(٧) يريد عامراً الأنطاكي جد الممدوح. والقصيدة في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي. وقبر معطوف على خبر إن.

(٨) ديوانه (٤: ١١٢).

(٩) ديوانه (٣: ٢٣).

(١٠) أبو وائل: هو تغلب بن داود، وهو ابن عم سيف الدولة.

(١١) القنا الذابل: الرقاق.

(١٢) ديوانه (٢: ٣٠٨).

(١٣) أبو الهيجاء: والد سيف الدولة، والفيلق: الكتبية الشديدة.

(١٤) ديوانه (٤: ٩).

(١٥) ديوانه (٣: ١٥٣).

فَبِكَ مَزَعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(١)
وَالْمُسَمَّمُونَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
وقوله^(٢):

لَوْ أَنَّ فَنَّاخُسَرَ^(٣) صَبَحَكُم وَبَرَزْتَ وَحَذَكِ عَاقَةُ الْعَزَلِ
مَا كُنْتَ فَاعِلَةً وَضَيْفَكُم مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ
أَتَمْتَعِينَ قَرَى فَتَقْتَضِيحِي أَمْ تَسْبِذُ لِيْنِ لَه الَّذِي بَسَلُ
بَل لَا يَحُلْ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بُخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ

المستكره من تخلصه

ولعلك لا تجد له تخلصاً مستكرهاً إلا قوله^(٤):
أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلُ ثَبِيرًا أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيْعَا
وقوله^(٥):

فَأَفَنِّي وَمَا أَفَنَتْهُ^(٦) نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ
وقوله^(٧):

لَوْ اسْتَطَعْتُ زَكَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُم إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا^(٨)
وقوله^(٩):

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا^(١٠) سَرَجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وَيَخِرُّ أَبُو الْمُسْلِكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَخْرٍ زَخْرَةٌ وَعُجَابُ^(١١)
فهي وإن لم تكن حسنة مختارة، فليست من المستهجن الساقط.

ابتدأاته

ومن عاب من ابتدائه مثل قوله^(١٢):

كُفِّي أُرَانِي وَنِيكَ لَوْمِكَ أَلَوْ مَا^(١٣)

- (١) الوجيف والذميل: ضربان من السير سريعان. (٢) ديوانه (٣: ٣٠٢).
- (٣) فناخسار: من أسماء الديلم، وهو اسم عضد الدولة، وصيحه: أتاكم صباحاً للغارة.
- (٤) ديوانه (٢: ٢٥٣).
- (٥) ديوانه (٢: ٢٨٤).
- (٦) الضمير في: أفنته عائد على الضنى في البيت قبله، والكهف: الموضع الذي يمنع ويعصم من يأوي إليه.
- (٧) ديوانه (٤: ٢٢٤).
- (٨) البعران: جمع بعير.
- (٩) ديوانه (١: ١٩٣).
- (١٠) الدنى: جمع دنيا، والسابح من الخيل: الشديد الجري.
- (١١) الخضم: الكثير الماء، والزخر: تراكب الماء. وعباب البحر: شدته وقوته.
- (١٢) ديوانه (٤: ٢٧).
- (١٣) وبقية البيت: هم أقام على فواد أنجما

وقوله^(١) :

هَـذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيْسَا ثُمَّ انْتَنَيْتِ وَمَا شَقِيَّتِ نَسِيْسَا^(٢)

وقوله^(٣) :

أَوُّهُ بَدِيْلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا^(٤) لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيْلُ ذِكْرَاهَا
وَاسْتَبْرَدَ قَوْلُهُ^(٥) :

أُمْسَاوِرُ^(٦) أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثٌ غَابَ يَتَقَدُّمُ الْأَسَاذَا
وقوله^(٧) :

إِثْلِيكَ فَإِنَّا أَثْلَاهَا الطَّلَلُ^(٨)

وقوله^(٩) :

أَحَاذُ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ^(١٠)

وقوله^(١١) :

مُلِيْتُ^(١٢) الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعاً

وقوله^(١٣) :

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ ارْتَحَالَا وَحُسْنُ الصَّبْرِ زَمُوا^(١٤) لَا الْجَمَالَا
وقوله^(١٥) :

سِزْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمَتْ دَوَاتِهَا

(١) ديوانه (٢ : ١٥٣).

(٢) هذي : يا هذه . والرسيس : ما رس في القلب من الهوى ؛ أي ثبت . والنسيس : بقية النفس .

(٣) ديوانه (٤ : ٢٦٩) .

(٤) أوه : كلمة توجع ، وواها : كلمة تعجب .

(٥) ديوانه (٢ : ٨٢) .

(٦) مساور : هو الممدوح ، وهو ابن محمد الرومي . والأستاذ هو الوزير في لغة بعض أهل الشام .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٩٩) .

(٨) بقية البيت :

نَبَسْكَي وَتَرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ

(٩) ديوانه (١ : ٣٥٣) .

(١٠) بقية البيت :

لَيْمِلْتَنَا الْمَنْوُطَةُ بِالتَّنَادِ

(١١) ديوانه (٢ : ٢٤٩) .

(١٢) المثلث : الدائم المقيم ، وبقية البيت :

وإِلَّا فَاسْقَهَا السَّمُ النَّقِيْعَا

(١٣) ديوانه (٣ : ٢٣١) .

(١٤) زموا الجمال : خطموها بالأزمة .

(١٥) ديوانه (١ : ٢٢٥) .

وقوله^(١):

أنا لَأُئِمِّي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ

وقوله^(٢):

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاؤَ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشِي

وقوله^(٣):

وفاؤُكُمْ كَالزَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

وَاسْتَفْجَحَ افْتِتاحَهُ مَخاطِبَةً مَلِكاً^(٤) بِقَوْلِهِ^(٥):

كَفَى بَكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِئاً وَحَسْبُ الْمَنَابِيا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيا

وَضَرَبَ لَهُ الْأَمْثالَ، فَرَوَى لَهُ خَبَرَ ذِي الرُّمَّةِ حِينَ اسْتَنْشَدَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ - وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ^(٦):

مَا بِالْأَعْيُنِ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ

فَقَالَ: وَمَا سَوَّالُكَ عَنْ هَذَا يَا ابْنَ اللَّخْثَاءِ! وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ. وَكَانَتْ عَيْنُ الْمَمْدُوحِ بِهَا عِلَّةٌ فَدَمَعُهَا لَا يَسْتَمْسِكُ. وَأَنَا أَرْتَابُ بِهَذَا الْخَبَرِ، وَلَا أَظُنُّهُ ثَبَتًا.

وَخَبَرَ أَبِي حَكِيمَةَ لَمَّا اسْتَنْشَدَهُ أَبُو دُلْفٍ بَعْضَ مَا وَصَفَ بِهِ هَتَّةً، فَأَنْشَدَهُ:

أَلَا ذَهَبَ... الَّذِي كُنْتُ تَعْرِفُ

فَقَالَ: أُمُّ الْأَبْعَدِ بِهِ أَعْرِفُ.

حسن ابتداءاته

فَلْيُعْتَفِرْ ذَلِكَ لَهُ لِقَوْلِهِ^(٧):

أَتَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحْسِبُ الذَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِي

فَإِنَّهُ ابْتِدَاءٌ مَا سُمِعَ مِثْلُهُ، وَمَعْنَى انْفِرَدَ بِاخْتِرَاعِهِ، وَقَوْلُهُ^(٨):

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَّائِمُ

(١) ديوانه (٤ : ١١٠) وتماه:

عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

(٢) ديوانه (٢ : ٢٠٧).

(٣) ديوانه (٣ : ٣٢٥) وتماه:

بِأَنْ تَسْعِدَا وَالذَّمْعَ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ

(٤) يمدح كافورا.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٨١).

(٦) الجهمرة ص ٣٦٠، وتماه:

كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيةٍ سَرِبَ

(٧) ديوانه (٢ : ٣٦٢).

(٨) ديوانه (٣ : ٣٨٧) وتماه:

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمِ

وقوله^(١) :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وقوله^(٢) :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَةُ^(٣) سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّغْنُ فِي الْعِدَا
وقوله^(٤) :

قَدَيْنَاكَ مِنْ رُبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا

وقوله^(٥) :

إِذَا كَانَ مَذْحُ قَالَ النَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُ قَصِيحٍ قَالَ شِغْرًا مُتَيِّمٌ
وقوله^(٦) :

أَيْسَدْرِي السَّرْبُوحُ أَيُّ دَمٍ أَرَاقَا

وقوله^(٧) :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ

وقوله^(٨) :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَاسَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَغَيْضَ الدَّمْعِ فَانْهَلَتْ بِوَادِرُهُ^(٩)
وقوله^(١٠) :

سِرْحَلٌ حَيْثُ يَحُلُّهُ التُّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ
وقوله^(١١) :

أَغْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ

(١) ديوانه (٤ : ١٧٤) . (٢) ديوانه (١ : ٢٨١) .

(٣) في الأصلين : «عادات» تحريف .

(٤) ديوانه (١ : ٥٦) ، وتماه : .

فلأنك كنت الشرق للشمس والغربا

(٥) ديوانه (٣ : ٣٥٠) .

(٦) ديوانه (٢ : ٢٩٤) وبقيته :

وأي قلوب هذا الركب شاقا

(٧) ديوانه (١ : ١٧٦) ، وبقيته :

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

(٨) ديوانه (٢ : ١١٥) .

(٩) حاشاه : توقاه . وغيض الدمع : نقصه وحبسه . وانهلث : انصبت . والبوادر : السوابق .

(١٠) ديوانه (٢ : ٨٦) .

(١١) ديوانه (٣ : ٣٤) ، وبقيته :

والطعن عند محبيهن كالقبل

والأسل : الرماح .

وقوله (١):

أفاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ

وقوله (٢):

فَوَإِذَا مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ وَغُمُرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّئَامُ

وقوله (٣):

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدُ

وأمثال ذلك إن طلبته هداك إلى موضعه، وإذا التمسته ذلك على نفسه. وهذه أفراد أبيات منها أمثال سائرة، ومنها معاني مستوفاة، لم تجد في أخواتها، وجارات جنبها ما يصلح لمصاحبتها. ولعل أكثرها، أو معظم ما أثبت منها، وكثيراً مما ذكر في درج ما تقدمها من اللُّمع المختارة، مختارة المعاني مفرعة المذاهب. وليس لك أن تلزميني تمييز ذلك وإفراذه والتنبيه عليه بأعيانه كما فعله كثير ممن استهدف للألسن، ولم يحترز من جنابة التهجم؛ فقال: معنى فرد، وبيت بديع، ولم يسبق فلان إلى كذا، وانفرد فلان بكذا؛ لأنني لم أدع الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر؛ بل لم أزعم أنني نصفت سماعاً وقراءة، فدع الحفظ والرواية. ولعل المعنى الذي أسمه بهذه السُّمة، والبيت الذي أضيفه إلى هذه الجملة في صدر ديوان لم أتصفحه؛ أو تصفحته ولم أعثر بذلك السطر منه، أو عساني أن أكون رويته ثم نسيته، أو حفظته لكنني أغفلت وجه الأخذ منه، وطريقة الاحتذاء به.

ضياح كثير من الشعر

وإنما أجسر في الوقت بعد الوقت فأفدِم على هذا الحكم انقياداً للظن واستنامة إلى ما يغلب على النفس؛ فأما اليقين الثقة، والعلم والإحاطة فمعاذ الله أن أدعيه! ولو ادعيته لوجب ألا تقبله، مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ، وخمول أكثر ما قيل، وضياح جل ما نُقِل. وأظنك قد سمعت أو انتهى إليك أن البحترى أسقط خمسمائة شاعر في عصره، فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري؟ وما يدريني ما فيها؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها، ومقتبس منها؟ وهؤلاء المُخَدَّثُونَ الذين شاركونا في الدار والبلد، وجاورونا في العصر والمولد. فكيف بمن

(١) ديوانه (٤ : ٢٠٩)، وبقية:

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٢) ديوانه (٤ : ٦٩).

(٣) ديوانه (١ : ٣٢٧)، والعهد: اللقاء. وأين سؤال عن المكان، فلو قال: متى الموعد؟ أو أين الوعد؟ لكان أليق.

بَعْدَ عَهْدِهِ، وَقَدُمَ زَمَانُهُ، وَتَنَاسَخَتِ الْأُمَمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ!

زعم بعض آل الزبير أنه زار عُرْوَةَ بن الزبير ذات يوم، فسأله عما يُعْنَى بطلبه من العلوم، فقال: قلت: الشعر. فقال: لأتي قبائل العرب أنت أروى! فقلت: لبني سُليْم، فأنشدني لعدة أكثرها من بني سُليْم، ولم أعرف واحداً منهم.

وقد ذكر الأصمعي عن كِرْدَيْنِ المِسْمَعِيِّ^(١): أن فتية من الحي أتوا أبا ضَمَضَم الراوية، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: أتيناك نتحدث. قال: كذبتُم. قلتُم: خُرف الشيخ، هَلَمُوا نَتَغَلَّه. ثم أنشدهم لمائة أو ثمانين شاعراً، كلهم يسمى عَمراً. قال الأصمعي^(٢): فجهدنا أن نتم ثلاثين شاعراً يسمى عَمراً، فلم نجد.

وزعم الأصمعي أيضاً أن إخوة من بني سعد يسمون مُنْذِرًا، ومُنْذِرًا^(٣)، ونذيراً، كانوا رجلاً، فلم يهبطوا الأمصار، فذهبت أشعارهم. وأن أرجوزة رُؤْبَةِ القَافِيَةِ^(٤) التي هي قِلاَدَتُهُ، وعَيْنُ شعره لنذير^(٥).

وقد يرى في أشعار القبائل الأبيات تُنسب إلى الرجل المجهول الذي لم يُرَوْ له غيرها، ولا يعرف له اسمٌ إلا بها؛ وكأن النفس تشهد أن مثلها لا يكون باكورة الخاطر، ولا تسمعُ بها القريحة إلا بعد الدُّزِيَّة وطولِ الممارسة، ومن ذا يسمع قول الهذلي:

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيخٌ غِنَاهُ
إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعُهُ وَمَهْمَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كِفَاهُ

فيشك أنها تُنْذِرُ قِلْتَهُ، وتَصْدُرُ بَغْتَهُ، وأن لها مقدمات سهلت سبيلها، وأخوات قرّبت مأخذها؛ وهي في شعر الهذليين أبيات لم يُرَوْ لشاعر غيرها.

وقد كان قدم مكة أيام مقامي بها شيخٌ بَدَوِيٌّ من بني عامر بن ربيعة؛ يدعى مطرف بن سفيان، فأنشدنا قصيدة مدح بها جعفر بن محمد الحسني وجدتها متنافرة الأبيات، مختلفة الأطراف، بين عَيْنٍ نادر، ومتوسط متقارب، وضعيف ساقط؛ فكنت كالمتعجب لما أراه من اضطرابها، وظهور تفاوتها؛ وامتنحتُ الشيخ فوجدتُ شعره إلى الضعف ما هو؛ فنحن كذلك إذ آتانا بعض مَنْ كان بقرّبه من أصحابنا، فسألناه عن

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤. وهو مسمع بن عبد الملك بن مسمع البعري. كان أخبارياً، وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى.

(٢) الذي في الشعر والشعراء. «قال الأصمعي: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم تقدر على ثلاثين».

(٣) في الأصلين: «ومنذراً»، وهذا عن الشعر والشعراء.

(٤) أولها:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

(٥) في الشعر والشعراء: «منتذر».

العامري فأثبتته^(١) معرفة، وذكر أنه حضر الحَيِّ وقت تأهبه للوفادة، فرآه في نادي القوم، وقد جمع فُتيان الحلّة، وأحداث القبيلة، فقال: إن شيخكم يريد امتداح هذا الشريف بمكة، فزودوه! فزودَه كلُّ رجلٍ منهم البيتين والثلاثة، ثم نظمها قصيدة، وإذا سببُ ذلك التباين تفاضُلُ القرائح، واختلافُ الأفكار والهواجس.

فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عِدةٌ من يقرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول، والأمر مُدْبِر، وأكثر العرب مستعجم؛ فما ظنُّكَ بهم والعربُ عرب، والدارُ خالصة لهم، والحضرُ بعيد منهم، وأسبابُ الفساد منقطعة عنهم! وهل يُمكن مع هذه الأحوال إحصاء المقرر المتوسّع^(٢)، فضلاً عن المُقِلّ المتطرّف! أفستَجيز لي على ما تراه أن أتسرع ولا أتحرز، وأعجل ولا أتلبث؟ كلا؛ بل أفصل لك بين المراتب والمقادم، وأعزل لك المقدم عن المؤخر، وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد؛ فإن ألحقت به المأخوذ المُسترق فلبعض الأغراض المتقدمة: أو لزيادة فيه مستحسنة، فأسلم من تورط المسترسل، ولا أقف موقفَ المتكلّف.



(١) أثبتته: عرفه حق المعرفة.

(٢) كذا في الأصلين.

أفراد من شعره

فمن تلك الأبيات قوله^(١):

وَكُنْتُ إِذَا يَمُمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً سَرَيْتُ فَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ



أزورهم وسواد الليل يشفعُ لي وأنثني وبياض الصبح يُغري بي^(٢)



قَفِي تَغْرَمِ الْأَوَّلَى مِنَ اللَّحْظِ مُهَجَّتِي بثانية والمُثْلِفُ الشيء غارمُهُ^(٣)



ضُرْبَنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِ جَهَالَةً فلما تعارفنا ضُربنَ بها عتَا^(٤)



لَوْ كُنْتُ عَضْراً مُنْبِتاً زَهْراً كنت الربيعَ وكانت الوردُ^(٥)



وما الجمعُ بينَ الماءِ والنارِ في يدي بِأَضْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا^(٦)



وَأَسْمَعُ مِنَ أَلْفَاظِهِ اللَّعْغَةِ الَّتِي يَلْدُ بِهَا سَمْعِي وَإِنْ ضُمَّنْتُ شَتْمِي^(٧)



(١) ديوانه (٣: ٣٤٠). (٢) ديوانه (١: ١٦١).

(٣) ديوانه (٣: ٣٣٠). غرم ما أتلغه: لزمه أدأؤه.

(٤) ديوانه (٤: ١٦٧). قال أبو الفتح: «كانت خيل الروم قد رأت خيلاً لسيف الدولة فظنوه روماً، فأقبلوا نحوهم مسترسلين، فلما تحققوا الأمر ولوا هارين.

(٥) ديوانه (١: ٣٢٦)، والعصر: الدهر.

(٦) ديوانه (٤: ١٠٨)، والجد: الحظ.

(٧) ديوانه (٤: ٥٣).

ولا تُشْكِرَا عَضَفَ الرِّيحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلَّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارٍ^(١)



دُعَيْتُ بِتَقْرِيبِيكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي^(٢)



كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونُ وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٣)
وَقَدْ صُغِتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ



بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتَهَا أُمٌّ تُزْعَى بِعَبْدٍ كَانَهَا غَنَمٌ^(٤)
يَسْتَخْشِنُ الْخَزْرَ حِينَ يَلْمَسُهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظَفَرِهِ الْقَلَمُ



مَا لَ كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فِكَلَمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا^(٥)



مَا زَالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدْقِ يُنْجِلُهَا وَالسُّقْمُ يُنْجِلُنِي حَتَّى حَكَّتْ جَسَدِي^(٦)



فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ السُّطَامُ^(٧)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ



- (١) ديوانه (٢: ١١٤)، وسوار: اسم المهجو.
(٢) ديوانه (٤: ٥٧)، والتقريظ: مدح الرجل حياء، والتأيين: مدحه ميتا. يقول: قد عرفت بالشناء عليك؛ حتى صار كأنه اسم لي.
(٣) ديوانه (١: ٣٦٠)، والهام: جمع هامة، وهي الرأس، والهيجا: الحرب.
(٤) ديوانه (٤: ٥٩)، يمدح علي بن إبراهيم التنوخي.
(٥) ديوانه (١: ١١٧)، والمجتدي: السائل.
(٦) ديوانه (١: ٣٤٩)، وفي الأصلين:

والصبر ينحلني حتى حكَّت جِلْدِي

الهزيم: الذي لا يستمسك، والضمير في «ينحلها» يعود على الديار في البيت قبله وهو:
ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد

(٧) ديوانه (٤: ٧٤). وفي الديوان:

كأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ

قَفَّ عَلَى الدُّمْنَتَيْنِ بِالْدُّوِّ مِنْ رَ يَا كَخَالٍ فِي وَجْئَةٍ جَنْبَ خَالٍ^(١)
بَطْلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالٍ^(٢)



وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِغَيْرِ عَقْلِ تَجَنَّبَ عُتْقَ صَنِقْلِهِ الْحُسَامُ^(٣)



وَكَلِمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَبَّرِي كَأَن مَّا سَالَ مِنْ جَفْنِي مِنْ جَلْدِي^(٤)



كُلُّ هَوَجَاءٍ لِلدِّيَامِيمِ فِيهَا أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذُّبَالِ^(٥)
مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ^(٦) تَمْشِي بِنَا فِي الدِّ بَسِيدَ مَشْيِ الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ



وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْعَبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةً عَمِيَاءَ^(٧)



أَمْضَى إِزَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا^(٨)



مَنْ يَهْنُ يَسْهُلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِيُجْزَحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٩)



(١) ديوانه (٣: ١٩٢)، والدمنة: آثار الديار، والدو: الأرض الواسعة المستوية القفرة. رثاً: اسم امرأة. والخال: شامة تكون في الوجه أو الجسم.

(٢) الطلول: ما بقي من آثار الديار؛ واحداً طلل. يريد أن الطلول الشاخصة الباقية؛ تلوح في العراض كالنجوم في الليالي المظلمة.

(٣) ديوانه (٤: ٧١). والحفاظ: المحافظة.

(٤) ديوانه (١: ٣٥٠). والمصطبر: الاصطبار، وغاض نقص.

(٥) ديوانه (٣: ١٩٤)، والدياميم: جمع ديمومة وهي القفلة. والسليط: الدهن، والذبال: جمع ذبالة وهي الفتيلة.

(٦) الجدِيل: فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل الكرام.

(٧) ديوانه (١: ١٥).

(٨) ديوانه (٤: ٢٠٠). يقول: إذا نوى أمراً فكأنه يسابق نيته بوقوعه، فيصير ماضياً والمكان البعيد يصير عنده قريباً.

(٩) ديوانه (٤: ٩٤).

طَرِبْتُ مَرَاجِبُنَا فَخِفْنَا أَنهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِبِهَا رَقَصْتُ بِنَا^(١)
عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّغِي عَنَّقَا^(٢) عَلَيْهِ لَأَمَكِنَا



يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّؤُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَاآتٍ نُطْقِيهِ التَّمَنَّا^(٣)
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّؤُوسُ وَلَكِنْ فَضَلَّهَا بِقُضْدِكَ الْأَقْدَامُ^(٤)



فَلَوْ كُنْتَ امْرَأً يُهْجَى هَجُونَا وَلَكِنْ ضَاقَ فُتْرٌ عَنْ مَسِيرِ^(٥)



لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنَ بَرَّتِهِ وَهَلْ تَرَوْقُ دَفِيناً جَوْدَةً الْكَفَنِ^(٦)



دُونَ التَّعَاتِي نَاجِلَيْنِ كَشَكَلَتِي نَضِبُ أَدْقُهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلِ^(٧)
لِلْهُوَ آوِنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبْلُ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلُ



قَدْ كُنْتَ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا^(٨)



فَكَأَنَّهَا تُنْجِثُ قِيَاماً تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا^(٩)



(١) ديوانه (٤ : ٢٠٣)، وفي الديوان: «فخفنا أنها».

(٢) العتق: ضرب من السير شديد، وفي الديوان: «عليها».

(٣) ديوانه (٤ : ٩٨)، والتمتاع: الذي يتردد لسانه بالتاء.

(٤) يقول: الرأس خير عضو في الإنسان؛ لأنه مجمع الحواس، وفيه محل العقل؛ ولكن صارت الأقدام أفضل منها، لقصدتها إياك.

(٥) ديوانه (٢ : ١٤٤)؛ يقول: لو كنت ممن يعبأ به ويتكلف هجاؤه بالشعر لفعلنا، ولكنك أخس قدراً من أن تستحق هذه العناية؛ كما أن مسافة الفتر تضيق عن السير فيها.

(٦) ديوانه (٤ : ٢١٣).

(٧) ديوانه (٣ : ٢٥٢)، وأراد الشكلة التي تكون في الإعراب وهي الفتحة. يريد بالضم: القرب، ولم يرد الضم الذي يسمى في الإعراب رفعاً.

(٨) ديوانه (٤ : ٣٢٢).

(٩) ديوانه (١ : ٢٣٠)، يصف الممدوحين بطول إلفتهم للخيل وملازمتهم للركوب.

ولو لم يغفل إلا ذو محلّ تعالىّ الجيش وانحطّ القتام^(١)



ومن يُنفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر^(٢)



وأنفس يلمعيّات تُحبّهم لها اضطراراً ولو أقصوك شناناً^(٣)

كأن السُتهم في النطق قد جُعِلت على رماحهم في الطعن خُزّصاناً^(٤)



لو مرّ يزكّض في شطوّر كتابه أخصى بحافرٍ مهره ميمّاتها^(٥)

أغيا زوالك عن محلّ نلّته لا تخرج الأقمار عن هالاتها^(٦)



ومن تكّد الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّ له ما من صدّاقته بُدّ^(٧)

تلجّ دموعي بالجفون كأنما جفوني لغيّني كلّ باكية خذ^(٨)



ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع القرّة من أبياتها^(٩)



(١) ديوانه (٤ : ٧٢)، والقتام: الغبار؛ يريد أن العلو لا يدل على شرف المحل، ولو كان كذلك لكان الغبار سافلاً والجيش عالياً.

(٢) ديوانه (٢ : ١٥٠).

(٣) ديوانه (٤ : ٢٢٩)؛ والألمعي واليلمعي: الحاد الفطنة.

(٤) الخرصان: جمع خرص، وهو هنا السنان.

(٥) ديوانه (١ : ٢٣١)، يصف الممدوح بالفروسية، وأن مهرهم يطاوعه في جميع حركاته فلا يضع حافره إلا حيث شاء. وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من جميع الحروف.

(٦) أعياء الأمر: أعجز طالبه، وزوالك: براحك. يقول: قد بلغت مكاناً من الشرف لا تفارقه فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة، وهو لك كالهالة، والقمر لا يخرج عن حالته.

(٧) ديوانه (١ : ٣٧٥).

(٨) يقول: كلما بكّت باكية؛ فكأن دموعها تمر بجفني كما تمر بخدها؛ فلست أخلو من بكاء ودموع؛ كما لا تخلو الدنيا من باكية تجري دموعها.

(٩) ديوانه (١ : ٢٣٥).

كَأَنَّ الْجَوْ قَاسَى مَا أَقَاسِي فصار سواده فيه شُحوباً^(١)
أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدَبُهُ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا



مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئاً يُحْمَدُ^(٢)



إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَقْتَ بَعْدِهَا وَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَذُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)



فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٤)



عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْجَذْثَانِ حَتَّى لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا تَقِيْبَا^(٥)
يُصِيبُ بَعْضُهَا أَفْوَاقُ^(٦) بَعْضِ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَأَتَّصَلْتُ قَضِيْبَا
فَاجْرَكَ الْإِلَهَ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثْتُ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَبِيْبَا



صَيَّامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبٍ خَائِفِهِمْ تَعْدُو^(٧)



بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْجَفْوَنِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذَبٍ بِحَاجِبِ^(٨)
وَلَوْ قَلِمُ الْقَيْتِ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ السُّقْمِ مَا عَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبٍ



(١) ديوانه (١: ١٣٩). والشحوب: تغير اللون من الهزال.

(٢) ديوانه (١: ٣٨٤).

(٣) ديوانه (٢: ٤)؛ يقول: إذا غدرت الحسناء؛ لم تعد سجاياها؛ لأن عاداتها الغدر؛ وقد وفّت بالعهد إذا غدرت، لأن عهدها ألا تبقى على عهده.

(٤) ديوانه (١: ٣٨٠)، ويسار بن مكرم جد الممدوح. يقول: إن كان جدك مات وفني عمره؛ فإن فضائله ومحاسنه انتقلت إليك؛ فلم يفقد إلا شخصه؛ كماء الورد يبقى بعد الورد.

(٥) ديوانه (١: ١٤٠)، والحدثان: هو ما يحدث من نوائب الدهر، والنقيب: هو الذي يعرف القوم.

(٦) الفوق من السهم: موضع الوتر، والجمع أفواق وفوق.

(٧) ديوانه (٢: ٧)، ويريد: خيل قيام؛ يقال: صام الفرس؛ إذا وقف.

(٨) ديوانه (١: ١٤٨)، والهدب هو الشعر الذي على حرف العين.

ولربِّمَا أَطْرَقَ النَّتَاءُ بِفَارِسٍ وَتَنَى فَقْوَمَهَا بِآخِرِ مِنْهُمْ^(١)



لو سار ذاك الحبيب عن قللك ما رَضِيَ الشَّمْسُ بِرَجْهِ بَذَلَهُ^(٢)



رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكاً كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ^(٣)
فَإِنْ تَفَقَّيَ الْآثَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْعَرَالِ



أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ مَا عَيْبَ إِلَّا بِأَنَّهُ بَشَرٌ^(٤)



إِنِّي لِأُبْغِضُ طَلِيفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانٌ وَصَالِهِ^(٥)
وَتُرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ^(٦)
لَوْلَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ مُهْجَاتُهُمْ لَجَرَّتْ عَلَى إِقْبَالِهِ
فَكَأَنَّمَا قَذَى النَّهَارِ يَنْقَعِيهِ^(٧) أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفُ مِنْ إِجْلَالِهِ



وَحَضَرْتُ ثُبُتَ الْأَبْصَارِ فِيهِ كَأَنْ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقاً^(٨)



أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبْتَ سَنَابِكَ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ^(٩)



(١) ديوانه (٤ : ١٣٢)، وأطر: عوج، وتأطر الرمح: ثنى. يقول: إذا اعوجت فئاته في مطعون طعن بها آخر فتقومت.

(٢) ديوانه (٣ : ٢٧٥)، وفي أ «بدل»، وصوابه من ب والديوان. الضمير في «برجه» للحبيب، تقديره لو سار الحبيب عن برج من بروج السماء لم يرض برجه الشمس تحل بدلاً منه، ورضي؛ بمعنى اختار وأحب.

(٣) ديوانه (٣ : ٢٠). (٤) ديوانه (١ : ٨٩) وفي الديوان: «لأنه بشر».

(٥) ديوانه (٣ : ٥٦).

(٦) ترع: تفرع، والمتجفل: المسرع. والعقال: حبل يشد به يد الجمل إلى عضده.

(٧) النقع: الغبار.

(٨) ديوانه (٢ : ٢٥٦)، والنطاق: كل ما شددت به وسطك وتقويت به.

(٩) ديوانه (١ : ٢٦٦)، والجلاميد: جمع الجلود، وهي الحجارة.

كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ فَإِنْ شَاءَ حَارُّوْهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَمُوا^(١)



لَهَا فِي الْوَعْيِ زِيَّ الْقَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ ذَارِعٌ مُتَلَتِّمٌ^(٢)
وَمَا ذَاكَ بُخْلًا بِالنَّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ بِالشَّرِّ أَحْزَمٌ



وَمَلُومَةٌ زَرَدٌ تَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ فِي الْقَنَا مُخْمَلٌ^(٣)
يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْثُ وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسْطَلُ^(٤)
فَلَا تُنْكَرَنَّ لَهَا صَرْعَةٌ فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ^(٥)
وَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٦)



إِنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ يُغْطُوا الْجَزَى بِذَلُوا مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ^(٧)
لَعَلَّ عَثْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ



وَيُرْجِعُهَا خُمْرًا كَانَ صَحِيحَهَا يَبْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَفِّقِ^(٨)



مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوَدَّ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ^(٩)



- (١) ديوانه (٣: ٣٥١).
- (٢) ديوانه (٣: ٣٦٠)، الدراع: ما عليه تجفاف (ما حلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح)، ومتلثم: على وجهه مخطمة من حديد.
- (٣) ديوانه (٣: ٧١)، وفي الديوان: «ولكنه بالقنا»، والملمومة: الكتيبة المجموعة. وخمل الثوب: ما تدلى منه.
- (٤) القسطل: الغبار. يقول: يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها.
- (٥) كان سيف الدولة قد ضرب خيمة بميفارقين، وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها، فهبت ريح شديدة، فوقعت الخيمة، فتكلم الناس في ذلك. والضمير في «لها» يعود إلى الخيمة المذكورة في الأبيات التي سبقت البيت.
- (٦) كان قلع الخيمة؛ تنبيهاً من الله تعالى لك بما تفعله من الارتحال والتوجه إلى الغزو.
- (٧) ديوانه (٣: ٨٤)، والجزى: جمع جزية، وهي ما يعطيه أهل الذمة ليدفعوا به عن أنفسهم ويحفظوا به دماءهم.
- (٨) ديوانه (٢: ٣١)، والمتدقق: المتكسر. (٩) ديوانه (١: ٤)، وسوائه: سواه.

كَأَنِّي عَصْتُ مُقْلَتِي فِيكُمْ وَكَاتَمْتُ الْقَلْبَ مَا تَبْصُرُ^(١)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَظْفَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدُرُ
 فَلَا غَفْلَ الدَّهْرِ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ



وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا بَعَلَّتْهُ يَعْثُلُ فِي الْأَعْيُنِ الْعُمُصُ^(٢)



وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا نَجِيَّةَ وَأَغِيظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تَشَاكِلُ^(٣)



إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(٤)



قُشِيرٌ وَبَلْعَجْلَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي الْفَاطِ الْأَشْعِ نَاطِقُ^(٥)



أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ^(٦)



وَإِذَا حَاوَلْتُ طِعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتُ أَذْرَعَ الْقَنَا أُمَيَّالًا^(٧)



كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانٍ يَعْقُوبُ^(٨)



(١) ديوانه (٢: ٩٢).

(٢) ديوانه (٢: ٢١٨). يقول: لا أنتفع بالنوم إذا كان عليلاً؛ لأن النوم يفارق عيني.

(٣) ديوانه (٣: ١١٧).

(٤) ديوانه (٣: ٣٨٢).

(٥) ديوانه (٢: ٣٢٤)، بلعجلان؛ يريد بني العجلان، والأشع: الذي لا يفصح بالحرف، وقشير وعجلان: قبيلتان.

(٦) ديوانه (٤: ٣)، ما أقطعه من البلاد، والطرف: الفرس.

(٧) ديوانه (٣: ١٤١).

(٨) ديوانه (١: ١٧٢).

بَوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا - جَيْدٌ تَنَاقَرُ عِقْدُهُ^(١)



لَا تُنْكِرِ الْحَسَّ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا فَإِنْ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَغَانِيهَا^(٢)



إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْ إِذَا وَافَقَتْ هَوَى فِي الْفَوَادِ^(٣)
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ عَنْ طِبَاعٍ لَمْ يُحْلَمْ تَقْدُمُ الْمِيلَادِ
وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنْبَاسِ خَلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصُّعَادِ^(٤)



تَحْمَلُوا حَمَلَنَكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ^(٥)



كَلَّمَا أَتَبَتِ الزَّمَانُ قَنَاءَ رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانًا^(٦)
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا



إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِخْسَانٌ وَإِجْمَالُ^(٧)
ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا فَاتَهُ وَقُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
لَطَفْتُ رَأْيِكَ فِي بَرِّي وَتَكْرَمْتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ



رُدِّيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وَكَادَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا زُجْهَا وَسِنَانُهَا^(٨)

(١) ديوانه (٢: ٢٠)، يريد أن الوادي كان متزيناً بهم؛ فلما ارتحلوا عنه تعطل كالعنق إذا سقط عنه العقد.

(٢) ديوانه (٤: ٢٦٨). المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل والمسكن.

(٣) ديوانه (٢: ٣١)، وفي الديوان:

إذا صادفت هوى في الفؤاد

(٤) الصعاد: جمع صعدة، وهي القناة المستقيمة، والطيش: الخفة، والأنابيب: جمع أنبوب.

(٥) ديوانه (٤: ٢٣٥)، والتاجية: الناقة المسرعة.

(٦) ديوانه (٤: ٢٤٠).

(٧) ديوانه (٣: ١٨٧).

(٨) ديوانه (٤: ١٧٠)، ردينية: منسوبة إلى رديته، امرأة كانت تعمل الرماح. والزج: الذي يكون في أسفل الرمح، والسنان: الذي في أعلاه.

وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الْفَوَارِسَ قَدْهَا وَيُذَكِّرُهَا كَرَاتِهَا وَطِعَانَهَا



وَعَالِبُهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ^(١)
وَلَا مُلْكُ إِلَّا أَتَيْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابُ^(٢)



فَلَا تُرْجُ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ الثَّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ^(٣)



إِذَا أَتَيْتَ الْإِسَاءَةَ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسِيءِ فَمَنْ الْيَوْمُ^(٤)



لَا تُشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ^(٥)



وَمَنْ جَهِلْتُ نَفْسُهُ قَذَرُهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٦)



كَلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ^(٧)
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنًا هَا وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ^(٨)



وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا دَانَكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْعَبَبُ^(٩)



(١) ديوانه (١ : ١٩٤)، عنوان: خضعوا وذلوا.

(٢) القرباب: الغشاء الذي فيه يكون السيف والسكين، ويروى: «كأنك نصل».

(٣) ديوانه (٢ : ٢٠٤)، في رأسه: يعني على رأسه.

(٤) ديوانه (٤ : ١٥٢)، وفي الديوان: «من لثيم».

(٥) ديوانه (٢ : ٤٣)، المناكيد: جمع منكود، وهو الذي فيه نكد.

(٦) ديوانه (١ : ٤٤).

(٧) ديوانه (٣ : ١٤٨). يقول: كلما عاد إليها من أبعثه، وشاهدها من أرسله ملكه الافتنان بحسنها وشاركني في الشغف بها، وأظهر الغيرة مني عليها؛ فخالفتني في أمره، وخالفتني في جملة قوله.

(٨) يقول أفسدت عينها بسحرهما الأمانات بيني وبين من أنزل الثقة به وأعتقد الخلاص له.

(٩) ديوانه (١ : ٩٨). الغيب للبقرة: ما تدلى تحت حنكها، والظلف: ما تظأ به الأرض كالقدم للإنسان.

أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتيناها على الهرم^(١)



إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربة^(٢)
أو أنستك المخاري فإنها لك نسبة



إذا سمع الناس ألفاظه خلقت له في القلوب الحسد^(٣)



وعنظ على الأيام كالنار في الحشا ولكنه غنط الأسير على القد^(٤)
وقد كنت أدركت المني غير أنني يعيرني أهلي بإدراكها وخدي^(٥)



وألقي الشرق منها في ثيابي دنائراً تفر من البنان^(٦)



وهو مثل قوله في كلمة أخرى^(٧) :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم



فلو طرحت قلوب العشي فيها لما خافت من الحدق الحسن^(٨)



قالت: ألا تضحوا فقلت لها أعلمتني أن الهوى قول^(٩)
فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غاية نزلوا



وما أنا غير سهم في هواء يعود ولم تجد فيه امتساكاً^(١٠)



(١) ديوانه (٤ : ١٦٣).

(٢) ديوانه (١ : ٢٠٩).

(٣) ديوانه (٢ : ٥٨).

(٤) ديوانه (٢ : ٦١)، والقد: سير يشد به الأسير.

(٥) ديوانه (٢ : ٦٩).

(٦) ديوانه (٤ : ٢٥٣).

(٧) ديوانه (٤ : ١١٤).

(٨) ديوانه (٤ : ٢٦٠). يريد قلوب أهل العشق.

(٩) ديوانه (٢ : ٣٩٦).

(١٠) ديوانه (٣ : ٣٠٢).

شَجَاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ إِذَا زَارَهَا فَدَّتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرُّجُلِ^(١)



يَزِيْمِي الشُّجُومَ بِعَيْنَيَّ مَنْ يَحَاوِلُهَا كَأَنهَا سَلَبٌ فِي عَيْنٍ مَسْلُوبٍ^(٢)



رَفَّتْ مَضَارِبُهُ فَهَنْ كَأَنَّمَا يُبْدِيَنَّ مِنْ عَشَقِ الرِّقَابِ نُحُولًا^(٣)



وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(٤)



وَمَا الشَّيْءُ طَبِّي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاوِلُ^(٥)



فَمَا تُرْجِي الثُّفُوسَ مِنْ زَمَنِ أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مَحْمُودٍ^(٦)!

تعقيب

قد وَفِينَا لَكَ بِمَا اقْتَضَاهُ شَرُطُ الضَّمَانِ وَزِدْنَا، وَبَرَثْنَا إِلَيْكَ مِمَّا يُوْجِبُهُ عَقْدُ الْكِفَالَةِ وَأَفْضَلُنَا، وَلَمْ تَكُنْ بُغَيْتَنَا اسْتِيفَاءَ الْاِخْتِيَارِ، وَاسْتِقْصَاءَ الْاِنتِقَادِ؛ فَيُقَالُ: هَلَّا ذَكَرْتَ هَذَا فَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا ذَكَرْتَ؛ وَكَيْفَ أَغْفَلْتَ ذَاكَ وَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى مَا أَثْبَتَ! وَإِنَّمَا دَعَوْنَاكَ إِلَى الْمَقَاصِةِ، وَسِمْنَاكَ^(٧) فِي ابْتِدَاءِ خُطَابِنَا^(٨) الْمَحَاجَّةَ وَالْمَحَاكِمَةَ؛ فَلَزِمْنَا طَرِيقَةَ الْعَدْلِ فِيهَا، وَالتَّقَطُّنَا مِنْ غُرُوضِ الدِّيَوَانِ أَبْيَاتًا لَمْ نَذْهَبْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي أَكْثَرِهَا عَنْ جِهَةِ الْإِصَابَةِ، فَإِنْ وَقَعَ فِي خِلَالِهَا الْبَيْتُ وَالْبَيْتَانِ فَلَأَنَّ الْكَلَامَ مَعْقُودٌ بِهِ، وَالْمَعْنَى لَا يَتِمُّ بِدُونِهِ، وَمَا يَتَقَدَّمُهُ وَمَا يَلِيهِ مَفْتَقَرٌ إِلَيْهِ، أَوْ لَغَرَضٌ لَا تَعْظُمُ الْفَائِدَةُ إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَيَضِيقُ

(١) ديوانه (٣ : ٢٩٨).

(٢) ديوانه (١ : ١٧٥)، وفي الأصلين:

رَأَى الْمَنْجُومَ بِعَيْنٍ مَنْ يَحَاوِلُهَا

وَالسَّلَبُ: الشَّيْءُ الْمَسْلُوبُ.

(٣) ديوانه (٣ : ٢٣٧)، مضاربه: حذاه.

(٤) ديوانه (٣ : ٢٦٠). (٥) ديوانه (٣ : ١١٧).

(٦) ديوانه (١ : ٢٦٣)، أحمد حاله: البقاء، وهو غير محمود.

(٧) سمناك: كلفناك.

(٨) في أ «خطابك»، وما أثبتناه عن ب.

هذا القدر من الخطاب عن استقصاء شرحه، أو لسهو عارض التمييز، وغفلة لابتست الاختيار.

وقد جعلنا لك أن تحذف منه ما أحببت؛ وأبحننا لك أن تُسقط ما أردت، فإن الذي يفضل نقدك منه، ويوافقنا رأيك عليه، ينجز وعدك ويبلغ غايتك؛ ويبقى ما وقعت الموافقة عليه بيننا وبينك. ثم طالع بقية شعره، وتصفح فضالة ديوانه؛ لتعلم أنا لم نقصد استيعاب عيونه، وأخذ صفوته ولبابه، وأن فيما غادرنا منه ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك، ولا تضعف معه حاجتك؛ ولعلك إذا رأيت هذا الجذ في السعي، والعنف في القول تقول: إنما وقفت موقف الحاكم المسدد، وقد صرت خضماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط، ثم أراك حرباً منازعاً؛ فإن خطر ذلك ببالك، وحدثنك به نفسك فأشعرها الثقة بصدقني، وقرر عندها إنصافي وعذلي، واعلم أنني رسول مبلّغ، وسامع مؤدّ، وأني كما أناظرك أناظر عنك، وكما أخاصمك أخاصم لك؛ فإن رأيي جاوزت لك موضع حجة فردني إليها، ونبّهني عليها، فما أبرئ نفسي من الغفلة، ولا أدعي السلامة من الخطأ؛ والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من المتوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم.



عود إلى نقد شعر المتنبي

وأعود إلى نَسَق الكلام الأول فأقول: ورأيتك وأصحابك أَتَحَبُّنَّمْ في منازعة خصمكم على اذعاء السَّرَق؛ فقال قائلكم: ما يَسْلَمُ له بيت، ولا يخلص من معانيه معنى؛ وما هو إلا ليث مُغِير، أو سارق مُخْتَلِس، وأنشد منشدكم قول أبي تمام^(١):

مَنْ بَنُو بَحْدَلٍ مَنْ ابْنُ الْحُبَابِ^(٢) مَنْ بَنُو تَغْلِبٍ غَدَاةُ الْكَلَابِ
إِنَّمَا الضَّيْغُمُ الْهَصُورُ أَبُو الْأَشَدِّ بَالِ رَيْبَالٍ^(٣) كُلَّ خَيْسٍ وَغَابِ
مَنْ عَدَّتْ خَيْلُهُ عَلَى سِرْحٍ شَعْرِي وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَاتِعٌ فِي كِتَابِي
غَارَةٌ أَسَخَنْتَ عَيُونََ الْمُعَالِي^(٤) وَاسْتَحْلَسْتُ مُحَارِمَ الْآدَابِ
يَا عَدَازِي الْكَلَامِ صِرْتُنَّ مَنْ بَغْ لَدِي سَبَايَا تُبَغِّنُ فِي الْأَعْرَابِ

وقلت: إنما عمد إلى شعر أبي تمام فغَيَّرَ ألفاظه، وأبدل نظمه؛ فأما المعاني فهي تلك بأعيانها؛ أو ما سرقه من غيرها، فإن اعتمد على قريحته، وحصل على فكره وخاطره، جاء بمثل قوله^(٥):

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا فَسَمِ النَّاسَ طَرًّا إِضْبَعَا
ومثل قوله^(٦):

أَيَا أَسَدًا فِي جَسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ
جَرَى الْحُلْفُ إِلَّا فَيْكَ أَنَّكَ وَاجِدُ وَأَنَّكَ لَيْتُ وَالْمُلُوكُ ذُنَابُ
وَأَنَّكَ إِنْ قَوَيْسَتْ صَحْفٌ كَاتِبُ^(٧) ذُنَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ ذُنَابُ

(١) ديوانه ص ٤٨٧، يهجو شاعراً سرق شعره.

(٢) في الأصل:

من بنو نجل من ابن الحساب

وهذه رواية الديوان.

(٣) في الديوان: «مناع كل خيس». والخيس: الشجر الملتف أو موضع الأسد.

(٤) في الديوان: «أسخنت عيون القوافي».

(٥) ديوانه (٢: ٢٦٧).

(٦) ديوانه (١: ١٩٦).

(٧) في الديوان: «صحف قاري».

ومثل قوله^(١):

لو كان صادفَ رأسَ عازَرَ^(٢) سبْفُهُ في يومِ مَغْرَكَةٍ لأَغْيَا عَيْسَى
أو كان لُجُّ البَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ما انشَقَّ حتى جازَ فيه مُوسَى
أو كان لِلثَّيْرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ عُبِدَتْ فكَانَ الْعَالَمُونَ مَجُوسَا
فأعيتَه المعاني، حتى التجأ إلى استصغار الأنبياء - عليهم السلام.

وقوله^(٣):

لَمْ تُسَمِّ يا هَارُونَ^(٤) إِلَّا بَعْدَ مَا أَفْ تَرَعْتَ وَنَارَعْتَ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ
فَعَدَوْتَ واسْمَكَ فَيَكْ غَيْرُ مُشَارِكِ وَالنَّاسُ قِيَمًا قِي يَدَيْكَ سَوَاءُ
وقوله^(٥):

فَخَذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فِي الْ مُذْنِ تَأْمَنَ بِوَائِقِ الزُّلْزَالِ
رَجُلٍ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَر دِ وَطِينُ الرِّجَالِ مِنْ صَلْصَالِ
وَبَقِيَّاتِ طِينِهِ لَأَقَتِ السَّمَاءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةً فِي الزُّلْزَالِ

فهذا مقدارُ اختراعه، وهذه طريقةُ ابتداعه، فإن زاد عليه وتجاوزَه قليلاً اضطَرَّ إلى تعقيد اللفظ، وفساد الترتيب، واضطرابِ التَّنْجِجِ؛ فصار خيره لا يفي بشره، وجُزْءه يزيدُ على عُذْرِهِ؛ ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف؛ وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة كقوله^(٦):

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءِ وَمَا لَهُنَّ قَوَائِلُ^(٧)

وَلِمَ يُسْتَعْنَى بطيب المولد عن القابلة؟ وإذا استُعْنِيَ عنها كان ماذا؟ وأي فخرٍ فيه؟ وأي شرف يناله؟

وقوله^(٨):

لِمَنْ مَالٌ تُسَمَّرُقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرَكَ فِي رَعَائِبِهِ الْأَنَامُ

(١) ديوانه (٢: ١٩٨).

(٢) عازر: رجل من بني إسرائيل، وهو الذي أحياه الله لعيسى ابن مريم. ويوم معركة: يوم حرب.

(٣) ديوانه (١: ٢٨).

(٤) هو أبو علي هارون بن عبد العزيز الكاتب.

(٥) ديوانه (٣: ١٩٧).

(٦) ديوانه (٣: ٢٥٧).

(٧) القوابل جمع قابلة، وهي التي تشارف المرأة عند الولادة.

(٨) ديوانه (٤: ٧٩).

وَلَا تَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لَأَنْ بَصُحْبَةَ يَجِبُ الذَّمَامُ^(١)
لَمَّا وَقَعَ لَهُ الْمَعْنَى الَّذِي يُقَارِبُ الْحَسْنَ ضَعْفَ عَنْ تَحْسِينِ لَفْظِهِ؛ فَجَاءَ كَمَا
تَرَى.

وقوله^(٢):

لَمْ تَخُكِ نَائِلَكَ السَّحَابَ وَإِنَّمَا حُمْتُ بِهِ فَصَبَّيْهَا الرُّحْضَاءُ^(٣)
هَلْ زَادَ عَلَى أَنْ جَعَلَ السَّحَابَ يَحْمُ فَأَفْرَطَ؛ كَمَا جَعَلَ أَبُو تَمَامٍ الدَّهْرَ يَصْرَعُ فِي
قَوْلِهِ^(٤):

خَطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُصْرَعُ^(٥)

وَجَعَلَ بَشَارَ الزَّمَانِ يَمُوقُ^(٦) فِي قَوْلِهِ^(٧):

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ فَإِنْ صَحَا^(٨) صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ
وقوله^(٩):

فَإِنْ مَارِئْتَنِي^(١٠) فَارْكَبْ حَصَانًا وَمَثْلُهُ تَخِرْلُهُ صَرِيْعًا
وهذا المعنى عامي، وكذلك قوله^(١١):

وَكُلُّ مَكَانٍ^(١٢) أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَا
وقوله^(١٣):

لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارِ

وهذا البيت من قلائده، إلا أنك تعلم ما في قوله «شيء» من الضعف الذي
يجتنبه الفحول، ولا يرضاه النقاد، وهو وأشباه هذا مما لم تُرد استقصاءه؛ وإنما
دَلَّلْنَا عَلَى مِنْهَاجِهِ، وَأَرَيْنَاكَ بَابَهُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا اسْتَرَدَلْنَا مِنْ شِعْرِهِ.

(١) أراد بصحبته، فحذف الهاء ضرورة. الذمام: العهد، وقيل: جمع ذمة، وهي الأمان.

(٢) ديوانه (١: ٣٠).

(٣) الرحضاء: عرق الحمى.

(٤) ديوانه ص ١٩٠.

(٥) أوله:

تروح علينا كل يوم وتغتدي

(٦) ماق: حمق في غباوة. (٧) الأغاني (٣: ٢٢٥) (طبعة الدار).

(٨) في الأغاني: «إذا صحا». (٩) ديوانه (٢: ٢٥٦).

(١٠) المماراة: المجادلة. (١١) ديوانه (١: ٤٢).

(١٢) في الديوان:

وكل طريق أتاه الفتى

(١٣) ديوانه (٤: ٢٤٧).

فلسفته في شعره

وإنما تجدُّ له المعنى الذي لم يسبقه الشعراء إليه إذا دقق، فخرج عن رَسْم الشعر إلى طريق الفلسفة، فقال^(١):

وَلَجَذْتُ حَتَّى كِدْتُ تَبْخُلُ حَائِلًا^(٢) لِمُنْتَهَى وَمِنَ السَّرُورِ بُكَاءُ
وقال^(٣):

إِلْفُ هَذَا السَّهْوِ أَوْقَعَ فِي الْأُنْ نُفْسُ أَنْ الْجِمَامِ مُرُّ الْمَذَاقِ
وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجَزُ وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ
وقوله^(٤):

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ^(٥)
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
وقوله^(٦):

خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَ

(١) ديوانه (١: ٢٩).

(٢) حائلاً: راجعاً.

(٣) ديوانه (٢: ٣٦٩).

(٤) ديوانه (١: ٩٥).

(٥) الشجب: الهلاك والحرز.

(٦) ديوانه (٢: ١٦٨).

السراقات الشعرية

قد أنصفناك في الاستيفاء لك، والتبليغ عنك، ولسنا نُكَبِّرُ كثيراً مما قلته، ولا نردّ اليسير مما ادّعيته، غير أن لخصمك حُجَجاً تُقابل حُجَجَكَ، ومقالاً لا يُقصر عن مقالِكَ. وزعم خَصْمُكَ أنك وأصحابك وكثيراً منكم لا يعرفُ من السَّرَقِ إلا اسمَه، فإن تجاوزَه حصل على ظاهره، ووقف عند أوائله؛ فإن استُثبت فيه، وكُشِف عنه، وُجد عارياً من معرفة واضحِهِ، فضلاً عن غامضِهِ، وبعيداً من جليهِ، قبل الوصول إلى مُشْكَلِهِ؛ وهذا باب لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعالم المبرِّز. وليس كلٌّ مَنْ تعرَّض له أدركه، ولا كلٌّ مَنْ أدركه استوفاه واستكملته. ولست تعدّ من جهابذة الكلام، ونُقّاد الشعر، حتى تميّزَ بين أصنافِهِ وأقسامِهِ، وتحيط علماً برُتبِهِ ومنازلِهِ، فتفصل بين السَّرَقِ والغَصْبِ، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتُفرّق بين المشترك الذي لا يجوز ادّعاء السَّرَقِ فيه، والمبتذل الذي ليس أحدٌ أولى به، وبين المختصّ الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياء السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مُختلساً سارقاً، والمشارك له محتزياً تابعاً، وتعرف اللفظ الذي يجوزُ أن يقال فيه: أخذ ونقل، والكلمة التي يصحُّ أن يقال فيها: هي لفلان دون فلان.

المعاني المشتركة والمتداولة

فمتى نظرتَ فرأيتَ أن تشبيه الحَسَنَ بالشمس والبدر، والجوَادَ بالغيث والبحر، والبليدَ البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار، والصبّ المستهام بالمخبول في حيرته، والسليم في سهره، والسقيم في أنيه وتألّمه، أمورٌ^(١) متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم، حكمت بأن السرقة عنها مُنتفية، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع، وفصلت بين ما يشبه هذا ويُنابِئُهُ، وما يلحق به وما يتميِّزُ عنه، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع؛ فوجدت منه مستفيضاً مُتداولاً متناقلاً لا يعدّ في عصرنا مسروقاً، ولا يُحسب مأخوذاً، وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به، وأوله للذي سَبَقَ إليه؛ كتشبيه

(١) خبر أن، في قوله: «فرأيت أن تشبيه».

الطَّلُّلُ الْمُحِيلُ بِالْخَطِّ الدَّارِسَ وَبِالْبُرْدِ النَّهْجَ^(١) وَالْوَشْمَ فِي الْمَوْصَمِ، وَالظُّغْنِ الْمُنْحَمَلَةَ
بِالنَّخْلِ، وَعَلَاتِقَهَا بِأَعْدَاقِ الْبُسْرِ، وَالْفَحْلَ بِالْقَدَنِ^(٢) الْمَشِيدَ، وَالظَّلِيمَ الْمَهِيْجَ بِأَحْقَبِ^(٣)
يَسَوْقُ أَتْنَهُ، وَكَوَصَفِ الْحَمُولِ وَمَوَزَانِ^(٤) الْآلِ بِهَا، وَذِمَّ الْغَرَابِ، وَالصُّرْدِ، وَالسَّانِحِ^(٥)،
وَالْبَارِحِ^(٦)، وَسَوَّالِ الْمَنْزِلِ عَنْ أَهْلِهِ، وَالتَّفَجُّعِ لِمَنْ اسْتَبَدَلَ بَعْدَ سَاكِنَتِهِ، وَلَوْمِ النَّفْسِ
عَلَى بُكَاءِ الدَّارِ، وَاسْتِعْطَافِ الْعَقْلِ وَاسْتِبْطَاءِ الصَّبْرِ، وَتَحْسِينِهِ تَارَةً وَتَقْيِيحِهِ أُخْرَى،
وَتَشْبِيهِ الْفَرَسِ بِاللَّقْوَةِ^(٧)، وَالظَّيْبِ بِشَهَابِ قُذْفٍ، وَالْعِقَابِ بِالذَّلْوِ الَّتِي خَانَهَا الرِّشَاءُ،
وَكَوَصَفِ الْغَيْثِ بِالْعُمُومِ وَالتَّطْيِيقِ^(٨)، وَاقْتِلَاعِ الدَّوْحِ، وَتَفْرِيقِ الرُّوحِشِ، وَتَشْبِيهِ دَفْعِهِ
بِعَطِّ^(٩) الْمَزَادِ، وَجَلِّ الْعَزَالِي^(١٠)، وَوَصَفِ الْبَرَقِ بِخَطْفِ الْأَبْصَارِ، وَسُرْعَةِ اللَّمَحِ، وَأَنَّهُ
كَالْقَبَسِ مِنَ النَّارِ، وَكَالْحَرِيقِ الْمُنْتَضِمِ، وَكَمَصْبَاحِ الرَّاهِبِ.

ولم أرد هذه بأعيانها دون غيرها، ولم أوردتها إلا دلائل على أمثالها؛ فإذا اعتبرتها
تصنفت لك صنفين: إما مشترك عامُ الشُّرْكَةِ، لا ينفردُ أحدٌ منه بسهم لا يساهم
عليه^(١١)، ولا يختصُ بقسم لا يُنَازَعُ فيه؛ فإن حُسْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ، وَمَضَاءَ السَّيْفِ،
وَبِلَادَةَ الْحِمَارِ، وَجُودَ الْغَيْثِ، وَحَيْرَةَ الْمَخْبُولِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مَقَرَّرٌ فِي الْبَدَايَةِ، وَهُوَ
مَرْكَبٌ فِي النَّفْسِ تَرْكِيبُ الْخِلْقَةِ. وَصُنِّفَ سَبْقُ الْمُتَقَدِّمِ إِلَيْهِ فَفَازَ بِهِ، ثُمَّ تُدَوَّلُ بَعْدَهُ
فَكَثُرَ وَاسْتَعْمِلَ؛ فَصَارَ كَالْأَوَّلِ فِي الْجَلَاءِ وَالْإِسْتِشْهَادِ، وَالِاسْتِفَاضَةِ عَلَى أَلْسُنِ الشُّعْرَاءِ،
فَحَمَى نَفْسَهُ عَنِ السَّرْقِ، وَأَزَالَ عَنْ صَاحِبِهِ مَذْمَةَ الْأَخْذِ، كَمَا يُشَاهَدُ ذَلِكَ فِي تَمْثِيلِ
الطَّلُّلِ بِالْكِتَابِ وَالْبُرْدِ، وَالْفَتَاةِ بِالْعَزَالِ فِي جَبْدِهَا وَعَيْنَيْهَا، وَالْمَهْمَاةِ فِي حُسْنِهَا وَصَفَائِهَا.
وَمَتَى شِئْتَ أَنْ تَرَى مَا وَصَفْتُهُ عَيْنَانَا، وَتَعْلَمَهُ يَقِيناً فَاعْتَرِضْ أَوَّلَ عَامِي عُقْلٌ تَسْتَقْبِلُهُ،
وَأَعْجَمِي جَلْفٌ تَلْقَاهُ، ثُمَّ سَلِّهِ عَنِ الْبَرَقِ فَإِنَّهُ يُوْدِي إِلَى مَعْنَى قَوْلِ عَثْرَةِ^(١٢):

أَلَا يَأْمَلُ لَذَا الْبَرْقِ الْيَسْمَانِي يُضِيءُ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ بَانَ^(١٣)

(١) نهج البرد: بلى. (٢) الفدن: القصر المرتفع.

(٣) الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض.

(٤) الموران: الاضطراب.

(٥) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.

(٦) البارح: ما أتاك عن يسارك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.

(٧) اللقوة: بفتح اللام المشددة وكسرهما: المرأة السريعة اللقاح، كالناقة والعقاب الأنثى، أو الخفيفة السريعة.

(٨) التطييق: من طبق الشيء تطبيقاً؛ عم، وطبق السحاب الجو: غشاه، وطبق الماء وجه الأرض: غطاه.

(٩) العط: الشق.

(١٠) العزالي: جمع عزلاء؛ مصب الماء من القرية في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء، وتفتح اللام وتكسر.

(١١) لا يساهم: لا يقارع. (١٢) لم نجده في ديوانه.

(١٣) البان: من العضاء، وله حب، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان.

وإن لم يذكر لك البان لجَهله بعادة العرب في الاستصباح به، ولأنه لم يعرف منه ما عرفه عَثْرَة، ومعنى امرئ القيس في قوله^(١):

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ زَاهِبٍ أَمَالُ^(٢) السَّلِيْطِ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ
وهيهات أن يعرض لك الأديب الفطن لقول عامر الثقفي:
كَأَنَّ زَيْفَهُ لِمَا عَلَا سَبْطاً^(٣) أَقْرَابُ أْبْلَقَ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَاحَ
وقول آخر^(٤):

وترى البرق عارضاً مُسْتَطِيراً مَرَحَ الْبُلُقِ جُلْنَ فِي الْأَجْلَالِ
إلا عن روية كثيرة، أو فكر طويل، ولو سمعت قائلاً يقول إن فلاناً الشاعر أخذ عن فلان قوله: لا مرحباً بالشيب، وحبذا الشباب! وكيف لوعاد، وبيا أسفي لفراق الأحبة! وما لذت العيش بعدهم، وفاضت عيني صباغةً لذكرهم. لحكمت بجهله، ولم تشك في غفلته. وقد يكون في هذا الباب ما تتسع له أمة، وتضيق عنه أخرى، ويسبق إليه قومٌ دون قوم؛ لعادة أو عهد، أو مشاهدة أو مِرَاس؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريقة^(٥) النعام، ولعل في الأمم من لم يرها؛ وحمرة الخدود بالورد والتفاح؛ وكثير من الأعراب من لم يعرفهما؛ وكأوصاف الفلاة، وفي الناس من لم يَضِحِر؛ وسير الإبل؛ وكثير منهم لم يركب.

التفاضل في الشعر المتداول

وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصناعة الشعر؛ فتشترك الجماعة في الشيء المتداول، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب، أو ترتيب يُستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره؛ فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع، كما قال لبيد^(٦):

وَجَلَّا السُّيُورُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ^(٧) تُجِدُّ مُثُونَهَا أَقْلَامُهَا

(١) ديوانه ص ٤١.

(٢) رواية الديوان:

أهان السليط بالذبال المفتل

والسليط: الزيت. والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة.

(٣) يقال: مطر سبط؛ أي سح. القرب (بضم القاف وسكون الراء، وبضمهما) الخاصة، وجمعه الأقرب.

(٤) منسوب إلى كثير - كما في اللسان.

(٥) التريكة: البيضة بعد ما يخرج منها الفرخ، وخص بعضهم به بيض النعام التي تركها بالفلاة بعد خلوها مما فيها؛ وقيل: هي بيض النعام المنفرد.

(٦) اللسان - مادة زبر، العمدة (١: ١٩٧)، وشرح المعلقات للتبريزي ص ١٢٨.

(٧) الزبور: الكتاب، والجمع زبر. وتجد: تجدد.

فَأَدَى إِلَيْكَ الْمَعْنَى الَّذِي تَدَاوَلَتْهُ الشُّعْرَاءُ، قَالَ امْرُؤُ الْفَيْسِ^(١):

لِمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي^(٢)
وَقَالَ حَاتِمٌ^(٣):

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَاً وَنَوِيأً مَهْدَمَا كَخَطِكَ فِي رَقٍّ كِتَابَا مُنَمَّمَا
وَقَالَ الْهَذَلِيُّ^(٤):

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَرَشِمِ الْكِتَابِ بِ يَزُيِّرُهُ الْكِتَابُ الْحَمِيرِي

وأمثال ذلك مما لا يُحصى كثرة، ولا بَخْفَى شهرة، وبين بيت لبيد وبينهما ما تراه من الفضل، وله عليها ما تشاهد من الزيادة والشَّف^(٥). ولم تَزَلِ العامةُ والخاصة تشبه الوردَ بالخدود، والخدود بالورد، نثراً ونظماً، وتقول فيه الشعراء فتكثير، وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السَّرْقَةِ فيه إلا بتناول زيادة تُضمَّن إليه، أو معنى يُشَفِّع به، كقول علي بن الجهم:

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بَوَزِدٍ كَأَنَّهُ خَدُودُ أَضِيفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
فَأَصَافُ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ لَهُ، وَإِنْ أَخَذَ فَمَنْهُ يُوْخِذُ، وَإِلَيْهِ يَنْسَبُ. وكقول ابن المعتز:

بِإِضَافٍ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرًا كَمَا أَحْمَرَّتْ مِنَ الْخَجَلِ الْخَدُودُ
وَالْخَجَلُ إِنَّمَا يَحْمَرُّ وَجَنَّتَاهُ، فَأَمَا مِنْبِتُ الْأَصْدَاغِ، وَمَخْطُ الْعِذَارِ فَقَلِيلًا مَا يَحْمَرُّ؟ فهذا التمييز مسلم له، وإن لم يكن يسبق إليه، ولو اتفق له أن يقول: حمرة في جوانبها بياض، لكان قد طَبَّقَ الْمَقْصِلَ، وَأَصَابَ الْغَرَضَ، وَوَافَقَ شَبَهَ الْخَجَلِ؛ لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان، فجعل الاحمرارَ في جوانب البياض، فراغ عن موقع التشبيه. ثم قال أبو سعيد المخزومي:

وَالْوَرْدُ فِيهِ كَأَنَّمَا أَوْرَاقُهُ نُزِعَتْ وَرَدَّ مَكَانَهُنَّ خَدُودُ
فَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ التَّشْبِيهِ الْمَجْرَدِ، لَكِنَّهُ كَسَاهُ هَذَا اللَّفْظُ الرَّشِيقَ، فَصُرَتْ إِذَا

(١) ديوانه ص ١٠٩.

(٢) العسيب: سعف النخل، وفي الديوان:

كخط الزبور في العسيب اليماني

(٣) شعراء النصرانية ص ١١٨.

(٤) اللسان - مادة دوي، وروايته:

عرفت السديار كخط الدوي حبره الكاتب الحميري

(٥) الشف (بفتح الشين وكسرهما): الفضل والزيادة، والمعروف بالكسر.

قسّمته إلى غيره وجدت المعنى واحداً، ثم أحسست في نفسك عنده هزة، ووجدت طرّة تعلم لها أنه انفرد بفضيلة لم يُتّزع فيها.

السرقّة الممدوحة

ومتى جاءت السرقّة هذا المجيء لم تُعَدَّ مع المعاييب، ولم تُخصَّص في جملة المثالب، وكان صاحبها بالتفضيل أحق، وبالمدح والتزكية أولى. ومن ذا يشك في فضل امرئ القيس يشبه الناقة في سرعتها بتيس الظباء في عدّوه بقوله^(١):

أوتيسٍ أظبٍ ببطنٍ وادٍ يعدو وقد أفرد الغزال

على كل ما قيل فيه، والمعنى واحد؛ لكن امرأ القيس زاد أفراد الغزال، وهذه زيادة حسنة؛ لأنه إذا أفرد اجتمع للنيس الخوف والولّه؛ فكان أشدّ لعدّوه، وإن امرأ القيس زاد في قوله يصف الطعنة^(٢):

كجيبِ الدفنيس^(٣) الوزها ريعت وهي تستفلي

على كل من شبهها بجيب الحمقاء، وجيب الفتاة، لأنها إذا ريعت وهي تستفلي عجلت عن الزفق. وقال أوس بن حنجر:

وفي صدره مثل جيب الفتاة تشهق حيناً وحيناً تهز

فزاد بالتقسيم الجاري على الشهيق والهزير، ولكن زيادة الأول أحسن وأغمض مأخذاً، وأوقع تشبيهاً، فأما الفيند فإنه أورد البيت على حاله: واضطرته القافية إلى ترك الزيادة التي ذكرناها؛ فقال:

كجيبِ الدفنيس الوزها ريعت بفدٍ إجفالي

ومتى سمعت قول أبي ذهل الجُمحي:

وكيف أنساك لا أبديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم

علمت أنه من قول النابغة^(٤):

أبي غفلتي أني إذا ما ذكرته تقطع حزن في حشى الجوفِ ذاجل^(٥)

(١) ديوانه: ١٦٢، وروايته - بشرح السندوبي:

كانها عنز بطن واد تعدو وقد أفرد الغزال

(٢) اللسان - مادة دفنس.

(٣) الدفنس: المرأة الحمقاء.

(٤) ديوانه ص ٦١.

(٥) في الديوان:

وَأَنْ تَلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِكَتِي وَمُهْرِي وَمَا ضُمَّتْ إِلَيَّ الْأَنَامِلُ
جَبَاؤُكَ وَالْعَيْسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّهَا هِجَانُ الْمَهَا تُزْدَى^(١) عَلَيْهَا الرِّحَائِلُ^(٢)

فإذا انصفت أبا ذهبل عرفت فضله، وشهدت له بالإحسان؛ لأنه جمع هذا الكلام الطويل في: «ولا أيدبك واحدة عندي». ثم أضاف إليه: «ولا بالذي أوليت من قديم». فتم المعنى، وأكدته أحسن تأكيد؛ لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدها، وتقادم عهدها؛ فنفى عنه وجوه النسيان كلها، وقد اختصر النابغة أبياته هذه في بيت من كلمة أخرى؛ فقال^(٣):

وَمَا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَاَنْتَصَحَنِي فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي

فأحسن وزاد على أبي ذهبل بأن جعل جُلُّ ماله من عطائه. واقتصر أبو ذهبل على تتابع الأيادي، وقد تضرع وقد تكثر، لكنه انفرد بالمصرع الثاني، فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى منفرد.

وما أبعد ما وقع العَطَوِي من أبي ذهبل؛ إذ أخذ قول ابن مناذر (قال الأصمعي: ابن مناذر^(٤) جمع مُنْذِر. قال القاضي: وهو أعرف به لأنه بصري)؛ فقال:

تَرْضَانَا بِحُكْمِ اللَّهِ فِينَا لَنَا أَدَبٌ وَلِلَّتْقَنِي مَالٌ

ففرقه في أربعة أبيات، بيت ابن مناذر خير من جميعها؛ فقال:

رَضِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ رِضَا عُلَمَاءٍ لَا تَسْخُطُ جُهَاِلِ

لَشَنَ خَصَّ قَوْمًا بِالنِّبَاهَةِ وَالْغِنَى وَالْبَسْنَا ثَوْبِي خُمُولٍ وَإِقْلَالِ

لَقَدْ جَاءَ بِالْعِلْمِ النَّفِيسَ الَّذِي بِهِ رُشِدْنَا فَلَمْ نَلْبَسْ مَلَابِسَ ضَلَالِ

فَلَوْ سُنَّمْنَا لَمْ نُعْطِ عِلْمًا بِشُرُوءِ وَلَمْ نَرِ لِلتَّمْيِيزِ كُفُوءًا مِنَ الْمَالِ

وما ضر قول المتنبي^(٥):

فَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأُطْفَالِ

(١) ردت الفرس رديا وردبانا: رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.

(٢) في الديوان:

هجان المها تحدى عليها الرحائل

(٣) ديوانه: ٦٥، ورواية الديوان مع بيت قبله:

فلا عمر الذي أثنى عليه وما رفع الحجيج إلى إلال

لما أغفلت شكرك فانتصحتني فكيف ومن عطائك جل مالي

(٤) من فتح الميم منه لم يصرفه ويقول: إنه جمع منذر لأنه محمد بن منذر بن منذر بن منذر، ومن ضمها صرفه.

(٥) ديوانه (٣: ٢٠٠).

وإن كان مأخوذاً من قول العامة: هذا أمرٌ يشيب الطفل . وكانت الشعراء قد تداولته وابتدلت حتى أخلق ورث، وقد زاد فيه الزيادة المليحة، وإنما العيبُ على أبي الجويرية^(١) العبدى إذ أخذ قول نُصَيْب^(٢)، فقال:

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالِبُ^(٣)
فعاجوا فأتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

فنقل معناه وكثيراً من ألفاظه، ثم يقع من إحسانه أحسن موقع فيقول:

أقول لِقَافِلِينَ يُرَى عَلَيْهِمْ عطايا منك ليس لها حساب
قِفُوا أَخْبِرْكُمْ وَتُخَبِّرُونِي قَلِيلاً وَالسَّرَابُ لَهُ اخْتِبابُ^(٤)
لَأُفْصَحَهُمْ وَمَا كَفَرُوكَ حُسْنًا وَلَوْ فَعَلُوا الْكَذْبَ الْعِيَابُ^(٥)

وقد أخذ أبو الجويرية بيتي الخنساء أحسن أخذ، وجمعهما في بيت استوفى فيه معنيهما. قالت الخنساء:

وما بلغت كف امرئ متناول من المجد إلا والذي فيك أطولُ
وما بلغ المَهْدُونَ نحوك مَذْحَة وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضلُ
فقال أبو الجويرية:

يزيدُ على سَرُو الرجال بَسْرُوهُ^(٦) ويقصر عنه قول مَنْ يتمدح
وعلى من يأخذ قول أبي العطاء:

جَلَّتْ رِزِيَّتُهُ فَعَمَّ مُصَابِهَا فالناسُ فيه كلُّهم مأجور
فيقول:

ولقد أصاب غليلها مَنْ لم يُصَبْ وتصنرت فَقْدًا لِمَنْ لم يَفْقِدْ

وبين الكلامين في صحّة النظم وعذوبة المنطق ما تراه . ثم قد كرّر المعنى في المصراعين، ولم يزد على قول أبي المعطاء: فثم مصابه، وبقية البيت فضل ومن يأخذ قول ساعدة بن جؤية:

لَمَشْرِفِيَّةٍ وَقَعَ فِي قَلَالِهِمْ تَحْتَ الثُّيُونِ وَطَابِ الْأَثَلِ بِالْقُدُمِ

(١) أبو الجويرية العبدى: اسمه عيسى بن أوس العبدى، شاعر محسن - سمط اللاكي ص ٣٢٣.

(٢) البيان والتبيين (١: ٨٣).

(٣) رواية البيان والتبيين:

قفوا خبرونا عن سليمان إنني لمعروفه من آل ودان طالس

(٤) الخيب: ضرب من العدو، والسرعة، وخب واختب بمعنى.

(٥) العياب: جمع عيبة، وهي ما يجعل فيه الثياب.

(٦) السرو: المروءة في شرف.

فيقول:

للمشرفيّة وَقَعَ فِي قَلَالِهِمْ وَقَعَ الْقُدُومُ بِكَفِّ الْقَيْنِ فِي الْحَشَبِ
فيبدل تلك الألفاظ، والبيت نقلاً ونسخاً على هيئته لما كان هذا المعنى يُعدُّ مسروقاً؛ لأنه من المبتذل العامي المشاهد في كل حال.

ومنى أحكمت هذا الباب حقّ الإحكام، وأوليته حسن التمييز فقد ألقيت عن نفسك ثقلاً، وكفيتها مؤونة، ولم يبق عليك إلا أن تخترس من التفريط، كما احترست من الإفراط. فلا تكن كمن يرى السرّ لا يتم إلا باجتماع اللفظ والمعنى، ونقل البيت جملة، والمصراع تاماً؛ بل لا يغرف السارق إلا من يفعل فعل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس. حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده لنفسه^(١):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَغِيلُ
وِيرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

فقال له معاوية؛ لقد شعرت بعدي يا أبا بكر! ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني، فأنشده كلمته التي أولها^(٢):

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَغْدُو الْمَنِيَةُ أَوَّلُ

حتى أتى عليها، وهذه الأبيات فيها. فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير فقال: ألم تخبرني أنها لك؟ فقال: المعنى لي واللفظ له؛ وبعد فهو أخي من الرضاع وأنا أحق الناس بشعره.

وكفعل جرير بقول سويد بن كراع العُكْلَى^(٣):

وَمَا بَاتَ قَوْمٌ ضَامِينَ لَنَا دَمًا فَنُوفِيهَا^(٤) إِلَّا دِمَاءَ شَوَافِعُ

فإنه نقل البيت إلى قصيدة له، فلما أنشدها نبه عليه عمر بن نعاء التيمي، وكان أحد الأسباب التي هاجت الشر بينهما.

وفعل الفرزدق إذ سمع جميلاً ينشد:

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلَقْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقُّوْا

فقال: أنا أحق بهذا البيت، فأخذه غصباً. وكما ادعى دُعْبِلَ عَلَى أَبِي تَمَامٍ^(٥) في

(١) الأمازي (٣: ٢١٨).

(٢) اللسان - مادة شفع، وديوانه ص ٣٧٢.

(٣) ديوان جرير ص ٥٧.

(٤) في الديوان: «فتوفينا»، وفي اللسان: «فشفينا».

(٥) ديوانه ص ٣٦٨، أخبار أبي تمام ص ٢٠٠، وفي الأصلين: «كما ادعى وعمل».

كلمته الرائية، التي رثى بها محمد بن حميد، فإنه زعم أن أبا مَكْنَفِ الْمُزْنِي، من ولد زهير بن أبي سلمى رثى دُفَافَةَ العَبْسِي، فقال:

أبعد أبي العباس يُسْتَعْتَب الدَّهْرُ وما بعده للدَّهْرِ عُثْبَى^(١) ولا عُذْرُ
ألا أبها الناعي دُفَافَةُ والسُّدَى تَعِسَتْ وَشَلَّتْ من أنا مِلْك العَشْرِ
إذا ما أبو العباس خَلَّى مكانه فما حَمَلْتُ أنثى ولا مَسَّهَا طُهْرُ
ولا مَطَرَتْ أرضاً سماءً ولا جَرَتْ نجومٌ ولا لَذَّتْ لشاربها الحَمْرُ
كأنَّ بني القَعْقَاعِ بعد وفاته نجومٌ سماءٍ خَزٌّ من بينها البَذْرُ
ثُوفِيَتِ الأمالُ بعد دُفَافَةَ وأصْبَحَ في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفَرُ
يُعَزُّونَ عن نَأْوٍ تَعَزَّى به العُلا ويبيكي عليه البأسُ والمَجْدُ والشَّعْرُ
وما كان إلا مالٌ مَنْ قَلَّ ماله وذخراً لمن أَمْسَى وليس له دُخْرُ

فأخذ أبو تمام أكثر هذه القصيدة وجعل مكان «بني القعقاع» «بني نبهان» وأبدل باسم دُفَافَةَ محمداً.

أو كما فعل أبو نُحَيْلَةَ بأَرْجُوزَةِ العَجَّاج: زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن أبا نُحَيْلَةَ قال: وفدتُ على مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمني وأنزلني، ثم قال لي: ما لك والقَصِيدِ وأنت من بني سعد! عليك بالرجز! فقلت: أولستُ بأَرْجُزِ العرب؟ فقال: أسمعني، فأنشدته:

يا صاحٍ ما شاقَكَ من رَسَمِ خَالٍ ودمنةٌ تعرفُها وأطلالٍ
وهو من قول العجَّاج، فلما سمع أولها أصاح، فلما أسهبْتُ فيها قال: أمسك.
فنحنُ أَرَوَى لهذا منك، وظننته مقننى، فما أصبْتُ منه خيراً.

وكما أخذ زهير^(٢) بيت أوس:
إذا أنت لم تَعْرِضْ^(٣) عن الجَهْلِ والخنا أصبَتْ حليماً أو أصابَكَ جاهِلُ
وهو مروى في قصيدته. وكقول المَعْلُوط^(٤):

إن الظغائنَ يَوْمَ حَزْمٍ عُنِيْزَةٍ بَكَّيْنِ^(٥) عند فراقهنَّ عُيُونَا
غِيْظُنَّ من عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنِ لِي ماذا لقيتَ من الهوى وَلَقِيْنَا
وقال جرير^(٦):

إن الذين غَدَوْا بِلبك غادروا وشلاً بَعَيْنِكَ ما يزال مَعِينَا

(٤) الأماي (٣: ٨٠).

(٥) في الأماي: «أبكين».

(٦) ديوانه ص ٥٧٨.

(١) العنبي هنا: ما تعوتب به.

(٢) أماي ابن الشجري (٢: ١٧).

(٣) رواية الأماي: «تقصر».

عَيْضُنْ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنِ لِي ماذا لقيت من الهوى ولقيتنا



ولا تعدّ المعنى مأخوذاً حتى يجيء مجيء قول النابغة^(١) :
لو أنها عرّضت لأشمط راهب عبد الإله صرورة^(٢) متعبداً
وقول ربعة بن مقروم^(٣) :

لو أنها عرّضت لأشمط راهب عبد الإله صرورة متبئلاً
وقول امرئ القيس^(٤) :

كأنّي لم أركب جواداً ليلدة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال^(٥)
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كروي كربة بغد إجمال^(٦)
وقول عبد يعوث بن وقاص الحارثي^(٧) :

كأنّي لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كروي نفسي عن رجالها
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لأيسار^(٨) صدق عظموا ضوء نارها



وقول النابغة^(٩) :
وما كان دون^(١٠) الخير لو جاء سالماً أبو حجر إلا ليال قلائل
وقول الحطيئة^(١١) :

وما كان بيني ولو لقيتكم سالماً وبين العنى إلا ليال قلائل



(١) اللسان (مادة صرر) وديوانه ص ٣١. (٢) الصرورة: الذي لم يتزوج.

(٣) اللسان (مادة تبل). (٤) ديوانه ص ٥٨.

(٥) الجواد: الفرس اللاحق، ولم أتبطّن؛ من البطانة. والكاعب: الجارية التي كعب ثديها وارتفع. والخلخال من الحلي؛ مثل السوار.

(٦) سبأ الخمر: اشتراها، والروي: الذي يروي.

(٧) خزنة الأدب (١: ٢٩٨). المواهب الفتحة (١: ١٠٨).

(٨) الأيسار جمع ياسر، وهو الجازر، والذي يلي قسمة جزور الميسر.

(٩) ديوانه ص ٦٢.

(١٠) رواية الديوان: «بين».

(١١) ديوانه ص ٩٩.

وقال مالك بن الرّيب:

العَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا والحرُّ يُكْفِيهِ الْوَعِيدُ
وقول يزيد بن [ربيعة بن] مُفَرَّغُ:
العَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا والحرُّ تُكْفِيهِ الْمَلَامَةُ
وقال آخر بعدهما:

العَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا والحرُّ تُكْفِيهِ الْإِشَارَةُ
❊ ❊ ❊

وقول ذي الرُّمة:

يَطْرَحَنَّ بِالْذُّوِيَّةِ^(١) الْأَمْلَاسَ^(٢) لِكُلِّ جَنْبٍ لَفَقِ السُّرْبَالِ^(٣)
مَوْتَى الْعِظَامِ حَيَّةَ الْأَنْفَاسِ
وقول رُؤبة:

يَطْرَحَنَّ بِالْذُّوِيَّةِ الْأَغْفَالَ^(٤) كَلَّ جَنْبٍ لَفَقِ السُّرْبَالِ
حَيَّ الشَّهِيْقُ مَيِّتِ الْأَوْصَالِ
❊ ❊ ❊

وقول امرئ القيس بن عابس^(٥):

قَفَّ بِالذِّبَارِ وَقُوفَ حَابِسٍ وتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ آبِسٍ
ماذا عليك من الوقوف ف بهامدِ الطَّلَلِينِ دَارِسٍ
لَعَبَتَ بِهِنِ الْعَاصِفَاتِ^(٦) الرَّا ثَحَاتِ مِنَ الرُّوَائِسِ^(٧)
وقول الكُمَيْت:

قَفَّ بِالذِّبَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ وتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

(١) الدوية: المفازة، وفي الأصلين: «بالدرية».

(٢) الملس: المكان المستوي؛ والجمع أملاس.

(٣) الولا؛ من المواساة، وهي المخادعة.

(٤) كل ما لا علامة فيه ولا أثر للعمارة من الأرضين والطرق ونحوهما غفل، والجمع أغفال.

(٥) أخبار المراقبة ص ٩٣، وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي. ذكره ابن حجر في الإصابة (١): (٦٤)، وأورد شعره المذكور.

(٦) في أخبار المراقبة: «الغاديات».

(٧) الرانس: رأس الوادي، وكل مشرف، وجمعه روائس. وروائس الوادي أعاليه. وسحابة رائسة: هي التي تتقدم السحاب.

ماذا عليك من الوقو ف بهامد الطَّلَلين دائر
درجت عليه الغاديات الرا نَحاحات من الأعاصر



ومثل قول الأقيشر - إن كانت له :

جَرَيْتُ مَعَ الصُّبَا طَلَّقَ الْعَتِيقِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْفُسُوقِ
وَجَذْتُ أَلَذَّ عَارِيَةِ اللَّيَالِي قِرَانَ النَّغَمِ بِالْوَتْرِ الْحَفُوقِ
وَمُسْمَعَةً إِذَا مَا شِئْتُ غَنَّتْ مَتَى نَزَلَ الْأَجْبَةُ بِالْعَقِيقِ
تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصِلْ بِعُرَى الصُّبُوحِ عُرَى الْغُبُوقِ^(١)
وقول أبي نواس^(٢) :

جَرَيْتُ مَعَ الصُّبَا طَلَّقَ الْجُمُوحِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْقَبِيحِ
وَجَذْتُ أَلَذَّ عَارِيَةِ اللَّيَالِي قِرَانَ النَّغَمِ بِالْوَتْرِ الْفَصِيحِ
وَمُسْمَعَةً إِذَا مَا شِئْتُ غَنَّتْ مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحِ
تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصِلْ بِعُرَى الْغُبُوقِ عُرَى الصُّبُوحِ
وَأَنَا أَرْتَابُ بِأَيَّاتِ الْأُقَيْشِرِ؛ فَإِنَّهَا لَا تُشَبِّهُ شَعْرَهُ، وَلَمْ أَرَهَا فِي دِيْوَانِهِ.



وقول الراعي :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا مَا اشْتَرَى الْمُخْزَاةَ بِالْمَالِ بَيْهَسُ
وقال الأبيرد :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ^(٣) أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ
وقول أبي نواس^(٤) :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ



وقول محمد بن وهب :

هَلْ الدَّهْرُ إِلَّا عَمْرَةٌ وَانْجَلَاؤُهَا وَشَيْكَا وَإِلَّا ضَيْقَةٌ تَتَفَرَّجُ

(١) الغبوق : الشرب بالعشي .

(٢) ديوانه ص ٢٥٧ .

(٣) سنة شهباء : كثيرة الثلج مجدبة .

(٤) ديوانه ص ٩٩ .

وقول البُخْتَرِي^(١):

هل الدهرُ إلا غمرةٌ ثم يَنْجَلِي عَمَاهَا وإلا ضيقةٌ وانفراجُها



وقول حَزَن بن جَنَاب المِنْقَرِي^(٢):

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه ففي صالح الأخلاقِ نفسَكَ فاجعلِ

وقول حُرَيْثُ أبو اللُّحَام^(٣):

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه فأبصرْ بعَيْنِكَ امرأً حيثُ يَغمد^(٤)



وقال مالك بن الرِّيب^(٥):

يقولون لا تَبْعِدْ وهم يَذِفُونَنِي وليس^(٦) مكانُ البُعْدِ إلا مَكانِيَا

وقول هُذَيْبَةُ بن الخَشْرَم^(٧):

يقولون لا تَبْعِدْ وهم يَذِفُونَنِي وليس مكانُ البُعْدِ إلا ضَرَائِحِي^(٨)



وقول العباس بن المطلب:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنتَ تَعْلَمُ

وقول الفرزدق:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنتَ تَعْرِفُ



وقول نَافذ بن عَطَّار^(٩):

وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سائلاً وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يوماً لِيُعْطِيَنِي سُؤْلِي

(١) ديوانه (١: ١٠٣)، ورواية الديوان:

هل الدهرُ إلا غمرةٌ وانجلاؤُها وشيكاً وإلا ضيقةٌ وانفراجُها

(٢) في الأصلين: «ابن حيان»، والتصحيح عن معجم الشعراء ص ١٠١.

(٣) في الأصلين: «حريث اللجام»، والتصحيح عن الخزاعة.

(٤) يعمد: يقصد. (٥) الأمالي (٣: ١٣٧).

(٦) في الأمالي: «وأين مكان البعد». (٧) في الأصلين: «هرمة بن الخشرم».

(٨) الضريح: الشق في وسط القبر، واللحد في الجانب.

(٩) في الأصلين: «ناقذ».

وقول الأصلع بن قصاب :

وَإِنِّي لَأُعْطِي الْمَالَ مَنْ لَيْسَ سَائِلًا وَأُعْرِضُ عَنْ بَادِي الشَّدَاةِ^(١) مُلِيمٍ



وقول الْمُخَضَّعِ الْعَبْدِيِّ^(٢) :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَتَرْجِعُهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ

وقول الْأَعْوَرِ الشَّنِيِّ :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ^(٣) يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا^(٤)



وقول وَالْبَةِ :

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ أَسَدٍ نَمَتَ عَنْ لَيْلَى وَلَمْ أَكْغِدِ

وقول أَبِي نَوَاسٍ^(٥) :

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ^(٦) نَمَتَ عَنْ لَيْلَى وَلَمْ أُنَمِّ



وقول حَاتِمٍ^(٧) :

وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى وَتَارِكُ شَكْلِ لَا يُوَافِقُهُ شَكْلِي

وقول جَرِيرٍ^(٨) :

وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي أَحْتِمَالِيَا

وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا جَمَعَ اتِّفَاقَ الْأَلْفَاظِ، وَتَسَاوَىِ الْمَعَانِي، وَتَمَاثُلَ الْأَوْزَانِ.

سرقة المعاني والأغراض

وأول ما يلزمك في هذا الباب ألا تُقْصِرَ السَّرْقَةَ عَلَى مَا ظَهَرَ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ دُونَ مَا

(١) الشداة: الحدة، وفي الأصلين: «الشداة» - بالدال.

(٢) هو من عبد فيس.

(٣) رواية البيت في المؤتلف والمختلف ص ٤٧٥.

وَمَنْ يَبْتَدِعْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ

(٤) ديوانه: ٣٢٤.

(٥) الخيم: الطبع.

(٦) حكم: قبيلة.

(٧) مهذب الأغاني (١: ٦٦)، ديوانه ص ٢٠.

(٨) ديوانه ص ٦٠٥.

كَمَنْ، وَنَضَحَ^(١) عَنْ صَاحِبِهِ؛ وَأَلَّا يَكُونَ هُمُكَ فِي تَتَبِغِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَالْمَعَانِي الْمُتَنَاسَخَةِ طَلَبَ الْأَلْفَاظِ وَالظُّوَاهِرِ دُونَ الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ، وَلَنْ تُكْمِلَ ذَلِكَ حَتَّى تَعْرِفَ تَنَاسُبَ قَوْلٍ لِبَيْدٍ^(٢):

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَرُدَّ الْوَدَائِعُ
وَقَوْلِ الْأَفْوِهِ الْأَوْدِي:

إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٌ مُثْعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ
وَإِنْ كَانَ هَذَا ذِكْرَ الْحَيَاةِ، وَذَلِكَ ذِكْرُ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا جُعِلَ وَدِيعَةً، وَالْآخَرُ عَارِيَةً، وَتَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ^(٣):

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ

هُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ:

فَنَفْسُكَ أَكْرِمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهْنُ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمًا
وَحَتَّى تَتَأَمَّلَ هَذِهِ الْآيَاتِ فَتَعْرِفَ انْتِسَابَ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَاتِّصَالَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِصَاحِبِهِ، مَعَ افْتِنَانِ مَذَاهِبِهِمَا، وَاخْتِلَافِ مَوَاقِعِهِمَا، كَقَوْلِ زَهِيرٍ^(٤):

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ بُغْيَةٌ وَلَيْسَ لِمَنْ قَدْ حَطَّهَ اللَّهُ حَامِلٌ
وَقَوْلِ حَاتِمٍ^(٥):

إِذَا أَوْطَنَ^(٦) الْقَوْمُ الْبَيْوتَ وَجَدْتَهُمْ عُمَاءَ عَنِ الْأَخْبَارِ خُرُوقَ الْمَكَاسِبِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ:

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً إِنْ السُّعُودَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحٌ
وَقَوْلِ الْآخَرِ^(٧):

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ - وَيُقَالُ لِسَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ^(٨):
أَغْصِ الْعَوَائِلَ وَأَزِمِ اللَّيْلَ عَنْ عَرَضِ بِذِي سَبِيبٍ^(٩) يُقَاسِي لَيْلَهُ خَبَبًا

(١) نَضَحَ عَنْ صَاحِبِهِ: دَفَعَ عَنْهُ.

(٢) مَهْذَبُ الْأَغَانِي (٢: ٦٤). (٣) سَبَقَ مَنَسُوبًا إِلَى حَزْنِ بْنِ جَنَابٍ ص ١٧٣.

(٤) مَخْتَارَاتُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ: ١٨، قَالَ: وَقَدْ رَوَى الشُّطْرُ الثَّانِي:

لَيْسَ لِرَحْلٍ حَلَهُ اللَّهُ حَامِلٌ

(٥) شعراء النصرانية ص ١٢٩، ديوانه ص ٤.

(٦) أَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ مَحَلًّا وَسَكَنَ (وُطِنًا).

(٧) هُوَ أَبُو الْعِيَالِ، وَلَا يَعْرِفُ لَهُ اسْمٌ غَيْرُ هَذَا، الْعَمْدَةُ (١: ٢٤).

(٨) اللِّسَانُ - مَادَّةُ شُعْبٍ. (٩) السَّبِيبُ: شَعْرُ النَّاصِيَةِ.

حتى تُصَادِفَ مَالاً أَوْ يُقَالَ قَتَى لَأَقَى^(١) الَّذِي شَعَبَ الْفِتْيَانِ فَانْشَعَبَا
 وقول هبيرة بن عبد مناف:
 إِذْ الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْكَرْبَهَةَ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الْهُوَيْنِي بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا
 وقول أبي تمام^(٢):
 دَرِينِي وَأَهْوَالِ الزَّمَانِ أَعَانِيهَا^(٣) فَأَهْوَالُهُ الْعَظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ
 وتعلم أن زهيراً جمع في قوله:

وليس لمن لم يركب الهول بُغْيَةً

ما بسطه هؤلاء، وأن أبا تمام زاد بأن حَقَّقَ درك البُغْيَةِ، وحصول المراد لا محالة.

واقصر زهير على التأميل؛ فلأبي تمام فضيلة التأكيد، وأن الغرض الحث على تجشم الأهوال في الطلب، فكلما ازداد الكلام تأكيداً كان أبلغ. ولزهير مَرِيَّةُ الصدق؛ لأن الأمل مقرون بهذه الحال، والبهية مطلوبة؛ فأما الظفر الذي حكم به أبو تمام فقد يكون، وقد يُقْتَطَعُ الطالب دونه، ويُحَالُ بينه وبينه.



وألطف من هذا التناسب، وأعَمَضَ مَأْخِذاً ما تجده بين هذه الأبيات إذا حذفت عنك اعتبار أمثلتها، وأقبلت على صريح معانيها:

قال بعض العرب:

يَهَابُ الْعَدِيدِ الدُّهْمُ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى وَيُخْشَى شِدَاةُ^(٤) الْعِزِّ وَالْعِزُّ غَائِبُ
 وقال أبو هَفَّان:

أَنَا السِّيفُ يُخْشَى حُدُّهُ قَبْلَ هَزِّهِ فَكَيْفَ وَقَدْ هُزَّ الْحُسَامُ الْمَهْدُ
 وقول البحتري^(٥):

وَيُخْشَى شِدَاةُ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّطٍ وَقَدْ يُتَوَقَّى السِّيفُ وَالسِّيفُ فِي الْغَمْدِ

(١) رواية اللسان:

لاقى التي تشعب الفتيان فانشعبا

(٢) ديوانه ص ٤٤.

(٣) في الديوان: «فإنها».

(٤) الشدة: الحدة، وفي الأصل: الشدة - بالذال.

(٥) ديوانه (١: ١٩٦)، وفي الأصلين «شده».

وقول المتنبي^(١):

تُهَابُ سَيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةَ عُرْبَا
وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَخَدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَخْبَا
وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانَهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا
معنى هذه الأبيات الثلاثة واحد، وإن اختلفت المعارض والأمثلة.



وكاختلافها واتفاق أغراضها قول الطُّفَيْلِ الْعَتَوِيِّ^(٢):

نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَا وَانْجَلَّتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ^(٣) كَوْكَبٌ
وقول أَبِي الطَّمَحَانِ^(٤) [الْقَيْنِي]:
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا عَارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وقال أَوْسٌ^(٥):
إِذَا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حَدَّ نَابِهِ تَحْمُطُ مِنَّا^(٦) نَابُ آخَرٍ مُقَرَّمٍ
وقال الْخَزِيمِيُّ^(٧):
إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأُفُقِ يَلْمَعُ
وقال أَبُو تَمَامٍ^(٨):
رَأَيْتُهُمْ رِيَشَ الْجَنَاحِ إِذَا مَضَتْ^(٩) قَوَادِمُ مِنْهُ بَشَرَتْ^(١٠) بِقَوَادِمِ

التفنن في السرقة

وحتى لا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً، والآخر مديحاً،

(١) ديوانه (١ : ٦١).

(٢) مهذب الأغاني (١ : ٢٢٧) وروايته:

كواكب دجن كلما انقض كوكب

(٣) الدجنة: الظلمة.

(٤) في الأصلين: «الطمحان».

(٥) اللسان - مادة خمط، وسقط اللآلئ: ٤٥٥، وروايته:

وإن سيد منّا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

(٦) في اللسان: فينا، والتخمط: الغضب والتكبر والأخذ والفهر بغلية، والمقرم: السيد، أراد أنه إذا هلك سيد قام آخر.

(٧) في الأصلين: «الخريمي».

(٨) ديوانه ٣٨٦.

(٩) في الديوان: «ذوت».

(١٠) في الديوان: «أيدت».

وأن يكون هذا هجاء، وذاك افتخاراً؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عَلِقَ المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنّفه وعن وزنه ونظمه، وعن رويّه وقافيته، فإذا مرّ بالغبيّ الغفل وجدهما أجنبيّين متباعدين، وإذا تأملهما القِطْن الذكي عرف قرابة ما بينهما، والوصلّة التي تجمعهما، قال كُثَيِّر^(١):

أريد لأتسى ذكّرها فكأنما نَمَثَلُ لي ليلى بكلّ سبيلٍ
وقال أبو نواس^(٢):

ملك تصوّر في القلوب مثأله فكأنه لم يَحُلْ مِنْهُ مَكَان
فلم يشكّ عالمٌ في أن أحدهما من الآخر، وإن كان الأول نسيّاً والثاني مديحاً.



وقال أبو نواس^(٣):

حُلِّيتَ وَالْحُسْنُ تَأْخُذُهُ تَنَتَّقِي مِنْهُ وَتَسْتَخِيبُ
فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهْبُ
وقال عبد الله بن مُضْعَب:

كَأَنَّكَ جِئْتَ مُحْتَكَماً عَلَيْهِمُ تَحَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ
فأحدُ البيتين هو الآخرُ في المعنى، وإن كان أحدهما يتخيّر الحسن والآخر الأبوة، وإنما هما من قول بشار^(٤):

حُلِّقْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُحَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْذَبَا
ثم تناوله أبو تمام، فأخفاه فقال^(٥):

وَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ



وقد أخذ أبو نواس قول جرير^(٦):

بعثن^(٧) الهوى ثم ازتمين قلوبنا بأشهرهم أعداء وهنّ صديقتي

(٢) ديوانه (ص ٥٩).

(١) الأمازي (٣: ١١٩).

(٣) ديوانه (ص ٣٦١).

(٤) ديوانه (ص ٣٣)، وروايته:

طبعنت على ما في غير محير

(٥) ديوانه ص ١٩٥.

(٧) في الديوان: «دعون».

(٦) ديوانه ص ٣٩٨.

فقال^(١):

إذا امتَحَنَ الدنيا لبيبٌ تَكْشَفَتْ له عن عدوِّ في ثياب صديق



وأخذ أيضاً قول أبي جرّاش الهذلي^(٢):

ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رِداءه على أنه قد سُلَّ من ماجِدٍ مُحْضٍ

فقال - يصف شرباً^(٣):

ولم أدرِ منهم غيرَ ما شهدت به بشرقي سايِط الديار البَسَاسِ^(٤)
فلم يَخَفَ موضع لأخذ؛ وإن كان قد نقلَ العَزَلُ إلى الزهد، والمرثية إلى المنادمة.

مناقضة الشعراء

ومن لطيف السَّرْق ما جاء به على وجه القلب، وقَصِد به النقض، كقول المتنبي^(٥):

أَحْبَبُهُ وَأَحْبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ إِنَّ المَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَغْدَائِهِ

إنما نقض قول أبي الشيص^(٦):

أَجِدُ المَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمُنِي اللُّؤْمُ

وأصله لأبي نُوَاس في قوله^(٧):

إذا غاديتني بَصْبُوحِ عَذْلٍ فممزوجاً^(٨) بِتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فلإني لا أَعُدُّ اللومَ^(٩) فيه عليك إذا فعلتِ مِنَ الذَّنُوبِ



وقول المتنبي^(١٠):

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّبِهِ بِسُؤَالِ

إنما ناقض به أبا تمام في قوله^(١١):

وَنَعْمَةٌ مُعْتَفٍ جَذَوَاهُ^(١٢) أَحْلَى عَلَى أَذُنِيهِ مِنْ نَعَمِ السَّمَاعِ

- | | |
|----------------------------------|---------------------------|
| (١) مختارات البارودي (٤ - ٤٦٨). | (٧) ديوانه ص ٣٦١. |
| (٢) مهذب الأغاني (٢: ١٩٧). | (٨) في ديوانه: «فشويه». |
| (٣) ديوانه ص ٢٩٥. | (٩) في الديوان: «العذل». |
| (٤) البساس: جمع بسيس، وهو القفر. | (١٠) ديوانه (٣: ١٩٦). |
| (٥) ديوانه (١ - ٤). | (١١) ديوانه ص ١٩٤. |
| (٦) التبيان (١ - ٤). | (١٢) في الديوان: «يرجوه». |

وقد تبعه البُحْثَرِي؛ فقال^(١):

نَشْوَانٌ يَطْرَبُ للسَّوَالِ كَأَنَّمَا غَنَاهُ مَالِكٌ طَيْسِيٌّ أَوْ مَغْبَدٌ



وقول المتنبي^(٢):

أَنْتَ نَقِيزُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاضِيُ الْبَيْضِ وَالْقَنَاءِ الدُّبُلُ

إنما هو نقيض قول أبي نواس^(٣):

عَبَّاسٌ عَبَّاسٌ إِذَا اخْتَدَمَ الْوَعَى وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ



وقول ابن أبي طاهر:

يَشْتَرِكُ الْعَالَمُ فِي ذَمِّهِ لَكِنِّي أَمْدَحُهُ وَخَدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام^(٤):

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا^(٥) لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَخَدِي

وهذا بابٌ يحتاجُ إلى إنعام الفكر، وشدة البحث، وحسن النظر، والتحرُّز من الإقدام قبل التبيين، والحكم إلا بعد الثقة. وقد يَغْمُضُ حتى يخفى، وقد يذهبُ منه الواضح الجليُّ على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرِّباً بالنقد؛ وقد تُخِيلُ العصبيةُ فيه العالمَ على دفع العيان، وَجَحْدِ المُشَاهَدَةِ، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، والاشتهار بالجور والتحامل!

(١) ديوانه ص ١٧٦.

(٢) ديوانه (٣: ٢١٦).

(٣) ديوانه ص ٩٦.

(٤) ديوانه ص ١٢٩.

(٥) في الديوان: «ومتى ما لمته».

ادعاء السرقة في شعر البحتري وأبي نواس وأبي تمام

ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام وتتبّعه بشر بن يحيى على البحتري، ومهلhel بن يموت على أبي نواس عرفت فُبح آثار الهوى، وازداد الإنصاف في عينك حسناً. زعم مهلهل أن قول أبي نواس^(١):

إليك أبا العباس من^(٢) بَيْنِ مَنْ مَشَى عليها امتطينا الحَضْرَمِيّ الْمُلْسَنًا
مأخوذ من قول كُثَيْر^(٣):

لهم أُرْزُ حُمْرُ الْحَوَاشِي يَطْوُونَهَا^(٤) بأفْءَامِهِمْ فِي الْحَضْرَمِيّ^(٥) الْمُلْسَنِ

والحَضْرَمِيّ الْمُلْسَنُ أشهرُ عند العرب من أن يُفْتَقَر فيه إلى قول كثير أو غيره، وإنما هو صنف^(٦) من نعالهم كان مستحسنًا عندهم، فما في ذِكر أبي نواس له من السرقة المعروفة شيء، ثم لو ذكر بعض شعرائنا اليماني الْمُخَصَّر^(٧) والكناني الْمُطَبَّق، ثم وجدناه في شعر غيره، أَكُنَّا نقول: إنه مأخوذ منه؟ أو كنا نَعُدّه سرقة؟ وليس بين البيتَيْن اتصال ولا تناسب إلا في هذه اللفظة؛ لأن كثيراً مدح قومًا فوصفهم بِالْمَرْح والنعمة والخَيْلاء، وذكر سُبُوعُ أُرْزِهِمْ، وأنهم يَطَاوُنُهَا بنعالهم الْحَضْرَمِيَّة الْمُلْسَنَةُ هَوَاناً بها، وقصد أبو نواس معنى آخر فذكر أنه قَصَدَ مَمْدُوحه ماشياً وامتطى نعله الحَضْرَمِيَّة الْمُلْسَنَةُ؛ فما أرى بينها غير ما ذكرت. وزعم أن قول أبي نواس^(٨):

نُعْزِي^(٩) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا على خير مَيْتٍ غَيَّبَتْهُ الْمُقَابِرُ

(١) ديوانه ص ٧٦. (٢) في الديوان: «من دون من مشى».

(٣) اللسان - مادة لسن. (٤) في الأصلين: «بطنها».

(٥) في الأصلين: «والحَضْرَمِي».

(٦) الملْسَن من النعال: الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان.

(٧) خصر النعل: ما استدق من قدام. وتعل مخصرة لها خصران، وفي الحديث: «إن نعله عليه السلام كانت مخصرة»، أي قطع خصرها حتى صارا مستدقين.

(٨) ديوانه ص ١١٧.

(٩) في الأصلين: «تعز».

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ محمداً لرابِطُ جَأَشٍ لِلخُطوبِ وضابِرُ
من قول موسى شَهَوَاتٍ :

بَكَتِ المنابرُ يومَ ماتَ وإنما أبكى المنابرُ فقدُ فارِسَهِنَّ
لما علاهنَّ الوليدُ خليفةً قلن: ابْنُهُ ونظيرُهُ فسكُنُهُ
وهذا أعجبُ من الأول؛ لأنهما لم يتشابهَا في لفظٍ ولا معنى، وأكثر ما فيها أنَّ كل واحد منهما عزى خليفة عن أبيه ومدحه، فإن كان هذا سرقة فالكلام كله سرقة؛ وإنما الذي يقارب قول موسى قول محمد بن عبد الملك يرثي المعتصم ويمدح الواصل:

لَسَنَ يجبرَ اللهَ أمةً فَقَدَتْ مثْلَكَ إلا بمثلِ هارون
لأنه جعل انجبار الأمة بعد الوهن الشديد بهارون كسكون المنابر بالوليد بعد البكاء على أبيه؛ وهذا أخذٌ لطيف. وقد زعم أن قوله:

حباريابَ جَلَهَتِي مَلْحُوبٍ فالقُطَيْبِيَّاتِ إلى الذُّنُوبِ
من قول عبيد^(١):

أَقْفَرُ من أَهْلِهِ مَلْحُوبٍ فالقُطَيْبِيَّاتِ^(٢) فالذُّنُوبِ
وهذه أسماء مواضع لا معنى للسرقة فيها، ولو كان الجمع بينها سرقة لكان أفرادها كذلك، فكان يحرم على الشاعر أن يذكر شيئاً من بلاد العرب. وأن قوله في الخمر^(٣):

أنتَ دونها الأيامُ حتى كأنها تَسَاقُطُ نورٍ من فُتُوقِ سَماءِ
من قول جرير^(٤):

يَجْرِي^(٥) السَّوَاكُ على أغرٍّ كأنه بَرْدٌ تحذرُ من مُثُونِ عَمَامِ
ولست أرى شبيهاً يشتركان فيه إلا إن ادَّعي احتذاء المثل فلعله. وأن قوله^(٦):
تَرَى العَيْنَ تَسْتَغْفِيكَ من لَمَعَانِهَا وتحسِرُ حتى ما تُقِلُّ جَفُونَهَا
من قول الأبيزْد:

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأمر لي فيه وإن عَظُمَ الأمرُ
ولا أراهما اتفاقاً إلا في الاستعفاء، وهي لفظة مشهورة مُبْتَدَلة، فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميع الشعر كذلك؛ لأن الألفاظ منقولة متداولة وإنما

(١) اللسان - مادة قطب، ومادة لحب.

(٢) القطبية: ماء بعينه، وملحوب: موضع.

(٣) ديوانه ص ٦٣.

(٤) ديوانه ص ٥٥١.

(٥) في الديوان: «تجري السواك».

(٦) لم نقف عليه في ديوانه.

يُدعى ذلك في اللفظ المستعار أو الموضوع ، كقول أبي نواس^(١) :

طوى الموت ما بيني وبين محمد
وقول البطّين البجلي :

طوى الموت ما بيني وبين أحبة بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع



وكقوله :

سَقَّته كف الليل أنكُوسَ الكرى

وقول الآخر :

سقاء الكرى كأس الثعاس فرأسه
لدين الكرى في آخر الليل ساجد



وقوله^(٢) :

كسدت منادمة الدماء سيوفه
وقول بعض العرب :

وتنادمت دُفع الدماء سيوفنا
حتى اجتوى أصحابها سُكر القنا



وقول أبي تمام^(٣) :

حتى تعمم ضلع هامات الربي
وقول بعض الأعراب :

أصبحت العقدة^(٥) ضلعاء اللمم
وأصبح الأسود مخضوباً بدم



وقول آخر :

بكى فاستمل الشوق من في حمامة
وقول أبي تمام^(٦) :

وقد كاد يُنسى^(٧) عهد ظمياء باللولى
ولكن أملته عليه الحمام

(١) ديوانه ص ١٢٩ .

(٢) لم نجده في ديوانه .

(٣) ديوانه ص ٢٧٩ .

(٤) في الديوان : « من ثوره » .

(٥) العقدة من الشجر : ما اجتمع وثبت أصله .

(٦) ديوانه ص ٢٨٥ .

(٧) في الأصلين « بيني » .

فَأَخَذَ أَمَلٌ مِنْ اسْتَمَلَّ، وَإِنْ كَانَ تَهْيِجُ الْحَمَامِ صِبَابَةَ الْمَشْتَاكِ مَبْتَدَأً.



وقول أشجع :

إِذَا خَالَطَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ تَجَهَّزَتْ إِلَى الْبَيْنِ أَفْرَاسُ الصُّبَا وَرَوَّاجِلُهُ
وقول زهير^(١) :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَغُرِّيَ أَفْرَاسُ الصُّبَا وَرَوَّاجِلُهُ



وقول الجلاح :

نَفَضْنَا إِلَى الْمَوْتِ أَذْرَاعَنَا كَمَا تُنْفَضُ الْأَسْدُ أَلْبَادَهَا
وقول حسان^(٢) :

وَيَسْهَرُ تَعْلَمُ أَنَّهَا أُسُودٌ تُنْفَضُ أَلْبَادَهَا



ومما ادعاه أيضاً على أبي نواس قوله :

كَأَنَّ قَجْدِيهِ وَقَدْ ضُمْنَا وَال... فِيهِ عَقْدُ عَشْرِينَ

أنه مأخوذ من قول عبد بني الحسحاس :

وَأَشْهَدُ بِالرَّحْمَنِ أَنِّي رَأَيْتُهَا وَعَشْرِينَ مِنْهَا إصْبَعاً مِنْ وَرَائِهَا

وليس بين البيتين اتفاقٌ بحال إلا في ذكر العشرين، والمعنيان شديداً التباين؛

هذا يذكر أنه علاها والتحفث عليه فعقدت يديها ورجليها فصارت أصابعها العشرون من ورائه، وأبو نواس يُشَبِّه ما ذكره بعقد عشرين، فأَيُّ قُرْبَى أَوْ نَسَبٍ بَيْنَ هَذَيْنِ.

وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هُدْبَةَ^(٣) :

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

أنه مأخوذ من قول تأبط شراً :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَارِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمَتَحَوِّلِ

تأملهما فإنك ترى بينهما من التَّيْبَانِ ما يحظر ادعاء ذلك فيهما، ولو احتمل

الكتاب استقصاء ما حاقَتْ به هذه الطائفة على أبي نواس وأبي تمام والبحثري لبسطنا القول فيه؛ لكنه لما ضاق عنه اقتصرنا على قَدْر ما أريناك به الطريقة، ووقفناك به على

(٢) ديوانه ص ١١٧.

(١) ديوانه ص ٢٤.

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٥١.

الْمَنْهَج، فَإِنْ سَمَتْ بِكَ هَمَّةٌ، ونازعتك زغبة، فاقْتَنَبَ فيه هذا الأثر، وغايه بهذا المعيار فإنك لا تبتعد عن الإصابة ما لم تمل بك العصبية، ويستولي عليك الهوى والمداهنة.

السرق داء قديم

والسَّرْقُ - أَيْدِكَ اللَّهْ - داءٌ قديم، وعيبٌ عتيق، وما زال الشاعر يستعينُ بخاطر الآخر، ويستمدُّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد الذي صدرنا بذكره الكلام، وإن تجاوزَ ذلك قليلاً في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ، ثم تسبَّب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب؛ وتغيير المنهاج والترتيب، وتكلفوا جَبْرَ ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال، والتصريح في أخرى، والاحتجاج والتعليل؛ فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله. وقد ادعى جرير على الفرزدق السَّرْق فقال^(١):

سبعلمُ مَنْ يَكُونُ أبوه فينا وَمن عُرِفَتْ قصائدهُ اجتلاباً
واذعى الفرزدق على جرير فقال^(٢):

إِنَّ استراقَكَ يا جريرُ قصائدي مثل ادْعَاكَ سِوَى أَيْبِكَ نَنْقُلُ

ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمة؛ لأن مَنْ تقدّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على مُعْظَمِها؛ وإنما يحصل على بقايا: إما أن تكونَ تُركت رغبةً عنها، واستهانةً بها، أو لبعْدِ مُطْلَبِها، واعتباس مزامها، وتعذر الوصول إليها؛ ومتى أجهد أحذنا نفسه، وأعمل فكره، وأتعب خاطره وذنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفّح عنه الدواوين لم يُخْطِئْهُ أن يجده بعينه، أو يجد له مثلاً يغضُّ من حُسْنِه؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بَثَّ الحكم على شاعر بالسرقة. وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في محاجة البحري لما ادعى عليه السَّرْق قوله:

والشعرُ ظَهَرَ طَرِيقِي أَنْتَ رَاكِبُهُ فَمِنْهُ مُنْشَعِبٌ أَوْ غَيْرُ مُنْشَعِبٍ
وربما ضَمَّ بَيْنَ الرُّكْبِ مِنْهَجُهُ وَأَلْصَقَ الطُّنْبِ الْعَالِي عَلَى الطُّنْبِ

إلا أنني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبتُه بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره، وإنما أقول: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا، فأغتنم به فضيلة الصدق، وأسلم من افتحام التهوّر.

سرقات المتنبي

وهذا ما ادّعي على أبي الطيب فيه السرقة، وما أضيف إليه مما عثرت به :
قال أبو تمام - وقد روي هذا البيت لبكر بن النطاح، وقد دخل في شعر أبي تمام^(١) :
ولو لم يكن في كفه غير نفسه^(٢) لجاد بها فليثق الله سائله
قال أبو الطيب^(٣) :

يا أيها المُجْدَى عليه رُوحه إِذْ لَيْسَ يَأْنِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ
أَحْمَدُ عُقَاتِكَ^(٤) لَا فُجِعَتْ بِفَقْدِهِمْ فَلَنْزُكْ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ
وبيت أبي تمام أو بكر بن النطاح أملح لفظاً وأصح سبكاً. وزاد أبو الطيب
بقوله : إنه يجدي عليه رُوحه. ولكن في اللفظ قصور، والأول نهاية في الحسن، ثم
نقل المعنى عن الروح إلى الجسد، فقال^(٥) :

لو اشْتَهَتْ لَحْمٌ قَارِبَهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ^(٦)
وهذا هو الأول، ومن جاد بأوصاله فقد جاد برُوحه، وكأنه من قول ابن الرُّومي :
لو حَزَّ مِنْ جِسْمِهِ لِسَائِلِهِ أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَّا أَلِمَا
ثم كرره وغيره بعض التغير فقال^(٧) :
مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا^(٨) لَوْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ^(٩)

(١) ديوانه ٢٣٢، التبيان: ٢٦ : وقد رواه هناك منسوباً إلى بكر بن النطاح؛ وروايته فيه :
ولو أن ما في كفه غير نفسه

(٢) في الديوان : «غير رُوحه».

(٣) ديوانه (١ : ٢٦).

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو الفقير السائل، وهو طالب المعروف.

(٥) ديوانه (٣ : ٢٨١).

(٦) القاري: المضيف. خرادل (بالدال والذال): القطع. والأوصال: جمع وصل؛ وهو كل عظم لا يكسر، ولا يخلط به غيره. الشيزي: جفان تصنع من خشب أسود.

(٧) ديوانه (٤ : ٦٣). (٨) يخاطب صاحبيه، وهي من عادة الشعراء.

(٩) المعنى: إني عدلت إلى زيارة رجل، لو جئتما تسألانه يكاد ينقسم بينكما؛ فصار لكل واحد منكما نفسه. وهذا مبالغة في الكرم.

ثم لاحظ هذا فأخفاه؛ وأحسن ما شاء، فقال^(١) :
 إِنَّكَ مِنْ مَغْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا
 فجاء به معنى مُفْرَدًا، وهو من باب السماحة بالروح. والغرض واحد. ومن هذا
 المعنى قول بكر بن النُّطَّاح^(٢) :
 وَلَوْ خَذَلْتُ أَمْوَالَهُ فَيَضَّ^(٣) كَفَّهُ لِقَاسِمٍ مِنْ يَزْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ



قال أبو تمام^(٤) :
 لَوْ حَارَ^(٥) مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجْزُ إِلَّا الْفِرَاقُ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا
 قال أبو الطيب^(٦) :
 لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَابِيَا إِلَى أَزْوَاجِنَا سُبُلًا



وقال الأعشى^(٧) :
 لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَبْرِ
 وقال أبو الطيب^(٨) :
 فَذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقَبَّلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبًا لِأَخِيَا سَالِفَ الْأَمِّ
 وهذا معنى متداول بعد الأعشى، وقد قيل فيه ما كثر.



قال أبو العباس الناشئ الأكبر^(٩) :
 لَفْظِي وَلَفْظُكَ بِالشَّكْوَى قَدْ ائْتَلَفَا يَا لَيْتَ^(١٠) شِعْرِي فَقَلْبَانَا لِمَ اخْتَلَفَا
 قال أبو الطيب^(١١) :
 أَبْدَيْتُ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَرَعٍ وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ^(١٢) مِنْ أَلَمٍ
 والأول أملح لفظًا.



- | | |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| (١) ديوانه (٣ : ٢١٦). | (٧) التبيان (٤ : ٣٧). |
| (٢) الأمالي (١ : ٢٤٧). | (٨) ديوانه (٤ : ٣٧). |
| (٣) في الأمالي : «جود كفه». | (٩) التبيان (٤ : ٣٨). |
| (٤) ديوانه ص ٢٤٢. | (١٠) في الأصلين : «فليت». |
| (٥) في الديوان : «جاء»، وحرار : رجع. | (١١) ديوانه (٤ : ٣٨). |
| (٦) ديوانه (٣ : ١٦٣). | (١٢) أجننت الشيء : سترته وكتمته. |

قال محمد بن داود^(١):

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَزْعَى خَوَاطِرِي وَآخِرَ بَزْعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
وإنما أخذه من قول العباس^(٢) [بن الأحنف]:

أَقَامْتُ عَلَى قَلْبِي رَقِيباً وَنَاطِرِي فَلَيْسَ يُؤْذِي عَنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي
قال أبو الطيب^(٣):

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ سَدَّ مَسَامِعِي عَنْ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا عَذْلُ^(٤)



أبو تمام^(٥):

مُتَوَاطُّو عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَالْمَجْدِ ثَمَّتْ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ
قال أبو الطيب^(٦):

رَأَيْتُ عَلِيّاً وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَاسْتَوَى الْحُرُّ وَالْعَبْدُ
وأعاده فقال^(٧):

حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيفَةُ أَغْبَدُ



قال أبو تمام^(٨):

غَرَبَتْهُ الْعُلَا عَلَى كَثْرَةِ الْأَفْ لِي فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيناً^(٩)
فَلْيُطْلَ عُمُرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَز وَمُقِيماً بِهَا لِمَاتَ غَرِيباً

وقال أبو الطيب^(١٠):

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطْنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثَمَا كَانَا

وبيت أبي الطيب أجود وأسلم، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت في المديح، فلا حاجة به إليه؛ والمعنى لا يختل بفقده، ومن مات في بلده غريباً فهو في حياته أيضاً غريب، فأني فائدة في استقبال الممدوح بما يتطير منه!



(١) التبيان (٣: ١٨٣).

(٢) التبيان (٣: ١٨٣)، ديوانه ص ١٦.

(٣) ديوانه (٣: ١٨٣).

(٤) في الديوان: «يدخلها العذل».

(٥) ديوانه: ٢٨٢، والتبيان (٢: ١٠).

(٦) ديوانه (٢: ١٠).

(٧) ديوانه (١: ٣٣٩).

(٨) ديوانه ص ٢٦، والتبيان (٤: ٢٢٣).

(٩) جنيباً: أجنبياً.

(١٠) ديوانه (٤: ٢٢٣).

قال أبو تمام^(١) :

كفى فقتلُ محمدٍ لك^(٢) شاهد أن العزيم مع القضاء دليلُ
قال أبو الطيب^(٣) :

ألا إنما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غائبُ



قال كثير^(٤) :

أريد لأتسى ذكرها فكأنما تمثّل لي لئلى بكل سبيل
وقال أبو نواس^(٥) :

ملكٌ تصوّر في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكانُ
قال أبو الطيب^(٦) :

كذب المخبرُ عنك دونك وضمه من بالعراق يراك في طرسوسا
فقصر، لأنه اقتصر على من بالعراق، وعمّ أبو نواس القلوب والأماكن، وبين
اللفظين بؤن في الجزالة والصحة؛ وقد كرره واستوفى، فقال^(٧) :

هذا الذي أبصرت منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائباً
ثم مثل فقال :

كالبدْرِ من حيث اتفت رأيتَه يُهدي إلى عينيك ثوراً ثاقباً



قال عبد الله بن محمد المهلب^(٨) :

ما كنت إلا كلحم ميت دعا إلى أكله اضطرارُ
وقال أبو الطيب^(٩) :

غير اختيارٍ رضى بركَ بي^(١٠) والجوع يُرضي الأسود بالجيف

(١) ديوانه ٣٧٥، والبيان (١ : ١٠٩).

(٢) في الديوان: «لي شاهد». ورواية البيان:

وكفى بقتل محمد لي شاهداً

(٤) البيان (٢ : ٢٠٠).

(٣) ديوانه (١ : ١٠٩).

(٥) ديوانه ص ٥٩.

(٦) ديوانه (٢ : ٢٠٠)، وفي الديوان: «صدق المخبر».

(٨) البيان (٢ : ٢٨١).

(٧) ديوانه (١ : ١٢٩).

(١٠) في الديوان: «قبلت برك لي».

(٩) ديوانه (٢ : ٢٨١).

وقريب منه قول أبي علي البصير^(١):

ولكنَّ البلادَ إذاً اقشعرتْ وصَوَّحَ نَبْتُها رُعيَ الهَشِيمِ
ومنه قول الآخر^(٢):

فلا تَحْمَدُونِي في الزَّيارَةِ إني أزوَّركمُ إذْ لا أَرى مُعَمَّلاً
وهذا مما قدمتُ لك ذكرَه من اختلاف صور الأمثلة على المعنى الواحد.



قال أبو تمام^(٣):

هانت على كلِّ شيءٍ فهو يسفكها حتى المنازلُ والأحداجُ^(٤) والإبلُ
قال أبو الطيب^(٥):

فما أمرُ برَّزيعٍ لا أسائِلُه ولا يذاتِ خِمارٍ لا تُريقُ دمي
جعل أبو تمام كلَّ شيءٍ يسفك دمه، وجعل أبو الطيب ذاتِ خمارٍ تريق دمه، فاقصر على بعض تلك الجملة.



قال بشار^(٦):

إذا أنشدَ حَمَّادٌ فقلْ أحسنَ بَشَّارُ
وقال أبو هقان يهجو ابن أبي طاهر^(٧):

إذا أنشدَكمُ شِغْراً فقولوا أحسنَ النَّاسُ
وقال أبو تمام مثله في غير هذا المعنى^(٨):

ومهما تَكُنْ من وَفْعَةٍ بَعْدَ لا تَكُنْ سوى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدِّدِ
فقال أبو الطيب^(٩):

أجزني إذا أنشدتَ شِغْراً فإنما بشِغْري أذاك المادِحون مُرَدِّداً



(١) التبيان (٢: ٢٨١).

(٢) التبيان (٢: ٢٨١).

(٣) ديوانه ص ٢٧٧.

(٤) الأحداج: الهودج.

(٥) ديوانه (٤: ٣٦)، وفي الديوان:

فما أمر يرسم لا أسائِلُه

(٦) التبيان (١: ٢٩١).

(٧) التبيان (١: ٢٩١).

(٨) ديوانه ص ١٠٣، التبيان (١: ٢٩١).

(٩) ديوانه (١: ٢٩١).

وقال أبو تمام^(١):

وكانت وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا بِأَبْيَضٍ فأَمَسْتُ^(٢) وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدٍ
وقال أبو الطيب^(٣):

فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتُ فِيهَا أَبْيَضٌ وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتُ عَنْهَا أَسْوَدٌ



وقال أبو تمام^(٤):

لَبَسْتُ سِوَاهُ أَقْوَاماً فَكَأَنُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُ بِالصَّعِيدِ^(٥)
قال أبو الطيب^(٦):

وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحْرُجِي إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجْزِلِي التَّيْمُ^(٧)



قال ابن الخياط^(٨):

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُغْدِي
أَقْدْتُ، وَأَعْدَانِي فَأَتْلَفْتُ مَا عِنْدِي فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَقَادَ دَوُو الْغِنَى

قال أبو تمام^(٩):

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاخَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صَلَاتِكَ
وقال آخر:

لَسْتُ أَضْجِي مَصَافِحاً لِسَلام إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ أَتْلَفْتُ مَالِي
فَنَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ إِلَى الزَّمَانِ، فَصَارَ كَالْمَعْنَى الْمُنْفَرِدِ، فَقَالَ^(١٠):

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخَيْلًا
وَأَمَّا بَخْلُ الزَّمَانِ فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(١١):

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي^(١٢) الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

(١) ديوانه ص ١٠٣، التبيان (١: ٣٣٤). (٢) في التبيان: «وأوضحت».

(٣) ديوانه (١: ٣٣٤). (٤) ديوانه ص ١٠٧، التبيان (٤: ٩١).

(٥) الصعيد: وجه الأرض. (٦) ديوانه (٤: ٩١).

(٧) التخرج: التضييق، والتيمم: القصد. يقول: تخرجني عن قصد غيرك من الملوك حملني على زيارتك، وتركي إياك إلى مدح غيرك كترك الماء مع وجود التراب، وهذا غير جائز.

(٨) التبيان (٣: ٢٣٦). (٩) التبيان (٣: ٢٢٦).

(١٠) ديوانه (٣: ٢٣٦). (١١) ديوانه ص ٣٧٥.

(١٢) في التبيان: «أن يسخر».

أبو تمام^(١):

لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفُ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى
أبو الطيب^(٢):

وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُقَارِفْهُ النَّجَادُ وَغَمْدُهُ



أبو تمام^(٣):

فَاضَتْ سَحَابٌ مِنْ نَعْمَائِهِ وَكَفَتْ بؤساً عَلَى الْبؤسِ حَتَّى اجْتَثَّتِ الْبؤسَا
قال أبو الطيب^(٤):

نَقَمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا نَعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تُجَحِّدُ



أبو تمام^(٥):

كَتَبْتُ أَوْجَهُهُمْ مَشْقاً وَنَمَمَةً طَعْنًا وَضَرْبًا يَفُلُّ الْهَامَ وَالصُّلْفَا^(٦)
قال أبو الطيب^(٧):

وَكُلُّ قَتَى لِلْخُرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ مِنَ الضَّرْبِ سَطَرَ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ



العتابي^(٨):

فَإِنْ جَسِيمَاتِ الْمَعَالِي^(٩) مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ
أبو الطيب^(١٠):

تُرِيدِينَ إِذْ ذَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ التَّخْلِ



(١) ديوانه ص ١٨٦. (٢) ديوانه (٢ - ٢٩).

(٣) ديوانه ص ١٧١، وروايته في الديوان:

فاضت سحاب من أنعمائه فطمت نعماءه بالبؤس حتى اجتثت البؤسا
(٤) ديوانه (١: ٣٣٣).

(٥) ديوانه ص ٢٠٣، التبيان (٣: ٣٥٧). وفي الديوان «يقات». وفي الأصلين:

يففاني الهام والصلعا

(٦) الصلف: جمع صليف؛ وهو عرض العنق.

(٧) ديوانه (٣: ٢٥٧). (٨) التبيان (٣: ٢٩١).

(٩) في التبيان:

فإن جسيمات الأمور مشوبة

(١٠) ديوانه (٤: ٢٩٠).

قال أبو تمام^(١):

لَا يَحْسَبُ الْإِفْلَالُ عُدْمًا بَلْ يَرَى أَنَّ الْمُقِيلَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مُعْدِمٌ
فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ - وَهُوَ مَنْقُولٌ^(٢):

وَرَبُّ مَالٍ قَسِيرًا مِنْ مُرُوتِهِ لَمْ يُثِرْ مِنْهَا كَمَا أَثَرَى مِنَ الْعَدَمِ



أبو تمام^(٣):

هُمْ صَيَّرُوا تِلْكَ الْبُرُوقَ صَوَاعِقَا فِيهِمْ وَذَاكَ الْعَفْوَ سَوَاطِئَ عَذَابٍ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

وَلَمَّا سَقَى الْعَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ
وَقَدْ أَلَمَّ بِالْفَاطِظَةِ فَقَالَ^(٥):

لَيْتَ الْعَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيْمُ
فَأَمَّا صَرِيحُ الْمَعْنَى فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(٦):

فَلَوْ شَاءَ هَذَا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرَّهُ كَمَا قَصُرَتْ عَنَّا لَهَا^(٧) وَنَائِلُهُ



قال أبو تمام^(٨):

تَلَقَّى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجِيئِهِ^(٩) وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بَغْضَةٍ فَتَحَبَّبُ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠):

فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوَكَبٍ وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ



أبو تمام^(١١):

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَزْتَ فِيهِ مُرُورَ الْعَارِضِ^(١٢) الْهَطَلِ

(١) ديوانه ص ٢٨٤، التبيان (٤ : ٤٠) . (٢) ديوانه (٤ : ٤٠) .

(٣) ديوانه ص ١٩ . (٤) ديوانه (٢ : ٣٢٢) .

(٥) ديوانه (٣ : ٣٧١) . (٦) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٧) لها: عطاياه . نائله: عطاياه . (٨) ديوانه ص ٣٩ .

(٩) في الأصلين: «وتحبه» وهذه رواية الديوان .

(١٠) ديوانه (٢ : ٣٠) . (١١) ديوانه ص ٢٥٢ .

(١٢) العارض: السحاب، والهطل: المنسكب .

أبو الطيب^(١):

وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْعَمَامُ



أبو تمام^(٢):

وَأَنَا الْفِدَاءُ إِذَا الرِّمَاحُ تَشَاجَرَتْ^(٣) لَكَ وَالرِّمَاحُ مِنَ الرِّمَاحِ لَكَ الْفِدَا

أبو الطيب^(٤):

وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةً وَلَكَ الْحِمَامُ^(٥) مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ



أبو تمام^(٦):

لَبَسَ الشَّجَاعَةَ إِنَّهَا كَانَتْ لَهُ قَدْ مَأْ تَشْوَعًا فِي الصُّبَا وَلَدُودًا^(٧)

أبو الطيب^(٨):

أَلِفَ الْمُرُوءَةِ مَذْ نَشَا فكَأَنَّمَا سَقَى اللَّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرَضَّعًا



أبو تمام^(٩):

أَيَقْنَتْ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُذِمِّي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ^(١٠) جُودًا

أبو الطيب^(١١):

هُوَ الشَّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ مِنْ بَخْلٍ

وقال في أخرى^(١٢):

فَقُلْتُ: إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشَّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ

وقد لوحظ في هذه الأبيات قول مسلم؛ إذ بين أن الشجاعة جود بالنفس في قوله^(١٣):

(١) ديوانه (٤: ٧٣).

(٢) تشاجرت: تداخلت في بعضها.

(٣) (٤) ديوانه (١: ٣١).

(٤) الحمام: الموت.

(٥) (٦) ديوانه ص ٨٩.

(٧) (٧) التشويع: السعوط. اللدود: ما يصب بالمسقط من الدواء.

(٨) (٨) ديوانه (٢: ٢٦٢).

(٩) (٩) ديوانه (٢: ٣٧٢).

(١٠) (١٠) في الديوان: تدمي وأن من السماحة جودا.

(١١) (١١) ديوانه (٣: ٣٨).

(١٢) (١٢) التبيان (٢ - ٣٧٢)، ديوانه ص ٢٥، وروايته فيه:

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا^(١) وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ



عبد الله بن طاهر في السيف^(٢):
أَخُو ثِقَّةٍ أَرْضَاهُ فِي الرُّوعِ صَاحِبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنَّنِي أَنَا صَاحِبُهُ
أبو الطيب في الرمح^(٣):

وَأَسَمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ^(٤) الْخَيْلَ سَاقِيَا
وأصله من قول موسى بن جابر الحنفي، وهو من خفي الأخذ:
فَلَا أَسَلَمْتُنَا عِنْدَ قَوْمٍ حَفِيزَةٌ وَلَا نَحْنُ أَغْمَدْنَا السُّيُوفَ عَلَى وَثَرٍ



عبد الله بن طاهر^(٥):
إِنَّ الْفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّ سَابِ السُّلَاطَةِ وَأَقْدَامِ الْمَقَادِيرِ^(٦)
أبو الطيب^(٧):

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ



العباس بن الأحنف^(٨):
بَكَتْ غَيْرَ أَنْسَةٍ بِالْبُكََا تَرَى الدَّمَاعَ فِي مُقَلَّتَيْهَا غَرِيبَا
أبو الطيب^(٩):
أَتْنَهَنُ الْمَصَائِبِ^(١٠) غَافِلَاتٍ فَدَمَعُ الْحُزَنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ
فزاد وأحسن وملح بذكر الدلال.



منصور بن الفرغ^(١١):
حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَا نَ بَعَيْنَيْكَ^(١٢) مُقِيمَا

- (١) في التبيان: «إذ ضنَّ البخيل بها». (٢) التبيان (٤: ٢٩٢).
(٣) ديوانه (٤: ٢٩٢). (٤) في الأصلين: «إيرادك». (٥) التبيان (٣: ٣٧٨).
(٦) في الأصلين: «وأقدام المقادير». (٧) ديوانه (٣: ٣٧٨).
(٨) ديوانه ص ٣١. (٩) ديوانه (٣: ١٧).
(١٠) في الديوان: أتنهن المصيبة غسافات
(١١) التبيان (٢: ١٧). (١٢) في أ: «بعينك»، وصوابه من ب والديوان.

البحري^(١):

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَظَرَيْكَ مِنَ السَّقَمِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

أَعَارَنِي سَقَمَ جَفْنَيْهِ^(٣) وَخَمَّلَنِي مِنْ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرُهُ
فَاخْتَصِرْ وَأَحْسِنْ وَأُورِدِ الْبَيْتَ فِي نِصْفِ مِضْرَاعٍ.



أَبُو عُيَيْنَةَ^(٤):

لَوْ كَمَا^(٥) تَنْقُصُ تَزْدَا إِذْ ذُنُوبُ السَّمَاءِ
فَنَقْلُهُ أَبُو تَمَامٍ^(٦):

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْ ذُنُوبُكَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):

وَلَوْ تَقَطَّضْتُ كَمَا قَدْ زِدْتُ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكََا^(٨)
فَزَادَ بِقَوْلِهِ: «لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكََا».



قَالَ جَرِيرٌ^(٩):

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا غِدَاةُ الْوَعَى نِيْجَانُ كِشْرَى وَقَيْصَرَا
مُسْلِمٌ^(١٠):

يَكْسُو السِّيُوفَ نَفُوسَ النَّكَثِيِّنَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ نِيْجَانًا الْقَنَا الذُّبُلَ
وَقَرِيبَ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ^(١١):

أُبَدِّلْتُ أَرُوسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ مِنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطِيئِ مُدْعَمًا^(١٢)

(١) ديوانه (٢: ٢٢٤)، التبيان (٢: ١١٧).

(٢) ديوانه (٢: ١١٧).

(٣) في الديوان: «سقم عينيه». (٤) التبيان (٢: ٣٨٠).

(٥) في أ: لو كان كما تنقص تزداد وصوابه من ب، والتبيان.

(٦) ديوانه ص ٤٨٩. (٧) ديوانه (٢: ٣٨٠).

(٨) الشانئ: الميغض. (٩) ديوانه ص ٢٤٢.

(١٠) ديوانه ص ٤٩. (١١) ديوانه ص ٣٠٣.

(١٢) الخطي: الرمح. مدعماً: مسنداً، وفي الأصلين: «مدغماً» بالغين.

وقد عدّ هذا من سرقات أبي تمام، ولست أراه كذلك؛ لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا، وهذا معنى مشترك لا يسرق، فأما إبدال القنا بقنا الظهور فلم يَعرَض له مسلم ولا جرير، وهي ملاحظة بعيدة. وأقرب من ذلك إليه قول أبي تمام^(١):

مَنْ كُلَّ ذِي لِمَةٍ غَطَّتْ ضَفَائِرُهَا صَدَرَ الْقَنَاءِ فَقَدْ كَادَتْ تُرَى عَلَمًا^(٢)
ومثله قول أبي الطيب^(٣):

مُبْرِقِي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي هَامَ الْكَمَاءِ عَلَى أَرْمَاجِهِمْ عَذْبَا
قال البحرى^(٤):

مَتَسَرَّعِينَ^(٥) إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّهَا وَفَرَّ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُثْنَتُهُبُ
قال أبو الطيب^(٦):

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا^(٧)
وإنما نقل البحرى كلام أبي تمام^(٨):

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ^(٩)
وقال البحرى أيضاً^(١٠):

تَسْرُعٌ حَتَّى قَالَ مِنْ شَهِدَ الْوَعَى لِقَاءَ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءَ حَبَائِبِ
ونحوه قول أبي تمام^(١١):

حَنٌّ لِلْمَوْتِ^(١٢) حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ بَأْتُهُ حَنٌّ مُشْتَاقًا إِلَى الْوَطَنِ
فأخذه أبو الطيب فقال^(١٣):

مُفْقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصُّوَارِمِ فِي أَهْلِ



(١) ديوانه ٣٠٣.

(٢) في الأصلين:

صدر القنائة فكادت أن ترى علما

(٣) ديوانه (١: ١١٨). (٤) ديوانه (١: ٦٣)، والبيان (١: ١٢١).

(٥) في الديوان: «يتسرعون». (٦) ديوانه (١: ١٢١).

(٧) الأشعث: المتغير من طول السفر. والأرب: الغرض والبعيدة.

(٨) ديوانه ص ٢٨١. (٩) الحتوف: جمع حتف، وهو الهلاك.

(١٠) ديوانه (١: ٧٣). (١١) ديوانه ص ٣٨٨.

(١٢) في الديوان: «حن إلى الموت». (١٣) ديوانه (٣: ٤٦).

البحثري^(١):

تَعْنُو لَهُ وَزَرَاءُ الْمُلِكِ خَاضِعَةٌ وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَ
أبو الطيب^(٢):

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
أَكْتُبُ بِتَأْ أَيْدٍ أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ



بعضهم^(٣):

أَحَامِقُهُ حَتَّى يَقُولَ سَجِيَّةً وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
أبو الطيب^(٤):

وَحَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ



أبو تمام^(٥):

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَايٍ فُلُولًا^(٦) وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَيَنِينِي
وله^(٧):

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى^(٨) بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ
أبو هفان^(٩):

أَصْبَحَ الدَّهْرُ مَسِيئًا كُلَّهُ مَا لَهُ إِلَّا ابْنُ يَحْيَى حَسَنُهُ
أبو الطيب^(١٠):

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَثْبِي كَأَنَّمَا بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ



التمري^(١١):

وَقَفْتُ عَلَى خَالِيكُما فَإِذَا التُّدَى عَلَيْكَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَمِيرُ

(١) ديوانه (٢: ٢٥٨)، التبيان (٤: ١٦٠).

(٢) ديوانه (٤: ١٥٩).

(٣) التبيان (٤: ٢١٢).

(٤) ديوانه (٤: ٢١٢).

(٥) ديوانه ص ٣٢٣.

(٦) فلولا: متفرقين.

(٧) ديوانه ص ٢٩.

(٨) في الأصلين: «فني فقد يرى».

(٩) التبيان (٢: ١٥٩).

(١٠) ديوانه (٢: ١٥٩).

(١١) التبيان (١: ٣٦٧).

أبو تمام^(١):

أَلَا إِنَّ التُّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ التُّدَى جَوَادٌ بِخَيْلٍ بَأْنٌ لَا يَجُودَا



أبو تمام^(٣):

وَتَرْكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ^(٤) اغْتِبَاطًا يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ الْوُرُودِ
وَقَالَ أَيْضًا^(٥):

هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَغْلُولَةٌ إِنْ الْوَفَاءُ إِسَارُ^(٦)
أَلَمْ يَهْ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ وَأَخْسَنُ^(٧):

وَقَبِذْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مُحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَبِذًا تَقَبَّدَا
وَقَدْ قَالَ^(٨):

وَمَا قَبِذْتُ مِنْ صُغْلُولِكَ قَوْمٌ بِئَيْلِ الرُّزْقِ تُخْرِجُهُ الرُّقَاعُ



البحثري^(٩):

أَصْرَتْ بِضَوْءِ الْبَذْرِ وَالْبَذْرُ طَالَعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَذْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا
وهذا معنى متداول، وهو أحسن ما جاء فيه، وأشد استيفاء واختصاراً.

وقال أبو الطيب فأتى بالمصراع الثاني^(١٠):

وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَانِ^(١١) حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدُكَ عَادِمُهُ
يزيد بن الطُّثْرِيَّةَ^(١٢):

وَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ، وَكُلًّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

(١) ديوانه ص ٣٢٣. (٢) ديوانه (١ : ٣٦٧).

(٣) ديوانه ص ١٠٧. (٤) الصدر: الرجوع.

(٥) ديوانه ص ١٤٩.

(٦) مغلوله: مقيدة بالغل، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. ورواية التبيان:

إِنْ الْوَفَاءُ إِسْـسَارُهَا

(٧) ديوانه (١ : ٢٩٢). (٨) لم نجده في ديوانه.

(٩) ديوانه (١ : ٥٥). (١٠) ديوانه (٣ : ٣٣٠).

(١١) الأَطْعَان: جمع ظعن، وهم القوم المرتحلون.

(١٢) التبيان (٣ : ٣).

إسحاق الموصلي^(١):

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُحِبِّ^(٢) الْقَلِيلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

وَجُودُكَ بِالْمَقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فِي مَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ



بعض العرب - وهو عروة بن الورد^(٤):

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتُ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذَرِ أُنِّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ
الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ^(٥):

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرَبُوا وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمُدَا
أَبُو تَمَامٍ^(٦):

أَلِفَّةُ النَّجِيبِ كَمْ أَفْتِرَاقٍ أَلَسَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَجِيلاً يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَا



بعضهم:

عَمِضْتُ عَيْنِي لَا أَرَى أَحَداً حَتَّى أَرَاهُمْ آخِرَ الدَّهْرِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ



أشجع^(٩):

فَقَدْ كُنْتَ تَبْكِي^(١٠) وَهَمَّ جِيرَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا

(٢) في التبيان: «ممن تحب».

(٤) التبيان (٢: ٣٨٨).

(٦) ديوانه ص ١٩٣.

(٨) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(١) التبيان (٣: ٣).

(٣) ديوانه (٣: ٣).

(٥) معاهد التصنيف (١: ٢٠).

(٧) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(٩) التبيان (٢: ٣٨٩).

(١٠) في التبيان:

آخر:

أَبْكِي إِذَا غَضِبْتَ حَتَّى إِذَا رَضِيتَ بَكَيْتُ عِنْدَ الرُّضَا خَوْفًا مِنَ الْعَصَبِ
آخر^(١):

فَتَبْكِي إِنْ نَأَى شَوْقًا إِلَيْهِ وَتَبْكِي إِنْ دَنَا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)
آخر^(٣):

لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي خِيفَةً لِفِرَاقِهَا^(٤) فَكَيْفَ إِذَا بَانَ الْحَبِيبُ قَوْدَعَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

أَرَى أَسْفَا وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا عَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكًا^(٦)
وله^(٧):

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلِّ صَاحِبَهُ قَدَمًا
وَقَالَ فِي أُخْرَى^(٨):

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَتِّي مُسْنُوْدَةً وَلِمَاءٍ وَجْهِي رَوْنَقُ
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِذْتُ بِمَاءٍ دَمْعِي^(٩) أَشْرَقُ

بشار^(١٠):

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(١١):

وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةُ وَالْأَرَاكِ^(١٢)



(١) التبيان (٤ : ١٠٣).

(٢) رواية التبيان:

(٣) التبيان (٢ : ٣٨٩).
فأبكي إن نأوا شوقاً إليهم وأبكي إن دنوا خوف الفراق
(٤) في التبيان: «خيفة لفراقه».

(٥) ديوانه (٢ : ٣٨٩).

(٦) الابتراك: السقوط على الركب. وأراد به ههنا سرعة السير.

(٧) ديوانه (٤ : ٣٠٣). (٨) ديوانه (٢ : ٣٣٦).

(٩) في الديوان: «بماء جفني أشرق». (١٠) ديوانه ص ٧٤.

(١١) ديوانه (٢ : ٣٩٢).

(١٢) البشام والأراك: ضربان من الشجر يستاك بفروعهما.

عمران بن حِطَّان^(١) :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَلْفَهُ^(٢) ما النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

قال أبو الطيب^(٣) :

وَمَنْ أَغْتَاضَ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا وَكُلَّ النَّاسِ رُوزٌ مَا خَلَاكَ

وله في أخرى^(٤) :

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالٍ

فتبرّد وبالغ .



أبو تمام^(٥) :

لَا أَظْلِمُ الْبَيْنَ^(٦) قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا مِنْ قَبْلِ وَشِكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قُدُّهَا^(٧)

وله^(٨) :

فَفِرَاقٌ جَرَعَتْهُ مِنْ فِرَاقٍ وَفِرَاقٌ جَرَعَتْهُ مِنْ صُدُودٍ^(٩)

البحثري^(١٠) :

عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى لَدَيْهِ وَعِرْفَانُ الْمُسِيءِ هُوَ الْعَدْلُ

قال أبو الطيب^(١١) :

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَحْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ

فاستوفى المعنى وأكدّه في مصراع واحد .

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في هذا المعنى بقوله^(١٢) :

وإِنَّ مُقِيمَاتِ بُمُتْقَطَعِ النَّوَى لَا تُقَرِّبُ مِنْ لَيْلَى وَهَابِيكَ دَارُهَا



(١) التبيان (٣ : ٣٩٦) .

(٢) في التبيان : « من قد كنت أعرفه » .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٩٦) .

(٤) ديوانه (٣ : ٢٠١) .

(٥) في الديوان : « لا أظلم النأي » .

(٦) ديوانه ص ٢٠٠ .

(٧) ديوانه ص ٤٣٩ .

(٨) قذف : نقذف بمن يسلكها .

(٩) رواية الديوان :

فَفِرَاقٌ أَصَابَنِي مِنْ فِرَاقٍ وَفِرَاقٌ أَصَابَنِي مِنْ صُدُودٍ

(١٠) ديوانه (٢ : ١٦٣) .

(١١) ديوانه (٣ : ٢٠٩) .

(١٢) التبيان (٣ : ٢٠٩) .

ابن الرومي^(١) :

شَكَرْتَ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْدِ جِيئَ نَمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ
فَهِيَ تُنْفِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيَّبَ الشَّرَّ شَائِعاً فِي الْبِلَادِ
مَنْ نَسِيَمَ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْأَرْضِ وَاحٍ^(٢) مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :

وَدَكِي رَائِحَةُ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ^(٤)



بعضهم^(٥) :

اعْدُدْ ثَلَاثَ خِلَالٍ قَدْ جُمِعْنَ^(٦) لَهُ هَلْ سُبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَبَّ أَوْ بَخِلَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا



أبو تمام^(٨) :

لَقَدْ بَتَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارِيه
فَنَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٩) :

تَصُدُّ الرِّيحُ الْهُوجَ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَفْرُغُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا



محمود الوزاق^(١٠) :

إِذَا أَتَيْتَ لَمْ تَسْلُ اضْطِبَاراً وَحِسْبَةً سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ
أَبُو تَمَامٍ^(١١) :

أَتَضِيرُ لِلْبَلَوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجِرْ أَمْ تَسْلُو سُلُو الْبَهَائِمِ

(١) ديوانه ص ٧٥. والبيان (١ : ٢٥٥). (٢) في التبيان : « الخيشوم ».

(٣) ديوانه (١ : ٢٥٥).

(٤) قال العكبري في التبيان : وأخذه السري الموصلي فقال :

وكنيت كروضة سقيت سحاباً فأثنت بالنسيم على السحاب

(٥) التبيان (١ : ٦٩). (٦) في التبيان : « ثلاث خصال قد عددن له ».

(٧) ديوانه (١ : ٦٨). (٨) ديوانه ص ٤٦، والتبيان (١ : ٦٧).

(٩) ديوانه (١ : ٦٧). (١٠) التبيان (١ : ٥٥).

(١١) ديوانه ص ٣١٩، والتبيان (١ : ٥٥).

وقال أبو الطيب^(١):

وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سَكُونٌ عَزَاءٍ أَوْ سَكُونٌ لُغُوبٍ



بعضهم^(٢):

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تُعَانِقُنِي كَمَا تُعَانِقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا

أَلَمْ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٣):

دُونَ الشَّعَائِقِ نَاحِلِينَ كَشَكَلَتِي نَضِبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلِ

فكانه معنى مفرد؛ ولئن أخذه منه كما يزعمون فما عليه مغتب؛ لأن التعب فيه ونقله لا ينقص عن التعب في ابتدائه.



أبو تمام^(٤):

وَأَنْ نَجِدَ عِلَّةَ نَعَمٍ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضَةٍ

علي بن الجهم^(٥):

وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَبِّ عَمَّ مَا خَصَّكُمْ بِجَمِيعِ الْأَنَامِ

أبو هفان^(٦):

قَالُوا اغْتَلَّتْ فَقُلْتُ كَلَّا إِنَّمَا اغْتَلَّ الْعِبَادُ

أبو الطيب^(٧):

وَمَا أَخْصُكَ مِنْ بُرٍّ بَتَّهِنَّةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وله^(٨):

إِذَا اغْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اغْتَلَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ قَوْفَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْمَخْضُ



(٢) التبيان (٣: ٢٥٣).

(١) ديوانه (١: ٥٥).

(٣) ديوانه (٣: ٢٥٢). الشكيلة: ما تكون في الإعراب، وضم الكاتب ما بين الشكلتين؛ إذا قارب ما بينهما.

(٤) ديوانه ص ١٨٩، والتبيان (٢: ٢١٨).

(٥) الأغاني (١٠: ٢٢٦) (طبع دار الكتب).

(٧) ديوانه (٣: ٣٧٦).

(٦) التبيان (٢: ٢١٨).

(٨) ديوانه (٢: ٢١٨).

علي بن الجهم - في السحاب^(١) :
 إِذَا أَوْقَدْتَ نَارَهَا بِالْعِرَاقِ أَضَاءَ الْحِجَازَ سَنًا نَارَهَا
 نقله أبو الطيب إلى السيف، فقال^(٢) :
 سَلُّهُ الرُّكْضُ^(٣) بَعْدَ وَهْنٍ بَنَجِدٍ فَتَصْدَى لِلْعَيْنِ أَهْلُ الْحِجَازِ



يعقوب بن الربيع [يرثي جارية له تسمى ملكا]^(٤) :
 يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِالْيَةِ فَإِنِّي فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَرَنِ
 أبو الطيب^(٥) :
 بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي



محمد بن وهب^(٦) :
 وَحَارَبَنِي فِيهِ رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ
 البحرى^(٧) :
 قَدْ بَيَّنَّ الْبَيِّنُ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا عِشْقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبِّ
 أبو الطيب^(٨) :

مَلَامَ النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ
 فَلَوْ لَمْ تَعْرِ لَمْ تَزُورِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدُّكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَضَمِي



أبو تمام^(٩) :
 أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا اسْتَرَحَ لِمَوْتِهَا مِنْ الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الْكَرْبِ

(١) التبيان (٢ : ١٧٧) وقبله :

وقبة ملك كأن النجور م تصغي إليها بأسرارها وهو مأخوذ من قول الوائلي :

ما سله أهل الحجاز لحاجة إلا يبشر بالسحاب الشاما

(٣) في الأصلين : «الركب» .

(٥) التبيان (٣ : ٤٣) .

(٧) ديوانه (٢ : ١٩) ، التبيان (٤ : ٤٧) .

(٩) ديوانه ص ٣٥٦ ، والتبيان (٤ : ١٠٥) .

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٧) .

(٤) التبيان (٣ : ٤٣) .

(٦) التبيان (٤ : ٤٧) .

(٨) ديوانه (٤ : ٤٧) .

وقريب منه قوله^(١) :

أَجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ فَاقِرَةٌ نَجَّتْكَ مِنْ فَاقِرَةٍ
أبو الطيب^(٢) :

وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا الْمَتَايَا وَإِنَّمَا أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا



حاتم^(٣) ، ويروى لربيعة بن مِرْدَاس :

مَتَى مَا أَتَى يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ مِلَّةً كَفَّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صَفِيرُ
يَجِدُ فِرْسًا مِلَّةَ الْعِنَانِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ^(٤)
وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَانَ كُغُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ^(٥)
امرأة من العرب^(٦) :

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسٌ مُقَاضَةٌ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ^(٧)
عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(٨) :

وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَاثِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدًا لَقَلِيلُ
وَمَالِي مَالٍ غَيْرِ دِرْعٍ وَمُغْفَرٍ وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ الْقَنَاءَ مُتَقَفُّ وَأَجْرُدُ عُزْبَانَ السَّرَاةِ^(٩) طَوِيلُ

(١) ديوانه ص ٤٩٧ ، والبيان (٤ : ١٠٥) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٠٦) .

(٣) ديوان حاتم ص ١٢١ ، وشعراء النصرانية ص ١٣٢ .

(٤) في أ : «بالهر» ، وصوابه من الديوان ، وب .

(٥) رواية الديوان لهذه الأبيات :

مَتَى يَأْتِ يَوْمًا وَارِثِي يَبْتَغِي الْغَنَى يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صَفَرُ
يَجِدُ فِرْسًا مِثْلَ الْقَنَاءِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ
وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَانَ كُغُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَمَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ
ورواية العكبري في البيان :

مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صَفَرُ
يَجِدُ مِهْرًا مِثْلَ الْقَنَاءِ قَوِيمَةً نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ
والقصب : التمر اليابس .

(٦) ديوان الحماسة (٣ : ٧٣) ، وهي زينب بنت الطثيرة ترثي أخاها يزيد بن الطثيرة .

(٧) الدريس : الخلق من الدروع ، والمقاضة : الدرع الواسعة .

(٨) العمدة (٢ : ٢٩) .

(٩) السراة : المتن .

أَبُو الطَّيِّب^(١):

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَباً قَمَاتٍ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعُ
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصُّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أَغْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ



الفرزدق:

وَهُنَّ قَادُوا سَفِيهِهْمُ وَخَافُوا قَلَائِدَ مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
ابن هرمة^(٢):

عَقَدْتُ مِنْ مُلْتَقَى أوداجِ لَبَّتِهِ طَوَّقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْنَى عَلَى الْقِدَمِ
بعضهم:

وَهُنَّ إِذَا وَسَمَتْ بِهِنَّ قَوْمًا كَأَطْوَاقِ الْحَمَائِمِ فِي الرُّقَابِ
أَبُو الطَّيِّب^(٣):

أَقَامَتْ فِي الرُّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ
وهذا من المبتذل الذي لا يعد سرقة إلا بزيادة تلحقه، وزيادة أبي الطيب فيه
حسنة بديعة، ولأجلها ذكرت الأبيات.



محمود [الوراق]^(٤):

كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيْهَا الرَّجُلُ
أَبُو نُوَاسٍ فِي الشَّبَابِ:

كَأَنَّ الْمَشْفَقَ فِي مَآرِبِهِ عِنْدَ الْفَتَاةِ وَمُذْرِكِ الْقَبْلِ
النمري^(٥):

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى أَلْفَاءُ نِغَمٍ وَسِيلَةُ الْمُتَوَسِّلِ
أَبُو الطَّيِّب^(٦):

وَعُظْبِي مِنَ الْإِذْذَالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بَرِيقِ
والمعنى مبتذل.



(٤) التبيان (٢: ٣٠٦).

(٥) التبيان (٢: ٣٠٦).

(٦) ديوانه (٢: ٣٠٥).

(١) ديوانه (٢: ٢٧٠).

(٢) مهذب الأغاني (٦: ١١١).

(٣) ديوانه (٤: ٧٦).

بكر بن النطاح^(١) :

ولو لم يَجِرْ في العُمرِ قِسْمٌ لِمَالِكٍ وَجَازَ لَهُ الإِغْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ شِرْكَ بِرِّهِ وَأَشْرَكَنَا فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
أبو الطيب^(٢) :

وَلَوْ يَمْتَنُّهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجَدُّو لَأَغْطَوْكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا

وهذا معنى مليح . ولفظ ابن النطاح أحسن ، وله زيادة قوله : «من غير شريك بربه» ، وفيه نفي التهمة في الاستهانة بالأعمال الصالحة ، ولأبي الطيب فضيلة ذكر الحشر ؛ لأنه خَصَّ الوقت الذي يظهر فيه الافتقار إلى الحسنات ، والضمُّ بها ؛ وأصله لأبي العتاهية ، قال^(٣) :

فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُ فَقَاسَمْتُهُ مَا لِي مِنَ الْحَسَنَاتِ



أبو خِرَاش :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يَفْعَلِ
مُتَمِّمٌ بِنُورِهِ^(٤) :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
عَلِيَّ بْنَ جَبَلَةَ :

شَبَابٌ كَانَ لَمْ يَكُنْ وَشَيْبٌ كَانَ لَمْ يَزَلْ
وما أملح ما قال البحتري في قريب من هذا المعنى^(٥) :

فَلَا تَذْكُرَا عَهْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقْضَى وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْعَصْرُ
أبو الطيب^(٦) :

ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفْزُ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا

(١) نسبهما العكبري في التبيان إلى أبي تمام ، وروايتهما عنده :

ولو لم يجد في قسمة العمر حيلة وجاز له الإغطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه وواساهم من صومه وصلاته
وكذلك هي روايتهما في ديوان أبي تمام ص ٦٣ .

(٢) ديوانه (٤ : ٧٧) . (٣) التبيان (٤ : ٧٧) .

(٤) المفضليات ص ٦٧ . التبيان (١ : ٥٩) .

(٥) ديوانه (١ : ٢١٧) ، التبيان (١ : ٥٩) .

(٦) ديوانه (١ : ٥٨) .

فأما المصراع الثاني فمن قول الهذلي^(١) :
 عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ^(٢) فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 فجعل أبو الطيب السَّعْيَ وَثْبًا .
 وقد ملح في اللفظ علي بن جبلة^(٣) :
 وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوْتُ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي

❁ ❁ ❁

ابن المعتز^(٤) :
 وَمَا يُنْتَقِصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يَزِدُّ فِي نُهَاهَا وَأَلْبَابِهَا
 فقلبه أبو الطيب فقال^(٥) :
 لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَثَنِي الَّذِي أَخَذَتْ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي
 فما الحدائثُ من حِلْمٍ بِمَا نَعَى قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّيْبِ
 وقد اقتدى في قوله بأبي تمام في قوله^(٦) :
 حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
 فجمع هذا المعنى إلى المعنى الأول ببيته .

❁ ❁ ❁

علي بن جبلة :
 قَمَرْنَمٌ عَلَيْهِ نَوْرُهُ كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعَا
 أبو الطيب^(٧) :
 أَمِنْ أَرْدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظُّلَامِ ضِيَاءُ
 دُغْبَلُ :
 تِلْكَ الْمَسَاعِي إِذَا مَا أَخْرَتْ رَجُلًا أَحَبَّ لِلنَّاسِ عَيْبًا كَالَّذِي غَابَهُ
 كَذَاكَ مَنْ كَانَ هَذَا الْمَجْدُ غَايَتَهُ فَإِنَّهُ لِبُنَاةِ الْمَجْدِ سَبَابَهُ
 أبو تمام^(٨) :

وَدُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مَوْلَعٌ

- (١) الأمازي (١ : ٢٤٨) ، التبيان (١ : ٥٨) . (٢) في الأمازي : «وبينها» .
 (٣) التبيان (١ : ١٧٠) . (٤) التبيان (١ : ١٧٠) .
 (٥) ديوانه (١ : ١٧٠) . (٦) ديوانه ص ٢٩١ ، التبيان (١ : ١٧٠) .
 (٧) ديوانه (١ : ١٢) .
 (٨) ديوانه ص ١٩ . والتبيان (٤ : ٢٠٦) .

لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف

وصدده :

مزوان بن أبي حفصة^(١) :

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو الْتَقْصِيرِ
غيره :

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ بَظْهَرِ غَيْبٍ عَلَى غَيْبِ الرِّجَالِ ذُوو الْعُيُوبِ
أبو الطيب^(٢) :

وَالْحُرُّ مُنْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَى

ومثله له^(٣) :

تُعَادِيْنَا لِأَنَا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبْغِضُنَا لِأَنَا غَيْرُ غُورٍ
ثم نقله وزاد فيه وغيره فأحسن^(٤) :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ
ومن هذا المعنى قول الطرماح^(٥) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَنْ تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ



أبو سعيد المخزومي :

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا عَلَيْكَ ثَنِيَّةَ ضَاقَتْ عَلَيْكَ سَهْلُهَا وَوَعُورُهَا
أبو الطيب^(٦) :

أَخَذْتُ عَلَى الْأَرْوَاحِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ تَعْطِي مَا تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
قَدْ أَخْرَجَ هَذَا فِي سَرَقَاتِهِ وَمَا أَرَاهُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ الثَّنِيَّةَ لَفْظَةً مُسْتَعْمَلَةً عِنْدَ
العرب .



المخزومي :

أَمَلِي فِي التَّاجِ أَلْبَسَهُ وَلَهُ فِي الشَّعْرِ آمَالٌ

(١) التبيان : (٤ : ٢٠٦) .

(٢) ديوانه (٤ : ٢٠٦) وصدره :

وانه المشير عليك في بضلة

(٤) ديوانه (٣ : ٢٦٠) .

(٣) ديوانه (٢ : ١٤٤) .

(٦) لم نجده في ديوانه .

(٥) التبيان (٣ : ٢٦٠) .

أبو الطيب^(١):

وَشَغَلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ



النمري^(٢):

وَمَصَلَّتْ كَأَنَّ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْهَامِ وَالرُّقَابِ

أبو تمام^(٣):

كَأَنَّهَا وَهِيَ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْغَةِ^(٤) وَفِي الْكُلَى تَجْدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجْدُ

أبو الطيب^(٥):

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ



أبو عطاء السندي^(٦):

عَشِيَّةً قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جُيُوبَ بَأْيَدِي مَا تَمَّ وَخُدُودَ

أبو تمام^(٧):

شَقَّ جَنْبًا مِنْ رَجَالٍ لَوَاسٍ طَاعُوا لَشَقُّو مَا وَرَاءَ الْجُيُوبِ

أبو الطيب^(٨):

عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ لَوْ كَانَ نَافِعًا بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبٍ



الفرزدق:

وَمَا وَاْمَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رَحْلَةٍ إِلَى جَدًّا أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا

أبو نواس^(٩):

وَلِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَذْحَجَةٍ لَعَنِيكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

(١) ديوانه (١ : ٣٥٥). (٢) التبيان (٢ : ١٢٠).

(٣) ديوانه: ٩٩، التبيان (٢ : ١٢٠).

(٤) وفي الأصلين:

كَأَنَّهَا وَهِيَ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْغَةِ

(٥) ديوانه (٢ : ١٢٠).

(٦) التبيان (١ : ٥٤). (٧) ديوانه ص ٣٥٤، والتبيان (١ : ٥٤)، وفي الديوان: «شق جيوبا».

(٨) ديوانه (١ : ٥٤).

(٩) التبيان (١ : ٣٦٥).

أبو الطيب^(١):

وَطَّنُونِي مَدَحَتْهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحَتْهُمْ مُرَادِي



أبو تمام^(٢):

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

أبو الطيب^(٣):

وَلِئَنِّي عَنْكَ بَعْدَ عَدْلٍ لَعَادٍ وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ



أبو تمام^(٤):

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَذْوَاكَ رَاجِلَتِي وَزَادِي

أبو الطيب^(٥):

مُجِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ

وهذا من أقبح ما يكون من السرقة، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية، ومثل المصراع الأول لأبي الطيب وهو محتذ قول البحري^(٦):

مَتَى مَا أُسِيرَ فِي الْبِلَادِ رِكَابِي^(٧) أَجْدُ سَائِقِي يَهْوَى إِلَيْكَ وَقَائِدِي

وقد لاحظ أبو تمام قول المثقَّب:

إِلَى عَمِيرٍ وَمَنْ أَتْنَى عَلَيْهِ أَخِي النَّجْدَاتِ وَالْحِلْمِ الرَّزِينِ



أبو تمام^(٨):

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَلِكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَشْفَعُ

أبو الطيب^(٩):

إِنِّعَدَ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ



(١) ديوانه (١ : ٣٦٥).

(٢) ديوانه (١ : ٣٦٥).

(٣) ديوانه (١ : ٣٦٥).

(٤) ديوانه (١ : ٣٦٥).

(٥) ديوانه (١ : ٣٦٥).

(٦) في الديوان «كتاني».

(٧) ديوانه (٤ : ٣٥).

(٨) ديوانه ص ٧٩، التبيان (١ : ٣٦٥).

(٩) ديوانه ص ٧٩، التبيان (١ : ٣٦٥).

(١٠) ديوانه (١ : ١٣٧).

(١١) ديوانه ص ١٩٠، التبيان (٤ : ٣٥).

أبو دُلْفٍ^(١) :

وكلُّ نَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاطِرِ الْبَصَرِ

أبو الطيب^(٢) :

إِذَا لَحَظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ



أبو تمام^(٣) :

أَثَابَ كَالْحُدُودِ لَطْمَنَ حُزْنًا وَتَوَيَّْ مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارُ^(٤)

أبو الطيب^(٥) :

وَتَوَيَّْ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِ — نَّ خِدَامَ خُرْسٍ بِسُوقِ خِدَالٍ^(٦)

نقل اللفظ من السوار إلى الخدام، وقد أحسن أبو تمام بقوله: «مثل ما انقصم السوار»؛ لأن النوي لا تستدير بالبيت إلا وفيه فرج، وربما كان من أحد الجوانب تعريج، فهو كالسوار المنقصم. وقصر أبو الطيب عنه في هذا الوجه، وإنما جعلها خرسا، وجعل السوق خدالا؛ لأنها إذا كانت لاصقة بالبيوت، فهي كأنما تضغطها ضغطة الخدمة الساق الخدلة، وإذا كانت كذلك فهي خرس، لأنها لا تتحرك فتصوت؛ وإنما أخذه أبو تمام من قول الأول^(٧) :

نُويَّ كَمَا نَقَصَ الْهَلَالُ مَحَاقَهُ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْبَغْصَمَ



أحمد بن أبي فتن^(٨) :

حَانَ الرَّحِيلُ وَقَدْ أَوْلَيْتَنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَخَوَجُ مَا كُنَّا إِلَى زَادٍ

أبو الطيب^(٩) :

وَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلٌ وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا



(١) التبيان (١ : ٣٥٦).

(٢) ديوانه ص ١٤١، التبيان (٣ : ١٩٣).

(٣) الأثافي: حجارة القدر، والنوي: حفير حول الخيمة يمنع السيل.

(٤) ديوانه (٣ : ١٩٢).

(٥) الخدام: جمع خدمة، وأصله السير يشد في رسغ البعير، وبه سمي الخلخال. والخدال: السمان.

(٦) التبيان (٣ : ١٩٣).

(٧) (٨) التبيان (١ : ٢٢٣).

(٩) ديوانه (١ : ٢٢٣).

أبو تمام^(١):

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
أبو الطيب^(٢):

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي فَقَلَنْ نَرَى شَمْساً وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ



البحري^(٣):

وَلَمْ أَلْقَ فِي رَنْقِ الصَّرَى^(٤) لِي مَوْرِدًا فَحَاوَلْتُ وَرْدَ النَّيْلِ عِنْدَ اخْتِفَالِهِ
أبو الطيب^(٥):

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا
وهذا مصراع نادر، مستوفي المعنى سائر المثل.



البحري^(٦):

وَأَشْهَدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِيكَ دُونَهُمْ مُؤَدَّى إِلَى حَظِّي وَمُتَّبِعَ رُشْدِي
أبو الطيب^(٧):

وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَذِلَّ عَوَاذِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ
وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي وَشَرَقُوا وَغَرَبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا



البحري^(٨):

إِذَا سَارَ كَفُّ اللَّحْظِ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ سِوَاهُ وَغَضَّ الطَّرْفُ^(٩) عَنْ كُلِّ مُسْمَعٍ
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا إِفَاضَةً شَاخِصٍ إِلَيْهِ بَعِينٍ أَوْ مَشِيرٍ بِإِضْبَاعٍ
أبو الطيب^(١٠):

بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ وَيُخْرِقُ مِنْ رَحِمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ
وَتُلْقِي وَمَا تَذْرِي الْبَنَانُ سِلَاحَهَا لِكثْرَةِ إِيْمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو

(٦) ديوانه (١ : ١٩٨)، التبيان (١ : ١٩٩).

(٧) ديوانه (١ : ١٩٩).

(٨) ديوانه (٢ : ٧٩).

(٩) في الديوان: «وغض الصوت».

(١٠) ديوانه (٢ : ٥). وزحم: مصدر زحم.

(١) ديوانه ص ١٨٩، التبيان (٢ : ١٢٣).

(٢) ديوانه (٢ : ١٢٣).

(٣) ديوانه (٢ : ١٧٣)، التبيان (٤ : ٢٨٧).

(٤) الصرى: الماء يطول مكثه.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٨٧).

فأكد المعنى وزاد فيه، كأنه اقتبس معنى البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣١].



البحترى^(١):

تَقَادَفُ بِي بِلَادٍ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا غَيْرُ^(٢) شُرُودٍ
بعضهم:

كَأَنِّي قَدَى فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادٍ

أبو الطيب^(٣) - وهو منقول إلى معنى آخر كالمفرد:

يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي وَأَنِّي فِيهَا مَا تُقُولُ الْعَوَادِلُ



أشجع^(٤):

وَعَلَى عَذُوكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ: ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُبُوفُكَ الْأَخْلَامِ
أبو الطيب^(٥):

يَرَى فِي النَّوْمِ رُمُحَكَ فِي كِلَاهِ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشُّهَادِ

فقصر في ذلك الشهاد؛ لأنه أراد أن يقابل بها النوم، وبذلك يتم المعنى، وليس كل يقظة سهاداً؛ إنما الشهاد امتناع الكرى في الليل، ولا يسمى المتصرف في حاجاته بالنهار ساهداً وإن كان مستيقظاً، وقد جاء به في بيت آخر فقال^(٦):

وَكُلَّمَا حَلَمْتَ عَذَاءً عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمْتَ بِالسَّبِي وَالْجَمَلِ

وإنما ذكر الجمال؛ لأن الروم لا تعرفه إلا إذا غزاها المسلمون، فهم أشد شيء فرقا منه ونفارا عنه.



(١) ديوانه (١: ١٧٢)، التبيان (٣ - ١٧٧).

(٢) في الديوان: «حمل».

(٣) ديوانه (٣: ١٧٧).

(٤) خاص الخاص. ص ٨٨، التبيان (١: ٣٦٤).

(٥) ديوانه (١: ٣٦٤).

(٦) ديوانه (٣: ٨٣).

أبو تمام^(١):

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ
وهو مما استقبح من استعاراته، وزعموا أنه لما أنشد ذلك بحضرة أحمد بن أبي
دؤاد قال مَنْ حضر: وكيف يشيب الفؤاد؟ فقال ارتجالاً^(٢):

وَكِذَاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَاتُغَ الْأَجْسَادِ
فقال أبو الطيب^(٣) - ونقل شيب الفؤاد إلى الكبد:

إِلَّا يَشِيبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْباً إِذَا خَضِبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(٤)



قال أبو نواس^(٥):

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وكرر فقال:

مَتَى تَحْطِي إِلَيْهِ الرَّحْلَ سَالِمَةً تَسْتَجْمَعِي الْخَلْقَ فِي تَمَثَالِ إِنْسَانٍ
قال أبو الطيب^(٦):

هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ
ثم كرره فقال^(٧):

أَمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصٍ حَتَّى أُعِيدَا

ومثل قوله^(٨):

وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

وكرر وزاد فقال^(٩):

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَمَّا رَدَّ الْإِلَهَ تُفُوسَهُمْ وَالْأَغْصَارَ

(١) ديوانه ص ٧٥، التبيان (٣: ١٦٤)، أخبار أبي تمام للصولي ص ١٤٨.

(٢) ديوانه (١: ٧٥). (٣) ديوانه (٣: ٤٦١).

(٤) النصول: ذهاب الخضاب. (٥) ديوانه ص ٨٧؛ التبيان (١: ٣٦٦).

(٦) ديوانه (٣: ١٧٣).

(٧) ديوانه (١: ٣٦٦). وصدرة:

أحلماً نرى أم زماناً جديداً

(٨) ديوانه (٢: ٣٥٠)، وصدرة:

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى

(٩) ديوانه (٢: ١٧٠).

ومن مליح ما يشاكل هذا قوله^(١):

تُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا وأتى فذلك إذ أتيت مؤخراً^(٢)
فعلل وشبهه، وأوضح المعنى بذكر الحساب واجتماع أعداده في الفذلكة، وهو قريب من قوله في أخرى:

مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وألف إذا ما جمعت واحد فرد
فجعل الألف واحداً فرداً، يجمع ما تحته من الأعداد، كجمع هذا فضائل آبائه وهو فرد، كجمع الفذلكة ما تقدمها من تفصيل الحساب.



أبو تمام^(٣):

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يَضْحِي بِقَلْبِي مَأْتَمٌ من الشوق والبلى وعيني في عرس
أبو الطيب^(٤):

خَشَايَ عَلَى جَمْرِ ذِكِّي مِنَ الْهَوَى وعيناي في روض من الحسن ترع
وهو نحو قول العباس بن الأحنف:

إِذَا زَرْتِ شَمْساً تَسْتَضِيءُ بِشَمْسِهِ فقلبك مغبون وطرفك رابح
ومن هذا قول أبي الطيب، وقد أحسن^(٥):

فإني قد وصلتُ إلى مكانٍ عليه تحسدُ الحَدَقُ القُلُوبُ



البحري^(٦):

سَلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدُّمَاءُ عَلَيْهِمْ مخمرة فكانهم لم يسلبوا

(١) في الأصلين: «ومن مليح ما يشاكل هذا قول البحري». وهو خطأ، فهذا البيت للمتنبي: والثاني له أيضاً (٢: ١٧١).

(٢) قال الواحدي في معنى هذا البيت:

«جمع لنا الفضلاء في الزمان؛ ومضوا متتابعين متقدمين عليك، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم؛ مثل الحساب؛ يذكر تفاصيله أولاً؛ ثم تجمع تلك التفاصيل، فيكتب في آخر الحساب: فذلك كذا وكذا».

(٣) ديوانه ص ٤٧٧، والبيان (٢: ٢٣٦)، وروايته في الديوان:

أسكن قلباً هائماً فيه مأتم من الشوق إلا أن عيني في عرس

(٤) ديوانه (٢: ٢٣٥). (٥) ديوانه (١: ٧٥).

(٦) ديوانه (١: ٦٣)، البيان (١: ٣٣٧).

وهو من قول بعض العرب^(١):

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُشَيْمٍ بِطَعْنِهِ لَهَا عَائِدٌ يَكُوسُ السَّلِيبَ إِزَارًا
فَنَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ إِلَى السِّيفِ، فَقَالَ^(٢):
يَبَسَ النَّجِيعُ^(٣) عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغَمَّدٌ



البحثري^(٤) - وهو معنى مبتذل كثير:

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَسَا لِأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):
وَلَوْ لَقِيتُ^(٦) صُمَّ الْجِبَالِ الَّذِي بَنَا عِدَاةَ أَفْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ



البحثري^(٧):

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَاجَ الْبَخِيلُ وَلَا يُحِبُّ مَنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):
إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسَرُّ بِمَا لَا يَهَبُ



البحثري^(٩):

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَادُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَا فِي تَيْلِهِ الْمَوْهُوبُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠):
إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى فَلِإِنَّكَ تُغْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا



(١) التبيان (١ : ٣٣٧).

(٢) ديوانه (١ : ٣٣٧).

(٣) النجيع : الدم.

(٤) ديوانه (١ : ٢٦)، التبيان (٢ : ٢٣٧).

(٥) ديوانه (٢ : ٢٣٦).

(٦) في الديوان: «ولو حملت».

(٧) ديوانه (١ : ٦٥)، التبيان (١ : ٩٩) ورواية العكبري:

لَا يَحْرَمُكَ كَمَا احْتَاجَ الْبَخِيلُ وَلَا يُحِبُّ مَنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ
(٨) ديوانه (١ : ٩٩).

(٩) ديوانه (١ : ٥٧)، التبيان (٤ : ٢٩٠).

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٩٠).

البحثري^(١):

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مَجْرِبٍ
أَبُو نَمَامٍ^(٢):

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ
وَلَهُ^(٣):

كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ إِذَا عَدَا لِلْحَزْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْغَطْرِيفَا^(٤)
أَبُو الطَّيْبِ^(٥):

تَذْيِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي عَدٍ وَهُجُومُ غِرٍّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا^(٦)
وَقَدْ قَالُوا: إِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ قَوْلُ قَطْرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ^(٧):

ثُمَّ انْشَيْتَ وَقَدْ أَصِيبْتَ وَلَمْ أَصِبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةَ فَارَحَ الْإِقْدَامَ

وليس هو عندي كذلك؛ لأن قطريا زعم أن إقدامه إقدام فارج، وبصيرته بصيرة جذع، والقارج أتم سناً من الجذع. وهؤلاء زعموا أن إقدامهم إقدام غز، وتجاريتهم تجارب كهل مُحَنَك؛ فهو ضد ذلك المعنى، اللهم إلا أن يقال قلبه؛ فلا يبعد ذلك عن الصواب.



أَبُو نَوَاسٍ^(٨):

جَذَتْ بِالْأَمْوَالِ حَنَّى قَبِيلَ مَا هَذَا صَحِيحُ
وَقَالَ^(٩):

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَنَّى حَسِبُوهُ النَّاسُ حُمَقَا^(١٠)

(١) ديوانه (١: ٢٠)، التبيان (١: ١٣٣)، ونسبه لحبيب خطأ.

(٢) ديوانه ١٤٨، التبيان (١: ١٣٢).

(٣) ديوانه ص ٢٠٧، التبيان (١: ١٣٢)، ورواية الديوان:

إِذَا عَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْقَشْعَمُ الْغَطْرِيفَا

(٤) الأناء: الحلم، والشداة: بقية القوة. وعدا: أسرع. والقشعم: الأسد. والغطريف: السيد الشريف.

(٥) ديوانه (١: ١٣٢).

(٦) الحنك: جمع حنكة؛ وهي التجربة. والغر: الذي لم يجرب الأمور.

(٧) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٥٠. قال في شرحه: «جذع البصيرة؛ أي فتى الاستبصار، أي وأنا على بصيرتي الأولى. وقارج الإقدام؛ أي مفرح الإقدام».

(٨) ديوانه ص ٧٠، التبيان (٤: ٣٣). (٩) ديوانه ص ١٢١، التبيان (٤: ٣٣).

(١٠) رواية الديوان:

جَادَ إِسْرَاهِيمُ حَنَّى جَعَلُوهُ النَّاسَ حُمَقَا

أبو تمام^(١):

مَا زَالَ يَهْذِي بِأَلْمَكَارِمِ وَالنُّدَى حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ مُحْمُومٌ
فَتَنَاولَ مَعْنَى بَارِداً، وَغَرَضاً فَاسِداً، فَأَكْده وَأَضَافَ إِلَى الْحَمَى الْهَذيَانِ. وَقَالَ
الْبَحْثَرِي:

إِذَا مَعَشَرَ صَابُوا السَّمَاحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هَمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ابْتِدَالِهَا
وَقَالَ آخَرُ فِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى:
بَطْلٌ تَنَازَرَهُ الْكُفَاةُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَدَلُّ عَلَى الْفَوَارِسِ أَخْمَقُ
وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْعَنْبَرِيِّ^(٢):
مَا كَانَ يُغْطِي مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الْخَيْمِ أَوْ مَجْنُونُ
فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(٤)



قال أبو العتاهية^(٥):

وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَغْرُوفَهُ فَمَغْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا
أَبُو تَمَامٍ^(٦):
تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضُهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ
وَلَهُ^(٧):
وَقَدَّتْ إِلَى الْآفَاقِ مِنْ نَفْحَاتِهِ نِعَمٌ تَسَائِلُ عَنْ دَوِي الْإِقْتَارِ
وَلَهُ^(٨):
فَإِنْ لَمْ يَفِذْ يَوْمًا إِلَيْهِنَّ طَالِبٌ وَقَدْ نَزَلَ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَالِبٍ

(١) ديوانه ص ٣٠٠، شرح ديوان أبي نواس ص ٧٠، التبيان (٤: ٣٣) ورواية الديوان:

ما زال يهذي بالمكارم والعللا

(٢) التبيان (٤: ٣٣).

(٣) ديوانه (٤: ٣٢).

(٤) قال الواحدي في معنى البيت: «يقول: هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ويقول بيت المال: ما هذا مسلماً؛ لأنه فرق بيوت أموال المسلمين، ولم يدع فيها شيئاً».

(٥) التبيان (٣: ١٦٦).

(٦) ديوانه ص ٤١، والعراض: جمع عرصة، وهي كل بقعة بين الدور، واسعة ليس فيها بناء.

(٨) التبيان (٣: ١٦٧).

(٧) التبيان (٣: ١٦٧).

أبو الطيب^(١):

قِيلَ بِمَنْبَجٍ مَثْوَاهُ وَتَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرُهُ سَأَلَا^(٢)
ثم كرره فقال^(٣):

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفَدُ
ثم كرره فزاد وأحسن، فقال^(٤):

وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبَا



لبعضهم^(٥) في طاهر بن الحسين:

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ نِ لَا غَرَقْتَ كَيْفَ لَا تَغْرُقُ
وَبَحْرَانٍ: مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخِرُ مَنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ عِيدَانُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
قال أبو الطيب^(٦):

وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكْفِهِمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ
وأصله من قول أبي صخر الهذلي^(٧)، وإن كان في النسيب:

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا لِمَسْتَهَا وَيَنْبُتُ مِنْ أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ^(٨)



بشار:

أَوْ كَبَدَّرَ السَّمَاءَ غَيْرَ قَرِيبٍ حِينَ يُوفِي وَالضُّوءُ مِنْهُ قَرِيبٍ
أبو عيينة^(٩):

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَازُلِهَا بُغْدُ

(١) ديوانه (٣: ١٦٦).

(٢) القيل: الملك العظيم، ومنبج: بلد بالشام يبعد عن الفرات مرحلة، والمشوى: المنزل.

(٣) ديوانه (٢: ٧).

(٤) ديوانه (١: ١٣٢).

(٥) نسبه صاحب المواهب الفتحية (٢: ١٣٤) لمقدس بن صيفي.

(٦) ديوانه (٢: ٣٣٧). (٧) الأمايلي لأبي على القالي (١: ١٤٩).

(٨) رواية الأمايلي:

وينبت في أوراقها الورق النضر

(٩) التبيان (١: ١١١).

الطَّرِمَاح^(١):

أَنَا الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغَيَّبَ لَيْلُهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعَيْنِ نَجُومِهَا
تَرَاهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيباً وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُغَيِّبُ كَفَّ قَابِضِهَا شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا



أَبُو تَمَامٍ^(٣):

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هَلَالٌ قَرِيبُ الثُّورِ نَاءِ مَنَازِلِهِ
الْبَحْتَرِي^(٤):

كَالْبَذْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا



الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ^(٦):

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَثَّتِ الْإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدٍ
الْبَحْتَرِي^(٧):

عَطَاءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاءٍ وَمَشْرِقُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

كَالْبَذْرِ مَنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِبَا



أَبُو تَمَامٍ^(٩):

مَضُوءَا وَكَأَنَّ الْمَكْرَمَاتِ لَدَيْهِمْ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ

(١) ديوانه (١ : ١١١).

(٢) التبيان (١ : ١١١).

(٣) التبيان (١ : ١٣٠)، ورواه:

قريب إلى العليا قريب منازل

(٤) ديوانه (١ : ١٣٠).

(٥) ديوانه (١ : ٥٨).

(٦) ديوانه (١ : ١٣٨)، التبيان (١ : ١٣٠).

(٧) التبيان (١ : ١٣٠).

(٨) التبيان (١ : ٣٥٩).

(٩) ديوانه (١ : ١٣٠).

ثم قلبه فقال^(١):

جودٌ تدين بحُلوه وبُمرّه فكأنّه جزءٌ من التَّوحيّدِ
أبو الطيب^(٢):

كأنَّ سخاءك الإسلامُ تخشى متى ما حلت عاقبةُ ازْدَادِ^(٣)



العوام بن شوذب الشيباني^(٤):

ولو أنّها عُصفورة لحسبتّها مُسوِّمةٌ تدعو عُبيداً وأزّماً
جرير^(٥):

ما زال يحسبُ كلّ شيءٍ بغدّهُم خيلاً تكثرُ عليهمُ ورجالاً
عروة بن عتبة الكلابي:

إذ تحسب الشجرَاء خلفَ ظهورنا خيلاً وأن أماننا الصَّخراءُ
أبو نُوَاس في غير هذا المعنى:

فكلُّ كفٍّ رآها ظنّها قدحاً وكل شخصٍ رآه ظنّه السافي
أبو الطيب^(٦):

وضاقت الأرضُ حتّى كانَ هاربُهُم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنّه رجلاً
فبالغ حتى أفسد المعنى.



البحثري^(٧):

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ المَدِيحِ فَقَدْ كَا دَيَكُونُ المَدِيحِ فِيهِ هِجَاءُ
المتنبي^(٨):

تَجَاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حَتَّى كَانَهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ

(١) التبيان (١: ٣٥٩).

(٢) ديوانه (١: ٣٥٩).

(٣) يقول: أنت تقوم على سخائك وتعهده؛ كما يتحفظ الإنسان دينه؛ أي أنت تعتقد سخاءك اعتقاد الدين، وتخاف - إذا تحولت - عاقبة الردة، وهو القتل ودخول النار.

(٤) أيام العرب في الجاهلية ص ١٩٥، شرح شواهد المغني (٢: ٢٢٦)، ونسبه لجرير، ومسومة: أي خيلاً مسومة، وعبيد وأزلم: قبيلتان من بني يربوع، اللسان - مادة زلم.

(٥) ديوانه ص ٤٥١. (٦) ديوانه (٣: ١٦٨).

(٧) ديوانه (١: ٢). (٨) ديوانه (١: ١٩٤).

ونحوه له^(١):

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْهَمَنِي أَنِّي بِقَلَّةِ مَا أَتَيْتُ أَهْجُوكَا
وَكَّرَّرَهُ فَقَالَ^(٢):

وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ كَأَنَّهُ أَشْرَفَ فِي سَبِّهِ



بعضهم - في وصف عَفْعَق^(٣):

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زَيْبِنِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

أَذْرَنَ عُيُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهُمَا مُرْكَبَةُ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زَيْبِنِ



الفرزدق^(٥):

جُعِلَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِأَثَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى قَثْرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

مِثْلَ مَا أَخَذَتْ الثُّبُوءُ فِي الْعَا لَمْ وَالْبَعَثُ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ



البحري^(٧):

فِي^(٨) كُلِّ مُشْرِفَةٍ حَصَاها لَوْلُو وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بَعْنَبَرِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩):

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثُّوِيَّةَ^(١٠) تَحْتَهُ كَأَنَّ نَرَاهَا عَشْبَرٌ فِي الْمَفَارِقِ
بِلَادَ إِذَا رَأَى الْجِسَانَ بَغْيَرَهَا حَصَى تُرْبَهَا ثَقْبَيْتَهُ لِلْمَخَانِقِ^(١١)



(١) ديوانه (٢: ٣٧٩).

(٢) ديوانه (١: ٢١٤)، ورواه: أفرط في سبه.

(٣) العقق: طائر أبيض بسواد وبياض؛ يشبه صوته العين والقاف: القاموس مادة - عقق.

(٤) ديوانه (٢: ٣٠٨). (٥) النقائص (٢: ٥٤).

(٦) ديوانه (٢: ٥٦). (٧) ديوانه (١: ٢١٣).

(٨) في ديوانه: «في رأس مشرفة». (٩) ديوانه (٢: ٣١٧).

(١٠) الثوية: موضع بالكوفة؛ على ثلاثة أميال منها.

(١١) المخائق: العقود؛ واحدها مخنق.

البحثري^(١):

مَلِكٌ بَعَالِيَّةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ يَقْرِى الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ
المتنبي^(٢):

وَمَلِلْتُ نَحَرَ عَشَارِهَا فَأَصَافِنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ الْعِشَارَ لِمَنْ قَرَى^(٣)



عمر بن أبي ربيعة:

أَلْفَى عَصَاهُ وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ: ضَيْفٌ، فَقُلْتُ: الشَّيْبُ؟ قَالَ: أَجَلُ
آخر في الشيب^(٤):

أَهْلًا وَسَهْلًا بَضَيْفٍ نَزَلَ وَأَسْتَوْدِعُ اللَّئَةَ الْفَارَحْلَ
أبو الطيب - وهو مبتذل^(٥):

ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْنَتِيمٍ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمَمِ
والمصراع الثاني من قول البحثري^(٦):

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرِقِي



عبد الله بن محمد المهلب^(٧):

يَا ذَا الْيَمِينِ لِمَ أَرْزُكَ وَلِمَ أَصْحَبُكَ مِنْ خَلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ
زَارْتُكَ بِي هِمَّةٍ مَنَازِعَةً إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْهِمَمِ
أبو تمام^(٨):

وَنَادَبْتُ^(٩) رِفْعَةً قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لَدَيْكَ لَا فِضَّةً أَبْكِي وَلَا ذَهَبًا
وقال يزيد بن محمد المهلب في معناه وأحسن^(١٠):

لَمْ تَزِرْنِي أَبَا عَلِيٍّ سِنُو الْجَدِّ بِ وَعِنْدِي بَعْدَ الْكَفَافِ فَضُولُ

(١) ديوانه (٢ : ١١٤).

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٠).

(٣) العشار: جمع عشاء، وهي التي أتى لحملها عشرة أشهر، والبدر: جمع بدرة، وهي عشرة آلاف. والنصار: الذهب.

(٤) التبيان (٤ : ٣٤).

(٥) ديوانه (٤ : ٣٤).

(٦) ديوانه (٢ : ١٢٢). والتبيان (٤ : ٣٤).

(٧) التبيان (٢ : ٣٠).

(٨) ديوانه ص ٢٢، التبيان (٢ : ٣٠).

(٩) رواية الديوان:

(١٠) التبيان (٢ : ٣٠).

غَيْرَ أَنِّي بَاغِي الْجَلِيلِ مِنَ الْأَمْرِ رَوْعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبَغَى الْجَلِيلِ
أَبُو تَمَامٍ^(١):

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمَكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

وَمَا رَغَبْتَنِي فِي عَسَجِدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ
وَلَهُ^(٣):

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ



عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُهَلَّبِ^(٤):

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ عُنْمًا كَبِيرًا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأَنَّ تَسِيرَ إِلَيْهِمْ صِلَّةٌ تَسِيرُ بِذِكْرِهَا الْأَشْعَارُ



الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ:

فَمَا بَكَيْتُ لِيَوْمٍ مِنْكَ أَسْخَطَنِي إِلَّا بِكَيْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا ذَهَبَا
عَبْدُ اللَّهِ الْمُهَلَّبِيُّ:

وَكَمْ مُذْرِكُ أَمْنِيَّةٍ كَانَ دَاوُهُ بِإِدْرَاكِهَا وَالْغَيْبُ عَنْهُ مُحَجَّبُ
نَحْوُهُ لَغِيرِهِ:

رَبِّ يَوْمٍ بِكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بِكَيْتُ عَلَيْهِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَذْعُرُ بِمَا أَشْكُوهُ جِئِنَ أَجَابُ



الْجَلَّاحُ:

وَلَنَمْنَعُ خَيْرٍ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّرِ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٧)، وَهُوَ مَعْنَى مَشْهُورٌ كَثِيرٌ:

أَبْدَأُ تَسْتَرْدُ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا يَا، فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا!

(١) ديوانه ص ٢٦٤، التبيان (٢: ٣٠).

(٢) ديوانه (٢: ٣٠).

(٣) ديوانه (٢: ٢١٦).

(٤) التبيان (٢: ٨٨).

(٥) ديوانه (٢: ٨٨).

(٦) ديوانه (١: ١٨٩).

(٧) ديوانه (٣: ١٣٠).

وهو مستوفى زائد. وقريب من قوله هذا قول علي بن جبلة:
وما صاحب الأيام إلا دريةً على أنها تغذوه وهو لها أكل



ذو الرمة^(١):
ليني^(٢) وليةً تُمرغ جنابي فإنني لِمَا نِلْتُ مِنْ وَسْمِي^(٣) نَيْلُكَ شَاكِرُ
أبو الطيب:
أُمْنِعِمَةً بِالْعَوْدَةِ الطَّبِيَّةِ الَّتِي بَغِيرِ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِي
وهذا من الألفاظ التي يصح فيها الأخذ.



ابن المعتز^(٤):
وأرى الشُّرْبَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرْدٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابٍ جِدَادٍ
أبو الطيب^(٥):
كَأَنَّ بَنَاتَ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي جِدَادٍ^(٦)



الراعي^(٧):
زَجَاؤُكَ أَنَسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنَسَانِي بَوَهْبَيْنِ^(٨) مَالِيَا
البحثري^(٩):
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوءًا عَنِ بِلَادِي

- (١) التبيان (٤: ٤٨)، واللسان مادة - ولي.
(٢) لني: فعل أمر من الولي، والولي: المطر الذي يأتي بعد المطر، أي أمطرنني ولية منك، أي معروفًا بعد معروف.
(٣) الوسمي: مطر أول الربيع، أي إني شكرت لك أول معروفك.
(٤) التبيان (١: ٣٥٤).
(٥) ديوانه (١: ٣٥٤).
(٦) بنات نعش: سبع كواكب. والخرائد: جمع خريدة؛ وهي الجارية الحية.
(٧) التبيان (٢: ٢٥٧)، ومعجم البلدان (٨: ٤٣٦)، وقبله:
وقد قادني الجيران قدما وقدنهم وفارقت حتى ما تحن جماليا
(٨) وهين، بالفتح ثم السكون: جبل من جبال الدهناء.
(٩) ديوانه (١: ١٣٩)، التبيان (٢: ٢٥٧).

أبو الطيب - وأساء غاية الإساءة^(١) :
 أُمْنِسِي السَّكُونَ وَحَضْرَ مَوْتاً وَوَالِدَتِي وَكِئْدَةً وَالسَّبِيغَا^(٢)
 ونحوه له - وقد أحسن^(٣) :
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكْ الْبُحَيْرَةَ وَالْـ غَوْرُ دَفِيءٍ وَمَاؤُهَا شَبِيمٌ^(٤)



البحثري^(٥) :
 أَرَى الْجَلْمَ بُؤْساً فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
 المتنبي^(٦) :
 دُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
 وله^(٧) :
 تَصْفُرُ الْحَيَاةُ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ



ومثله له^(٨) :
 يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ



البحثري^(٩) :
 يُذَكِّرُنَا زَيْناً الْأَحْبَبَةِ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ
 نقله أبو الطيب وأحسن^(١٠) :
 إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرِحْتَنِي رَوْضَةً وَقَبُولُ^(١١)
 وفي هذا المعنى كلام.

(١) ديوانه (٢ : ٢٥٧).

(٢) السكون وحضرموت وكندة والسبيع : مواضع بالكوفة.

(٣) ديوانه (٤ : ٦٦).

(٤) البحيرة : هي بحيرة طبرية بالشام، والغور : موضع هناك أيضاً، والشبم : البارد.

(٥) ديوانه (٢ : ١٦٤)، التبيان (٤ : ١٢٤).

(٦) ديوانه (٤ : ١٢٤). (٧) ديوانه (٢ : ٢٦٩).

(٨) ديوانه (٤ : ٢٠٩)، وصدده :

أقاضل الناس أغراض لذا الزمن

(٩) ديوانه (١ : ١٣٦)، والتبيان (٣ : ٩٦). (١٠) ديوانه (٣ : ٩٦).

(١١) الروح : نسيم الريح، وأدنى : أشد إدناء، فبنى «أفعل» من المزيد، وبرحتني : فارقتني. والقبول : ريح الصبا. قال اليازجي : «يقول : إذا كان تشمم النسيم يدنيني إليكم بأن بذكرني منازلكم فلا فارقتني روضة طيبة، وريح لينة تحمل إلي روائحها».

البحري^(١):

سَمَاحاً وَبَأْساً كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمَتْرَاكِمْ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُزَجَّى وَيُتَّقَى يُرَجَّى الْحَيَا مِنْهُ وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ



البحري^(٣):

وَحَاوِلَنْ كَيْمَانَ التَّرْحُلِ فِي الدُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَصَوَّعَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

قَلَقُ^(٥) الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِنْكَ هَتُكْهَا^(٦)



البحري^(٧):

تَزَلُّوا بِأَرْضِ الرُّغْفَرَانِ وَجَاءَبُوا أَزْضَا تَرَبُّ الشَّيْخِ وَالْقَيْضُومَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

تَرَكَتْ دُخَانَ الرُّمْتِ فِي أَوْطَانِهَا طَلَبَا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا^(٩)



البحري - فِي وَصْفِ الْأَسَدِ^(١٠):

شَارَكْتَهُ فِي الْبَاسِ ثُمَّ فَضَلْتَهُ بِالْجُودِ مَحْقُوقاً بِذَاكَ زَعِيماً

(١) ديوانه (٢: ٢٥٣). التبيان (٢: ٣٤٦). (٢) ديوانه (٢: ٣٤٦).

(٣) ديوانه (٢: ٩٧). (٤) ديوانه (١: ١٣).

(٥) يريد بالقلق: الحيرة.

(٦) وعجز البيت:

ومسيرها في الليل وهي ذكاء

ومثله قول أبي المطاع بن ناصر الدولة:

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنْقِ
ضَوْءُ الْحَبِيبِ وَوَسْوَاسُ الْحَلِي وَمَا يَفْرُجُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَنْبَرِ الْمَعْبِقِ
هَبِ الْحَبِيبِ بِفَضْلِ النِّكَمِ تَسْتَرِهِ وَالْحَلِي تَنْزِعُهُ مَا الشَّأْنُ فِي الْعَرَقِ!

(٧) ديوانه (٢: ٢٤٣)، التبيان (٢: ١٦٩).

(٨) ديوانه (٢: ١٦٩).

(٩) الرمت: نبت يوقد به. يقول: تركت الأعراب ووقودهم من هذا النبات، وأنت قوما ووقودهم العنبر.

(١٠) التبيان (٣: ٣٤٠).

قال أبو الطيب^(١) :

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِفْدَائِهِ وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا



حاتم^(٢) :

إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ
حُطَّاطُ بْنُ يَغْفَرُ^(٣) :

دَرَيْسِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبُّهُ عَدَا
أبو نواس^(٤) :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ وَإِذَا أُنْفَقَتْهُ فَالْمَالُ لَكَ
أبو تمام :

فَلَمَّا لَكَ الْعَبْدُ الْمَذِلُّ إِذَا غَدَا وَهُمْ لِمَالِهِمِ الْمَصُونِ عَبِيدُ
ونحوه قول المخزومي^(٥) :

إِنَّ رَبَّ الْمَالِ أَكْبَلُهُ وَهُوَ لِلْبُخَالِ أَكْأَلُ
أبو الطيب^(٦) :

هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُزْخُ يَلْتَمِمْ



حاتم^(٧) :

لَحَى اللَّهُ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لُبُوسًا وَمَطْعَمًا
آخر^(٨) :

وَلَيْسَ قَتَى الْفُتَيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَشْرِبِ صَبُوحٍ أَوْ لَشْرِبِ غُبُوقِ
والأصل قول امرئ القيس^(٩) :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَّانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَسْجِدٍ مُؤْتَلٍّ وَقَدْ يُذْرِكُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ أَمْثَالِي

فأخذه حُقَافُ بْنُ عُصَيْنٍ الْبُرْجُمِي فَقَالَ^(١٠) :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِنَفْسِي وَخَذَهَا لَزَادَ يَسِيرٍ أَوْ ثِيَابٍ عَلَى جِلْدِي

(١) ديوانه (٣ : ٢٤٠).

(٢) ديوانه ص ٦.

(٣) التبيان (٤ : ٦٠).

(٤) التبيان (٤ : ٦٠).

(٥) التبيان (٤ : ٦٠).

(٦) ديوانه (٤ : ٦٠).

(٧) ديوانه ص ٢٢.

(٨) التبيان (١ : ١٧٤).

(٩) ديوانه ص ٧١.

(١٠) معجم الشعراء ص ١٠٨.

لَأَبْتُ عَلَى نَفْسِي وَبَلَّغَ حَاجَتِي من المالِ مالٌ دونَ مَالِي الذي عُنْدِي
ولكنما أَسْعَى لِمَجْدِ مُؤَثَّلٍ وكان أبي نال المكارم عن جَدِّي
ثم أكثر الناس فيه . وقال أبو الطيب ^(١) :
تَهْوَى بِمُنْجَرِدٍ ^(٢) لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِبُسِّ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ
وقال ^(٣) :
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبِهِ رِجْلَاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
ولكن نفساً بينَ جَنَبَيَّ مَالِهَا مَدَى يَسْتَهِي بِهَا فِي مُرَادِ أَحَدِهِ
قوله : «والثوب جلده» من قول أبي هَاقَن :
وما شعاري الدُّهْرَ غيرَ جِلْدِي



مُسْلِمٍ ^(٤) :
قُتِلْتُ وَعَالَجَهَا الْمُدِيرُ وَلَمْ تُقَدْ فَإِذَا بِهِ قَدْ صِيرْتُهُ قَتِيلًا
ديك الجن - ونقله إلى غرض آخر :
تَظَلُّ بِأَيْدِينَا نَتَعَتَّعُ رُوحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحِ ثَارَهَا
أبو تمام ^(٥) :
وَكَأْسُ كَمْعَسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلَكِنَّهَا أَجَلَّتْ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
وله ^(٦) :
أَفِيكُمْ قَتَى حَيٌّ فَيُخْبِرُكُمْ عَنِّي بِمَا شَرِبْتُ مَشْرُوبَةَ الرَّاحِ مِنْ ذَهْنِي
أبو الطيب ^(٧) :
نَالِ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي لَلَّهِ مَا تَصْنَعُ الْحُمُورُ



الأفوه الأودي ^(٨) :
وَتَرَى السُّطَيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنِ ثِقَّةٍ أَنَّ سُمَامَ ^(٩)

- (١) ديوانه (١ : ١٧٤) .
(٢) ديوانه (٢ : ٢٣) .
(٣) ديوانه ص ٣٧٥ ، التبيان (٢ : ١٣٨) .
(٤) ديوانه ص ٣٣٩ ، التبيان (٢ : ١٣٨) ، وفي الديوان «فيخبرني» .
(٥) ديوانه (٢ : ١٣٨) .
(٦) التبيان (٢ : ٣٣٩) .
(٧) تمار : تعطي الميرة بما تجد من لحوم القتلى .
(٨) (٢ : ٣٣٩) .
(٩) (٢ : ٣٣٩) .

النابعة^(١) :

إِذَا مَا عَزَّوَا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ^(٢)
حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَمَامَةً
مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ
أَبُو نَوَاسٍ^(٣) :

تَتَأَبَّى الطَّيْرُ غُدُوَّتَهُ
ثِقَّةً بِالشَّيْبَعِ مِنْ جَزْزَةٍ^(٤)
أَبُو تَمَامٍ^(٥) :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَغْلَامِهِ ضَحَى
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا
بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ» فهو المتقدم، وأحسن من هذه الزيادة عندي قوله : «في الدماء نواهل» وإقامتها مقام الرايات، وبذلك يتم حسن قوله : «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ»، على أن الأقوَّة الأودِيَّة قد فضل الجماعة بأمر : منها السبق وهي الفضيلة العظمى، والآخر قوله : «رَأَى عَيْنٌ» فخر عن قُرْبِهَا لأنها إِذَا بَعُدَتْ تُخَيِّلُ وَلَمْ تُرْ، وإنما يكون قُرْبُهَا متوقعاً للفريسة، وهذا يؤيد المعنى، ثم قال : «ثِقَّةً أَنْ سَتُمَارَ» فجعلها واثقة بالميرة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره، فأما أَبُو نَوَاسٍ فإنه نقل اللفظ ولم يزد فَيُفَضَّلُ .
وقال أبو الطيب^(٦) :

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا
سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ

فزاد إذ جعلها سحابتين، وجعل السحابة السفلى تَسْقِي ما فوقها، وهذا غريب، وقد يَعْبِيهِ المتكلفون في هذا البيت بأمرين : أحدهما أَنَّ السحاب لا يسقي ما فوقه، والآخر أَنَّ الْعِقْبَانَ والطير لا تَسْتَسْقِي، وإنما تَسْتَطْعِمُ، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أَغْرَبَ بِهِ، ولم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه، وإنما أقامه مَقَامَ السحاب من وَجْهَيْنِ لتزاحمه وكثافته، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، وأما أَنَّهُ يَسْتَسْقِي كاستسقاء السحاب فلا لأنه لَمَّا سَمَاهُ سحاباً جعله يستسقي .

وقد قال أبو تمام في صفة المنجنيق :

أَرْضٌ عَلَى سَمَائِهَا دُرُورٌ

(١) ديوانه ص ٤ . (٢) تتأبى : تعتمد، والجزر : قطع اللحم .
(٣) العصائب : الجماعات . (٤) ديوانه والتبيان (٢ : ٢٣٩) .
(٥) ديوانه ص ٦٨ ، رغبة الأمل (٤ : ١٢١) . (٦) ديوانه (٣ : ٣٣٨) .

مع أن الطير لا تُصِيبُ فرائسها وهي في الجو، وإنما تهبط إلى الأرض فهي تستسقي والسحاب الساقى عال عليها، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب في استعارة هذه اللفظة في كل طلب، تعظيماً لقدر الماء، ولذلك قال علقمة^(١):

وفي كلِّ حي قد خَبَطَتْ بنعمة فحوقاً لشأسٍ من نَدَاكَ ذُنُوبُ^(٢)
وقال رؤبة^(٣):

يا أيها المائح ذلوي ذونكا

وهما لم يستسقيا ماء، وإنما طلب أحدهما مالا واستطلق الآخر أسيراً. ولذلك سماوا المجتدي والسائل مستمحين، وإنما الميح جمع المائح الماء في الدلو، والمائح الرجل الذي ينزل في البئر يملأ الدلاء، وقد تلغ سباع الطير الدماء. ولذلك قال أبو تمام:

بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

وإنما النَّهْلُ في الشراب. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره، وَلَطَفَ فجاء كالمعنى المخترع فقال^(٤):

يُقَدِّي أَنَّمُ الطَّيْرَ عُمْراً سِلَاحَهُ نُسُورُ الْمَلَا أَخْدَانُهَا وَالْقَشَاعِمُ^(٥)
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ^(٦)



أبو تمام^(٧):

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَّائُهُ نَسَّاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطْعُهُ أَنَامِلُهُ
أبو الطيب - ونقله إلى البأس^(٨):

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأْخُراً لِأَخْرَهُ الطَّنْبُعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقُدَمِ^(٩)



(١) ديوانه ص ٥.

(٢) الحي: القيلة، وخبطت بنعمة: أي أنعمت وتفضلت. وشأس أخو الشاعر، والذنوب: الدلو العظيم.

(٣) اللسان - مادة ماح، وتماحه:

إنني رأيت الناس يحمدونكا

(٤) ديوانه (٣: ٣٧٩).

(٥) الملا: وجه الأرض، والقشاعم: النسور الطويلات العمر، ومنه سميت المنية أم قشعم.

(٦) المخالب: جمع مخلب؛ وهو الظفر لسباع الطير، والقوائم: جمع قائم، وهو قائم السيف.

(٧) ديوانه ص ٢٣٢.

(٨) ديوانه (٤: ٥٥).

(٩) القدم: الإقدام.

أبو تمام^(١):

عَطَاءٌ لَوْ اسْتَطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ الْوَرَى وَهُوَ عَاذِلُهُ
أبو الطيب^(٢):

وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ فَهَا أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ



البحثري^(٣):

وَأَحْبُّ أَقْطَارِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ
أبو الطيب^(٤):

وَكُلَّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ



أبو تمام^(٥):

وَلَيْسَ يَغْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ^(٦) صَاحِبُهُ حَتَّى يَصَابَ بِنَأْيٍ أَوْ يَهْجُرَانِ
وله^(٧):

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أُنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
وله^(٨):

قَدْ عَلِمْتُ مَا رَزَيْتُ إِثْمًا يُغْرِفُ فَقَدْ الشَّمْسُ عِنْدَ الْمَغِيبِ
وله^(٩):

سَمَّجَتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا مَا حَوْلَهَا مِنْ نُضْرَةٍ وَجَمَالِ
وَكَذَاكَ لَمْ تَفْرُطْ كَأَبَّةً عَاطِلَ حَتَّى يَجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِ
وله^(١٠):

بَيْنَ الْبَيْنِ بَيْنَهَا^(١١) فَلَمَّا تَعَدَّ رَفَ فَقَدْ أَلَّ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا

(١) ديوانه ص ٢٣٢. (٢) ديوانه ص ٦٦٩ (شرح البازجي).

(٣) ديوانه (١: ٦٠)، والتبيان (١: ١٨٣).

(٤) ديوانه (١: ١٨٣)، وصدره:

وكل امرئ يولي الجميل محبيب

(٥) ديوانه ص ٣٢٤، التبيان (١: ٢٣). (٦) في ديوانه: «كنه الوصل».

(٧) ديوانه ص ٣١٠، والتبيان (١: ٢٤). (٨) ديوانه ص ٣٥٤.

(٩) ديوانه ص ٢٦٠، والتبيان (١: ٢٤). (١٠) ديوانه ص ٢٥.

(١١) في ديوانه: «فقدتها».

البحثري^(١):

وقد زادهَا إفراط حسنٍ جوارها خلائق أضداد من المجد غُيب^(٢)
وحسن دراري الكواكب أن تُرى طوالع في داجٍ من الليل غِيَّهَبِ
وقد ملَّح بشار في هذا المعنى بقوله^(٣):
وَكُنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دُمَّتْ فِيهِمْ قِبَاحاً فَلَمَّا غَبَّتْ صِرَتْ مَلَاحاً
وقال أبو الطيب^(٤):

وَنَذَمَهُمْ^(٥) وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وبضدّها تَتَبَّيَّنُ الْأَشْيَاءُ
فصرَّح بالمعنى، وبين أن المضادة هي التي تُثَبِّتُ حُسْنَ الشَّيْءِ وَتُبْحَهُ، ثم أخفاه فقال^(٦):
وَلَوْلَا أَيَْادِي الذَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيَّنَّنَا غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
وهذا قلب بيت أبي تمام^(٧): الأول:
مَا إِنْ تَرَى شَيْئاً لَشَيْءٍ مُّحِيْباً حَتَّى تُلَاقِيَهُ لَأَخْرَقَاتِلاً
أبو الطيب^(٨):

بَدَأَ قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ



وله^(٩):

وَمَوَالٍ تُخْسِيهِمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمْ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ
وهذا البيت كأنه من قول النابغة^(١٠):
يَرِيشُ قَوْماً وَيَبْرِي آخِرِينَ بِهِمْ لِّلَّهِ مِنْ رَائِشٍ عَمْرُو وَمِنْ بَارِي



الحُصَيْنِ بن الحُمَامِ^(١١):

يَطَّأَنَّ مِنَ الْقَتْلَى وَمِنْ قَصْدِ الْقَتَا خَبَاراً^(١٢) فَمَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَجَشُّماً

(١) ديوانه (١ : ٥٠)، التبيان (١ : ٢٤).

(٢) رواية الديوان والتبيان: خلائق أصفار من المجد خيب

(٣) التبيان (١ : ٢٤). (٤) ديوانه (١ : ٢٢).

(٥) رواية الديوان: «نذيمهم» وهي بمعنى نذمهم.

(٦) ديوانه (١ : ٥٢). (٧) التبيان (١ : ٢٧٦).

(٨) ديوانه (١ : ٢٧٦). (٩) ديوانه (٣ : ١٥٤).

(١٠) ديوانه ص ٤٦.

(١١) الأغاني (١١ : ٨٧)، مهذب الأغاني (٢ : ٢)؛ التبيان (٣ : ٣٥٣).

(١٢) الخبر: ما لان من الأرض واسترخى، وفي الأصل والتبيان: خباراً، وما أثبتناه عن مهذب الأغاني.

أبو الطيب^(١):

يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَنَّهُ وَمِنْ قِصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقْوَمُ^(٢)



قيس بن ذريح^(٣):

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيتِي بِكَفِّي إِلَّا أَنْ مَا حَانَ حَائِنُ

دُغْبِلُ^(٤):

لَا تَأْخُذًا بِظِلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

أبو الطيب^(٥):

وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنِ الْمُطَائِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ؟



أبو تمام^(٦):

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِئْسَ ذَلِكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

أبو الطيب^(٧):

حَالَ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنُصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا



ابن وهيب:

لَبِسا الْبَلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَةِ مِثْلَ مَا أَجَدُ

أبو الطيب^(٨):

مَا زَالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدَقِ يُنْحِلُهَا وَالسُّقْمُ يُنْحِلُنِي حَتَّى حَكَّتْ جَسَدِي^(٩)

(١) ديوانه (٣: ٣٥٣).

(٢) أراد: من ما حملته؛ لأن «لا» لا تدخل على الماضي إلا مكررة، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ. والقصد: القطع. والمران: الرماح اللينة جمع مارن؛ أي أن خيله تغطى الأبطال الذين لم تحملهم؛ يعني أبطال العدو، وتدوس قطع الرماح التي لا يحاول أحد تقويمها لتكسرهما. شرح اليازجي (١: ٣١٠).

(٣) الأغاني (٩: ١٨٥) (طبعة الدار)، التبيان (٣: ٢٥٠).

(٤) العقد الفريد (٤: ٢)، عصر المأمون، (٣: ٢٥٩)، التبيان (٣: ٢٥٠).

(٥) ديوانه (٣: ٢٥٠). (٦) ديوانه ٢٩. التبيان (١: ١٢٥).

(٧) ديوانه (١: ١٢٥). (٨) ديوانه (١: ٣٤٩).

(٩) أراد سحاباً هزيم الودق، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم. والضمير في ينحلها يعود على البيت قبله:

ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد

وله نحوه، وقد زاد في المصراع الأول^(١):
أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُرَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ^(٢)



عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ:
طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ وَهُوَ كَأَنَّمَا تَصُولُ إِذَا اسْتَنْجَذْتَهُ بِقَبِيلِ
أَبُو تَمَامٍ^(٣):
ثَبْتُ^(٤) الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فِيحَسْبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا^(٥)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدٌ^(٧)



أَبُو تَمَامٍ^(٨):
فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ مَا حَبَّوْتَ مِنَ اللَّهِى^(٩) نَزْرًا وَأَضْفَرَ مَا شَكَرْتَ جَزِيلاً
أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠):
يَسْتَضْغِرُ الْحَظَرَ الْعَظِيمَ لَوْفِدِهِ وَيَطْئُنْ دَجَلَةً لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا



أَبُو تَمَامٍ^(١١):
يَوَدُّ وَدَادًا أَنْ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ إِذَا أَنْشَدْتَ شَوْقًا إِلَيْهَا الْمَسَامِعَ

(١) ديوانه (٤ : ٨٣).

(٢) الأثافي: جمع أثفية، وهي التي تنصب تحت القدر. والصلى: الاصطلاء بالنار. والرسم: ما بقي من آثار الديار.

(٣) ديوانه ص ٢٤٤.

(٤) الثبت: الثابت.

(٥) القبيل الأول العريف؛ والثاني الجماعة.

(٦) ديوانه (١ : ٣٣٦).

(٧) قال العكبري: هو مثل قول أبي نواس.

(٨) ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

(٩) ديوانه ص ٢٤٤.

(١٠) اللهم: جمع اللهية؛ وهي العطية.

(١١) ديوانه (١ : ١٢٥).

(١٢) ديوانه ص ٤٨٠.

غيره:

عَنَّتْ فَلَمْ تَبْقَ فِي جَارِحِهِ إِلَّا تَمَّئْتُ بِأَنْهَا أَدُنُّ
أبو تمام في غير هذا المعنى:
تَرَى صِلَا تَخَالَ بِكُلِّ عَضْوٍ لَهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرَكَاتِ قَلْبَا
أبو الطيب^(١):
حَتَّى كَأَنَّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةً^(٢) فِي جَنْدِهِ وَلِكُلِّ عِزٍّ مَذْمَعَا

بشار^(٣):

صَحْبَتُهُ فِي الْمَلِكِ أَوْ سَوْقَةٍ فزاد في كثرة حُسَايِ
أبو نواس^(٤):
دَعَيْتَنِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرِخْلَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
البحري^(٥):
وَأَلْبَسْتَنِي الثُّغْمَى الَّتِي غَيْرَتْ أَخِي عَلَيَّ فَأَمْسَى نَارِخَ الْوُدِّ^(٦) أَجْنَبَا
أبو الطيب^(٧):
أَزَلْ حَسَدَ الْحُسَايِدِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا
وأصله لأبي جُوَيْرِيَةَ الْعَبْدِيِّ، وهو أحسن ما قيل فيه^(٨):
وَمَا زَالَ يُعْطِينِي وَمَا لِي حَاسِدٌ مِنَ النَّاسِ حَتَّى صِرْتُ أَرْجَى وَأُحْسَدُ

بشار^(٩):

خَلِقُوا سَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً كَكُغُوبِ الْقَنَازَةِ تَحْتَ السَّنَانِ
البحري^(١٠):
كَالرُّمَحِ فِيهِ بَضْعَ عَشْرَةِ قَفَرَةٍ مُنْقَادَةً تَحْتَ السَّنَانِ الْأَصِيدِ

(١) ديوانه (١: ٢٥٩).

(٢) الرنة: من الرنين، وهو صوت الباكي.

(٣) التبيان (١: ٢٩٠).

(٤) ديوانه ص ٩٩، التبيان (١: ٢٩٠).

(٥) ديوانه (١: ٥٦)، التبيان (١: ٢٩٠).

(٦) رواية الديوان: «نارخ الدار».

(٧) التبيان (١: ٢٩٠).

(٨) ديوانه (١: ٢٨٩).

(٩) التبيان (٣: ١٢١).

(١٠) ديوانه (١: ١٧٠)، التبيان (٣: ١٢١).

أبو الطيب^(١):

وَكُلُّ أَتَابِيْبٍ الْقَنَّا مَدَدَ لَهُ وَمَا تَنَكُّتُ الْفُرْسَانُ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(٢)



معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب^(٣):

رَأَيْتُ الصَّدْعَ مِنْ كَغَبٍ جَمِيعَا وَكَانَ الصَّدْعُ لَا يَغْدُو أَرْتِيَابَا
فَأَمْسَى كَعْبُهَا كَغَبًا وَكَانَتْ مِنْ الشَّنَّانِ قَدْ دَعَيْتُ كِعَابَا
أبو الطيب^(٤):

وَعَمُرُوْ فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَغَبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابٌ^(٥)



وقال ذؤيب بن كعب التميمي^(٦):

جَانِيْكَ مَنْ يَجْنِيْ عَلَيْكَ وَقَدْ تُغْدِي الصَّحَا حَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ
آخِر:

الْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا تَدْنُو الصَّحَا حَ إِلَى الْجَرْبِ^(٧) فَتُغْدِيهَا
ومثله قول الآخر^(٨):

إِنَّ الْفَتَى بَابِنِ عَمِّ السُّوءِ مَاخُودٌ^(٩)

(١) ديوانه (٣: ١٢١).

(٢) النكت: الوخر. والأتابيب: جمع أنبوب، وهي العقدة الناشئة في القنا. والعوامل: جمع عامل؛ وهو صدر الرمح مما يلي السنان. قال الواحدي: «هذا مثل؛ يريد أن الطعن إنما يتأني بالرمح كله؛ وإذا لم يعاون بعض الرمح بعضاً لا يحصل الطعن؛ ولكن العوامل هي التي تصيب الإنسان؛ لأن السنان فيها؛ فكذلك القبائل كلهم مدد لك والعمل منك، فأنت فيهم كالعامل من الرمح».

(٣) التبيان (١: ٧٧)، ورواه بيتاً واحداً، ونسبه إلى كعب بن مالك وروايته:

رَأَيْتُ الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَّانِ قَدْ صَارُوا كِعَابَا

(٤) ديوانه (١: ٧٧).

(٥) يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا، فصارت عمرو، وهي قبيلة من بني كلاب، عمورا؛ يدعي كل قوم لتفرقهم عمرا، وكذلك كعب.

(٦) العقد الفريد (٣: ٢٢١).

(٧) الجري: جمع جرباء.

(٨) التبيان (١: ٨٢).

(٩) صدره:

البحثري^(١):

نُصِدُ حَيَاءً أَنْ نَرَاكَ بِأَعْيُنٍ^(٢) أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلَيْمَ مُطِيعُهَا
أبو الطيب^(٣):

وَجُزِمَ جَرُّهُ سُفَهَاءَ قَوْمٍ وَحُلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ
كأنما اقتبسه من قوله تعالى: ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾^(٤) [الأعراف: ١٥٥].



أبو تمام^(٥):

فِي غُضَبَةٍ^(٦) إِنْ سَرَوْا فَجِنُّ أَوْ يَمَّمُوا شُقَّةً فَطَيْرُ
أبو الطيب^(٧):

نَحْنُ رَحْبٌ مِلْجِنٌ^(٨) فِي زِي نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ



أبو تمام^(٩):

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَشْرَاتِ دَهْرٍ أَصِيبْتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ أَلَوْمُ
أبو الطيب^(١٠) فأحسن وزاد:

إِذَا أَتَيْتِ الْإِسَاءَةَ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمَسِيءَ فَمَنْ أَلَوْمُ!



أبو تمام^(١١):

طَلَعَتْ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنَحَسَ مَطْلَعٍ وَعَدَّتْ عَلَى الْأَمَالِ وَهِيَ سُعُودُ
أبو الطيب^(١٢):

فَأَنْجُمُ أَمْوَالِهِ فِي الشُّحُوسِ وَأَنْجُمُ سُؤَالِهِ فِي الشُّعُودِ



(١) ديوانه (٢: ٣١٩). التبيان (١: ٨٢).

(٢) في الأصلين: «بأوجه».

(٣) ديوانه (١: ٨١).

(٤) وقال العكبري: هو منقول من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

(٥) التبيان (١: ١٩٤).

(٦) رواية العكبري: «في ثبة».

(٧) ملجن: من الجن.

(٨) ديوانه (٣: ١٩٤).

(٩) التبيان (٤: ١٥٢).

(١٠) ديوانه (٤: ١٥٢).

(١١) ديوانه (١: ٣٤٣).

(١٢) التبيان (١: ٣٤٣).

أبو تمام^(١):

تُبَشِّرُهُ خُدَامُهُ بِعُقَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظُّمَانُ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

أبو الطيب^(٢):

يُعْطِي الْمُبَشِّرَ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا



أبو تمام^(٣):

لَقَدْ خَابَ مَنْ يَهْدِي سُودَاءَ قَلْبِهِ لِحَدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلُهُ

أبو الطيب^(٤):

عَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَعْرَجِ نَجَادُهُ وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ

وله^(٥):

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِرِوَاءِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ



أبو تمام^(٦):

فَحَاطَ لَهُ الْإِفْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَنَابِلُهُ^(٧)

أبو الطيب^(٨):

أَعْدُوا رِمَاحاً مِنْ خُضْرٍ قَطَاعُئُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَزَبَ الْفَيَالِقِ^(٩)



بعض العرب^(١٠):

مَا قَصُرَ الْجَوْدُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَطَرٍ وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ

يَحُلُّ حَيْثُ حَلَلْتُمْ لَا يُفَارِقُكُمْ مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ

الْكُمَيْتِ:

يَصِيرُ أَبَانُ قَرِيعِ السُّمَّا حِجِّ الْمَكْرُمَاتِ مَعَا حَيْثُ صَارَا

(١) التبيان (٤: ٢٢٧).

(٢) ديوانه ص ٢٠٥، التبيان (٣: ٣٤١).

(٣) ديوانه ص ٢٠٥، التبيان (٢: ٣٣١).

(٤) ديوانه (١: ٢٧٧).

(٥) القنابل: جمع قنبل، وهو الطائفة من الناس أو الخيل من الخمسين فصاعداً.

(٦) ديوانه (٢: ٣٣١).

(٧) غرب كل شيء: حده، والفيلق: جمع فيلق؛ وهي الكتبية الكثيرة السلاح.

(٨) التبيان (٢: ٢٩٠).

أبو نُوَاس^(١) :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ
أَشْجَعُ^(٢) :

فَمَا خَلَفَهُ لَامِرِيٍّ مَطْمَعٌ وَلَا دُونَهُ لَامِرِيٍّ مَقْنَعٌ
أَبُو تَمَّامٍ^(٣) :

إِلَيْكَ تَنَاهَى الْجُودُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ يَصِيرُ فَمَا يَغْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

وَلَسْتُ بِدُونٍ يُزْتَجَى الْعَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلَفَهُ خَلْفُ
فَأَسَاءَ وَجَاوَزَ حَتَّى قَارَبَ الْهَذْيَانَ .



مَنْصُورُ النَّمِرِيِّ^(٥) :

الْجُودُ أَحْسَنُ مَسَايَا بَنِي مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبْزُكُمُوهُ كَفَّ مُسْتَلَبٍ
مَا أَعْرَفَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ لِلذَّمِّ لِكَيْتُهُ يَأْتِي عَلَى النَّشَبِ^(٦)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
فَزَادَ بِقَوْلِهِ : «الْإِقْدَامُ قَتَالُ» .



أَشْجَعُ^(٨) :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنَّ مَغْرُوفَهُ أَوْسَعُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩) :

بِمَصْرٍ مُلُوكُ لَهُمْ مَالُهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَهُمْ هَمُّهُ
وَأَصْلُهُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ^(١٠) :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفُتَيَّانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

(١) ديوانه ص ٩٩ . (٢) التبيان (٢ : ٢٩٠) .

(٣) ديوانه ص ١٤٣ ، التبيان (٢ : ٢٩٠) . (٤) ديوانه (٢ : ٢٩٠) .

(٥) التبيان ٣ : ٢٨٧ .

(٦) رواية العكبري :

(٧) ديوانه (٣ : ٢٨٧) . (٨) التبيان (٤ : ١٥٣) .

(٩) ديوانه (٤ : ١٥٣) . (١٠) التبيان (٤ : ١٥٣) .

أبو تمام^(١) :

وقد يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمَسْمَى مَنِيَّةً وقد يرجع النَّجْدُ الْمُظْفَرُ خَائِبَا
فَأَفَةُ ذَا أَلَا يُصَادِفُ مَضْرِبَا وآفة ذَا أَلَا يُصَادِفُ ضَارِبَا^(٢)
البحري^(٣) :

رَمَى كُلَّ الْأَعْدَاءِ عَنْ حَدِّ نَجْدَةٍ بها قطعت تحت العَجَاجِ مَنَاصِلُهُ
وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَرُزْ غَادٍ لَزِيئَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ
أبو الطيب^(٤) :

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ
تَلَقَّى الْحُسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدِّهِ مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ
ثم نقله وغيره^(٥) :

إِذَا ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفُّهُ تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ
وَمِثْلَ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْبَحْرِيِّ^(٦) :

فَلَا تَغْلِبَنَّ بِالسَّيْفِ كُلَّ عَلائِهِ لِيَمْضِيَ فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ يَقْطَعُ
وقد أعاد المتنبي، فقال^(٧) :

إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا
ثم نقله إلى الخيل فقال^(٨) :

فَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامَ وَلَا الْقَنَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ



أبو تمام^(٩) :

فَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَجِي سِوَاكَ بِأَمَالِي فَجَشْتُكَ نَائِبَا
أبو الطيب^(١٠) :

وَتَغْدُلُنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَذْحٍ قَبْلَ مَذْحِكَ مُذْنِبُ

(١) ديوانه ص ٢٣.

(٢) رواية الديوان :

وقد يكهم السيف المسمى منية

فأفة ذَا أَلَا يُصَادِفُ رَامِيَا

(٣) ديوانه (٢ : ١٦٣)، التبيان (٤ : ١٨٤).

(٤) ديوانه (٤ : ١٨٤).

(٥) ديوانه (١ : ١٨٢).

(٦) ديوانه (٢ : ٨٦).

(٧) ديوانه (٤ : ٢٩٣).

(٨) ديوانه (٣ : ٣٩٤).

(٩) ديوانه ص ٢٤.

(١٠) ديوانه (١ : ١٨٧).

أبو تمام^(١) :

فَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقِ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
البحري^(٢) :

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الـ أَقْصَى وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ
أبو الطيب^(٣) :

فَشَرَّقُ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقُ وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ



بعض العرب :

تَخَالُهُ مُسْتَقْبَلًا أَقْعَدًا^(٤) وَهُوَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَ مَكْبُوبِ
علي بن جبلة^(٥) :

تَحْسِبُهُ أَقْعَدَ فِي اسْتِقْبَالِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكْبَ
المتنبي^(٦) :

إِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ^(٧)

وهو مأخوذ من قول أقيشر الأسدي لما سُئِلَ عن أكرم الخيل، فقال: هو الذي إذا استقبلته أفعى، وإذا استدبرته جثا، وإذا استعرضته استوى.



يحيى بن مالك^(٨) :

أَحَقًّا فَمَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِهِيْنِ وَلَا الصَّبْرُ إِنْ أُعْطِيَتْهُ بِجَمِيلِ
العتبي^(٩) :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
أبو تمام^(١٠) :

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَضْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

(١) ديوانه ص ١٧. (٢) ديوانه (١ : ٢٠).

(٣) ديوانه (١ : ١٨٧).

(٤) يقال: فرس أقعد؛ أي في وظيفي رجله استرخاء.

(٥) التبيان (٣ : ٢١٤). (٦) ديوانه (٣ : ٢١٤).

(٧) التليل: العنق، والكفل: الردف. (٨) التبيان (١ : ٢٤٦).

(٩) التبيان (١ : ١٤٦).

(١٠) ديوانه ٣٣٣، التبيان (١ : ٢٤٦).

وله^(١):

لا تُنْكِرَنَّ مع الفراقِ تَبْلُدِي^(٢) فبراعةُ المشتاقِ أن يَتَبَلَّدَا
أبو الطيب^(٣):
وَجَلَّا الْوَدَاعَ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحُ^(٤)
وقال^(٥):
أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرَوَّةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلًا



العباس بن الأحنف^(٦):

لو^(٧) قَسَمَ اللَّهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهَا فِي النَّاسِ طُرًّا لَتَمَّ الْحُسْنُ فِي النَّاسِ
أبو تمام^(٨):
لو أَقْتَسِمْتَ أَخْلَاقُهُ الْعُرُ لَمْ تَجِدْ مَعِيبًا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبًا
وقلبه فقال^(٩):
لو أَنَّ عُسْرَ الَّذِي أَمْسَى وَظَلَّ بِهِ بِالْعَالَمِينَ مِنَ الْبُلُوْى إِذَا فَسَدُوا
منصور الفقيه^(١٠):
لو أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمَهُ أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سَمَحًا^(١١)
أبو الطيب^(١٢):
لو فَرَّقَ الْكَرَمَ الْمُفَرَّقَ مَالَهُ فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ

(١) ديوانه ص ١١٢، التبيان (١: ٢٤٦).

(٢) التبلد: تقيض التجلد. ورواية الديوان:

لم تنكرن مع الفراق تبلدي

(٣) ديوانه (١: ٢٤٦).

(٤) فصل بين المبتدأ والخبر بجملة فعلية، والتقدير: حسن العزاء قبيح وقد جلين؛ أي المحاسن والمعنى: لما برز الحبيب للوداع، وانجلت محاسنه تركت حسن الصبر عنها قبيحا.

(٥) ديوانه (٣: ٢٣٣).

(٦) ديوانه ص ٩١، مختارات البارودي (١: ٢٠٣)، التبيان (١: ٢٥٠).

(٧) في مختارات البارودي وفي الديوان: «لو يقسم».

(٨) ديوانه ص ٢٣، التبيان (١: ٢٥٠). (٩) ديوانه ص ٤٤٣.

(١٠) التبيان (١: ٢٥٠).

(١١) قبله:

أقول إذ سألوني عن سماحته ولست ممن يطيل القول إن مدحا
(١٢) ديوانه (١: ٢٥٠).

ابن المعدل^(١):

بَاكَرْتُهُ الْحُمَى وَرَاحَتْ عَلَيْهِ
لَمْ تَشِئْهُ لَمَّا الْحَثَّ وَلَكِنْ

أَبُو تَمَامٍ^(٣):

لَهُمْ مِنْ نَوْعَةِ الْبَيْنِ الْيَدَامُ^(٤)
يُعِيدُ بِنَفْسَجَا وَرَدَ الْخُدُودِ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكََا
وَصَارَ بَهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٦)

الْبَحْرِيُّ^(٧):

إِذَا سَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ
تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ

أَبُو الطَّبِيبِ^(٨):

فَإِنَّ الْجُرْحَ يَشْفُرُ بَعْدَ حِينٍ
إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ



نَصْرُ بْنُ سِيَارٍ^(٩):

وَإِنَّ النَّارَ بِالزُّنْدَيْنِ تُورَى
وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ^(١٠)

أَبُو الطَّبِيبِ^(١١):

وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تُقْدَحُ مِنْ زِنَادٍ



(١) التبيان (٢: ٣٤٢).

(٢) البهار: نبت طيب الريح، زهرته صفراء.

(٣) ديوانه ص ٩٤، والتبيان (٢: ٣٤٢).

(٤) الالتدام: الاضطراب.

(٥) ديوانه (٢: ٣٤٢).

(٦) الشقائق: جمع شقيقة؛ وهي زهر أحمر ينسب إلى النعمان، وقرحى: جمع قريح.

(٧) ديوانه (١: ٨٤)، التبيان (١: ٣٦٣).

(٨) ديوانه (١: ٣٦٣).

(٩) الأخبار الطوال ص ٣٤٠، التبيان (١: ٣٦٤).

(١٠) رواية الأخبار الطوال:

فإن النار بالعودين تذكى
وإن الشر مبدؤه الكلام
وقبله:

أرى تحت الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
(١١) ديوانه (١: ٣٦٤).

النابعة الذبياني^(١):

قد عَيرَني بئو ذُبَيَّانَ رَهْبَتَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاهُ مِنْ عَارِ
شَمْعَلَةَ بْنِ قَائِدٍ^(٢):

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَالدَّهْرُ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
أَبُو تَمَامٍ^(٣):

خَضَعُوا لَصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْيَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذُلِّ الْعِبْدَانِ عَارُ
وَكُلُّ مَا تَقْدِمُهُ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ:
فِي قَوْلِهِ:

لَا عَارَ إِنْ ضَامَكَ دَهْرٌ أَوْ مَلِكٌ

وَمِثْلُ هَذَا الْأَخْذُ هُوَ الَّذِي يَرْخَضُ^(٥) الْعَارُ عَنْ صَاحِبِهِ .



عَتْرَةٌ^(٦):

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّعْنُ مَنِي سَابِقُ الْأَجَالِ
أَبُو تَمَامٍ^(٧):

بَكَادُ حِينَ يُلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَقِّي قَبْلَ السَّيِّئِ عَلَى حَوْبَائِهِ يَرِدُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

يُسَابِقُ سِنْفِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ مَا فِي رَهَانِ
ثُمَّ قَلْبُهُ وَغَيْرُهُ فَقَالَ^(٩):

يَسْكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحِمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَا دَنَا لَهُ أَجَلُ^(١٠)



(١) ديوانه ص ٤٤ ، التبيان (٢ : ١١٣) . (٢) التبيان (٢ : ١١٣) .

(٣) ديوانه ص ١٣٠ . (٤) ديوانه (٢ : ١١٣) .

(٥) يرخض (في الأصل) يغسل ، ويريد : يدفع .

(٦) ديوانه ص ١٠٩ ، التبيان (٤ : ١٩١) .

(٧) ديوانه ص ٨٩ ، التبيان (٤ : ١٩٠) . (٨) ديوانه (٤ : ١٩٠) .

(٩) ديوانه (٣ : ٢١٣) .

(١٠) يقول : إن الموت طائع لأمره ، فلو أراد أن يقتل من لم يتم أجله لمساعدته على ذلك لطاعته إياه .

ذو الرُمة^(١):

كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

لَوْ نَوِي كَمَا صَبَغَ اللَّجِينَ الْعَسْجَدُ



أَبُو ثَوَّاسٍ^(٣):

إِلَيْكَ أَيْهَا الْعَبَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهِمَا امْتَطَيْتَنَا الْحَضْرَمِيُّ الْمُلَسَّنَا^(٤)

قَلَائِصَ لَمْ تَعْرِفْ حَنِيناً إِلَى طَلَا وَلَمْ تَذِرْ مَا قَزَعُ الْفَنِيْقِ وَلَا الْهِنَا^(٥)

أَرَادَ بِالْحَضْرَمِيِّ الْمُلَسَّنَ النِّعَالَ فَجَعَلَهَا قَلَائِصَ تَمْتَطِي وَتَرْكَبُ، وَتَبِعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَعَبَّرَ الْوَصْفَ فَقَالَ^(٦):

لَا نَأْقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا^(٧)

شِرَاكُهَا كُوزُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مَقْوُودُهَا^(٨)

ثُمَّ أَكْمَلَ الْمَعْنَى وَنَقَلَهُ إِلَى ذِكْرِ الْخُفِّ فَقَالَ:

وَحُبَيْثٌ مِنْ خُوصِ الرُّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ^(٩) فَعَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا^(١٠)

وَأُظْهِمَهَا لَاحِظًا قَوْلَ بَعْضِ الْمَفْسِّرِينَ لِبَيْتِ عَتْرَةِ^(١١):

وَابْنُ السَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٣٦٢، وصدرة:

كحلاء في دمع صفراء في برج

(٢) ديوانه (١: ٣٢٩)، وصدرة:

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها

(٣) ديوانه ص ٧٦.

(٤) الحضرمي الملسن: النعل فيه طول كهثة اللسان، يريد بها نعله.

(٥) القلائص (في الأصل): جمع قلوص، ويريد بها نعله؛ وهي الإبل الشابة، والفنيق: فحل الإبل، والهناء: القطران.

(٦) ديوانه (١: ٣٠١).

(٧) الرديف: ما يرتد خلف الراكب، والرهان: السباق، والناقاة هاهنا: نعله.

(٨) الشراك: سير النعل. والكور: رحل الناقاة، والمشفر من الناقاة بمنزلة الشفة من الإنسان، وزمام النعل: ما تشد عليه سيورها، والمقود: الحبل الذي تقاد به الدابة.

قال العكبري: ومثله قول الآخر:

رواحلنا ست ونحن ثلاثة نجنبهن الماء في كل منهل

(٩) ديوانه (١: ١٢٥).

(١٠) الخوص: جمع خوصاء؛ وهي الناقاة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدارش: نوع من الجلود.

(١١) ديوانه ص ٢٠، والتبيان (١: ٣٠٢) وصدرة:

ويكون مركبك القعود ورحله

فإنه زعم أن ابن النعمانة عَزَق في باطن القدم؛ لأن معنى البيت أنه راكب أَخْمَصَهُ ماشياً. وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ مَا أُحِلُّكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] أنهم التمسوا نعالا. ومثله ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «الْمُتَعَلِّلُ رَاكِبٌ».



بعض العرب:
أَنْحَتُ قُلُوصِي وَانْتَلَأْتُ بَعَيْنَهَا وَأَمَرْتُ نَفْسِي أَيَّ أَمْرِي أَفْعَلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(١):
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَعْرَ كَأَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبِ^(٢)
فَنَقَلَ الْعَيْنَ إِلَى الْأُذُنِ وَانْتَلَأَتْهَا.



قال عنترة^(٣):
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ سَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي
وَأَجُودُ مِنْهُ قَوْلُ زَهِيرِ^(٤):
أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلَهُ
وقول أبي نواس^(٥):
فَتَى لَا يَذِيبُ^(٦) الْخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيْادِ عُودٍ وَبَوَادِي
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):
لَا تَجِدُ الْخَمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلَاقَاهَا^(٨)
بعض العرب^(٩):
تُغْضِي الْعُيُونُ إِذَا تَبَدَّى هَيْبَةٌ وَيُنْكَسُ النَّظَارُ لِحَظِّ النَّازِرِ

(١) ديوانه (١: ١٧٩).

(٢) قال العكبري: إنه كان ينظر إلى أذني فرسه، وذلك أن الفرس أبصر شيئاً، فإذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً، ثم وصف فرسه فقال: كأنه قطعة ليل في وجهه كوكب.

(٣) المعلقات للزوزني ص ١٨٦. (٤) ديوانه ص ٣١، التبيان (٤: ٢٧٦).

(٥) ديوانه ص ٧٤، التبيان (٤: ٢٧٦). (٦) رواية الديوان: «لا تلوك».

(٧) ديوانه (٤: ٢٧٦).

(٨) يقول: هو قبل شرب الخمر كريم؛ يتكرم بالبدل والعطاء، فلا يزيد تكرمه بشربها، وليس في مكارمه خلعة يتلاقها الخمر.

(٩) التبيان (١: ١١٣).

الحزين الدُّوْلِي^(١):

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَإِ يُكَلِّمُ إِلَّا حِسْنَ يَبْتَسِمُ
أَبُو نُوَّاسٍ^(٢):

إِنَّ الْعُيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ بِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ تُكْسِ نَاطِرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنُكَ هَيْبَتُهُ وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِثْرٌ إِذَا احْتَجَبَا
والمصراع الثاني مثل قوله^(٤):

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ بِخُلُوةٍ هِيَهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالِهِ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاطِرٍ
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحْجَبٍ وَإِذَا بَطُنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ
أما ذكره الجود؛ فمن قول أبي تمام^(٥):

يَا أَيُّهَا الْمُغْرَضُ النَّائِي بِرُؤْيَتِهِ وَجُودُهُ لِمِرَاعِي جُودِهِ كَتَبُ
وَقَدْ كَرَّرَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٦):

حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحْجَبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبٍ
وَأما ضوء جبينه، فمن قول قُتَيْبِ بْنِ الْخَطِيمِ^(٧):

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ خَالِقَ أَنْ لَا يُكْنَّهَا^(٨) سَدَفٌ
وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ^(٩):

فَتَعَمَّتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِذْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

(١) الأغاني (١٤ : ٧٥) (طبعة الساسي)، ونسبه العكبري إلى الفرزدق، وقبلة:

فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحِهِ عَبِقُ مِنْ كَفِّ أَرُوعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: «وَالنَّاسُ يَرَوْنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلْفَرَزْدَقِ فِي أُبَيَّاتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ وَهُوَ غُلَطٌ، وَلَيْسَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ مِمَّا يَمْدَحُ بِهِ مِثْلَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ».

(٢) ديوانه ص ١١٣.

(٣) ديوانه (١ : ١١٣).

(٤) ديوانه (٢ : ١٣٧).

(٥) ديوانه ص ٢٧، التبيان (١ : ١١٣).

(٦) ديوانه (١ : ١٧٥).

(٧) الأغاني (٣ : ٢٣، طبعة دار الكتب)، التبيان (٢ : ١٣٧).

(٨) السدَف: الظلمة، والمراد أنها مضية لا تسترها ظلمة.

(٩) ديوانه ص ١٢، التبيان (٢ : ١٣٨).

وقول أبي نواس في الخمر^(١):

تَرَى ضَوْءَهَا فِي بَاطِنِ الْكَأْسِ ظَاهِرًا عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ



أوس بن حَجَر^(٢):

الْأَلْمَعِي الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظُّ مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أبو تمام^(٣):

وَلِذَاكَ قَبْلَ مَنْ الظُّثُونِ جَلِيَّةٌ عِلْمٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ

وقد أكثر الناس فيه .

أبو الطيب^(٤):

مَا ضِي الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبْلَ عَدِ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ عَدِ

وكرّره فقال^(٥):

ذِكِّي نَظْمِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى عَدَا

وأعاده فقال^(٦):

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَرْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ

وقال أيضاً^(٧):

مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي عَدِ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونَا

وهذا المعنى الآخر يقرب من قول أبي نواس:

مَا تَنْطَوِي مِنْهُ الْقُلُوبُ بِعُجْرَةٍ إِلَّا تَكْلُمُهُ بِهِ الْعَيْنَانِ

علي بن الخليل .

كَلَّمَنِي لِحَظِّكَ عَنْكَ لَمَّا أَضْمَرَهُ قَلْبُكَ مِنْ عَذْرِ

الخليع:

أَمَا تَقْرَأُ فِي عَيْنِ بِيْ عُنْوَانِ الَّذِي عُنْدِي

وقد سبق إليه المتقدمون، قال الثَّقَفِي^(٨):

تَخَيَّرَنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَمَا جَنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرُّ

(١) التبيان (٢: ١٣٧).

(٢) لسان العرب مادة - لمع، التبيان (١: ١٣٥).

(٣) ديوانه ص ٣٢٩، التبيان (١: ٣٥١). (٤) ديوانه (١: ٣٥١).

(٥) ديوانه (١: ٢٨٢). (٦) ديوانه (٤: ٦٢).

(٧) ديوانه (٤: ٢٠١). (٨) التبيان (١: ٢٥٣)، ونسبه إلى ابن الرومي.

آخر^(١):

تُكَاشِرُنِي كُزْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي
أبو الطيب^(٢):

كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ عَاشٍ
وله^(٣):

لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا

ومثله له^(٤):

وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

وهذا المعنى هو الأول، وإنما فرق ما بينهما أن ذاك في العواقب، وهذا في الأسرار والضمائر، والمراد منهما صحة الحدس وجودة الظن، ومثل قول الثَّقَفِيِّ:

تُخَبِّرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَايَمٌ

قول أبو الطيب^(٥):

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَى بُحُ

علائة بن عربي^(٦):

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا فِي الْحُرُوبِ وَغَيْرِهَا مَيَّامِينَ فِي الْأَذْنَى لِأَعْدَائِكُمْ نَكْدُ
ليد^(٧):

مُنْقِرٌ^(٨) مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْنَيْنِ حُلُوٌّ كَالْعَسَلِ

وهو معنى قد تُدَوَّلُ بأمثلة مختلفة، منها قول المسيَّب بن عَلس^(٩):

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ ضَافَ أَرْحُلَهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَتَاكِيدٌ مَشَائِيمُ

وقال كعب بن الأَجْدَم^(١٠):

بَنُو زَافِعٍ قَوْمٌ مَشَائِيمٌ لِلْعِدَا مَيَّامِينَ لِلْمَوَلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ

(١) التبيان (١: ٢٥٣). (٢) ديوانه (٢: ٢١١).

(٣) ديوانه (١: ٦٢)؛ وصدوره:

عليهم بأسرار الديانات واللغى

(٤) ديوانه (٣: ٣٨). (٥) ديوانه (١: ٢٥٣).

(٦) التبيان (١: ٢٥). (٧) التبيان (١: ٢٥)، لسان العرب (مادة - مقر).

(٨) مقر: مر. (٩) التبيان (١: ٢٥).

(١٠) التبيان (١: ٢٥).

وقال أبو دؤاد^(١):

فَهُمْ لِلْمُلَائِينَ أَنَاءٌ وَعُورَامُ إِذَا يُرَادُ عُورَامُ
وأخذه بشار فزاد فيه وشبهه وأحسن فقال^(٢):

يَلِينُ حِينًا وَحِينًا فِيهِ شِدَّتُهُ كَالدَّهْرِ يَخْلِطُ إِنْ سَارَ بِإِغْسَارِ
وتبعه أبو نواس فقال^(٣):

حَذَرَ امْرِئٍ نُصِرْتُ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَّاسَةٌ وَلِيَانُ
وأخذه أبو الطيب فأحسن ما شاء، ونقل التشبيه من الدهر إلى السيف فقال^(٤):

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهَ لَأَنْ مَثْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتُهُ خَشْيَانُ
فقال أبو الطيب^(٥):

أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِصِ السُّ مَ وَطَوْرًا أَخْلَى مِنَ السَّلْسَالِ
وهو بيت لبید لفظاً ومعنى، وقد قَصَرَ عنه؛ لأن لبیداً فصل الحالين بين الأعداء والأدنين، وأجمل أبو الطيب القول، ثم أعاده فأخفاه وأجاد فقال^(٦):

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ^(٧)
وَكَأَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عِدَائُهُ مُثَمَّنًا لَوْ قُوْدِهِ مَا شَاؤُوا



البحري^(٨):

وَإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِإِلَادٍ أَوْ صَدِيقٍ^(٩) فَلِإِنِّي بِالْخِيَارِ
وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين، وقد جمع هذا البيت طرافة. وقال ابن المعتدل فأحسن وأوجز؛ لكنه اقتصر على البلد^(١٠):

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتَنِي فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنُ
وقد أجاد البحري في قوله^(١١):

فَالْأَرْضُ مِنْ تُرْبَةِ النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ

(١) التبيان (٣: ٢٠١).

(٢) ديوانه ص ٦٠، التبيان (٣: ٢٠١).

(٣) ديوانه (٣: ٢٠١).

(٤) ديوانه (١: ٢٥).

(٥) يريد أنه إنسان واحد؛ قواه مجتمعة غير متفرقة، وفيه حلاوة لأوليائه، ومرارة لأعدائه.

(٦) ديوانه (٢: ٢٤)، التبيان (٢: ٢١٢).

(٧) في الديوان: «أو خليل».

(٨) التبيان (٣: ٢١٢).

(٩) ديوانه (٢: ١٧٧)، التبيان (٣: ٢١٢)؛ وصدوره:

ولا تقل أمم شتّى ولا فسوق

وقال أبو الطيب^(١) واحتذى مثال البحري وأجاد، وللبحري الفضل:
 إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُغَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيلُ
 فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَسْدٌ



البحري^(٢):

إِذَا شِئْتُ أَلَا تُغْدِلَ الذَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوَعَةِ الْبَيْنِ فَاغْشَقِ
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):
 لَا تُغْدِلِ الْمُشْتَقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ مِنْ أَخْشَائِهِ



أوس - مِنْ مَرِيئَةٍ^(٤):

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي هِذَمَيْنِ مِمَّحَالٍ^(٥)
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) فِي مِثْلِهِ:
 وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً؟ صَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ
 فزاد المصراع الثاني زيادةً سالحة.



أوس:

وَأَفْضَلْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمَا تَنَاوَلَ سَعْيُكَ مِنْ طَالِبٍ
 أَبُو نُؤَاسٍ:
 كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ السَّمْعَانِي
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):
 يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّخْمُنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا



(١) ديوانه (٣: ٢١١). (٢) ديوانه (٢: ١٢٣)، التبيان (٣: ٢١٢).

(٣) ديوانه (١: ٦).

(٤) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ص ٣٤٢.

(٥) الأشعث: المتغير اللون من الجوع والهزال. الهدم: الثوب الخلق. والممحال: المجذب المحتاج.

(٦) ديوانه (٢: ٢٧٥).

(٧) ديوانه (٤: ٢٨٩).

بعضهم^(١):

إِذَا أَسْلَفْتُهُنَّ الْمَلَا حِمَّ مَغْنَمًا دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ مَغْرَمًا
أَبُو تَمَامٍ^(٢):

إِذَا مَا أَغَارُوا وَاخْتَوَوْا مَالِ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاخْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ



أَبُو تَمَامٍ^(٤):

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الْمِلَّةِ اثْنَانِ
الْبَحْتَرِيُّ^(٥):

أَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى قَضَاءِ لِيكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَتُكَ وَاحِدٌ وَأَتُكَ لَيْتُ وَالْمَلُوكُ ذُنَابُ



أَبُو تَمَامٍ^(٧):

فَتَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ^(٨) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمَقَاتِلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩):

يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبٍ^(١٠)



أَبُو تَمَامٍ^(١١):

وَلَوْلَا خِلَالُ سَهْلِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بَغَاةَ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْمَكَارِمُ

(١) التبيان (١ : ٢٤).

(٢) ديوانه (١ : ٢٥).

(٣) ديوانه ص ٢٨٨، التبيان (١ : ١٩٩).

(٤) ديوانه ص ٢٥٨، التبيان (١ : ١٥٨).

(٥) ديوانه (١ : ١٥٨).

(٦) ديوانه ص ٢٨٨، التبيان (١ : ١٩٩).

(٧) ديوانه ص ٢٥٨، التبيان (١ : ١٥٨).

(٨) الفريضة: ودج العنق.

(٩) ديوانه (١ : ١٥٨).

(١٠) قال ابن القطاع: ما الأولى بمعنى ليس، والثانية بمعنى الذي. قال العكبري: «يريد أنه ما الذي بان منك لضارب بأقتل من الذي لعائب يعيبك»؛ يريد أن العيب أشد من القتل.

(١١) ديوانه ص ٢٨٧.

أبو الطيب^(١) :

وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَافْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ
والمصراع الثاني من قول أبي تمام^(٢) :
تُغَرَّى الْعَبُورُ بِهِ فَيُفْلِقُ شَاعِر فِي نَعْتِهِ وَضَفَاءً وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ
ونحوه، وهو كالمحتوي على معنى البيتين قول أبي العتاهية :
شَيْمٌ فَتَحَتْ مِنْ الْمَجْدِ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَعْلِقاً عَلَى الْمُدَّاحِ
وقول ابن أبي فتن^(٣) :
يَعْلَمُنَا الْفَتْحُ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وَيُحْسِنُ حَتَّى يُحْسِنَ الْقَوْلَ قَائِلُهُ
ومثله لأبي الطيب^(٤) :
أَخْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّعْرَ فَاغْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ



علي بن جبلة :

يَأْسُو الَّذِي يَجْرَحُ أَعْدَاؤُهُ وَمَا لِمَا يَجْرَحُهُ آسِ
أشجع^(٥) :
فَمَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّه وَلَا يَضَعُ النَّاسُ مَنْ يَرْفَعُ
أبو تمام^(٦) :
فَإِنْ أَفْسَدْتَ شَيْئاً فَلَيْسَ بِصَالِحٍ وَإِنْ أَصْلَحْتَ شَيْئاً فَلَيْسَ بِفَاسِدٍ
أبو الطيب^(٧) :
فَلَا تَرْتُقِ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ وَلَا تَفْتُقِ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ



أبو تمام في القلم^(٨) :

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهِمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ
أبو الطيب في مثله^(٩) :

وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ

- (١) ديوانه (٢ : ٣٧٨) .
(٢) ديوانه (٢ : ٣٧٨) .
(٣) التبيان (٢ : ٣٧٨) .
(٤) ديوانه (٢ : ٣٤٩) .
(٥) التبيان (٢ : ٣٤٩) .
(٦) ديوانه (٢ : ٣٤٩) .
(٧) ديوانه (٢ : ٢٤٤) ، وصدرة :
(٨) ديوانه (٢ : ٢٤٤) ، مهذب الأغاني (٨ : ٢٢٥) .
(٩) ديوانه (٢ : ٢٤٤) ، وصدرة :

بمَجْ ظلاماً في نهار لسانه

أبو العتاهية^(١) :

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكَيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَابِيباً وَرِمَالاً
أبو الطيب^(٢) :

قَصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَتَكَ الرُّكَابُ وَالسُّبُلُ
فَرَادَ السَّبِيلَ .



وقال جرير^(٣) :

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنٌ دَلَالِكِ يَا أَمِينٌ جَمِيلُ
أبو الطيب^(٤) :

وَأَرَى تَذَلُّلَكَ الْكَثِيرَ مُحَبِّباً وَأَرَى قَلِيلَ تَذَلُّلٍ مَمْلُولاً



أبو تمام^(٥) :

لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لِأَعْظَامٍ أُخْرَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيدُ
البحثري^(٦) :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
أبو الطيب^(٧) :

تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوَّأَتْهَا نُفُوسُ لِسَارِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ نَحْوَكَا



لبعض العرب ، وَيُنْسَبُ إِلَى الْمَجْنُونِ^(٨) :

وَلَا شَوْقَ حَتَّى يَلْصَقَ الْجِلْدُ بِالْحَشَا وَتَضُمَّتْ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُتَادِيَا
وقال قيس بن ذريح^(٩) :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ

(٢) ديوانه (٣ : ٢١٧) .

(٤) ديوانه (٣ : ٢٣٢) .

(٦) ديوانه (٢ : ٢١٢) ، التبيان (٢ : ٣٨٢) .

(١) التبيان (٣ : ٢١٧) .

(٣) ديوانه ص ٤٧٢ .

(٥) التبيان (٢ : ٣٨٢) .

(٧) ديوانه (٢ : ٣٨٢) .

(٨) التبيان (٤ : ١٩٥) ، ديوان المجنون ص ١٦٨ ورواية الديوان :

فقلت شفاء الحب أن تلصق الحشا بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا

(٩) التبيان (٤ : ١٩٥) .

أبو الطيب^(١) :

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا وَالذُّشْكُورَى عَاشِقِي مَا أَغَلَّنَا
فَأَمَّا المصراع الثاني فمن قول أبي نواس^(٢) :
وَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِثْرُ



بعضهم :

اللَّهُ يَغْلُمُ أَنِي لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ يَذْكُرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ
نقله أبو الطيب فقال^(٣) :
نَيْطُتُ حَمَائِلُهُ بَعَاتِقِي مُحَرَّبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْتَنَى^(٤)



بعضهم^(٥) :

وَإِذَا جَهِلْتُ مِنْ أَمْرِي أَغْرَاقُهُ وَأَصُولُهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
أبو تمام^(٦) :
فُرُوعٌ لَا تَسْرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ^(٧)
أبو الطيب^(٨) :

أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَثُلْ مَعَهَا جَذِي الْخَصِيبِ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْعُصْنِ



أبو تمام^(٩) :

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ
الْحُبْرُ أَرْزَى^(١٠) :
مِنْ لُطْفٍ إِشْفَاقِي وَدِقَّةٍ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكَيْنِكَ

(١) ديوانه (٤ : ١٩٥).

(٢) ديوانه ص ٢٧٣، التبيان (٤ : ١٩٥)، وصدرة :

فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى

(٣) ديوانه (٤ : ١٩٩).

(٤) نيطت : عقلت . والعائق : أصل العنق من الإنسان . والمحرب : صاحب الحرب الممارس لها . والكر : خلاف القر ، وما انتنى : أي عما يريد .

(٥) التبيان (٤ : ٢١٦).

(٦) ديوانه ص ٢٨٩؛ التبيان (٤ : ٢١٦).

(٧) الأروم : الأصول .

(٨) التبيان (٤ : ٢١٦).

(٩) التبيان (٤ : ١٩٣).

(١٠) التبيان (٤ : ١٩٤).

ولو اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفُظَكَ غَيْرَةً أُنِّي أَرَاهُ مُقَبِّلاً شَفَتَيْنِكَ
أبو الطيب^(١):

أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
فَأَسَاءُ؛ لَأَنَّ هَذِهِ الْغِيْرَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بَيْنَ الْمُحِبِّ وَمُحْبُوْبِهِ؛ فَأَمَّا الْأَمْرَاءُ وَالْمُلُوكُ
فَلَا يُغَارُ عَلَى شِفَاهِهِمَا.



أبو تمام^(٢):
قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُوْدِرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ
أبو الطيب^(٣):

أَفَاعِيْلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهُمٌ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاءٌ^(٤)



أبو تمام^(٥):
لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعْدَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبٌ^(٦)
أبو الطيب^(٧):

الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ^(٨) وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ



أبو تمام^(٩):
وَكَأَنَّ الْأَنَامِلَ اغْتَصَرْنَهَا بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءٍ وَجْهِ الْبَحِيلِ
أبو الطيب^(١٠):

وَعُمُرٌ مِثْلُ مَا يَهَبُ اللَّئَامُ^(١١)



- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) ديوانه (٤ : ١٩٣). | (٢) التبيان (١ : ٢٢٤). |
| (٣) ديوانه (١ : ٢٢٤). | (٤) الشية في الألوان: ما خالف معظمه. |
| (٥) ديوانه ص ٩؛ التبيان (٣ : ٦٤). | (٦) لجب: أي ذو لجب. |
| (٧) ديوانه (٣ : ٦٤). | (٨) يريد بالقلب قلب الجيش. |
| (٩) التبيان (٤ : ٦٩). | (١٠) ديوانه (٤ : ٦٩). |
| (١١) صدره: | |

فزود ما تُسَلِّيهِ المدام

أبو تمام^(١) :

إِلَيْكَ تَجَرُّعُنَا دُجَى كَجِدَاقِنَا

أبو الطيب^(٢) :

لَقَى لَيْلِ كَعَيْنِ الطَّنْبِي لَوْنًا وَهَمُّ كَالْحُمِيَّاءِ فِي الْمَشَاشِ^(٣)
وَأَمَّا الْمَصْرَاعُ الثَّانِي فَكَثِيرٌ مِنْهُ قَوْلُ الْأُبَيْرِدِ^(٤) :
عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنِّي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمَرُ



الناشي الأكبر^(٥) :

وَلَوْ لَمْ يَبُخْ بِالشُّكْرِ لَفُظِي لَخَبَّرْتُ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا
أبو الطيب^(٦) :

أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا^(٧) عَلَيَّ فَمَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا
وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا لِمَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمُ لَحْمًا يَكُونُونَ عَلَيْهِ ﴾ الْآيَةُ
[فصلت : ٢١] . وَهُوَ كَثِيرٌ لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ .



مُسْلِمٌ^(٨) :

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْقَارِسِ الْبَاطِلِ
أبو الطيب^(٩) :

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَا هَزِيْمَةً وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكَ بِأَسْمٍ
وَلَهُ^(١٠) :

بِكُلِّ أَشْعَثَ^(١١) يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا



(١) التبيان (٢ : ٢٠٧) .

(٢) ديوانه (٢ : ٢٠٧) .

(٣) اللقي : الشيء الملقى ؛ وعين الطنبي يضرب بها المثل في السواد . والحميا : من أسماء الخمر .
والمشاش : رؤوس العظام النخرة .

(٤) التبيان (٢ : ٢٠٧) .

(٥) التبيان (١ : ٣١٢) .

(٦) ديوانه (١ : ٣١٢) .

(٧) الضمير يعود على المكرمات في البيت قبله :

ومكرمات مشيت على قدم الب - ر إلى منزلتي تردها

(٨) ديوانه ص ٥٩ .

(٩) ديوانه (٤ : ٣٨٧) .

(١٠) ديوانه (١ : ١٢١) ،

(١١) الأشعث : المتغير من طول السفر والحروب .

دُعِبِل :

وقد علمتُ وما أصبحتُ مرتيباً أن التي أدركتني حِرْفَةُ الأَدَبِ
الحمدوني^(١) :
إن المُقَدَّم في حِذْقِ بَصْنَعَتِهِ أُنَى تَوَجُّهِ فِيهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ
أبو الطيب^(٢) :
وما الجمْعُ بَيْنَ المَاءِ والنَّارِ في يَدَيِ بِأَضْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الجَدَّ والفَهْمَا
فزاد وأكَّد .



البحثري^(٣) :

وإذا تَأَلَّقَ في النَّدِيِّ كَلَامُهُ الـ مَضْفُوقٌ خِلْتُ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
أبو الطيب^(٤) :
كَأَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ فِي التُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطُّغْنِ خُرْصَانَا^(٥)



أوس بن حَجَر^(٦) :

وإنا وَجَدْنَا الجِلْمَ أَثْفَسَ سَاعَةً إلى الصَّوْنِ مِنْ رِيْطِ يَمَانٍ مُسْهِمٍ^(٧)
فقد تداوله الشعراء فأكثرُوا؛ فقال سالم بن وَابِصَةَ^(٨) :
إِنَّ مِنَ الجِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالجِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ
وقال الخُرَيْمِيُّ ففَصَّلَ مَعْنِيَّتَهُ، وتبع سالمًا^(٩) :
أَرَى الجِلْمَ فِي بَعْضِ المَوَاطِنِ ذِلَّةٌ وَفِي بَعْضِهَا عِزٌّ يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ
أبو الطيب^(١٠) :
إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ لِلْجِلْمِ مَوْضِعٌ وَجِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ

(١) التبيان (٤ : ١٠٨) . (٢) ديوانه (٤ : ١٠٨) .

(٣) ديوانه (١ : ٦٨) ، التبيان (٤ : ٢٢٨) (٤) ديوانه (٤ : ٢٢٨) .

(٥) الخرصان : جمع خرص ، ويريد هنا السنان .

(٦) لسان العرب - مادة سهم ، وروايته فيه :

فلما رأينا العرض أحوج ساعة

(٧) الرِيط : جمع رِيطَة ، وهي كل ملاء غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، والمسهم : البرد المخطط .

(٨) التبيان (٣ : ١٨٧) . (٩) التبيان (٣ : ١٨٧) .

(١٠) ديوانه (٣ : ١٨٧) .

ونحوه له^(١) :

فَوَضِعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
وله في مثله^(٢) :
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ
وله في معنى قول الخُرَيْمِيِّ^(٣) :
كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ أَفْتِدَارٍ حُجَّةٌ لَا جِئَ إِلَيْهَا اللَّئَامُ
فَبَيَّنَ الْعِلَّةَ، ونحوه له^(٤) :
مِنْ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ



امرؤ القيس^(٥) :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِفًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ
فَأَخَذَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ وَأَكْثَرُوا فِيهِ .
أبو الطيب^(٦) :
أَتَتْ زَائِرًا^(٧) مَا حَاوَرَ الطَّيِّبُ ثَوْبَهَا وَكَالْمِسْكُ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوُّعُ



أبو نواس^(٨) :

سُئِلَ الْعُشَّاقُ وَاحِدَةً فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكْبَرِ
بعض المحدثين :
كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبَسْدًا لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعًا
أبو الطيب^(٩) :
تَذَلُّلٌ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالتَّوَى فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ



بشار^(١٠) :

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِئُجُومِهَا سُيُوفًا وَتَفْعًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَفْتَمًا

(١) ديوانه (١ : ٢٨٨) .

(٢) ديوانه (٤ : ٩٣) .

(٣) ديوانه ص ٧٣ .

(٤) زائرًا: نعت لمحدوف؛ أي أتت خيالاً زائرًا؛ وذكره لأنه أراد الطيف .

(٥) التبيان (٢ : ٢٣٨) .

(٦) التبيان (٢ : ٢٣٨) .

(٧) ديوانه (٢ : ٢٣٨) .

(٨) التبيان (١ : ١٠٧) .

(٩) التبيان (١ : ١٠٧) .

(١٠) التبيان (١ : ١٠٧) .

ومثله لبشار^(١) :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّفْعِ^(٢) فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
بعضهم^(٣) :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقُنَا جَعَلَتْ أَسِنَّتُنَا نَجُومَ سَمَائِهَا
أبو الطيب^(٤) :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسَنَّتْهَا فِي جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ



البحثري^(٥) :

مُلُوكٌ يَعْدُونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا^(٦) إِذَا زَغَزَعُوهَا وَالدُّرُوعَ غَلَاثِلًا
ثم أعاده^(٧) فقال :

مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَالُهَا فِي الْبَرْدِ خَرًا وَالْهَوَاجِرِ لَاذَا^(٨)

ففضل ما أجمل البحثري في قوله : «والدروع غلاثلا»، وقصر في اللفظ، وسلم للبحثري بقية بيته، وحسن لفظه.



أمية^(٩) - ويروى لغيره :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِأَمْرِي إِنْ أَصَبْتَهُ^(١٠) بَخَيْرٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِعَارٍ لِأَمْرِي بِذَلِّ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا بَغَضَ السُّؤَالِ يَشِينُ
فتبعه فيه الشعراء وأكثروا.

وقال أبو الطيب فسفسف^(١١) :

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبْضُ نَوَالِ بَغْضِ الْقَوْمِ دَامٌ^(١٢)



(١) ديوانه ص ١٠١، التبيان (١ : ١٠٧). (٢) النقع : الغبار.

(٣) التبيان (١ : ١٠٧). (٤) ديوانه (١ : ١٠٧).

(٥) ديوانه (٢ : ٢١٢).

(٦) المخاصر : جمع مخصرة، وهو ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه.

(٧) الضمير يعود على أبي الطيب. ديوانه (٢ : ٨٥).

(٨) اللاذ : ثوب رقيق يعمل من الكتان يلاذ به من الحر.

(٩) هو أمية بن أبي الصلت. شعراء النصرانية ص ٢٢١، التبيان (٤ : ٧٥).

(١٠) في شعراء النصرانية : «حبوته». (١١) ديوانه (٤ : ٧٥).

(١٢) الدام : المذمة والعيب.

أبو تمام^(١):

وَقَفْتُ وَأَخْشَائِي مَنَازِلُ لِأَلْسَى بِهِ وَهُوَ قَفَرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ
أبو الطيب^(٢):

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهْنٌ مِنْكَ أَوَاهِلُ



أبو نواس:

قَالَتْ لَقَدْ أَبْعَدَ الْمَسْرَى فَقَلْتُ لَهَا
نقله أبو تمام فقال^(٣):

هِيَ هَاتِ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ تَوَى
ابن الناصر:

مَنْ لَمْ يُزِرْ زِيرَ إِنْ الشُّوقِ رَاحِلَةٌ
العباس^(٤):

يُقَرِّبُ الشُّوقُ دَاراً وَهِيَ نَازِحَةٌ
وأصله قول الأعرابي:

بَعِيدٌ عَلَى كَسَلَانٍ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ
أبو الطيب^(٥):

نَضَحْتُ^(٦) بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا
وله^(٧):

يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ
وله^(٨):

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تُثَوِّفُهُ
دون اللقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ^(٩)

مسلم^(١٠):

بَارَزْتُهُ وَسِلَاحُهُ خَلَخَالُهُ
حَتَّى فَضَضْتُ بِكَفِّي الْخَلَخَالَ^(١١)

(١) ديوانه ص ٢٢٩.

(٢) ديوانه (٣: ٢٤٩).

(٣) ديوانه ص ٣٢٨.

(٤) خاص الخاص للثعالبي ص ٩٣.

(٥) ديوانه (٢: ١٢٤).

(٦) نضحت الشيء بالماء: رششته عليه.

(٧) ديوانه (٤: ١٧٧).

(٨) ديوانه (٢: ٨٨).

(٩) التثوفة: الفلاة البعيدة. ويشط: يبعد.

(١٠) التبيان (٣: ٢٥٢).

(١١) الخللخال: ما يكون من ذهب أوفضة في الساق.

أبو الطيب^(١):

مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرُّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرَّمَاكِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ^(٢)
والغرض غير الأول؛ لكنهما جعلاً الخَلَخَالِ سلاحاً.



أبو تمام^(٣):

وَيُضْحِكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ عَطَارِفَةٍ^(٤) كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أَنْسِهَا جُمَعُ
أبو الطيب^(٥):

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي قِمِّ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ
فزاد وأحسن؛ على أن أبا تمام لم يقصر.



بعض العرب^(٦):

إِذَا نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايَانَا بِرِيَاكَ هَادِيَا
نقله أبو العتاهية إلى المدح فقال^(٧):

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُوكَ لَقَادَهُمْ وَتَبِعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٨):

أَدْلَتْهَا رِيَاخُ الْمِسْكِ فِيهِ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا



الخنساء^(٩):

وَمَا بَلَغَ الْمُهْذُونُ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ
أبو نواس^(١٠):

إِذَا نَحْنُ أَكْثَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

(١) ديوانه (٣: ٢٥٢).

(٢) الشفرة: نقرة النحر بين الترقوتين. والجؤذر: ولد البقرة الوحشية. والدمليج: ما يكون على العضد. قال أبو الفتح: «نساء مثل الجاذر بحليهن؛ يفعلن ما يفعل الطاعن بالرمح».

(٣) ديوانه ص ٣٧٢، التبيان (٤: ٨٠).

(٤) الغطارفة: السادات، وفي الديوان:

كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حَسْنِهَا جَمْعُ

(٥) ديوانه (٤: ٨٠).

(٦) التبيان (٢: ٢٩٧)، ونسبه إلى سحيم.

(٧) ديوانه (٢: ٢٩٧).

(٨) التبيان (٢: ٢٩٧).

(٩) التبيان (٢: ٢٢٧).

(١٠) ديوانه ص ٦٦، التبيان (٢: ٢٨٨).

أشجع :

وَمَا تَرَكَ الْمُدَّاحُ فِيكَ مَقَالَةً وَلَا قَالَ إِلَّا دُونَ مَا فِيكَ قَائِلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(١) :

وَيَبْقَى ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتَّركَ أَحَدٌ مَقَالاً^(٢)



إِيَّاسُ الْكِلَابِيِّ :

فَإِنْ تَكُ فِي عَدِيدِكُمْ قَلِيلُ فَإِنَا فِي عَدُوِّكُمْ كَثِيرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :

كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا^(٤)



خَالِدُ الْكَاتِبِ^(٥) :

صَبًّا كَثِيبًا يَتَشَكَّى الْهَرَى كَمَا اشْتَكَى نِصْفُكَ مِنْ نِصْفِكَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) :

ظَلُّومٌ كَمَثْنِيهَا لِصَبِّ كَخَضِرِهَا ضَعِيفُ الْقَوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ
فَأَمَّا المصراع الثاني فمشهور متداول .



عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ، وَهُوَ مُتَدَاوِلُ^(٧) :

يُحَسِبَنَّ مِنْ لَيْنِ الْكَلَامِ زَوَانِيَاً وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨) :

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا



(١) ديوانه (٣ : ٢٢٧) .

(٢) يقول : إذا بالغ الناس في مدحه ، ولم يتركوا مقالاً يصلون إليه ؛ فقد خفي عنهم ضعف ما فيه من المحاسن التي لم يهتد إليه الواصفون .

(٣) ديوانه ص ٣٧٣ .

(٤) صدره :

(٥) التبيان (٤ : ٨٢) ، ورواه :

كما اشتكى خصرك من ردفك

(٧) التبيان (١ : ١١١) .

(٦) ديوانه (٤ : ٨٢) .

(٨) ديوانه (١ : ١١١) .

بشار^(١):

وقد عركت بتدمر^(٢) خيل قيس وكان لتدمر فيها دمار
أبو الطيب^(٣):

وليس بغير تدمر مستغاث وتدمر كاسمها لهم دمار



أبو العتاهية^(٤):

فما آفة الأجال غيرك في الوعى ولا آفة الأموال غير حبايك
أبو الطيب^(٥):

ولا موت إلا من سنائك يتقى ولا رزق إلا من يمينك يفسم



أبو العتاهية^(٦):

بدت بين حور قصار الخطى تجاهد بالمشي أكفاله
أبو الطيب^(٧):

بأوا بخزعوبة^(٨) لها كفل يكاد عند القيام يقعد^(٩)ها



أبو نواس^(١٠):

ألا يابن الذين فؤوا وبادوا أما والله ما بادوا التبقى

(١) ديوانه ص ٦٥. (٢) تدمر: موضع بالشام.

(٣) ديوانه (٢: ١٠٦).

(٤) التبيان (١: ٣٦١).

(٥) ديوانه (٣: ٣٦١).

(٦) مهذب الأغاني (٥: ٤٦)، ورواه:

مشت بين حور قصار الخطا تجاذب في المشي أكفاله
(٧) ديوانه (١: ٢٩٧).

(٨) الخزعوبة: الغصن الغض.

(٩) قال العكبري في التبيان: هو منقول من قول أبي دلالة:

وقد حاولت نحوي القيام لحاجة فأثقلها عن ذلك الكفل النهدي
وأصله لعمر بن أبي ربيعة المخزومي:

تنوء بأخراها فتأبى قيامها وتمشي الهوينى عن قريب فتبهر

(١٠) ديوانه ص ١٩٨.

أبو الطيب^(١):

نَحْنُ بَنُو الْمَرْثَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرَيْهِ
وأصله لِمُتَمِّمِ بْنِ نَوْبَرَةَ^(٢):

فَعَدَدْتُ أَبَائِي إِلَى عِرْقِ الشَّرَى فَدَعَوْتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّ لَمْ يَسْمَعُوا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أَنِّي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَيْنِي أَجْزَعُ



بعض العرب:

وإنما القَزَمُ مِنَ الْأَفِيلِ وَسُحْقُ الْخَيْلِ مِنَ الْفَسِيلِ^(٣)
أبو الطيب^(٤):

فَأَوَّلُ فُرْجِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ^(٥)



أبو نُوَاسٍ^(٦):

تَبْكِي فَتُذِرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُثَابٍ
ابن الرُّومِي^(٧):

كَأَنَّ يَلِكَ الدَّمُوعَ فَطَرُنْدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ
أبو الطيب^(٨):

وَتَمْسَحُ الْطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ^(٩)



(١) ديوانه (١: ٢١١).

(٢) المفضليات (١: ٥٢).
(٣) القرم: الفحل من الإبل الذي يترك من الركوب والعمل. والأفيل: الفصيل وسحق جمع سحق؛ وهي النخلة الطويلة. والفصيل: جمع فسيلة؛ وهي الصغيرة من النخل.

(٤) ديوانه (٢: ١١٢).

(٥) صدره:

لعل بنيتهم لبنيتك جند

والفرح: التي قد استوت وصار لها خمس سنين، والمهار جمع مهر، وهو الصغير من الخيل.

(٦) ديوانه ص ٣٦١.

(٧) ديوانه ص ٤٣١.

(٨) ديوانه (٤: ٣٧).

(٩) صدره:

ترنو إلي بعين الظبي مجهشة

مجهشة: قد تحير وجهها للبكاء ولم تبك. وترنو: تنظر. والعنم: نبت في الرمل أحمر.

أبو نواس^(١):

فهني إذا سُمِّيتَ فقد وُصِفْتَ^(٢) فيَجْمَعُ الإِسْمُ مَعْنَيْنِ مَعَا
فقلبه أبو الطيب فقال^(٣):

وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ^(٤)



منصور التَّمَرِي^(٥):

مِنْ كُلِّ سَمَحٍ الحُطَى وَكُلِّ يَغْمَلَةٍ خَرَطُومُهَا بِاللُّغَامِ الجَعْدِ مُلْتَفِعٌ^(٦)
أبو الطيب^(٧):

وَهَلْ أَزْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتِ^(٨) مُحَلَّاةٍ الْمَفَاوِدِ بِاللُّغَامِ



الخُرَيْمِي^(٩):

شَفَعْتَ مَكَارِمَهُ لَهُمْ فَكَفَثَهُمْ جُهِدَ السُّؤَالِ وَلُطْفَ قَوْلِ المَادِحِ
أبو تمام^(١٠):

طَوَى شِيْمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ
أبو الطيب^(١١):

إِذَا عَرَضْتُ حَاجَ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ



(١) ديوانه ص ٣٨٣.

(٢) في التبيان (١ - ٨٦): أنميت. والمثبت في الديوان أيضاً.

(٣) ديوانه (١: ٨٦).

(٤) صدره:

أجل قدرك أن تسمى مؤبنة

(٥) التبيان (٤: ١٤٧)، ورواه:

ويقطع اليد منها كل يعمللة خرطومها باللغام الجعد ملتفع

(٦) البعملة: الناقة السريعة. واللغام: الزبد يخرج من فم البعير.

(٧) ديوانه (٤: ١٤٧).

(٨) الراقصات: الإبل تسير الرقص؛ وهو نوع من السير.

(٩) التبيان (٢: ٢٤٣).

(١٠) ديوانه ص ٣٧٨، التبيان (٢: ٢٤٣).

(١١) ديوانه (٢: ٢٤٣).

الْخُرَيْمِيُّ^(١):

صَبَرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَعْبَةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلَيَّ فَأَجْزَعُ!
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي



الْعَبَّاسُ^(٣):

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ



أحمد بن طاهر:

وَأَبُوهُمْ أَبُو الصَّنَائِعِ عِنْدِي حِينَ أَعْتَدَ بِالصَّنَائِعِ عِنْدِي
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

فَكُنْمْ وَكُنْمْ نِعْمَةً مُجَلَّلَةً رَيَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا
فَأَخَذَ الْوَلَادَةَ وَزَادَ فِيهِ «رَبَّيْتَهَا» وَهُوَ حَسَنٌ.



أَبُو تَمَامٍ^(٦):

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامُ
وَهُوَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ.

أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَتَامِكَ مِنْ خَيَالٍ



أَبُو طَاهِرٍ^(٧):

خَلَّائِفُكُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٍ نَنَاهَى إِلَيْهَا كُلَّ مَخْجِدٍ مُؤْتَلِلٍ

(١) التبيان (٣: ١٠).

(٢) ديوانه (٣: ١٠).

(٣) التبيان (٣: ٢٢).

(٤) ديوانه (٣: ٢٢).

(٥) ديوانه (٢: ٣١١).

(٦) ديوانه (٣: ٩).

(٧) التبيان (١: ١٨٦).

نقله أبو الطيب فقال^(١):

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَتُهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ



أبو هفان^(٢):

وَرَزَاذَهَا عَجَبًا أَنْ رُخْتُ فِي سَمَلٍ وَمَا دَرْتُ دُرُّ أَنَّ الدُّرَّ فِي الصَّدْفِ

نقله أبو الطيب فقال^(٣):

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ



أبو العتاهية:

هَبْ لِي أَمِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْضِ مَا مَلَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ نَفْسِي

أبو الطيب^(٤):

فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَاحْبِسِي مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا^(٥)

ونحوه^(٦):

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أَعْدُ مِنْسَهَا وَلَا أَعْدُدُهَا



البحري وهو كثير مشهور^(٧):

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الهمومَ وَتَبْعَثُ السُّوَى قَى الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ

أبو الطيب^(٨):

رَأَيْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ



البحري^(٩):

كُلُّ الَّذِي تَبْغِي الرِّجَالَ تُصِيبُهُ حَتَّى تُبْغِي أَنْ تَرَى شَرَوَاهُ^(١٠)

(١) ديوانه (١ : ١٨٦). (٢) التبيان (٢ : ٢٨١).

(٣) ديوانه (٢ : ٢٨١). (٤) ديوانه (٤ : ٢٠٤).

(٥) يقول: فاغفر لي ذنبي الذي جنبته، فدى لك نفسي وأهلي ومالي، واعطني بعد عفوك عني عطية تكون نفسي منها؛ لأنك إذا عفوت عني وأعطيتني كنت قد خصصتني بعطية هي نفسي، لأنها قد سلمت بسلامتها منك، فهي الآن من عطيتك.

(٦) ديوانه (١ : ٣٠٤). (٧) ديوانه (١ : ٤).

(٨) ديوانه (٢ : ٣٥٠). (٩) ديوانه (٢ : ٣٢٣).

(١٠) الشروى: المثل.

وله مثله^(١):

وَلَيْسَ طَلَبْتُ شَبِيهَهُ إِنِّي إِذَا لَمْ كَلِّفْ طَلَبَ الْمُحَالِ رِكَابِي
نقله أبو الطيب فقال^(٢):

وَمَا عَزَّ فِيهَا مُرَادُ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
فزاد؛ لأنه بينَ وجهين من المدح: أحدهما وصفه بالافتقار والتمكُّن من المراد،
والثاني انفرادَه بالفضل عن الأمثال، وقد قال مقتصرًا على المعنى الأول^(٣):

أَمْرِيَدَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي عَضْرِهِ لَا تَبْلُنَا بِطَلَابٍ مَا لَا يُلْحَقُ



البحثري^(٤):

يَتَعَثَّرْنَ فِي التُّحُورِ وَفِي الْأَوْرِ جُهِ شُكْرًا لَمَّا شَرَبْنَ الدِّمَاءَ
أبو الطيب^(٥):

تَمِيلُ كَأَنَّ فِي الْأَبْطَالِ خُمْرًا عُلِّلْنَ بِهَا اضْطَبَّاحًا وَاغْتَبَاقًا
ثم نقله إلى الخيل فقال^(٦):

مَا زَالَ طَرَفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ^(٧)



ابن المعتز، وهو معنى مشهور، وهذا من ملبح ما قيل فيه^(٨):

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالْتِفَاقِ لَنَلْتَقِيَ بِالذُّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ
أبو الطيب^(٩):

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبْدَاءُ قُلُوبٍ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى
وله نحوه^(١٠):

قَرُبَ الْمَرَارُ وَلَا مَرَارَ وَإِنَّمَا يَغْدُو الْجَنَانُ فَنَلْتَقِيَ وَيَرُوحُ



(١) ديوانه (١ : ١٧).

(٢) ديوانه (٣ : ١٨٩).

(٣) ديوانه (١ : ٣٣٨).

(٤) ديوانه (١ : ٣٠١).

(٥) ديوانه (١ : ٣).

(٦) الطرف: الفرس الكريم، والثمل: السكران.

(٧) ديوانه (٣ : ٤١).

(٨) التبيان (٢ : ٢٩٤).

(٩) ديوانه (٢ : ٢٩٤).

(١٠) ديوانه (١ : ٢٤٥).

البحثري^(١):

وَأَصْفَحْ لِلْبَلَى عَنْ ضَرْءٍ وَجْهِ
عَنِتُّ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

أبو الطيب^(٢):

وَيَا لِي كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ^(٣)



أبو تمام^(٤):

هُمْ رَهْطٌ مَنْ أَمْسَى بَعِيداً رَهْطُهُ
وَيُنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِي

أبو الطيب^(٥):

إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ
وَيَمَّمْ كَأُفُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ

وأصله قول الأول:

وَمِنْ تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارُ

مثله:

وَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ
وَالطَّافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي



أبو تمام^(٦):

فَلَقَبْلُ أَظْهَرَ صَفْلُ سَيْفٍ أَثَرُهُ^(٧)
فَبَدَا وَهَذَبَتِ النُّفُوسُ هُمُومَهَا

أبو الطيب^(٨):

وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرْنْدُ عَلَى الصَّفْلِ



أبو تمام^(٩):

لَهَا مَنَزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وَعَهْدُهَا
لَهَا مَنَزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ

أبو الطيب^(١٠):

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَا^(١١)

(١) ديوانه (١: ٢٥)، التبيان (٣: ١٩).

(٢) ديوانه (٣: ١٩).

(٣) صدره:

ومغض كان لا يغضي لخطب

(٥) ديوانه (١: ١٨١).

(٤) ديوانه ص ١٤.

(٧) أثر السيف: قرنده.

(٦) ديوانه ص ٣١٠.

(٩) ديوانه ص ٣٥٦.

(٨) ديوانه (٣: ٤٧).

(١٠) ديوانه (٣: ٤٤).

وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل

(١١) بقية البيت:

أبو تمام^(١) :

قَدْ قَلَصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيطِيهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمًا

أبو الطيب^(٢) :

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْلَ يَنْتَسِمُ



البيّث^(٣) :

وَأَنَا لَتُغَطِّي الْمَشْرِفِيَّةَ^(٤) حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ

أبو تمام^(٥) :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَأَقَى ضَرْبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَنَى فَتَقَطَّعَا

المتنبي^(٦) :

وَهَوَّلَ كَشَفْتُ وَنَضَلِ قَصَفْتُ وَرُمَحِ تَرَكْتُ مُبَادَاً مُبِيدَاً^(٧)

ثم أعاده فقال^(٨) :

فَتُسْفِرُ^(٩) عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا انْقَلَبَ صَرَائِبُ^(١٠)

ثم أعاد وزاد؛ إذ جعل الحديد مقتولاً فقال^(١١) :

قَتَلْتُ نَفْسَ الْعَدَا بِالْحَدِيدِ بِدَحْثِي قَتَلْتُ بِهِنَّ الْحَدِيدَا

وكانه ألم في استعارة القتل بالحديد بقول أبي تمام^(١٢) :

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَتَا^(١٣) السُّمُرُ

ثم كرره وزاد إذ جعله مقتولاً في جسم القتيل، وجعل للسيوف آجالاً فقال^(١٤) :

الْقَاتِلُ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلْسُيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالُ

(١) ديوانه ص ٣٠٣.

(٢) ديوانه (١ : ٣٦٨).

(٤) المشرفية: السيوف؛ منسوبة إلى مشارف الشام.

(٥) ديوانه ص ٣٧٥.

(٦) ديوانه (١ : ٣٦٨).

(٧) مباداً ومبيداً؛ حالان من الرمح؛ أي تركته مهلكاً في حال إبادة إياه، وطعنك العدو به.

(٨) ديوانه (١ : ١٠٧).

(٩) في الأصلين «فتصدر»؛ والتصحيح ما أثبتناه عن الديوان.

(١٠) المضارب: جمع مضرب؛ وهو حد السيف، والضرائب جمع ضريبة؛ وهي الشيء المضروب بالسيف.

(١١) ديوانه (١ : ٣٧٠).

(١٣) القنا: الرماح.

(١٢) ديوانه ص ٣٦٩.

(١٤) ديوانه (٣ : ٢٨٠).

ثم أعاد وزاد تشبيهاً فقال^(١):

وَمُسْتَعْفِرٍ لِنَظْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنْ اخْتِرَاشِ^(٢)

وَكَأَنَّهُ اقْتَدَى فِي تَرْكِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِقَوْلِ الْحَصِينِ بْنِ الْحُمَامِ^(٣):

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْفِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْفِذُونَ السَّمْهَرِيَّ الْمُقْمُومَا^(٤)

قيل في تفسير قوله:

ويستنفذون السّمهريّ المقوموا

إنّا نطعنهم فتبقى الرّماح أو عواليها فيهم إذا أعجلّونا برخص الخيل عن انتزاعها؛ وقيل غير ذلك. وقد قالت امرأة من بني عامر:

تعرفكم جزر الجزور رماحنّا وَيُمَسِّكُنَ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

وقد قيل في تفسيره: إن الرماح تنكسر فتعلق بالأكباد عواليها.



وقد قال أبو الطيب^(٥):

نَصَّرْتُهُ لِلطُّغْنِ فَوْقَ حَوَازِرٍ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ^(٦)

وقال^(٧)، وقد زاد كأنه اخترع المعنى وإن كان يلاحظ بيت أبي تمام:

ونالت ثارها الأكباد منه فَأُولَئِكَ اندقاقاً أو صُدُوعاً^(٨)



سعيد بن حميد:

جَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ عِنْدِي فِي اجْتِمَاعِهِمَا وَإِنْ أَسَاءَ بِنَا فِي كُلِّ مَا صَنَعَا

(١) ديوانه (٢: ٢٠٩).

(٢) المنعفر: الذي يتلطح بالعفر، وهو التراب. والاختراش: صيد الضب. يقول: إن السيف قد

غاب وتوارى في هذا المنعفر مثل توارى الضب في جحره؛ خوفاً من الصائد. شرح العكبري.

(٣) المفضليات (١: ٦٣).

(٤) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. والسّمهري: الرمح. قال ابن الأنباري: «يقول: نغنم منهم

خيلهم ونترك في أجسادهم رماحنّا إذا طعنهم، فهم يحاولون إخراجها».

(٥) ديوانه (١: ١٩٣).

(٦) نصرفه؛ الضمير يعود على القنا في البيت قبله:

تركنا لأطراف القنا كل شهوة فليس لسنّا إلا بهن لعباب

والحوازر: الخيل التي تحذر الطعن. والكعاب: النواشز في أطراف الأنابيب.

(٧) ديوانه (٢: ٢٥٥).

(٨) يقول: لشدة الطعن اندقت الرماح في الأكباد؛ فكان الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً.

أبو الطيب^(١) :

يَدُّ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَتَفَرِّقَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
وقد نقله إلى معنى آخر فقال^(٢) :

وَلَوْ لَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا عَقَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
وكانه ألم في هذا المعنى بقول البحري^(٣) - وإن كان في الغرضين بعض الاختلاف :

تَسَى أَيَادِي الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ شَيْئاً مِنْهُ سِوَى ثَوْبَةٍ



الكُمَيْت :

وَكَائِنِ فِي الْمَعَاشِرِ مِنْ أَتَاسٍ أَحْوَهُمْ فَسَوْفَهُمْ وَهُمْ كِرَامٌ
أبو الطيب^(٤) :

كُلُّ آخَائِهِ كِرَامٌ بَنِي الدُّنْ يَا وَلِكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ^(٥)
أبو تمام^(٦) :

مَضَى طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ لَمْ يَبْقَ بَقْعَةٌ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا وَاشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
أبو الطيب^(٧) :

وَتَغْطِطِ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِبُ^(٨)



غيره^(٩) :

إِنْ أُجْرِمْتَ لَمْ تَنْصَلْ^(١٠) مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلَمِّ

(١) ديوانه (١ : ١٥٧) .

(٢) ديوانه (١ : ٥٢) .

(٣) ديوانه (١ : ٤١) ، وروايته :

نَسَى أَيَادِي الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ مِنْ دَهْرٍ سِوَى ثَوْبَةٍ

(٤) ديوانه (٣ : ٣٧٨) .

(٥) الآخاء : جمع أخ . يقول : كل كرام بني الدنيا أخوته ؛ لأنهم يوافقونه في رأيه ؛ لكنه المقدم فيهم ؛ لأنه أكرمهم .

(٦) ديوانه ص ٣٧٠ ، وروايته هناك وفي التبيان :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشتهت أنها قبر

(٧) ديوانه (١ : ١١٥) .

(٨) يريد : أن الأرض يغبط بعضها بعضاً لحلوله فيها ، وكذلك الخيل يحسد بعضها بعضاً لركوبه .

(٩) هو أبو تمام ديوانه ص ٢٧٠ . (١٠) تنصل : تبرأ .

أبو الطيب^(١) :

وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيًّا مِنَ الْإِثْمِ



أبو تمام^(٢) :

مُسْتَبْسِلُونَ كَأَنَّمَا مُهَجَّائُهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ إِلَّا غَدَاةٌ تَسِيلُ
أَلْفُوا الْمَنَابِيَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ^(٣) وَهُوَ قَتِيلُ
ونحو هذا اللفظ قول أبي الطيب^(٤) :

وَكَقَتْلِهِ أَلَا يَمُوتُ قَتِيلًا



ومثله^(٥) :

لَا يَنِيَّاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

أبو الطيب^(٦) :

ضَرَبَتْهُ^(٧) بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قُدَمًا فَقَدْ سَلِمُوا^(٨)



وله^(٩) :

وَفَوَارِسٍ يُخْبِي الْجَمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ
وأنا أرى أن هذا المعنى منقول من قول زهير^(١٠) :
نَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُغْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(١) ديوانه (٤ : ٥٤) .

(٢) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٣) في ديوانه : الحرب .

(٤) ديوانه (٣ : ٢٤٣) ، وصدره :

وأمر مما فر منه فراره

(٥) هو أبو تمام ؛ ديوانه ص ٢٢٩ ، وصدره :

يستعذبون منايهم كأنهم

(٦) ديوانه (٤ : ٢١) .

(٧) الضمير يعود على نهر أرسناس في البيت قبله :

وجاوزوا أرسناساً معصمين به وكيف يعصمهم ما ليس ينعمص

(٨) يقول : ضربت هذا النهر بصدر خيل حاملة فرساناً ، يرون سلامتهم في تلفهم حيثما يقدمون على العدو .

(٩) ديوانه ص ٣١ .

(١٠) ديوانه (٤ : ١٨١) .

لأن زهيراً جعله يُسرّ بالبدل حتى كأنه أخذ، وجعله هذا يسرع إلى القتل حتى كأنه حياة، فالمعنيان واحد في التحصيل، وقد قال أبو الطيب^(١) في معنى قول زهير: من القاسمين الشكرَ بيني وبينهم لأنهم يُسَدِّدِي إليهم بأن يُسَدُّوا



أبو تمام^(٢):

وَيَهْتَرُ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظَبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ
أبو الطيب^(٣):

وَتَكَادُ الظُّبَى لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ



زيد الخيل^(٤):

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعٍ بَرَى مَا أَرْنَتْهُ بَصِيرٍ إِذَا صَوْنَتْهُ بِالْمَقَاتِلِ^(٥)
أبو تمام^(٦):

مَنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَثْنِهِ أَوْدُ^(٧)
أبو الطيب^(٨):

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي^(٩)
وقد زعموا أن قوله^(١٠):

وَقَدْ صُغْتُ الْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنْ إِلَّا فِي فُؤَادِ
مأخوذ من هذا، ومن قول أبي تمام:

يَظَلُّ فُؤَاداً لِلْفُؤَادِ سَنَائِهِ

(١) ديوانه (٢: ٧).

(٢) ديوانه ص ١١٦، وروايته هناك:

ونبهن مثل السيف لو لم تسله

والظبي: حد السيف، والغمد: القراب.

(٣) ديوانه (٢: ٣٦٧).

(٤) التبيان (٤: ١٩١).

(٥) يريد: إذا هيأته نحو العدو.

(٦) ديوانه ٧٥، التبيان (٤: ١٩١).

(٧) الأزرق: سنان الرمح. والأود: الأعوجاج.

(٨) ديوانه (٤: ١٩١).

(٩) الضمير في حده للسيف، والهبوة: الغبرة.

(١٠) ديوانه ١ - ٣٦٠.

ولا أبعد أن يكون قد لاحظته؛ لكنه قد أبرَّ به على كل مخترع وسابق ومنفرد.
والأقرب عندي أن يكون مأخوذاً من قول أبي تمام^(١):

كَأَنَّهُ كَانَ يَرُبَّ^(٢) الْحُبِّ مُذْ زَمَنِ فَلَيْسَ يَخْجُبُهُ قَلْبٌ وَلَا كَبِيدٌ



أبو تمام^(٣):

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَعَائِبُ تَكَاذُبُهَا لَوْلَا الْعِيَانُ يُكَذِّبُ
البحثري:

وَحَدِيثُ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ حَسَى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ
وأصله قول بعض العرب:

أَحْدَثَ مِنْ لَاقِيَتْ يَوْمًا بِلَاءَهُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّنِي غَيْرُ صَادِقٍ
أبو الطيب^(٤):

كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنُّكَ كَاذِبًا
فأساء؛ لأنه جعله يستعظم فعله، وإنما الجيد قوله^(٥):

يَسْتَضْغِرُ الْخَطَرَ الْعَظِيمَ لِيُوفِيَهُ وَيُظَنُّ دَجَلَةً لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا



أبو نواس في الكؤوس^(٦):

طَالَعَاتُ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فِإِذَا مَا غَرُبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا
أبو الطيب في السيف^(٧):

طَلَعْنَ شُمُوساً وَالْغَمُودُ مَشَارِقُ لِهُنَّ وَهَامَاتُ الرُّجَالِ مَغَارِبُ
فأما جعل السيف شمساً فكثير.



النابعة^(٨):

لَمَّا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَانْتَصَحَنِي فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُ مَالِي
ثم فسر فقال^(٩):

وَأَنَّ تِلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِئْتُ وَمُهْرِي وَمَا ضَمَّتْ إِلَيَّ الْأَتَامِلُ^(١٠)

(١) التبيان: ١ - ٣٦٠. (٢) تروى الحب: ولد معه.

(٣) التبيان (١: ١٢٦). (٤) ديوانه (١: ١٢٦).

(٥) ديوانه (١: ١٢٥). (٦) ديوانه ص ٣٣٩.

(٧) ديوانه (١: ١٠٧). (٨) ديوانه ص ٦٥.

(٩) ديوانه ص ٦٥. (١٠) التلاد: المال القليل، والشكة: السلاح. وأراد بالمهر الفرس.

حَبَاؤُكَ وَالْعَيْسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّهَا هِجَانُ الْمَهَى تُحْدَى عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ^(١)



أبو نواس :

وَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ

وَفَسَّرَ أَبُو الطَّيِّبِ وَشَرَحَ وَمَلَّحَ^(٢) :

أَسِيرٌ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ^(٣)

وَمَا مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا وَرُومَ الْعَبْدَى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ^(٤)



حاتم^(٥) :

وَمَنْ يَبْتَدِغُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا

وَقَالَ الْأَعُورُ الشُّنِّي^(٦) :

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ^(٧) :

مَنْ تَحَلَّى شِبْمَةً لَيْسَتْ لَهُ فَارْقَنَتْهُ وَأَقَامَتْ شِيمَتَهُ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٨) :

وَأَسْرَعَ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكْلُفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

وهذا المعنى متداول ، وقد أكثر الناس فيه ، وأشبهه بقول أبي الطيب قول الأعور

الشُّنِّي^(٩) :

وَأَذَوُّمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَأَ بِهِ وَأَقْصَرُ أَعْمَالِ الرِّجَالِ الْبَدَائِعُ

المصراع الثاني هو بيت أبي الطيب بكماله .



(١) حباؤك : هبتك . والعيس : الإبل البيض . وهجان المهى : بيضها . وتحدى : تساق .

(٢) ديوانه (٤ : ٣) .

(٣) الإقطاع : ما أقطعه من البلاد . والطرف : الفرس . والحسام : السيف القاطع .

(٤) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والروم : جمع رومي . والعبدى : العبيد . والغمام :

السحاب . والهاتل : المنسكب .

(٦) التبيان (٢ : ١٩) .

(٥) التبيان (٢ : ٢٠) .

(٨) ديوانه (٢ : ١٩) .

(٧) التبيان (٢ : ٢٠) .

(٩) التبيان (٢ : ٢٠) .

طَفِيل^(١) :

وما أنا بالمُسْتَشْكِرِ الْبَيْنِ إِنْ نِي
بِذِي لَطْفِ الْجِرَانِ قَدْ مَا مُفَجِّعُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :

وَمَا اسْتَغْرَبْتَ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ
وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ
المصراع الثاني من قول عدي بن الرقاع^(٣) :

وَعَرَفْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِماً
عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا
ومن قوله الأَعْوَرُ :

لَقَدْ أَضْبَحْتُ مَا أَحْتَاجُ فِيْمَا
بَلَوْتُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى السُّؤَالِ
وقد كرره أبو الطيب فقال^(٤) :

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
فَلَمَّا دَهَشْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْماً



أَبُو الطَّيِّبِ^(٥) :

فَلَا يَتَّهَمُنِي الْكَاشِحُونَ فَلِئَنِّي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقِمُهُ
وهو من قول الآخر^(٦) :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَحِنُّ إِلَى هَوَى
وَأَنْ بَانَ جِرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ
وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي
وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وهو معنى قوله : « حتى حلت لي علاقمه » .

ومثله قول المُرْج بن عَمْرٍو^(٧) :

رُوغْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَا لَه
أَوْ قَوْلُ الْخُرَيْمِيِّ^(٨) :

لَقَدْ وَقَرَّتْنِي الْحَادِثَاتُ فَمَا أَرَى
لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَتَوَّجِعُ

(١) التبيان (٣ : ٢٣٢) .

(٢) مهذب الأغاني (٣ : ١٠٣) ، وروايته هناك :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً
عن علم واحدة لكي أزداها
(٤) ديوانه (٤ : ١٠٤) .

(٥) ديوانه (٣ : ٣٣٢) .

(٦) التبيان (٣ : ١٠) ، وروايتهما هناك :

وقد جعلت نفسي على البين تنطوي
وفارقت حتى ما أبالي من النوى
وإن بان جيران علي كرام
وعيني على فقد الحبيب تنام
(٧) ذيل الأمالي ص ١١٣ ، التبيان (٣ : ٣٣٣) .

(٨) التبيان (٣ : ٣٣٣) .

وقد بسطه أبو الطيب وشرحه وزاد فيه تمثيلاً حسناً فقال^(١):

رَمَانِي الدُّهْرُ بِالْأَزْرَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غَشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
قَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النُّصَالُ عَلَى النُّصَالِ
وقد تقدم ما يقارب هذا المعنى، وإن كنا أعدناه لتمييز أحدهما عن الآخر.



الطَّرِمَّاحُ^(٢):

يَفْرُقُ مَثَا مِنْ نُحْبٍ اجْتَمَاعِهِ وَيَجْمَعُ مَثَا بَيْنَ أَهْلِ الضُّعَائِنِ
آخر^(٣):

عَجِبْتُ لَتَطْوِيحِ الثَّوَى مِنْ أَجْبِهِ وَإِذْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلْدُ لَهُ قُرْبُ
وهو كثير، وأصله لمضر بن ربيعي من قوله^(٤):

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لِمَقْجَعُ
وإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي مَا سَاءَ لُمَمْتَعُ
نقله أبو الطيب فأحسن وأطاب^(٥):

أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضاً تُتَائِي أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ



يزيد المهلب، وهو معنى مشهور^(٦):

إِنْ يُعْجِزُ الدُّهْرُ كَفِّي عَنْ جَزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مُجْتَهِدُ
أبو الطيب^(٧):

لَا حَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يَسْعِدِ الْحَالُ
وأصله قول الأول:

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى



أبو العَمَيْثِلُ الأَعْرَابِي:

اضْطَقَّ وَعِثَّ وَبِرَاضٍ وَاحْتِمِلَ وَاضْفَحَ وَدَارَ وَكَافَ^(٨) وَابْذُلَ وَاشْجَعِ

(١) التبيان (١: ١٧٧).

(٢) التبيان (٣: ٢٧٧).

(٣) ديوانه (٣: ٢٧٦).

(٤) كاف: من المكافاة.

(١) ديوانه (٣: ٨).

(٢) التبيان (١: ١٧٧).

(٣) التبيان (١: ١٧٧).

(٤) التبيان (١: ١٧٧).

أبو الطيب^(١):

أَقْلُ أَنْلَ أَنْ صَنِ احْمِلْ عَلَّ سَلْ أَعِذْ زِدْ هَشْ بِشْ هَبِ اغْفِرْ أَذِنْ سِرَّ صِلِ
فَزَادَ، وَأَصْلُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ^(٢):
أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ فَزَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ



الحُصَيْنُ بْنُ الْحَمَامِ^(٣):

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِيَ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ التُّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحَزَنُ



سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ:

يَا لَيْلُ لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى بِهِ أَوْ تَجِدْ
قَصَّرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ أَضَعَفَ مِنْكَ الْجِلْدُ
نَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٥):
كَأَنَّ اللَّيْلَ^(٦) قَاسَى مَا أَقَاسِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا



عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَّامِي:

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَثْبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّا لَفْظَ بِلَا مَعْنَى
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):

وَالدُّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ^(٨)

بَعْضُهُمْ^(٩):

وَأَسْرَفِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ وَزِيَادَتِي فِيهَا هُوَ النِّقْصُ

(١) ديوانه (٣: ٨٩).

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٢، العمدة (٢: ٢٥).

(٣) ديوان الحماسة (١: ١٩٢)، عيون الأخبار (١: ١٢٥).

(٤) ديوانه (١: ٦٥). (٥) ديوانه (١: ١٣٩).

(٦) في الديوان: كَانَ الْجَو. (٧) ديوانه (٤: ٢٦٣).

(٨) صدره:

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهَ

(٩) التبيان (٢: ٢٨٣).

أبو الطيب^(١) :

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عَشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ^(٢)
ومثله له^(٣) :

مَتَى مَا أُرْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَرْذَادِ



علي بن الجهم في صفة الشعر، وهو معنى مشهور^(٤) :

فسار مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بِلْدَةٍ وَهَبَ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
أبو الطيب^(٥) :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مَقُولِي وَتَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا
وله مثله^(٦) :

إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُضُولِهِ جِدَارٌ مُعَلَّى أَوْ خِبَاءٌ مُطْطَبُ
وأصله قول عترة بن الأخرس^(٧) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِغْرِي سَارَ عَنِّي وَشِغْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ



ابن الرومي^(٨) :

وَمَا أُرْدَادَ فَضْلٍ فِيكَ بِالْمَذْحِ شُهْرَةً بَلَى ؛ كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مِخْرُضًا^(٩)
أبو الطيب^(١٠) :

وَذَاكَ النَّشْرُ عَرُضُكَ كَانَ مِسْكَاً وَهَذَا الشَّعْرُ فَهْرِي وَالْمَدَاكَ^(١١)



(١) ديوانه (٢ : ٢٨٣).

(٢) زيادة خبر مبتدأ محذوف تقديره: حال. وقوة: عطف عليها؛ يقول: حالي زيادة شيب وهي في الحقيقة نقص زيادتي، وكلما قوي العشق ضعف البدن، وضعفت قوته. (شرح العكبري).

(٣) ديوانه (١ : ٣٥٦). (٤) التبيان (٢ : ٩٥).

(٥) ديوانه (٢ : ٩٥). (٦) ديوانه (١ : ١٨٧).

(٧) التبيان (٢ : ٩٦). (٨) التبيان (٢ : ٢٩٣).

(٩) المخوض: الذي يحرك به الطيب؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلاً؛ بل يظهر رائحته؛ كذلك الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس، ولا يزيده فضلاً.

(١٠) ديوانه (٢ : ٣٩٣).

(١١) النشر: الرائحة الطيبة. والفهر: الحجر الذي يسحق به الطيب. والمداك: الصلابة التي يدك عليها. والدوك: الدق والسحق.

الحادرة^(١) :

فَأَثُّوا عَلَيْنَا أَبَا لِإِيكُمْ بِأَحْسَابِنَا^(٢) إِنْ الثَّنَاءُ هُوَ الْخُلْدُ
غيره^(٣) :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
أبو تمام^(٤) :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَيْشًا^(٥) ثَانِيًا وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا
أبو الطيب^(٦) :

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ
وَكَأَنَّمَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ^(٧)
وكرره فقال^(٨) :

فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُ نِسَاءٍ وَهُوَ بَالِي



بعض العرب^(٩) :

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي
أبو الطيب^(١٠) :

قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرَّهُمَا الْمَفْدِي بِالذَّهَبِ
وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَثْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ
ومثل المصراع الأخير قول النمر بن تَوَلَّب :

تَدَارِكُ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ



(١) مهذب الأغاني (١ : ٢٣٠)، التبيان (٢ : ١٣١).

(٢) في مهذب الأغاني : بإحساننا.

(٣) ديوان الحماسة (٣ : ٦)، ونسبه إلى التيمي في منصور بن زياد. قال النبريزي : التيمي هو عبد الله بن أيوب.

(٤) ديوانه ص ٩٠، التبيان (٢ : ١٣٢).

(٥) رواية الديوان : سلفوا يرون الذكر عقبا صالحا

(٦) ديوانه (٢ : ١٣١).

(٧) يقول : ذكره في الثناء يحييه، كما أحيأ عيسى بعد ما مات.

(٨) ديوانه (٣ : ١٢). (٩) التبيان (١ : ٩٣).

(١٠) ديوانه (١ : ٩٣).

بعض المُخَذَّثِينَ^(١) :

وَمَا فَسَدَتْ لِي يَشْهَدُ اللَّهُ نِيَّةً
أَبُو الطَّيِّبِ وَأَحْسَنُ غَايَةِ الْإِحْسَانِ^(٢) :
عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدَتْ نِيَّيَ فَاتَّهَمْتَنِي
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَدَقَ مَا يَغْتَاذُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عُدَايِهِ
وَأُضْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٍ



بعض العرب^(٣) :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْسُوا مُذْرِكاً
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :
وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدٍ
نَضِيجَةً فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا^(٥)



يحيى بن زياد^(٦) :

دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :
ثُرِيدُكَ لَمْ تَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعاً
مَا زِلْتَ تُدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَسَاحٍ
حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ



أبو تمام^(٨) :

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَفْرُقُوا بِهَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩) :
مَنَاقِبُ^(١٠) أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ
شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبَا
وُجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبَا



الحطّينة^(١١) :

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

(١) التبيان (٤ : ١٣٥) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٣٥) .

(٣) التبيان (١ : ٢٩٥) .

(٤) ديوانه (١ : ٢٩٥) .

(٥) الخلب : غشاء القلب الرقيق . قال العكبري : «وجعل اليد نضيجه وأضافها إلى الكبد لأنها دام

وضعها على الكبد، فأنضجتها بما فيها من الحرارة» .

(٦) التبيان (٤ : ٢٧٣) .

(٧) ديوانه (٤ : ٢٧٣) .

(٨) ديوانه ص ٤٢ ، التبيان (١ : ١٣١) .

(٩) في الديوان : «محاسن أقوام» .

(١٠) ديوانه (١ : ١٣١) .

(١١) ديوانه ص ٦ .

المتنبي^(١):

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمْ كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفُ

الحُصَيْن بن الحمام^(٢):

ولما رأيت الودَّ ليس بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَخْزَمَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

إِذَا لَمْ تُجْزِئْهُمْ دَارَ قَسُومٍ مَوَدَّةٌ أَجَارَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوَدِّ^(٤)
وَالْعَرَبُ تَقُولُ: رَهْبُوتُ خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتٍ؛ أَيُّ أَنْ تُرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرَحَّمَ.

بعض العرب^(٥):

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلِيهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
عَمَرُو بْنِ مَعْدِي كَرِبِ^(٦):

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمِثْرٍ فَاغْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَوْزُنُ مَجْدًا
الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ؛ وَيُرْوَى لِرَبِيعَةَ بْنِ ثَابِتِ الرَّقِيِّ^(٧):

فَمَا عَظَّمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ^(٩)
وَمِثْلُهُ لَهُ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ^(١٠):

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُعَيَّبُ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُ^(١١):

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ^(١٢)

(١) ديوانه (٢: ٢٨٩).

(٢) ديوانه (٢: ٦٢).

(٣) قال ابن فورجة: إذا بلغوا في أسفارهم منازل قوم لم يكن بينهم وبين سكانها مودة أجازتهم رماحهم فلم يخافوا أهل الناحية.

(٤) التبيان (٢: ٣٢٠)، ونسبه إلى الفرزدق.

(٥) ديوان الحماسة (١: ١٧٠)، عيون الأخبار (١: ٣٠٠).

(٦) ديوان الحماسة (٣: ١٥٣)، التبيان (٣: ٣٢٠).

(٧) ديوانه (٢: ٣٢٠).

(٨) ديوانه (١: ١٨٠).

(٩) ديوانه (٤: ١٤٤).

(١٠) الوسام: الوسامة؛ وهي الحسن.

بعض العرب:

ولست وإن أخبث من يسكن العَصَا بأول راج حاجة لا ينالها
أبو الطيب^(١):

وليس بأول ذي هممة دَعْنَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ



جابر بن حيان^(٢):

وإن يفتسيهم مالي بني ونسوتي^(٣) فلم يفسموا خلقي الكريم ولا فغلي
أبو تمام^(٤):

وانفخ لنا من طيب خيمك نفحة إن كائت الأخلاق مما يوهب^(٥)
أبو الطيب^(٦):

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا وإن طلبوا المجد الذي فيك خُيُّوا
ولو جاز أن يخروا غلاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب



بعض العرب^(٧):

لا أمسك المال إلا زنت أثلفه ولا تغيرني حال إلى حال
أشجع:

تغير الأيسام حاله وجوده باقي على حال
أبو الطيب^(٨):

وحالات الزمان عليك شتى وحالك واحد في كل حال



أبو تمام^(٩):

هممة تنطخ الثجوم وجد آنف للحضيض^(١٠) فهو حضيض

(١) ديوانه (٣ : ٣٠).

(٢) ديوان الحماسة (٤ : ٢٣٧)، عيون الأخبار (١ : ٣٤٣)؛ وقال: هو جابر بن حبان (بالباء المشددة) وفي الأصلين: «حباب».

(٣) في ديوان الحماسة: «وإخوتي».

(٤) ديوانه ص ٤٠، التبيان (١ : ١٨٤).

(٥) انفخ: اعط. وخيمك: طبعك.

(٦) ديوانه (١ : ١٨٤).

(٧) التبيان (٣ : ٢٠).

(٨) ديوانه (٣ : ٢٠).

(٩) ديوانه ص ١٨١.

(١٠) الحضيض: المنخفض.

أبو الطيب^(١):

أَبْدَأُ أَقْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُعُودِ



أبو تمام^(٢):

وَمَا زَالَ مَنُشُوراً عَلَيَّ نَوَالُهُ وَعِنْدِي حَتَّى قَدْ بَقِيَتْ بِلَا عِنْدِ

أبو الطيب^(٣):

وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سَوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادِيَهُ عِنْدِي يَضِيقُ بِهَا عِنْدُ^(٤)



أبو تمام^(٥):

يُمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيَا وَهْنٌ سَوَاءٌ وَالسُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ

نقله أبو الطيب فقال^(٦):

هُمَا إِذَا مَا قَارَقَ السَّيْفُ غَمْدَهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا النَّضْلُ



أبو تمام وهو كثير^(٧):

قَدْ تَبَدَّلُوا الْحَجَفَ الْمَحْبُوكَ مِنْ زُؤِدٍ وَصَيَّرُوا هَامَهُمْ بِلَ صَيْرَتْ حَجَفًا^(٨)

أبو الطيب^(٩):

تَقِي جَبَهَاتُهُمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ إِذَا بِشَفَارِهَا حَمِي اللَّطَامُ^(١٠)



أبو تمام^(١١):

وَلَكُمْ عَدُوٌّ قَالَ لِي مُتَمَثِّلاً وَكَمْ مِنْ وَدُودٍ لَيْسَ بِالْمُودُودِ

(٢) ديوانه ص ١١٦.

(١) ديوانه (١ : ٣٢٠).

(٣) ديوانه (١ : ٣٧٧).

(٤) رفع عند، وهي لا تستعمل إلا ظرفاً، لأنه حمل الكلام على المعنى؛ فكأنه قال: يضيق بها المكان.

(٦) ديوانه (٣ : ١٨٦).

(٥) ديوانه ص ٤٨٠.

(٧) ديوانه ص ٢٠٢.

(٨) الحجف، بالفتح: جمع حجة، ضرب من التروس؛ قيل: هي من الجلود خاصة. والزؤد: الفزع.

(٩) ديوانه (٤ : ٧٧).

(١٠) الذرى: العلو. والشفار: السيوف. واللطام: المصادمة بها.

(١١) ديوانه ص ٨٣.

أبو الطيب^(١):

هو الحبيب وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبٍ



أبو تمام^(٢):

مَلَقَى الرَّجَاءَ وَمَلَقَى الرَّحْلَ فِي نَفْرِ الْجُودِ عِنْدَهُمْ قَوْلٌ بِلاَ عَمَلٍ
وله^(٣):

وَأَقْلُ الْأَشْيَاءِ مَخْصُولَ نَفْعٍ صَحَةُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضٌ
وهو كثير. قال أبو الطيب^(٤):

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ
وقال في أخرى^(٥):

وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ^(٦)

وقال في أخرى^(٧):

أَرَى أَنَاسًا وَمَخْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذَكَرَ جُودٍ وَمَخْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ^(٨)
وقد يزعم بعض مَنْ يذهب عن تمييز السَّرِقِ أَنْ الْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ مَأْخُودٌ مِنْ
قولهم: فلان بهيمة وحمار. ومن قول التَّمَرِي:

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعَ هَامِلُ^(٩)

ومن قول السَّيِّدِ^(١٠):

قَدْ ضَيَّعَ اللَّهُ مَا جَمَعْتُ مِنْ أَدَبٍ بَيْنَ الْحَمِيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ
قال أبو الحسن: وهذا البيت يروى للمخيم الراسبي. قال: والجماعة اعْتَمَدَتْ

(١) ديوانه (١: ١٧٦).

(٢) ديوانه (٢: ٤٢).

(٣) التبيان (٢: ٤٢).

(٤) ديوانه (٣: ٢٧٧).

(٥) البيت بتمامه:

واجز الأمير الذي نعماء فاجئة بغير قول ونعمى الناس أقوال
(٦) ديوانه (٤: ٣٩).

(٧) «المحصول: مصدر بمعنى الحصول. وقوله: «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه

المقام؛ أي وأسمع ذكر جود. يقول: أرى صور أناس كالغنم لا عقل لهم، وأسمع ذكر الجود

ولكن لا أحصل منه إلا على المواعيد». (شرح الديوان لليازجي).

(٨) الهامل: التي ترمى ولا راعي لها.

(٩) التبيان (٤: ٤٠).

فيه على قول الله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وهذا كما زعم الصولي أن قول البحرني^(١):

عليّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلِيٌّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ^(٢)
مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(٣):

لَا يَذْهَبُ مَعَكَ مِنْ دَهْمَانِهِمْ نَفَرٌ فَإِنْ جَلَّهْمُ بَلْ كُلُّهُمْ بَقْرُ^(٤)

هذا مع اتساعه في الدعاوى، وتحققه عند نفسه بتقد الشعر، وادعائه أن أحدا لم يسبقه إلى هذا العلم، وأنه طريق لم تُسَلَّكْ قبله، وباب لم يزل مستغلَقاً حتى افتتحه؛ كأن لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمُّون البليد الغبي حماراً أو بقرة.

وإذا استبعدوا ذهن مخاطب واستخفوا فطنة منازع قالوا: هذا ثور وثيس؛ حتى شاع ذلك على أفواه العامة وألسن النساء والصبيان. وكيف يدعى في هذا السرُّق! ومن جعل بعض الناس أولى به من بعض وهم فيه شرُّ واحد! وأي ذهن يغيب عنه ذلك حتى يفتقر إلى الاعتماد فيه على غيره والاستمداد ممن تقدم قبله! وإنما يصح في مثل هذا الأخذ إذا أضيفت إليه صنعة لفظ، أو وصل بزيادة معنى، كببت البحرني فإنه لم يرض أن يقول: القوم بقر وبهائم؛ كما قال أبو تمام حتى قال:

عليّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا

أي عليّ أن أجيد وأبدع وأتأنق في شعري، وما عليّ إفهام البقر؛ فهذه زيادة يصح فيها نقد وسرقة، وأما بيت أبي الطيب فليس إلا صريح التمثيل المتداول الذي عرفناك انتفاء هذه الدعوى عنه.



أبو تمام^(٥):

وَكَأَنَّ مَا نَأَفَسْتَ قَدْرَكَ حَظَّهُ وَحَسَدَتْ نَفْسُكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسِدِ
أبو الطيب^(٦):

يُحَدِّثُ عَنْ قَلْبِهِ مُكْرَهَا كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُوداً

(١) ديوانه (١: ٤٣).

(٢) رواية الديوان:

وما علي لهم أن تفهم البقر

(٣) ديوانه ص ١٥٠.

(٤) رواية الديوان:

فإن جلهم أو كلهم بقر

(٥) ديوانه ص ١١٣.

(٦) ديوانه (١: ٣٦٧).

إن كان فيه أخذٌ ففي اللفظ، ومثله قد يؤخذ؛ فأما المعنيان فمختلفان، لأن أبا تمام أراد أنك نافستَ قدرَك، وحَسَدْتَ نفسَك، فَطَفِقتَ تُنَاهِي في شرف الفعل، وتَزِيد على كُلِّ غاية تصلُ إليها، وإن كنتَ فيها منقطعَ القرين فانتَ الشَّوْء، وأبو الطيب يقول: كأن قلبك يحسُدُك على فضائلك فهو يكره أن يستقبل بذكرها. وهذا نوع آخر من المديح وفي غير المذهب الأول؛ لكنهما اجتمعا في حَسَدِ النفس والقلب.



أبو تمام^(١):
حَابَ امْرُؤٌ بِخَسِ الحَوَادِثِ سَعِيهِ^(٢) فَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الْأَسْعَدِ
أبو الطيب^(٣):
عَجَزَ بِحُرِّ فَاقَةٍ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَيَابُكَ الْمَفْتُوحِ^(٤)



أبو تمام^(٥):
قَالَ مَشْيِي هَمْسٍ وَالنُّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ انتِقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سِرًّا^(٦)
أبو الطيب واقتصر على ذكر المشي فقال^(٧):
قَصُرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْكُولًا^(٨)
ونحوه له^(٩):
فَلَمْ يَسْرَخْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ^(١٠) وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارٌ



(١) ديوانه ص ١١٣.

(٢) رواية الديوان:

حارب امرؤ نحس الزمان لسعيه

(٣) ديوانه (١: ٢٥٤).

(٤) الفاقة؛ الفقر. ووراء؛ قدامه؛ وهو من الأضداد. يقول: إن من العجز أن يقاسي الحر فاقة ولا يطلب الرزق من الله أو يقصد بابك الذي لا يحجب عنه أحد.

(٥) ديوانه ص ١٤٦. (٦) الهمس: الصوت الخفي. والسرار: السر.

(٧) ديوانه (٣: ٢٣٩).

(٨) البيت في وصف الأسد. القصر: ضد التطويل. والخطى: جمع خطوة. والكمي: لابس السلاح. والجواد: الفرس. والمشكول: المقيد بالشكال. يقول: إن خوفه تمكن من القلوب فأحجمت به قوائم الخيل؛ وقصرت خطاها، حتى كأن الشجاع ركب الفرس بشكاله.

(٩) ديوانه (٢: ١٠٩).

(١٠) المال: الإبل.

الحُصَيْن بن الحِمَام^(١) :

فَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذَلَّةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
تَأْبِطُ شَرًّا^(٢) :

هُمَا خُطْنَا إِمَّا إِسَارٌ وَذِلَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ
بشار :

وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَذَى وَضَيْمُكَ فِيهَا صَاحِبٌ وَتُرَاقِبُهُ
وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ وَتَصَرَّفُوا فِي أَمْثَلَتِهِ .
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :

ذَلٌّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشٍ رُبُّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْجِمَامُ
وَلَهُ^(٤) :

عِشٌّ كَرِيمًا أَوْ مُتٌ وَأَنْتَ عَزِيزٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ^(٥)
وَقَدْ أَعَادَهُ فَزَادَ وَأَحْسَنَ فَقَالَ^(٦) :

تَعْرِ خَلَاوَاتِ الثُّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَغْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامُ
وَشَرُّ الْجِمَامَيْنِ الزُّوَامَيْنِ عَيْشُهُ يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ
وَنَحْوَهُ لَهُ^(٧) :

وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَازُهُ وَكَفَمٌ لَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا
وَالْمَصْرَاعُ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ - وَقَدْ قَدَمْنَاهُ^(٨) :

أَلْفُوا الْمَنَائَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُحَلِّ الْعَيْشَ وَهُوَ قَتِيلُ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي^(٩) :

فَاطْلُبِ الْعَرْزَ فِي لَطْفِي وَذَرِ الذِّ لَوْ كَانَتْ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ : النَّارُ وَلَا الْعَارُ .

(١) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٤) .

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ٣٣٠ ، وروايته هناك :

هَـمَا خُطْنَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ
ورواه في مهذب الأغاني ١ : ٢٢٠ :

لَكُمْ خِصْلَةٌ إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ

(٤) ديوانه (١ : ٣٢١) .

(٣) ديوانه (٤ : ٩٣) .

(٦) ديوانه (٣ : ٣٩٥) .

(٥) البنود : الأعلام الكبار .

(٨) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٤٣) .

(٩) ديوانه (١ : ٣٢٢) .

ومثل الأول قوله^(١):

لَقِيتُ الْقَتَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ



الأهثم بن سنان:

وَمَا كُلُّ مَنْ يَغْشَى الْقِتَالَ بِمَيِّتٍ وَلَا كُلُّ مَنْ يَرْجُو الْإِيَابَ بِسَالِمٍ

زياد الأعجم^(٢):

مَاتَ الْمَغِيرَةُ^(٣) بَعْدَ طَوْلٍ تَعَرَّضَ لِلْقَتْلِ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَصَفَانِحَ

وَالْقَتْلُ لَيْسَ إِلَى الْقِتَالِ وَلَا أَرَى سَبَبًا يُوْخِرُ لِلشُّفِيقِ النَّاصِحَ

أبو الطيب^(٤):

وَقَدْ يَشْرِكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ

وله^(٥):

يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَغُ حِزْزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنِي^(٦) الْمَوْلُودِ

وَيُوقَى الْفَتَى الْمَخْشَى وَقَدْ خَوَّ ضَ فِي مَاءِ لَبَّةِ الصُّنْدِيدِ^(٧)



بعض العرب^(٨):

إِنِّي لَا أُسْئِرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمِيتُ السُّرَّ كَثْمَانَا

عمران بن حِطَّان^(٩):

وَكُنْتُ أَجْرُ السُّرِّ حَتَّى أُمِيتَهُ وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعُ

أبو الطيب^(١٠):

وَسِرُّكُمْ فِي الْحَشَامِيَّتِ إِذَا أُنْشِرَ السُّرُّ لَا يُنْشَرُ



(١) ديوانه ص ١٨٥.

(٢) ذيل الأمالي ص ٩، وفيات الأعيان (٢: ١٤٧).

(٣) هو المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، والبيتان من قصيدة طويلة في رثائه.

(٤) ديوانه (١: ١٨٥). (٥) ديوانه (١: ٣٢٢).

(٦) البخنق: ما يجعل على رأس الصبي.

(٧) المخش: الرجل الجريء. وخوض: بالغ في الخوض. واللبة: أعلى الصدر؛ والمراد بمائها دمها. والصنديد: السيد الشجاع.

(٨) التبيان (٢: ٩٢).

(٩) التبيان (٢: ٩٢).

(١٠) ديوانه (٢: ٩٢).

الأعور الشنّي - وهو كثير^(١) :

إذا صَبَحْتُني من أناسٍ تُعَالِبُ لأذْفَعُ ما قالوا منحتُهُمْ حَقْرًا
أبو الطيب^(٢) :

وَيَحْتَقِرُ الحُسَّادَ عَن ذِكْرِه لهُم كأنَّهُم في الخَلْقِ ما خُلِقُوا بَعْدُ
وله^(٣) :

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وإِهْوَائًا
المصراع الثاني هو المعنى الأول، وقد كثر حتى خرج عن باب السُّرق.



زياد الأعجم^(٤) :

إِنَّ السَّمَاةَ والمُرُوءَةَ ضُمْنَا قَبْرًا بَمَزَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ
أبو الطيب^(٥) :

فِيهِ الفَصَاحَةُ والسَّمَاةُ والثَّقَى والبَأسُ أَجْمَعُ والحِجَا والخَيْرُ

المؤرج التغلبي .

يَغْتَابُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاقَيْنَا افْتَشَعَرَا
عِنْدِي وَيُخْفِي مُسْتَسِيرًا عِنْدِي وَيُخْفِي مُسْتَسِيرًا

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ^(٦) :

وَيُحَيِّينِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَنَغُ
ولأبي الطيب^(٧) :

مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي^(٨)



الخرنبي وهو مشهور وهذا من أملحه^(٩) :

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مُحَقَّرٌ صَغِيرُ

- | | |
|------------------------|---|
| (١) التبيان (١ : ٣٨٠). | (٢) ديوانه (١ : ٣٨٠). |
| (٣) ديوانه (٤ : ٢٥٣). | (٤) ذيل الأمالي ص ٩، وفيات الأعيان (٢ : ١٤٧). |
| (٥) ديوانه (٢ : ١٣٠). | (٦) المفضليات (١ : ١٩٦). |
| (٧) ديوانه (٤٠ : ٢٢٣). | |
| (٨) صدر بيت عجزه : | ألقى الكمي ويلقاني إذا حانا |
| (٩) التبيان (٤ : ٦٥). | |

تَتَنَاسَاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ فِي الْعَالَمِ مَشْهُورٌ كَثِيرُ
 قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ - وَأَحْسَنُ وَتَنَاهَى فِي الْإِحْسَانِ ^(١) :
 تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اغْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا



ذُو الْإِضْجَعِ الْعُدَوَانِي - وَهُوَ كَثِيرُ ^(٢) :
 أَطَافَ بِنَا رَبُّبُ الزَّمَانِ فِدَاسِنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بِصِيرُ
 الْبَحْتَرِيِّ ^(٣) :
 أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَابِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ السُّوَاغِلِ وَالْفُضُولِ
 أَبُو الطَّيِّبِ ^(٤) :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَذَا الزَّمَنِ ^(٥)

ومثل هذا قوله ^(٦) :

أَعْيَذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُتَّهِمُ
 وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ ^(٧) :
 إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيُسَلِّمُ النَّاسَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ ^(٨)
 قَالَمَاءَ لَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَطْلَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمُرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ ^(٩)
 وَهُوَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ : «أَعْظَمُ النَّاسِ بَلَاءُ الْأَمْثَلِ فَلَا مَثَلَ» .



مُزَاحِمِ الْعَقِيلِي ^(١٠) :

وَجُودَ لَوْ أَنَّ الْمُدْلَجِينَ اغْتَشَوْا بِهَا قَطَعْنَ ^(١١) الدَّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي
 أَشْجَعُ ^(١٢) :
 مَلِكُ بَثُورٍ جَبِينِهِ يَسْرِي وَبَخْرُ اللَّيْلِ طَامِ

(٢) التبيان (٤ : ٦٥) .

(١) ديوانه (٤ : ٦٥) .

(٤) ديوانه (٤ : ١٩٩) .

(٣) ديوانه (٢ : ١٦١) .

(٥) صدر بيت ؛ بقيته :

يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفُطَنِ

(٧) ديوانه ص ٣٨٨ .

(٦) ديوانه (٤ : ٦٩) .

(٨) ينتحل : ينسب نفسه ، والعطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٩) الآجن والأسن : المتغير .

(١٠) التبيان (٢ : ٣٤٤) .

(١٢) التبيان (٢ : ٣٤٤) .

(١١) رواية العكبري : «صدعن» .

أبو الطيب^(١):

فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورٌ وَجْهَكَ جُثِّحُهُ وَلَا جَابِهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْإِيَانُ^(٢)



المرار بن سعيد، وقد وصف فلاةً ودليلها، وهو كثير عن العرب. وهذا من مליح ما جاء فيه:

يَسْرِي الدَّلِيلُ بِهَا خِيفَةً وَمَا بِكَابَّتَهُ مِنْ خَفَاءٍ
إِذَا هُوَ أَنْكَرَ أَسْمَاءَهَا وَعَيَّ وَحُقُّ لَهُ بِالْعِيَاءِ
لَهُ نَظَرَتَانِ فَمَرْفُوعَةٌ وَأُخْرَى تَأْمَلُ مَا فِي السُّقَاءِ
وَالثَّلَاثَةُ بَعْدَ طُولِ الصَّمَاتِ إِلَيَّ وَفِي حَلْقِهِ كَالْبُكَاءِ
هَذَبَةٌ^(٣):

يَطْلُ بِهَا الْهَادِي يَقْلُبُ طَرْفَهُ مِنْ الْهَوْلِ يَدْعُو وَيُلْهُهُ وَهُوَ خَائِفٌ
آخِرُ^(٤):

إِذَا اجْتَازَهَا الْخَرِيْتُ قَالَ لِنَفْسِهِ أَتَاكَ بِرَجْلِي حَائِنٌ كُلُّ حَائِنٍ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

يَتَلَوُّنُ الْخَرِيْتُ مِنْ خَوْفِ الثَّوَى فِيهَا كَمَا تَتَلَوُّنُ الْجِرْبَاءِ^(٦)
ومليح في قوله^(٧):

كَمْ مَهْمَةٍ قُدْفِ قَلْبِ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَائِي بَعْدَمَا مَطَّلَا
ومن هذا المعنى قول دِغِيل:

إِذَا أَقْحِمَ الرُّكْبَانُ فِيهَا تَبَتَّلُوا فَمَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبِهِ وَمُسَبِّحُ



عبد الرحمن بن ذَاوَةَ وهو كثير عن العرب^(٨):

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَقْتُلُوا بِأَخِيكُمْ فَكُونُوا بَغَايَا لِلْخُلُوقِ وَلِلْكَحْلِ

(١) ديوانه (٢: ٣٤٤).

(٢) جنح الليل: طائفة منه. وجاب: قطع. والإيانق: جمع ناقة. يقول: لولا نور وجهك لما زال جنح الظلام، ولا قطعنا الأرض البعيدة لولا الإيانق.

(٣) التبيان (١: ١٧)، ونسبه إلى الطرماع.

(٤) ديوانه (١: ١٧).

(٥) الخريت: الدليل. والثوى: الهلاك. والحرباء: دابة تدور مع الشمس كيفما دارت.

(٦) ديوانه (٣: ١٧٠).

(٨) الأغاني (٢١: ٥٦، طبعة الساسي).

وبيعوا الرَّذِينِيَّاتِ بِالْحُلِيِّ واقعدوا
على الذَّلِّ وابتاعوا المغازلَ بالشُّبُلِ
أبو الطَّيِّبِ^(١):

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدِّنْ الحُسَّامَ اليمانيَا
وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرَّمَاحَ لِعَارَةِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ العِتَاقَ المَذَاكِيَا^(٢)



أبو تمام^(٣):

كَمْ نِعْمَةٌ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَأَنَّهُا فِي عُزْبَةٍ وَإِسَارٍ
آخر^(٤):

لَا يَلِيقُ الْغِنَى بِوَجْهِ أَبِي يَغْفَرٍ لَى وَلَا تُورُ بِهَجَةِ الْإِسْلَامِ
أبو الطَّيِّبِ^(٥):

وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ قَدْزُ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ



أبو جُويرية العبدي:

وبدأة مجيد لم تُكُنْ فافتَرَعْتُهَا إِلَى كُلِّ أَفْقٍ تَحْتَوِيهَا الْقَصَائِدُ
البحثري^(٦):

وغرائب في المجد^(٧) تعلم أنها من شاعرٍ أو عالمٍ أو كاتبٍ
وهو من قول أبي تمام^(٨):

وأرى سماحك يا بن وهب شاعراً يلقى المديح من الندى بنقائص
أبو الطَّيِّبِ^(٩):

شَاعِرُ الْمَجْدِ خِذْنُهُ شَاعِرُ اللَّفِّ عَظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدُّقَاقِ
ومثل هذا المعنى بعينه قول أبي تمام^(١٠):

عَرُبْتُ خَلَائِقَهُ وَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبٍ^(١١)

(١) ديوانه (٤ : ٢٨٢).

(٢) العتاق: الأفراس الكريمة؛ والمذاكي: الخيل التي قد تمت أسنانها.

(٣) التبيان (٢ : ٣٧٠).

(٤) التبيان (٢ : ٣٧٠)، ونسبه للبطري.

(٥) ديوانه (٢ : ٣٧٠).

(٦) ديوانه (١ : ٦٧).

(٧) في ديوانه: «في الجود».

(٨) لم نجد هذا البيت في ديوان أبي تمام الذي بين أيدينا.

(٩) ديوانه (٢ : ٣٧١).

(١٠) ديوانه ص ١٥.

(١١) يقول: إن طبائعه غريبة عن طبائع الناس؛ فهي أرفع منها. وأغرب: أتى بالغريب الذي يتعالى عن غيره من الشعراء.

وقد كرره أبو الطيب وخالف بين أمثله فقال^(١) :
 تَرْفَعُ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قُدْرَهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(٢)
 وقال^(٣) :
 بُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَسَائِبُهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ يُخْلَقُ النَّسَمُ^(٤)
 فزاد في البيتين معاً وقال^(٥) :
 يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا نَأْيِي وَتَبْتَدِئُ



بعض المحدثين^(٦) :
 شَخَّصَ الْأَتَامُ إِلَى جَمَالِكَ فَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ أَغْيُنِهِمْ بِعَيْبِ وَاحِدٍ
 مثله^(٧) :
 قَدْ قُلْتُ حِينَ تَكَامَلْتُ وَعَدْتُ أَفْعَالُهُ زَيْنًا مِنَ الزُّنَنِ
 مَا كَانَ أَخْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبِ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
 أبو الطيب^(٨) :
 كَأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جِدَّ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ
 ومثله^(٩) :
 فَقُلْ لَهُ^(١٠) لَسْتُ خَيْرَ مَا نَشَرْتُ وَإِنَّمَا عَوِّذْتُ بِكَ الْكَرَمَا
 خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ تُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُعَانِ عَمَى



ذو الرِّمَّةِ^(١١) :
 رَجِيعَةٌ^(١٢) أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى يُسْرَى الدَّرَاعَيْنِ مُطْرِقُ

- (١) ديوانه (٤ : ٢٨٨).
 (٢) العون: جمع عون؛ وهي خلاف البكر. والعذارى: جمع عذراء؛ وهي البكر التي لم يمسهها بعل. يقول: إن قدره جليل فلا يفعل شيئاً إلا ابتكاراً.
 (٣) ديوانه (٤ : ٦٣).
 (٤) النسَم: جمع نسمة؛ وهي الروح.
 (٥) ديوانه (٢ : ٢٣١).
 (٦) التبيان (١ : ٥٢).
 (٧) التبيان (١ : ٥٢)، وذكر الثعالبي البيت الثاني في فقه اللغة ص ٧، ونسبه إلى كشاجم.
 (٨) ديوانه (١ : ٥٢).
 (٩) ديوانه (٤ : ١٦٥).
 (١٠) التضمير في له يرجع إلى البيت قبله:
 فليسيرنا الورد إن شكنا بسده أحسن منه من جوده سلما
 (١١) لسان العرب مادة - رجع.
 (١٢) الرجيع من الدواب: ما رجعه من سفر إلى سفر؛ وهو الكأل، والأنثى رجيعاً.

أبو الطيب^(١):

تُجَادِبُ فَرْسَانَ الصُّبَّاحِ أَعِنَّةٌ كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَقَاعِيَا^(٢)
وفي هذا البيت معنى يُخرجه عن اتباع البيت الأول، لأن ذا الرُّمَّة لم يَزِدْ على التشبيه وليس هو الذي قصده أبو الطيب، وإن كان قد جرى في غرض بيته، وإنما أراد أنها لا تترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها، لما يزعجها من سَوْرَةِ المَرَح، وحسن البقية بعد طول السُّرى؛ فكأنما الأعنة أفاعي تلدغ أعناقها إذا باشرتها، فيجاذبها الفارس فرسه وهي تجاذبه إياها. وهذا غرض آخر ومقصد لم يتعرض له ذو الرُّمَّة.



بكر بن النُّطَّاح^(٣):

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
أبو الطيب^(٤):

فَكَأَنَّهُ وَالطُّغْنُ مِنْ قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَمَا



بَكْر [بن النُّطَّاح]^(٥):

كَأَنَّ الْمَنَائِيَّاءَ لَيْسَ يَجْرِيْنَ فِي الرَّغَى إِذَا انْتَقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
أبو الطيب^(٦):

تَغْدُو الْمَنَائِيَّاءُ فَمَا تَنْفُكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ



أبو نواس^(٧):

وَقَدْ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَا عَلَى خَدَّهَا حُمْرٌ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرٌ
أبو الطيب^(٨):

تَبْلُ الشَّرَى سُوداً مِنَ الْمِسْكِ وَخَدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعْرِ الْجَثِلِ^(٩)



(١) ديوانه (٤: ٢٨٦).

(٢) فرسان الصباح: فرسان الغارة التي تغير عند الصباح؛ لأن الغارة عادة تكون في ذلك الوقت. والأفاعي: جمع أفعى؛ وهو الذكر من الحيات.

(٣) التبيان (٤: ١٩٩).

(٤) ديوانه (٤: ١٩٩).

(٥) التبيان (١: ٢٧٣).

(٦) ديوانه ص ٢٢٩.

(٧) التبيان (٣: ٤٤).

(٨) ديوانه (٣: ٤٤).

(٩) الجثل: الشعر الكثير الملتف.

أبو تمام^(١):

فَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَغَرَبَ حَتَّى قَدْ نَسِيتَ الْمَغَارِبَا

أبو الطيب^(٢):

فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَغَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبٌ



البحري^(٣):

لَمَّا أَتَاكَ يَفُودُ جَنِشَا أَرْعَنَا يَمْشِي عَلَيْهِ كَثَافَةٌ وَجُمُوعَا

فنقله أبو الطيب إلى كثافة الرهج^(٤) فقال^(٥):

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرَا لَوْ تَبَتَّغِي عَنَّا عَلَيْهِ لَأَمَكْنَا^(٦)

وقال ابن الرومي مثل هذا^(٧):

فَلَوْ حَصَبَتْهُمْ بِالْفَضَاءِ سَحَابَةٌ لَظَلَّ عَلَيْهِمْ حَضْبُهَا يَتَدَخَّرُ

وتبعه أبو الطيب فقال^(٨):

يَنْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسْلُ^(٩)



مسلم^(١٠):

فِي عَسْكَرٍ تَشْرُقُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ

أبو الطيب^(١١):

وَكَأَنَّمَا كُسِّيَ النَّهَارُ بِهِ دُجَى لَيْلٍ وَأُطْلَعَتِ الرُّمَاحُ كَوَاكِبَا

وقد نقله إلى مثال آخر فقال^(١٢):

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسْنَتْهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

وقد ذكرنا أصله فيما تقدم.

(١) ديوانه ص ١٧.

(٢) ديوانه (١ : ١٨٧).

(٣) ديوانه (٢ : ٨٥).

(٤) الرهج : الغبار.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٠٤).

(٦) الستابك : جمع سنبك ؛ وهو طرف مقدم الحافر ، والعثير : الغبار . والعنق : ضرب من السير شديد.

(٧) ديوانه ص ٢٨٨ ، ورواه في التبيان (٣ : ٢١٥) :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تتدحرج

(٨) ديوانه (٣ : ٢١٥).

(٩) الأسل : رماح تصنع من شجر الأسل.

(١٠) ديوانه ص ٧١.

(١١) ديوانه (١ : ١٢٨).

(١٢) ديوانه (١ : ١٠٧).

الحصين بن الحمام^(١):

يَطْأَنَّ مِنَ الْقَتْلَى وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَجَشُّمًا^(٢)
أبو الطيب^(٣):

يَطْأَنَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَتْهُ وَمِنْ قِصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقْوَمُ^(٤)
وقد أخذ الشعراء هذا المعنى فتداولوه، ومنه قول أبي تمام:

خَوَافِرُهَا مَخْضُوبَةٌ بِدِمَائِهِ وَمِنْ غُنْمِهَا تَيْجَانُهُ وَخَلَاخِلُهُ
ونحو هذا البيت قول أبي الطيب^(٥):

أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ^(٦)
وكرر المعنى فقال^(٧):

عَزَوْتُ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتُ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَعَانِيَا
ثم أعاد وزاد وأحسن فقال^(٨):

حَتَّى انْتَهَى الْفَرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَعَتْ فِي الْأَرْضِ مِنْ جَيْفِ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ



البحثري^(٩):

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرُّجَالِ تَفَاوَتْ لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدِ
أبو الطيب^(١٠):

لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا وَبِالنَّوْزَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ



البحثري^(١١):

وَأَنْ مَقَامِي حَيْثُ خَيَّمْتُ مِخْنَةً تُخَبِّرُ عَنْ فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ^(١٢)

(١) المفضليات (١: ٦٤).

(٢) قصد القنا: القطع المتكسرة من الرماح. والخبار: الأرض اللينة، والتجشم: حمل النفس على المشقة وما تكره.

(٣) ديوانه (٣: ٣٥٣).

(٤) المران: الرماح.

(٥) ديوانه (٣: ١٣٧).

(٦) الملاغم ما حول الفم. يقول: إن أجلة خيله ثياب من طغى عليه وخالفه، وموطئها من كل من بغى عليه وجهه.

(٧) ديوانه (٤: ٢٩٣).

(٨) ديوانه (١: ١٢١).

(٩) ديوانه (١: ٣٥٠)، وروايته هناك:

لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا رَجَحْتُ بِهَا

(١٢) في ديوانه: «الأماجد».

(١١) ديوانه (١: ١٣٦).

أبو الطيب^(١) :

أَنَا الَّذِي بَيَّنَّ الْإِلَهُ لَهُ السَّـ أَفْذَارَ وَالْمَرْءَ حَيْثُمَا جَعَلَهُ



البحثري وهو كثير^(٢) :

صَحَا وَاهْتَزَّ لِلْمَغْرُو فِي حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

أبو الطيب^(٣) :

وَجَادَ قَلْبُهَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَزَمِ



عُمَيْرُ بْنُ جُعَيْلٍ :

يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ التَّرَابِ قَمِيءِ صَيْنِ أَشْمَالاً وَيَزْتَدِيَانِ

عَدِيَّ بْنِ الرُّقَاعِ^(٤) :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاءَةً هَذُبَاءَ سَابِغَةً هُمَا نَسَجَاهَا

أبو الطيب^(٥) :

خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّفْثُ عَ عَلَيْهَا بَرَاقِعاً وَجَلَالاً^(٦)



البحثري في السيف :

مُضْغٌ إِلَى حَكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفَتْ وَإِذَا قُضِيَ لَمْ يَغْدِلْ

أبو الطيب ومثله كثير^(٧) :

لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهَنْ يَجُزْنَ فِي الْأَحْكَامِ



أعشى باهلة^(٨) :

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهَ وَمُضْبِحَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ

خُزْرُ بْنُ لُؤْذَانَ :

وَدَعَوْتُ جَيْشاً بِالشُّغُورِ مُحَلِّهِمْ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ آبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ

(٢) ديوانه (٢ : ٢٧٣).

(٤) التبيان (٣ : ١٣٥).

(١) ديوانه (٣ : ٢٦٨).

(٣) ديوانه (٤ : ٥٦).

(٥) ديوانه (٣ : ١٣٥).

(٦) الجلال : جمع جل ؛ وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج.

(٨) الكامل للمبرد (٨ : ١١٢).

(٧) ديوانه (٤ : ١٢).

ومثله قول الفرزدق:

لقوا مثلهم فاستهزموه بدعوة دعوها وكيعاً والجياد بهم تجري
يقول: إذا انتموا فِرْقَ القوم منهم فأنهزموا.

وقد أكثر الناس في الرعب، وتصرفوا. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالرعب». قال أشجع:

كَأَنَّ عَلَيْهَا مِنْ مَخَافَةِ جَعْفَرٍ كَتَائِبُهُ مَبْثُوثَةٌ وَجَحَافِلُهُ
العكوك:

عَدَا مَجْتَمِعِ الْعِزْمِ لَهُ جُنْدٌ مِنَ الرُّغَبِ
أبو تمام^(١):

إِلَّا تَكُنْ حُصِرْتَ فَقَدْ أَضْحَى لَهَا مِنْ خَوْفِ قَارِعَةٍ^(٢) الْحِصَارُ حِصَارٌ
وله^(٣):

لَوْ لَمْ يُزَاجِفْهُمْ لَزَاحَفَهُمْ لَهُ مَا فِي صَدْرِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ
أبو الطيب^(٤):

إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهُلُوعَا
وله^(٥):

بَعَثُوا الرُّغَبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِي فَكَأَنَّ الْقِتَالَ قَبْلَ الثَّلَاقِ
وله^(٦):

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاضْطَنَعَتْ لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَضْنَعُ الْبُهْمُ^(٧)
وله^(٨):

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرُّمَاحَ خَيَالًا^(٩)
وله^(١٠):

فَهُمْ لَا تُقَاتِيهِ الدَّهْرُ فِي يَوْمٍ مِيزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمٌ يَزَالُ^(١١)
وله^(١٢):

صِيَامٌ^(١٣) بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو

(١) ديوانه ص ١٤٥.

(٢) القارعة: الداهية.

(٣) ديوانه ص ٢٦.

(٤) ديوانه (٢: ٢٥٧).

(٥) ديوانه (٢: ٣٦٦).

(٦) ديوانه (٣: ٣٦٥).

(٧) البهم: جمع بهمة وهو البطل.

(٨) ديوانه (٣: ١٤١).

(٩) الدراك: التابع.

(١٠) ديوانه (٣: ١٩٨).

(١١) النزال: المحاربة.

(١٢) ديوانه (٢: ٧).

(١٣) يقال: صام الفرس إذا قام.

وله^(١):

تُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَا لَهُ بِأَقَاصِي الْبَرِّ إِهْمَالُ



عمرو بن الأهتم:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخَيِّبْكَ إِلَّا تَكَرُّهَا يَدُلُّكَ مِنْ أَخْلَاقِهِ مَا يَغَالِبُ وَأَصْلُهُ قَوْلُ زَهِيرٍ^(٢):

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى أَكَّانَ سَخَاءٌ مَا أَتَى أَمْ تَسَاجِيَا أَبُو تَمَامٍ:

مَفَازَةٌ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقَ لَمْ يَكُنْ لَيْسَلُكُهَا فَرْدَا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ وَلَهُ^(٤):

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْسَعِهِ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ الْبَحْثَرِيِّ^(٥):

كَرِيمٌ إِذَا ضَاقَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ يَضِلُّ الْفَضَاءَ الرَّحْبُ فِي صَدْرِهِ الرَّحْبُ وَلَهُ:

لَيْسَ الَّذِي ضَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهَا الدَّ هُنَاءٌ لَا بَلْ صَدْرُكَ الدَّهْنُ أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

شَيْمٌ اللَّيَالِي أَنْ تُشْكِكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَقْضَى أَمْ الْبَيْدَاءُ وَلَهُ^(٧):

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ^(٨) وَلَهُ - وَقَدْ أَسَاءَ^(٩):

وَأَنْتَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ^(١٠) فَيَكْمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ

(١) ديوانه (٣: ٢٨٠).

(٢) ديوانه (٤: ٢٨٤).

(٣) التبيان (١: ١٦).

(٤) ديوانه (١: ٥٣)، وروايته هناك:

(٥) ديوانه (١: ١٦).

(٦) ديوانه (٢: ١٢٠).

(٧) يقول: صدره واسع كأنه لسعته فوق سعة الدنيا.

(٨) ديوانه (٢: ٢٤٧).

(٩) (١٠) وصدرك: مرفوع على الاستئناف؛ أي صدرك في الثوب وفي جسدك مع أنه أوسع من =

وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ^(١)



أبو تمام^(٢):
لَمَّا نَطَقْتُ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِي حَقٌّ فَلَمْ أَتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوِّبِ^(٣)
وَلَوْ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى تَضِقُّ عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ
أبو الطيب^(٤):

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحَكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ^(٥)



أبو تمام^(٦):
وَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا لَشُعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا
أبو الطيب^(٧):

إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِزِّهِ لَهُ حُلَا وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلَا



مطرز بن سبغ^(٨):
فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوَثْرِهِمْ وَلَا فَاتَنَّا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتَرِ
الطَّرْمَاحِ^(٩):

إِنْ نَأْخُذَ النَّاسَ لَا تُذَرِّكَ أَخِيذُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَعَدَّى الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ
وهو كثير في شعر العرب؛ نقله أبو الطيب إلى الدهر فقال^(١٠):

تُفِيئُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ وَهَنْ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ عَوَارِمُ^(١١)



= وجه الأرض. قال العكبري: ومثله قول ابن الرومي:

كَضَمِيرِ الْفُقُودِ يَتَهَمُ الدَّنْ يَا وَتَحْوِيهِ دَفْتَا حَيَزُومِ
وقول ابن المعتصم:

يَا وَاسِعَ الْمَعْرُوفِ عَلَى وَسْعِ الثَّرَى فِي الْأَرْضِ صَدْرُكَ وَهُوَ مِنْهَا أَوْسَعُ

(١) يقول: قلبك قد أحاطت به الدنيا، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه.

(٢) ديوانه ص ١٥. (٣) لم أتجرب: لم أتجنب الذنب.

(٤) ديوانه (١: ٢٠٠). (٥) الكذاب: الكذب؛ وهو مصدر.

(٦) ديوانه ص ٧١. (٧) ديوانه (٣: ٤٠).

(٨) التبيان (٣: ٣٨٢). (٩) التبيان (٣: ٣٨٢).

(١٠) ديوانه (٣: ٣٨٢). (١١) تفيت: تفعل من الفتوت. والغوارم: جمع غارمة.

أبو تمام^(١):

قَفَا سِنْدِبَايَا وَالْمَنَايَا مُشِيحَةً تُهْدَى إِلَى رُوحِ الْكَمِيِّ فَتَهْتَدِي^(٢)
أبو الطيب^(٣):

هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجَبِوشِ كَأَنَّهَا تَخَيَّرُ أَزْوَاجَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي^(٤)
وهذا المعنى هو الذي سبقت إليه العرب، فقال عبد يغوث بن صلاء^(٥):
ولكنني أحمي ذمار أبيكم^(٦) وكان الرماح يختطفن المحاميا
فقالت امرأة من العرب:

وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاكَ الرَّمَحُ يَكْفِفُ بِالْكَرِيمِ



أشجع:

فما وجه يَخْيَى وحده غاب عنهم ولكنَّ يَخْيَى غاب بالخير أجمعا
أبو الطيب^(٧):

غاب الأمير فغاب الخيرُ عن بلدٍ كادت لِفَقْدِ اسمِهِ تبكي منابرُهُ
فأما بكاء المنابر فمن قوله:

بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَاةٍ شَجَوَهَا فاليومَ من قَيْسٍ تَضِجُ وَتَجْزَعُ
وقد قال موسى شهوات^(٨):

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكَى الْمَنَابِرُ فَقَدْ فَارِسَهُنَّ
ونحوه قول أبي الطيب^(٩):

وَأَصْبَحَ مُضَرًّا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ ولو أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمِ بَكَى



أشجع^(١٠):

شَدَّ الْخِطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يُخْطَمِ

(١) ديوانه ص ١٠١، التبيان (٢: ٣٠٩). (٢) قفا: تتبع. ومشيحة: مجدة.

(٣) ديوانه (٢: ٣٠٩). (٤) الكمأة: جمع كمي، والأملك: جمع ملك.

(٥) خزائن الأدب (١: ٣٧٤)، أيام العرب ص ١٣٠.

(٦) الذمار: ما يجب على الرجل حفظه.

(٧) ديوانه (٢: ١١٨).

(٨) التبيان (٢: ١٨٨).

(٩) ديوانه (٣: ٣٨٢).

(١٠) مهذب الأغاني (٨: ٢٢٣).

أبو الطيب^(١):

وقد عاينوه في سواهم ورُبَّما أَرَى مَارِقاً^(٢) في الحَرْبِ مَضْرَعٌ مَارِقٌ
ونحوه له^(٣):

فَهُمْ جِرْقٌ^(٤) على الخَابُورِ صَرَعَى بِهِمْ مِنْ شُرْبٍ غَيْرِهِمْ خُمَارُ
ونحوه له^(٥):

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا



أشجع:

وَتَنَالُ مِنْكَ بِحَدِّ مُقْلَلِيهَا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ النُّصَلِ
وهو كثير مشهور:

أبو الطيب^(٦):

نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيُّ وَرُبَّما تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّغْدَةُ السَّمْرَاءُ^(٧)



أشجع^(٨):

يَسْبِقُ الرُّغْدَ بِالنُّوَالِ كَمَا يَسُفُ يَبْقُ بَرْقُ الْغُيُوثِ صَوْبُ الْعَمَامِ
أبو الطيب^(٩):

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفُّهُ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَارُ وَغَدٍ وَلَا مَطْلُ
ونحوه له^(١٠):

لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعْدِ وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعْدِ
ونحوه له^(١١):

وَاجَزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نُغْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُغْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
وقد سبقه إلى هذا اللفظ يزيد المهلب في قوله^(١٢):

-
- (١) ديوانه (٢: ٢٣٠).
(٢) المارق: الذي يمرق من الطاعة.
(٣) ديوانه (٢: ١٠٩).
(٤) الحزق: الجماعات.
(٥) ديوانه (٣: ٢٤٣).
(٦) ديوانه (١: ١٥).
(٧) السابري: الدرع العظيم التي لا يتفدها شيء. والصعدة: الفتاة. يقول: إن عينك نفذت إلى قلبي فجرحتني؛ وربما كان الرمح يندق دون الوصول إليه.
(٨) التبيان (٣: ١٨٨).
(٩) ديوانه (٣: ١٨٨).
(١٠) ديوانه (١: ٣٤٣).
(١١) التبيان (٣: ٢٧٧).
(١٢) التبيان (٣: ٢٧٧).

وَكَمْ لَكَ نَائِلًا لَمْ أَخْتَسِبْهُ كَمَا يُلْقَى مُفَاجَأَةً حَبِيبُ



أشجع^(١) :

يُغْطِي زِمَامَ الطُّورِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ
أبو تمام^(٢) :

جَلِيدٌ عَلَى عَثَبِ الْخُطُوبِ إِذَا عَرَتْ وَلَيْسَ عَلَى عَثَبِ الْأَخْلَاءِ بِالْجَلْدِ
أبو الطيب^(٣) :

إِنِّي لِأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أَحَبَّتِي وَتُحَسُّ نَفْسِي بِالْحَمَامِ فَأَشْجُعُ
ويزيدني غضبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُلِمُّ بِي عَثَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ



الخريمي ، وقد تقدمه فيه جماعة من الشعراء^(٤) :

إِذَا أَتَيْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِحَادِثٍ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ
البحري^(٥) :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يُرَى فِي فِعَالِهِ حَسَبُهُ
أبو الطيب^(٦) :

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَسِيبِ كَأَضْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي كِرَامَ الْمَنَاصِبِ
ومثله كثير ؛ وله أمثلة ؛ ومن قديم ما جاء فيه [قول] المتوكل الليثي :

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الْأَخْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ومثل هذا قول أبي الطيب^(٧) :

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِأَنْ أَعْزَى إِلَيَّ جَدُّهُمَا
وقريب منهم قول بعضهم :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبٍ
وقول الآخر :

لَئِنْ فَخَرْتَ بَابَاءَ لَهُمْ شَرَفٌ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بئسَ مَا وَلَدُوا

(١) التبيان (٢ : ٢٦٩) .

(٢) ديوانه ص ١٢٨ .

(٣) ديوانه (٢ : ٢٦٩) .

(٤) التبيان (١ : ١٥٥) .

(٥) ديوانه (١ : ٣٣) .

(٦) ديوانه (٣ : ١٥٥) .

(٧) ديوانه (٤ : ١٤٥) .

أبو الطيب^(١) :

أَرَى الْأَجْدَادَ يَغْلِبُهَا كَثِيرٌ عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ



الخُرَيْمِي^(٢) :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُنِيهَا بِأَدْيَا وَيُعِيدُهَا

أبو الطيب^(٣) :

مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَا تَهُمُ يُسَدِّدِي إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسَدِّدُوا

فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانٍ : شُكْرٌ عَلَى النَّدَى وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ

وله^(٤) :

إِذَا سَأَلُوا شَكَرَتُهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالَ



علي بن جبلة - وقد جاء مثله في شعر العرب :

وَمَا يَشْفِي صُدَاعَ الرَّأْسِ مِثْلُ الصَّارِمِ الْعَضْبِ

أبو الطيب^(٥) :

إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغِيرٍ سَقَاهُ أَسِنَّةَ الْأَسَلِ الطُّوَالِ



علي بن جبلة^(٦) :

بِهِ عَلِمَ الْإِعْطَاءُ كُلُّ مُبْخَلٍ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرُّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ

أبو الطيب^(٧) :

فِيَا أَجْبَنَ الْفُرْسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِي وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارْقُهُ تَفَرَّقِ

وله^(٨) :

أَضْرَتْ^(٩) شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كِتَابِيهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَزْهُوبِ



(١) ديوانه (٤ : ١٤٤).

(٢) التبيان (٢ : ٧).

(٣) ديوانه (٢ : ٧).

(٤) ديوانه (٣ : ٢٣٠).

(٥) ديوانه (٣ : ١٦).

(٦) التبيان (٣ : ٢١٥).

(٧) ديوانه (١ : ٢١٥).

(٨) ديوانه (١ : ١٧٢).

(٩) أضرت : جرات.

علي بن جبلة^(١):

فَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَا فَتَجَزَأَتْ لَكَائَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ وَالْأَذْنَانِ
أَبُو الطَّيِّبِ - وَقَدْ زَادَ وَأَحْسَنَ^(٢):
الْجُودُ عَيْنٌ وَفِيكَ نَاطِرُهَا وَالْبَاسُ بَاغٌ وَأَنْتَ يُمْنَاءُ



علي بن جبلة^(٣):

كَأَنَّهُمْ وَالرَّمَاخُ شَابِكَةٌ أَسَدٌ عَلَيْهَا أَظْلَلَتْ الْأَجْمُ
أَبُو تَمَامٍ^(٤):
أَسَادُ غِبِلٍ مُخْدَرَاتٍ^(٥) مَا لَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْفَنَاءُ آجَامُ
وَلَهُ^(٦):
أَسَدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الرُّوْعُ صَبَحَهَا أَوْ صَبَحَتْهُ وَلَكِنْ غَابُهَا الْأَسَلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):
بَنُو الْعَفْرَنِيِّ مَحْطَةُ الْأَسَدِ الـ أَسَدٌ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجْمُ^(٨)



ابن جبلة:

وما سَوَدَّتْ عَجَلًا مَائِرُ عَزِيمِهِمْ وَلَكِنْ بِهِمْ سَادَتْ عَلَى غَيْرِهَا عَجَلُ
وهذا معنى سوء يقصر بالمدح، ويغض من حسبه، ويحقر من شأن سلفه،
وإنما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يشرف بأبائه، والآباء تزداد شرفاً به، فيجعل
لكل منهم في الفخر حظاً، وفي المدح نصيباً؛ فإذا حصلت الحقائق كان النصيبان
مقسومين عليهم؛ بل كان لكل فريق منهم، لأن شرف الوالد جزء من ميراثه، ومنقل
إلى ولده كانتقال ماله؛ فإن رُوعي وخُرس ثبت وازداد، وإن أهمل وأضيع هلك وباد،

(١) التبيان (٤ : ٢٦٤).

(٢) ديوانه (٤ : ٢٦٤).

(٣) التبيان (٤ : ٦٤).

(٤) ديوانه ص ٣٨١.

(٥) مخدرات: داخلات الخدر؛ وهو بيت الأسد.

(٦) التبيان (٤ : ٦٤).

(٧) ديوانه (٤ : ٦٣).

(٨) بنو العفرني: مبتدأ خبره الأسد، والعفرني: من صفات الأسد؛ ومعناه الشديد. ومحطة: اسم
جد الممدوح في القصيدة، وهو علي بن إبراهيم التنوخي، والأسد: نعت لمحطة باعتبار ما فيه
من معنى الشجاعة. والأجم: الغاب. يقول: إن بني محطة الذي هو أسد أسود مثله؛ ولكن
غاباتهم الرماح لا الشجر كمادة الأسود.

وكذلك شرف الولد يعمّ القبيلة، وللوالد منه القسّم الأوفر، ولو اقتصر على قوله: «بهم سادت على غيرها عجل» لوجد العذر إليه مسلكتاً، ولأمكن أن يقال: إن عجلًا تسود بهم وبأفعالها أيضاً فقد تسود القبيلة، وقد يجتمع للإنسان وجوه من الشرف كلها تقدّمه وتشيّد مجده وتُسوّده، فكأنهم مفاخر عجل التي تسود بها؛ لكنّه وعَرّ هذه الطريقة بقوله: «وما سوّدت عجلًا مآثر عزمهم» فجعل الرجل خارجيًا بائنًا، لا حظّ له في حسب آبائه وشرفهم. وإنما الجيد ما قال زهير^(١):

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَنُوهُ فَإِنَّمَا تَسَوَّرْتُهُ أَبَاءَ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وقد تجاوز هذا، فجعل الأبّ أولى بالشرف فقال^(٢):

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَتَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوْقَا^(٣)

هو الجوادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا عَلَى تَكَالَيْفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقًّا^(٤)

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا^(٥)

وجرى أبو الطيب على منهاج ابن جبلة فقال^(٦):

مَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرَّفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي

فختم القول بأنه لا شرف له بآبائه. وهذا هَجْوٌ صريح، وقد رأيت من يعتذر به فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفي مناقب سوى الحساب. وباب التأويل واسع، والمقاصد مغنية، وإنما يُستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ. فأما قوله:

وبنفسى فخرت لا بجوددي

فهو صالح؛ لأنه لم يَنْفَ أن يكون له فيهم وبهم رتبة في الفخر، لكنه قال: أكتفي في افتخاري عليكم بنفسي فأفضلكم ولا أفتقر إلى مفاخر جدودي وأتركها وادعة موفورة؛ وقد صرح بهذا في قوله^(٧):

وَأِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَتَفَدُوا حِيلَةَ^(٨)

(١) ديوانه ص ٢٣. (٢) ديوانه ص ٣٩.

(٣) الشاؤ: الغاية. وأراد بالمرأين أبا هرم بن سنان وجده. والمراد بقوله: «نالا الملوك» أنهما نالا بأفعالهما أفعال الملوك. والسوق: أوساط الناس.

(٤) يقول: هو بمنزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه؛ فإن لحق بهما وساوها على ما يتكلف من الشدة فمثلته لحق ذلك لكرمه.

(٥) المهل: التقدم. يقول: إن سبق الممدوح أبواه في الشرف فهو معذور؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جارهما.

(٦) ديوانه (١: ٣٢٢). (٧) ديوانه (٣: ٢٦٧).

(٨) نفرؤه: غلبوه بالفخر. يقول: إنما يذكر الأجداد والآباء للمفاخرين من غلبوه ولم يجد حيلة، فافتخر بالآباء؛ إذ لم يجد لنفسه فضيلة يفتخر بها.

هُذْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ^(١) :

وَإِنِّي لِأَخْلِي لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ
وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ .

أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :

يَرُدُّ يَدَا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَغْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ زَائِدٌ



أَشْجَعُ :

فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتاً وَكَانَتْ بِهِ حَيّاً تَضِيقُ الصُّحَاصِحُ^(٣)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ خَرَى^(٥) أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ



أَبُو عَيْنَةَ^(٦) :

تَطَّيَّبْتُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسَتْ كَأَنَّ فَنَيْتَ الْمِسْكِ فِي دُورِنَا هَبّاً
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

تَنَفَّسُ وَالْعَوَاصِمُ^(٨) مِنْكَ عَشْرٌ فَيُغْرِفُ طِيبُ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ



حَسَّانُ^(٩) :

إِذَا مَا نَضَيْنَا بِأَسْيَافِنَا جَعَلْنَا الْجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا
وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسَ فِيهِ بَعْدَهُ . وَمِنْ مَلِيحِهِ قَوْلُ الْحَمَاسِيِّ^(١٠) :

مَنَابِرُهُنَّ بِطُيُونِ الْأَكْفِ فَوَ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(١١) :

لَعَلِمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دِمَاءً وَأَنَّهُ فِي الرُّقَابِ يُغْمَدُهَا

(١) التبيان (١ : ٢٦٨) . (٢) ديوانه (١ : ٢٦٨) .

(٣) الصحاح : جمع صحصح ؛ وهو ما استوى من الأرض .

(٤) ديوانه (٤ : ١٥٤) . (٥) حرى : الحقيق والخليق والمناسب .

(٦) التبيان (١ : ٤٥) . (٧) ديوانه (١ : ٤٥) .

(٨) العواصم : ثغور معروفة تعصم أهلها بما عليها .

(٩) ديوانه (١ : ٣٠٩) . (١٠) التبيان (١ : ١٠٩) .

(١١) التبيان (١ : ٣٠٩) .

صالح بن عبد القدوس^(١):

عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصِّدِّيقِ الْوَامِسِيِّ الْأَخْمَقِ
أبو الطيب^(٢):

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ



أمية بن أبي الصلت^(٣):

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّانِي حَبَاؤُكَ إِنَّ شِمَمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

أبو بكر الخوارزمي^(٤):

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا رَأَى مُسْلِمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلَتْهُ فَكَأَنَّهُ مَلَزُومٌ

أبو الطيب^(٥):

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ قَطَانَةٌ سَكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابٌ



غزوة بن الورد^(٦):

أُقْسِمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَارَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدٌ
أَلَمْ بِهِ أَبُو الطيب فقال^(٧):

مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعٍ غَيْرِهَا تَغْدَى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ^(٨)



خداش بن زهير^(٩):

وَلَا أَكُونُ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَتَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى صَهْوَةَ الْفَرَسِ
نقله أبو الطيب فزاد وأحسن فقال:

(٢) ديوانه (٤ : ١٣٠).

(٤) التبيان (١ : ١٩٨).

(٦) شعراء النصرانية ص ٨٨٧.

(١) التبيان (٤ : ١٣٠).

(٣) شعراء النصرانية ص ٢٢٠.

(٥) ديوانه (١ : ١٩٨).

(٧) ديوانه (٤ : ١٠٣).

(٨) الضمير في «منافعها» للجدّة المراثية، يعني أنها كانت قليلة المطعم تؤثر بطعامها على نفسها وتجوّع ليتنفع غيرها.

(٩) التبيان (١ : ٩٨).

مَنْ رَكِبَ الثُّورَ بَعْدَ الْجَوَا دَأْسَكَرَ أَطْلَافَهُ وَالْعَيْبُ^(١)



بعضهم:

وَرُخْتُ لَا تَحْمِلْنِي أَعْوَادَ سَرْجِي مُسَرَّجَا
أبو الطيب^(٢):

فُحَّ يَكَاذُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ مِنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعِزِّ أَوْ طَرَبًا^(٣)



علي بن جبلة:

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدِيَا عَطِيَّةً كَافَاتٍ مَذْجِي وَلَمْ تَرْزِي
مَا شِئْتُ بَرَقْتُ حَتَّى نَلْتُ رَيْفَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَذْوَى تَبَادِرُنِي

وهذا من جیده وجید شعر المحدثین، وهو واقع في كل اختيار عرض له أبو الطيب، فقال - وهو معنى متداول^(٤):

تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَأَلْقَى كَيْسَهُ^(٥) قَبْلَ الْوَسَادِ



أبو تمام^(٦):

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهُنَّ مَدَامِيعُ^(٧)
محمد بن أبي زرعة^(٨):

كَأَنَّ صَبِيْنِ بَاتَا طَوْلَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى عُذْرَانِهَا الْمُقْلَا
أبو الطيب^(٩):

وَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَّتْ بِهَا تَبْكِي بَعَيْنِي عُرْوَةَ بَنِي حِزَامِ^(١٠)



(١) الغيب: ما تدلى تحت حنك الثور. قال الخطيب: ذكر الركوب هنا فيه جفاء، ولا تخاطب الملوک بمثل هذا.

(٢) ديوانه (١: ١٢١).

(٣) القح: الخالص من كل شيء. نعت لأشعث في البيت قبله:

بكل أشعث يلقي الموت مبتسماً حتى كأن له في قتله أربا

(٤) ديوانه (١: ٢٥٨). (٥) في الديوان «ماله».

(٦) ديوانه ص ٢٨٧. (٧) الغر: البيض. وترقأ: تجف.

(٨) التبيان (٤: ٧). (٩) ديوانه (٤: ٧).

(١٠) عروة بن حزام: أحد عشاق العرب المشهورين.

أشجع^(١):

إِنْ خُرَّاسَانَ وَإِنْ أَضْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَيْمَةِ الشَّائِنَا
لَمْ يَخْبُ هَارُونَ بِهَا جَعْفَرًا لَكِنَّهُ حَابَى خُرَّاسَانَا
غيره:

وَاللَّهِ مَا فَجَعُوكَ بِالذِّبْيَانِ إِذْ صَرَفُوكَ بَلْ فَجَعُوا بِكَ الذِّبْيَانَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

نُهِئَنِي بِصُورٍ أَمْ نُهَيْئُهَا بِكَأ وَقُلْ لِلَّذِي صُورَ وَأَنْتَ لَهُ لَكَا
وَمَا صَغُرَ الْأَزْدُنَّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبِيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبٍ قَدْرِكََا

بعضهم^(٣):

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلَصْ إِلَيْهِ مِنَ الزُّحَامِ
أَبُو الطَّيِّبِ - وَهُوَ مَنْقُولٌ إِلَى مَعْنَى آخِرِ^(٤):
أَبْنَتُ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الزُّحَامِ^(٥)

عنتره بن الأخرس^(٦):

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرِضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
أَبُو الطَّيِّبِ - وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنْ غَرَضِهِ^(٧):
كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَنِي أَبْصَارِنَا عَنْهُ انْكِسَارُ
زِيَادُ الْعَبْدِي:

صَفَانِ مُخْتَلِفَانِ حِينَ تَلَاقِيَا أَبَا بَوَّجِهِ مَطْلُوقٍ أَوْ نَاكِحِ
مُسْلِم:

إِذَا مَا نَكَحْنَا الْحَرْبَ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَّا جَعَلْنَا الْمَنَايَا وَالْدمَاءَ طَلَاقَهَا
سَلَمُ الْخَاسِر:

يُرْمِي الْعَجَاجَ بِهَا أَعَزَّ مُحْتَجِلٌ جَعَلَ السِّيفَ مَنَاكِحًا وَطَلَاقَا

(١) التبيان (٢: ٣٨١). (٢) ديوانه (٢: ٣٨١).

(٣) التبيان (٤: ١٤٧). (٤) ديوانه (٤: ١٤٧).

(٥) بنت الدهر: الحمى. وبنات الدهر: شدائده.

(٦) سمط اللآلئ ص ٤٥٢. (٧) ديوانه (٢: ١١٠).

أبو الطيب^(١):

يُجَنَّبُهَا مَنْ خَشَفَهُ عَنْهُ عَاقِلٌ وَيَضْلَى بِهَا مَنْ نَفَسَهُ مِنْهُ طَالِقٌ
وهذه الأبيات مختلفة المعاني، وبيت أبي الطيب بمعزل عنها؛ وإنما استعار منها
لفظة الطلاق فقط.



مسلم^(٢):

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثَاقٌ يُخَلِّدُنَا إِلَى الْمَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكِبَرِ
أَلَمْ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٣):
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كَمَ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ ثُلْثِيهَا انْتَظَارَكَ فَأَعْلَمِ



أبو تمام^(٤):

تَوَى مَالُهُ نَهَبَ الْمَعَالِي وَأَوْجَبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِباً
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):
وَيَدُّ كَأَن تَوَالَهَا وَقَالَهَا فَرَضَ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّغٌ



حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ^(٦):

وَهُمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ وَهُمْ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):
وَهُمُّهَا فِي الْعُلَا وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ وَهُمْ أَتْرَابُهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ



ابن الرومي^(٨):

وَمَا الشُّكْرُ إِلَّا تَوَامُّ الْحَقْدِ فِي الْفَتَى وَبَغْضُ السَّجَايَا يَنْتَمِينَ إِلَى بَغْضِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩):
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ مَغْفِرَةً فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنُ أَخِي الْعُصْبِ



(١) ديوانه (٢: ٣٤٧).

(٢) التبيان (٤: ١٤٢).

(٣) ديوانه (٤: ١٤٢).

(٤) ديوانه (٤: ١٨).

(٥) ديوانه (٢: ٢٧٣).

(٦) التبيان (١: ٨٩).

(٧) ديوانه (١: ٨٩).

(٨) ديوانه ص ١٦٣.

(٩) ديوانه (١: ٩٤).

غيره^(١):

فَمَا كَانَ قَبْسٌ هُلْكُهُ هَذَا وَاجِدٍ وَلَكِنَّهُ بُشْيَانٌ قَوْمٍ تَهْدَمَا

ابن المقفع^(٢):

وَتَقْشُلْنِي فَتَقْشُلْ بِي كَرِيماً يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ

أبو الطيب^(٣):

عَذَرْتُ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْتِنْتَ مِنْ عَدِيدٍ بَمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسَكَّتْ مِنْ لَجَبٍ

والبيت الذي بعده:

وَكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ تَخِبِ

ومثل قول البحري^(٤):

تَرَى الْبَيْضَ لَمْ تَعْرِفَهُمْ حِينَ وَاجِهَتْ وَجُوهَهُمْ فِي الْمَازِقِ الْمَتَجَهِّمِ

وَلَمْ تَتَذَكَّرْ رِيَّهَا بِأَكْفَهُمْ إِذَا أوردوها تحت أغبر أقنم

البحري^(٥):

لَعَمْرُكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا ازْنَقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

أبو الطيب^(٦):

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْدِ فُسْ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا



قال:

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذِمِي كُلُّومَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يُقْطَرُ الدَّمُ

أبو الطيب^(٧):

رَمَوْا بِتَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجِئَتْهَا دَوَامِي الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ^(٨)



قال:

وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقِدُهُ وَنَاضِرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ الْبَصَرِ

(١) العقد الفريد (١: ١٦٦).

(٢) التبيان (١: ٨٧).

(٣) ديوانه (١: ٨٧).

(٤) ديوانه (٢: ٢٥٦).

(٥) ديوانه (٢: ٨٧).

(٦) ديوانه (٤: ٢٤١).

(٧) ديوانه (١: ١٥٣).

(٨) القسي: جمع قوس. والهوادي: الأعناق. والنواصي: جمع ناصية؛ وهو مقدم شعر الرأس.

وهو معنى متداول .

بعض المحدثين :

ولا هممتُ بشربِ الماء من عطشٍ إلا رأيتُ خيالاً منك في الماء
أبو الطيب^(١) :

مُمَثِّلَةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تُفَارِقِي وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَضْلِكَ الْوَعْدِ
ومن هذا المعنى قول ابن المعتز^(٢) :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِيَ بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ
وقول أبي الطيب^(٣) :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلْقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلْقَى



حسان^(٤) :

إِذَا قَالَ لَمْ يَشْرُكَ مَقَالًا لِقَائِلِ بَمَلْتَقَطَاتٍ^(٥) لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلًا
أبو الطيب^(٦) :

إِذَا ضَلُّتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَاتِكِ وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ



الطرمي في رطازاته^(٧) :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا فَقَايَ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مَخِيطِ
فتبعه بعض الرطازين :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ إِلَيْهِ كَأَنَّمَا بِرَأْسِي مَسْمَارٌ إِلَى النِّجْمِ مُوتَدٌ
أبو الطيب - وهو من فرائده^(٨) :

بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُذْبٍ بِحَاجِبِ
وقريب منه قول بشار :

كَأَنَّ جَفَوْنَهَا عَنْهَا قِصَارُ



(١) ديوانه (٢ : ٣) .

(٢) ديوانه (٢ : ٢٩٤) .

(٣) ديوانه (٤ : ٢٨٧) .

(٤) الملتقطات : قطع الذهب الملتقطه . (٦) ديوانه (٤ : ١١٢) .

(٥) التبيان (١ : ١٤٨) قال في اللسان : الرطز : الشعر الضعيف .

(٦) ديوانه (١ : ١٤٨) .

أبو تمام^(١) :

فإنَّ يَكْ مِنْ بَنِي أَدَدِ جَنَاحِي فإنَّ أَثِيثَ رِيثِي فِي إِيَادِ
أبو الطيب وهو منقول^(٢) :
فإنَّ يَكْ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ



ابن المعتز :

فَكَرَّثَ كَنْصَلَ السَّيْفِ تَثْلُو لَوَاقِحاً كَأَنَّ حَصَى الصَّمَانِ مِنْ وَقَعِهَا رَمَلُ
أبو الطيب^(٣) :
إِذَا وَطِئْتُ بِأَيْدِيهَا صُخُوراً يَفِئْتَنَ لَوِطَاءُ أَرْجُلِهَا رِمَالاً
وقد أحسن في قوله : «يفئن لوطاء أرجلها»، وزاد بأن جعل للأيدي ما جعله
الأول لجملة القوائم ؛ ولأول من الفضل أنه خصص الحصى وهو أشد من الصخر
وأصلب وهذا المعنى كثير مُبْتَدَل ؛ وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظاً ومعنى .



البحري^(٤) :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَبْدٌ نِعَمَتِكَ الَّتِي نُسِبْتُ إِلَيْهَا دُونَ رَهْطِي وَمَعْشَرِي
نقله أبو الطيب فقال^(٥) :
دُعِيتُ بِتَقْرِيطِيكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي^(٦)



البحري^(٧) :

وَمُظْفَرٍ بِالْمَجْدِ إِذْ رَاكَ أَتُهُ فِي الْحَظِّ زَائِدَةٌ عَلَى أَوْطَارِهِ
أبو الطيب - وقد فسر ما أغفله البحري^(٨) :
تُؤَسِّي الْأَمَانِي صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ لَشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي



(٢) ديوانه (١ : ٨٢) .

(٤) التبيان (٢ : ١٦١) .

(٨) ديوانه (٣ : ٨١) .

(١) ديوانه : ٦١ .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٢٩) .

(٥) ديوانه (٢ : ١٦٠) .

(٦) التقريظ : مدح الرجل حياً . يقول : قد عرفت بالثناء عليك ؛ حتى كأنه اسم لي .

(٧) ديوانه (٢ : ٩) .

زياد الأعجم:

تَرَى الطُّفْلَ مِنْهُمْ يَبْتَغِي المَجْدَ شِيمَةً
وإن هو وَفَى العَمْرَ تَسْعِينَ حِجَةً
الرَّوَايَةُ: «يَنْسِيهِ بِنَاءَ مَجْدِهِ العَدَمَ» .
البَحْثَرِيُّ^(١):

عَرِيقُونَ فِي الإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

كَأَنَّمَا يُوَلَّدُ النَّدَى مَعَهُمْ
لَا صَغَرَ عَاذِرٌ وَلَا هَرَمٌ



عَلَقَمَةُ بْنُ أَصْوَى:

فَمَا إِنْ رَأَوْا نَارًا تُشَبُّ لَدَى الْوَعَى
زُقَرُ بْنُ الْحَارِثِ^(٣):

سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بِأَسَا وَشِدَّةً
وَلَكِنَّ مَنْ لَاقُوا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ



عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ، وَيُرْوَى لِإِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ^(٥):

أَرَى نَفْسِي تَشُوقُ إِلَى أُمُورٍ
فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي بِبُخْلِ
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ:

دَرَيْتُنِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَلَمَّ مُلَمَّةً
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

وَتَقْصُرُ أَمْوَالُ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ:

فَعَالِي فَعَالٍ الْمَكْثَرِينَ تَوْسَعًا
وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ

(١) ديوانه (١ : ١٠) .

(٢) ديوانه (٤ : ٦٥) .

(٣) التبيان (١ : ١٨٥) .

(٤) ديوانه (١ : ١٨٥) .

(٥) ديوانه (٢ : ٢٢) .

وحكي عن بعض الحكماء أنه سُئِلَ عن أسوأ الناس حالاً فقال: مَنْ قويت شهوته وبعدت همته، واتسعت معرفته، وضاقَتِ مقدرة.

أبو الطيب^(١):

وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللَّهُ مَنْ رَادَّ هُمُّهُ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ^(٢)
ونحوه قوله^(٣):

لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاحاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبٌ
والأبيات التي تلي هذا البيت متصلة به وهي قوله^(٤):

فَلَا يَنْحَلِيلُ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبَّرَهُ تَذْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زُنْدُهُ
فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وكانها مجموعة من معاني أبيات قديمة وحديثة، منها قول أحيحة بن الجلاح^(٥):

وَلَا أَزَالُ عَلَى الزَّوَارِ أَعْمُرُهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانَ ذُو الْمَالِ
وَلَنْ أَرُدَّتْ مُسَامَاةً تَقَاعَدُ بِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةَ الْحَالِ
وقول ابن المعتز:

يَا رَبُّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ فِقَامٌ فِي النَّاسِ مَقَامَ الدَّلِيلِ
وحكى الجاحظ عن بعض الحكماء أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً ومجداً؛ فإنه لا حمد إلا بفعل، ولا مجد إلا بمال.



بكر بن النطاح:

هَذَا أَبُو دُلْفٍ الَّذِي لِسِيوفِهِ وَرِمَاحُهُ تَعْبِدُ الْأَقْدَارُ
علي بن جبلة - ويروى لخلف بن مرزوق:
أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنْزِلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
أبو الطيب^(٦):

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَرْمَعْتَ^(٧) شَيْئاً أَرْمَعَا

(٢) الوجد: السقه.

(١) ديوانه (٢: ٢٢).

(٤) ديوانه (٢: ٢٢).

(٣) ديوانه (١: ٨٠).

(٥) البيت الأول في مذهب الأغاني (١: ١١٤)، والبيت الثاني في التبيان (٢: ٢٢) ونسبه إلى الخليل بن أحمد.

(٧) أرمعت على أمر؛ إذا ثبت عزمك عليه.

(٦) ديوانه (٢: ٢٦٤).

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيَّ كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا تَأَذَّيْتُ لَبَّى مُسْرِعًا
ونحوه له ^(١):

مَلِكٌ تَكُونُ ^(٢) كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ
وأما المصراع الأول فقد قدمنا ذكر أمثاله ونحوه له ^(٣):
وَأَرَاكَ دَهْرَكَ مَا تَحَاوِلُ فِي الْعِدَى حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَتَصَارُ
وله ^(٤):

وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمَقْدَارُ



يزيد المهلب ^(٥):

سَعَيْتُمْ فَأَذْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَذْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ
وله ^(٦):

إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
أبو الطيب ^(٧):

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَذْرَكَ الْمَجْدَ بِالْمُنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْبَنَ النَّوَاصِيَا
واللفظ من قول ثَقِيف بن صفار:

أَيَا مَالِكًا لَا يُزْتَجَى الْمُلْكُ بِالْمُنَى

ونحوه له ^(٨):

لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلَقَ سَادَ هَذَا الْأَنَامِ بِاسْتِحْقَاقِ



قال بعضهم ^(٩):

وخبرني البَوَّابُ أَنَّكَ تَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(١) ديوانه (٢: ١٣٦). (٢) في الديوان «ملك تصور».

(٣) ديوان (٢: ٨٦).

(٤) ديوانه (٢: ٨٦) وصدده:

سر حيث شئت يحله النوار

(٥) التبيان (٤: ٢٩١). (٦) التبيان (٤: ٢٩١).

(٧) ديوانه (٤: ٢٩١). قال العكبري: وأصله للبحري في قوله:

فَتَى هَزَ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءَ بِهَا لَا بِالْأَحَاطِي وَالْجُدُودِ

(٨) ديوانه (٢: ٢٦٤). (٩) التبيان (١: ٤٣).

أبو الطيب^(١):

وَنَامُ الْخَوْدِيمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى^(٢)



حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٣):

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

العباس بن مرداس^(٤) ويروى لربيعة الرقي:

فَمَا عِظَمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ

ومثله كثير:

أبو الطيب^(٥):

وَذَهَرَ نَاسُهُ نَاسٌ صَعَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنْتُ ضِخَامٌ



أبو جَوَيْرِيَّةِ الْعَبْدِيِّ - وَقَدْ تَقَدَّمَهُ غَيْرُهُ^(٦):

تَزِينُ الْخَلِيِّ إِنْ لَبَسَتْ سُلَيْمَى وَتَحْسُنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وأكثر المحدثين فيه فقال بعضهم^(٧):

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنٌ وَجُؤٌ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطُّيْبِ طَيْباً أَنْ تَمَسِّيهِ؛ أَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَا!

أبو الطيب، وتعسف اللفظ^(٨):

الطُّيْبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

وتقدير الكلام: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت

به .



(١) ديوانه (١ : ٤١) .

(٢) يريد بالخويدم كافوراً . يقول : غفل كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ؛ وكان قبل ذلك نائماً غفلة وعمى ؛ ولم يكن نائماً كرى .

(٣) ديوانه ص ١٧٥ ؛ وروايته هناك :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

(٤) ديوان الحماسة (٣ : ١٥٣) . (٥) ديوانه (٤ : ٧٠) .

(٦) التبيان (٣ : ٢٦١) . (٧) التبيان (٣ : ٢٦١) .

(٨) ديوانه (٣ : ٢٦١) .

زياد الأعجم وهو كثير مشهور^(١) :
 لَلَّهْ دَرْ مَنِئَةِ فَاثَتْ بِهِ
 وَلَقَدْ أَرَاهُ مُجَفِّقاً أَفْرَاسَهُ
 لَوْ عِنْدَ ذَلِكَ هَايَجَتْهُ مَنِئَةُ
 يَزِيدَ الْمَهْلَبِيِّ^(٢) :
 جَاءَتْ مَنِئَتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :
 أَثْنَتْهُ الْمَنَائِيَا فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ
 وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا
 وَمَقْلُوبٌ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٤) :
 دَفَعْنَا بِكَ الْإِيَّامَ حَتَّى إِذَا أَثْنَتْ
 وَمِثْلُهُ لِأَبِي الطَّيِّبِ^(٥) :
 مَا زِلْتُ تَذْفَعُ كُلَّ أَمْرِ قَادِحٍ
 وَظَلَمْتُ تَنْظُرُ لَا رِمَاحَكَ شُرْعٌ
 وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ عَلَى أَنَّهُ كَثِيرٌ مَبْتَذِلٌ :
 حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُذْفَعُ
 فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سِيُوفُكَ قُطْعٌ
 وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الْمَوْتُ يَا حَمَزُ - إِذْ أَتَى
 وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْآخِرِ :
 أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْجِمَامِ أَصَابَكُمْ
 وَمِثْلُهُ لِأَبِي الطَّيِّبِ^(٦) :
 هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكَ مِنَ الْعِدَى
 فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فَيْكَ مِنَ الْحُمَى



الأعور الشَّني:

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عُذراً

- (١) ذيل الأمالي ص ٩٩، من قصيدة في رثاء المغيرة بن المهلب، مطلعها:
 يا من بمغدى الشمس أو بمراحها أو من يكون بقرنها المتنازع
- (٢) رواية الأمالي:
- (٣) التبيان (٤ : ٢٤٤).
- (٤) ديوانه (٤ : ٢٤٤).
- (٥) التبيان (٢ : ٢٣٧).
- (٦) ديوانه (٢ : ٢٣٧).
- (٧) ديوانه (٤ : ١٠٦).

وأغضيت عنه وانتظرت به غدا لعل غداً يبدي لمنتظرٍ أمراً
سالم بن وابصة^(١):

وكاشح من موالي السوء ذي حسد يفتات لحيي وما يشفيه من قرم
داوئت صدرأ طويلاً غمره حقدأ منه، وقلمت أظفاراً بلا جلم
وقد أكثر الشعراء فيه.

أبو الطيب^(٢):

وأخلم عن خلّي وأعلم أني متى أجزه جلماً على الجهل يندم



امرؤ القيس^(٣):

فللزجر الهوب وللساق درة ثم أكثر الناس فيه.

أبو الطيب^(٤):

رجلاه في الرخص رجل واليدان يد وفعله ما تريد الكف والقدم
المصراع الأول نحو قول رؤية:

يهوين شتى ويقعن وقعا



الطرمّاح:

تحياها الكُماة بكل يوم مريض الشمس محمّر الخوافي
أبو الطيب^(٥):

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة



بعض المحدثين^(٦):

خبري خذيه عن الضنى وعن الأسى ليس اللسان وإن تلفت بمخير

(١) التبيان (٤ : ١٣٦). (٢) ديوانه (٤ : ١٣٦).

(٣) لم نجد هذا البيت في ديوان امرؤ القيس؛ والذي روي هناك:

فللسوق الهوب وللوسط درة وللزجر منه وقع أخرج متمب

(٤) ديوانه (٣ : ٣٦٨). (٥) التبيان (٢ : ١٦١).

(٦) ديوانه (٢ : ١٦٠).

أبو الطيب^(١) :

أَمَرَ الْفُؤَادَ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَثَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا
وهو معنى قوله^(٢) :

بَادِ هَوَاكَ صَبْرَتْ أَمْ لَمْ تَصْبِرْ^(٣) وَبُكَاءُكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى



أبو نواس^(٤) :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

أبو الطيب^(٥) :

وهو المضاعف حسنه إن كُورًا^(٦)



الجلاح ابن عبد الله السدوسي^(٧) :

مَدَدَتْ حَبْلٌ غُرُورٌ غَيْرَ مُؤَيَّسَةٍ قَوَتْ الْأَكْفُ فَلَا جُودَ وَلَا بَخْلُ
وَالصَّرْمُ أَزَوْحٌ مِنْ غَيْثٍ يُطْمَعُنَا فِيهِ مَخَايِلُ مَا يُلْقَى بِهَا بَلَلُ

ونحوه لابن الرقيات ولم يصرح باختيار أحدهما^(٨) :

تَرَكْتَنِي وَأَقْفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَضْذُرْ بِيَأْسٍ مِنْكُمْ وَلَمْ أَرِدْ
ومثله قول ابن أبي زرعة الدمشقي^(٩) :

وَكَأَنِّي بَيْنَ الْوِصَالِ وَبَيْنَ الْهَجْرِ مِمَّنْ مَقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَانِ وَبَيْنَ النَّارِ طُورًا أَرْجُو وَطُورًا أَخَافُ

وقال أبو حفص الشطرنجي، فاختار ضد ما اختار الأول^(١٠) :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدَّدُ بِالتَّخْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَشْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضَى فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُثْبِ

(١) ديوانه (٢ : ١٦٠).

(٢) أراد : تصبرن (بنون التوكيد الحقيقة)؛ فلما وقف عليها أبدلها ألفاً.

(٣) التبيان (٢ : ١٦٧).

(٤) ديوانه ص ١٦٧.

(٥) صدره :

فهو المشيع بالمسامع إن مضى

(٦) التبيان (٢ : ٣٠٥).

(٧) التبيان (٢ : ٣٠٥).

(٨) التبيان (٢ : ٣٠٥).

(٩) التبيان (٢ : ٣٠٥).

(١٠) التبيان (٢ : ٣٠٥)، ونسبه إلى العباس بن الأحنف.

وتبعه أبو الطيب^(١):

وَأَخْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وفي الهَجَرِ فَهُوَ الدَّهْرُ يَرْجُو وَيَتَّقِي
وقد لاحظ في هذا قول الخليل^(٢):

وَجَدْتُ أَلَدَ الْعَيْنِشِ فِيمَا بَلَوْتُهُ تَرَقَّبَ مُشْتَاقِي زِيَارَةِ شَانِقِي
لأنه أيضاً يرجو ويتقي ويأمل. وقد أكثر الناس فيه على المعنيين معاً



أبو نواس^(٣):

يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ فِي الْتِهَابِهِ

وهو معنى عامي مبتذل.

أبو الطيب^(٤):

يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ أَزْيَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ



أبو تمام^(٥):

فَهُوَ غَضُّ الْإِبَاءِ وَالرَّأْيِ غَضُّ الْـ حَزَمَ غَضُّ التَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ
أبو الطيب^(٦):

حَدِيدُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ حَدِيدُ الْحَسَامِ حَدِيدُ السِّنَانِ



بعض العرب^(٧):

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا طَرِيدَانِ وَالرُّجُلَانِ طَالِبَتَا وَثَرِ
رُوبَةٍ:

يَدَاهُ بِالضُّبُعَيْنِ يَشْدُوَانِهِ وَرَجُلَا أَحْرَجَ يَحْدُوَانِهِ
أبو الطيب^(٨):

طَرَدْتُ مِنْ مِضْرَ أَيْدِيهَا بَارِجُهَا حَتَّى مَرَقْنِ بِنَا مِنْ جَوْشِ وَالْعَلَمِ^(٩)



(١) ديوانه (٢: ٣٠٥).

(٢) التبيان (٢: ٣٠٢).

(٣) التبيان (٣: ٢١٤).

(٤) ديوانه (٣: ٢١٣).

(٥) ديوانه ص ٣٥٤.

(٦) ديوانه (٤: ١٩٠).

(٧) التبيان (٤: ١٥٦).

(٨) ديوانه (٤: ١٥٦).

(٩) جوش والعلم: موضعان.

بعض رجال العرب^(١):

إني إذا ما القوم كانوا أنجيتُ واضطرب القوم اضطراب الأريثية
 وشد فوق بعضهم بالأذويه هناك أوصيني ولا تُوصي بيه
 وقال الأصمعي وغيره يصف قوماً أتعبهم السير والسهر: فرقدوا على ركبهم،
 واضطربوا كاضطراب أرشية الدلاء، وشدَّ بعضهم على ناقته جذار سقوطه عنها. وقال
 بعضهم: إنما ضربه مثلاً لنزول الأمر الملم؛ إذ جعل القوم يضطربون فيه فلا يستقرون
 كاضطراب الحبال، وبعضهم يشد على البعير للهرب به. قال: ولذلك كانوا أنجيتُ؛
 وهو جمع نجى^(٢) والنيام لا يكونون أنجيتُ، وعلى المذهب الأول احتذى أبو الطيب
 في قوله^(٣):

وهز أطار النُّوم حتَّى كأنِّي من السُّكر في العَرَزِ نِ تَوْبُ شُبَارِقِ^(٤)



تميم بن مُقبل:

ولو كُجِلْتُ حَوَاجِبُ خَيْلِ قَيْسٍ يَتَغَلَّبُ بَعْدَ كُلِّ مَا قُذِينَا
 أبو الطيب^(٥):

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوَرَكَضْتُ بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَا



رؤبة^(٦):

قد رفع العَجَاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي
 وإنما أخذه من قول النَّسَّابَةِ الْبَكْرِىِّ لَمَّا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: رُؤْبَةُ بْنُ
 الْعَجَاجِ. قَالَ: قَصُرْتَ وَعَرَفْتُ.

أبو الطيب^(٧):

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي^(٨) بِتَسْمِيَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ



(١) اللسان (مادة - نجا).

(٢) التبيان (٢: ٣٤٤).

(٣) الهز: التحريك. وأراد بالسكر النعاس. والغرز: ركاب من خشب للإبل خاصة. وثوب شبارق: مقطع قديم.

(٤) ديوانه (٣: ١٦٩).

(٥) ديوانه (١: ١٧٦).

(٦) التبيان (١: ١٧٦).

(٧) ديوانه (١: ١٧٦).

(٨) الغاني: المستغني.

دُغِبِل^(١):

هِيَ النَّفْسُ مَا حَسَنَتْهُ فَمُحَسَّنٌ لَدَيْهَا وَمَا قَبَّحَتْهُ فَمُقَبِّحٌ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

فَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَمَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمِنَا
وهو قريب من قول لبيد:

اَكْذَبَ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ



أَبُو تَمَامٍ^(٣):

تَسْرَى قَسَمَاتِنَا^(٤) تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَاقُنَا فِيهَا بِسُودِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

تُسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تُسْوَدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ^(٦)



[قَالَ^(٧):

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبٌ فَتَقْطُرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

أَزْوَاحُنَا انْهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ



ابْنُ الْمُعْتَزِ^(٩):

تَخَالُ آخِرُهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلُهُ وَفِيهِ عَدُوٌّ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ
أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠):

وَأَضْرَعُ أَيُّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَزْكَبُ



(١) التبيان (٤ : ١٦٩).

(٢) ديوانه (٤ : ١٩٦).

(٣) ديوانه ص ١٠٥.

(٤) قسَمَاتُنَا : وجوهنا.

(٥) ديوانه (٤ : ١٥٥).

(٦) العذر : جمع عذار، وهو الشعر النابت على الخد، واللِّمَم جمع لمة؛ وهو الشعر الذي يلم بالمنكب.

(٧) التبيان (٤ : ٨).

(٨) ديوانه (٤ : ٨).

(٩) التبيان (١ : ١٨٠).

(١٠) ديوانه (١ : ١٨٠).

النابعة الجَعْدِي (١):

وَتُشْكِرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطُّغْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْوَرْدَ أَشَقْرًا
أَبُو الطَّيِّبِ (٢):

جَفَّتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَتَطَقُ قَوْمِهَا وَأَطَعْتَهُمُ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ



أَبُو تَمَامٍ (٣):

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ صَادِيًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهِمَارُهَا
وَأُظْنَهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ طَرْفَةٍ - وَإِنْ كَانَ غَامِضًا (٤):

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي
الْبَحْتَرِي (٥):

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْعَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَانِهِ
أَبُو الطَّيِّبِ (٦):

سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَائِيَاهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْعَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ



أَبُو نُوَّاسٍ (٧):

وَإِذَا الْمَطِيَّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامٌ
أَبُو الطَّيِّبِ (٨):

وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارُ صَيَّرَ ظَهْرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَيَّ فَرَجٌ حَرَامٌ (٩)



قَالَ زَهِيرٌ (١٠):

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لِكَ يَسَامُ

(٢) ديوانه (٤ : ٥٠).

(٤) ديوانه ص ٦٢.

(٦) ديوانه (١ : ١٠٢).

(١) التبيان (٤ : ٥٠).

(٣) التبيان (١ : ١٠٢).

(٥) ديوانه (٢ : ٣١٥).

(٧) ديوانه ص ٦٤.

(٨) ديوانه (٤ : ٩).

(٩) قال العكبري: «المعنى: تعذر وجود الأحرار وقتلهم صير ظهر هذه الناقة علي في ركوبها إلى قصد سواك حراماً عليّ، كركوب الفرج الحرام - يريد الزنا».

(١٠) ديوانه ص ١٢.

قال العلماء بالشعر: إنما سئم تكاليف الحياة لا الحياة، فهو أصح معنى من قول
لبيد إذ يقول^(١):

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها ومقال^(٢) هذا الناس كيف لبيد
فقال أبو الطيب^(٣):
وإذا الشَّيْخُ قَالَ أَفْ فَمَا مَ لَ حَيَاةٍ وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلَا



البحري^(٤):

وطيئك سِرًّا لَوْ تَكَلَّفَ طَيِّبُهُ دَجَى اللَّيْلِ عَنَّا لَمْ تَسْغُهُ ضَمَائِرُهُ
فتقله أبو الطيب، وغير معناه فقال وأحسن ما شاء^(٥):
وَكُنْتُ إِذَا يَمُمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ فَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ



البُخْتَرِي:

عَذَا قَسَمُهُ عَذْلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سِرِّ نَبْهَانِ بْنِ عَمْرِو مَائِرُهُ
أبو الطيب^(٦):
تَفَرَّدَ الْعَرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمُحْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرْبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجْمُ



البُخْتَرِي^(٧):

وما اخترتُ داراً غير دارك من قِلَى وأين ترى قَصْدِي وَمِنْ دُونِي الْبَحْرُ
أبو الطيب^(٨):
أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِثْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَثْرُكَ الْعَيْنُ فِي غَمْدِي وَأَتَتَّجِعُ



أنشد الجاحظ لبعضهم:

غزا ابنُ عميرٍ عَزُوةً تركت لها ثناء كريح الجَوَرِبِ المتمزق

(١) مهذب الأغاني (٢: ٦٢).

(٢) في مهذب الأغاني: «وسؤال هذا الناس».

(٣) ديوانه (٣: ١٣٠).

(٤) ديوانه (١: ١٢).

(٥) ديوانه (٣: ٣٤٠).

(٦) ديوانه (١: ١٣).

(٧) ديوانه (٣: ٣٧٦).

(٨) ديوانه (٢: ٢٢٢).

أَبُو الطَّيِّبِ^(١):

تَسْتَغْرِقُ الْكَفَّ فَوْدِيهِ وَأَخَذَعَهُ وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجَوَرِ الْعَرِقِ^(٢)



بَعْضُهُمْ^(٣):

بَشْنَا وَبَاتَ جَلِيدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنَا بَيْنَ الْبُيُوتِ قِرَانًا نَبْحُ دُرُوسِ^(٤)

أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

وَلَا تُنْكِرَا عَضْفَ الرِّيحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلَّ صَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ^(٦)



أَبُو نَوَاسٍ فِي وَصْفِ كَلْبٍ^(٧):

يَجْمَعُ قَطْرِيهِ مِنْ أَنْضِمَارِهِ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

يَكَادُ فِي الْعَذْوِ مِنَ الثَّفَلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَثْنِيهِ وَالْكَلْكَلِ

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ

أَنْشُدِ الْأَصْمَعِي لِبَعْضِ بَاهِلَةٍ:

تُبَاهِي بِهِ الْأَرْضَ السَّمَاءَ إِذَا مَشَتْ عَلَيْهَا وَتَحْيِي نَسْمَةَ الْمَتَمَاوَتِ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٩):

أَكَارِمُ حَسَدِ الْأَرْضِ السَّمَاءَ بِهِمْ وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِضْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ



الْبَحْثِيُّ^(١٠):

سَمَاحاً وَبِأَسْأَ كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمُتَرَاكِمِ

(١) ديوانه (٢: ٣٦٠).

(٢) يقول: هو دميم صغير القدر يصفع، فتستغرق أكف الصافعين هذه المواضع منه، وهو نتن الرائحة، يكتسى الكف نتن رائحة من جسده.

(٣) اللسان - مادة درس؛ وروايته هناك:

بَشْنَا وَبَاتَ سَقِيطُ الْبَطْنِ يَضْرِبُنَا عِنْدَ النُّزُولِ قِرَانًا نَبْحُ دُرُوسِ

(٤) قال في اللسان: الدرّوس: الغليظ العنق من الكلاب أو الغليظ الرأس.

(٥) ديوانه (٢: ١١٤).

(٦) سوار: هو الذي يهجو الممتني في هذه المقطوعة.

(٧) ديوانه ص ٢١١.

(٨) ديوانه (٣: ٢٠٥).

(٩) ديوانه (٢: ٢٥٣).

(١٠) ديوانه (٢: ١٩٠).

أبو الطيب^(١):

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُتَّقَى يُرَجَى الْحَيَا مِنْهُ وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ



عبد الله بن الزبير الأسدي:

لَوْ شَدَدْنَا مِنْ أَخْذَعَيْنِهِ قَلِيلًا لَبَتَيْنَا مِنَ الرُّؤُوسِ مَنَارًا

أبو الطيب - وهو غامض^(٢):

تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ^(٣)



ثابت بن قُطَيْبَةَ العتكي^(٤):

هَذَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ نَرَاهَا^(٥) مُصَلَّبَةً كَأَفْوَاهِ الشَّعَابِ

أبو الطيب^(٦):

إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُهُادٍ فَقَتَلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارٌ



أنشد الأصمعي لبعض العرب - وهو معروف عندهم^(٧):

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٌ صَمًا^(٨) كُذِرِيَّةٌ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

أبو الطيب^(٩):

وَرُودَ قَطَا صُمِّ تَشَايْحَنَ فِي وَرْدٍ^(١٠)

(١) ديوانه (٢: ٣٤٦).

(٢) ديوانه (٢: ٣٣٠).

(٣) القضم: أكل الدابة الشعير. والعلائق: جمع عليقة وهي المخلاة. وجنوبها: نواحيها.

وجيوبها: ما فتح من أعلاها. وجيب المخلاة: فمها.

قال أبو الفتح: سألت عن معنى البيت فقال. الفرس إذا علق عليه المخلاة طلب لها موضعاً

مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل، فخياله إذا أعطيت عليقتها رفعت على هام الرجال القتلى لكثرتهم

حولها، وقد تعودت خيله ذلك.

(٤) التبيان (٢: ١٠٨).

(٥) في شرح العكبري: هَذَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهِم

(٦) ديوانه (٢: ١٠٨).

(٧) اللسان: مادة - صمم.

(٨) قال في اللسان: «يُقَالُ لِلْقَطَاةِ صَمَاءَ لَصَمَمَهَا إِذَا عَطِشَتْ».

(٩) ديوانه (٢: ٦٥).

(١٠) صدره:

وتلقى نواحيها المنايا مشيخة

أشاح: أسرع. يقول: أسرع إلى لقاء المنايا كما تسرع القطا إلى ورود الماء.

مزرد^(١):

مِنَ الْمُلْسِ هِنْدِيٍّ مَتَى يَعْلُ حَذُّهُ ذُرَى الْبَيْضِ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ الْكَوَاهِلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَعَنَّكَ فِي الْكَاهِلِ^(٣)



أبو تمام:

البين أكثر من شوقي وأحزاني

أبو الطَّيِّبِ^(٤):

دِمْنٌ تَكَاثَرَتْ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثِرِ اللَّوَامِ^(٥)

بعض العرب^(٦):

رُزْقٌ تَصَايخُنَ فِي الْمَثُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
آخِرُ^(٧):

تَصِيحُ الرُّذَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَمْسَيْنَ جُوعَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

نَاشُوا الرَّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهَمِ^(٩)



(١) التبيان (٣: ٣٠).

(٢) ديوانه (٣: ٣٠).

(٣) يقول: هذا السيف إذا ضربت به رأس أحد يرى رأسه؛ ووصل إلى عظم الكاهل؛ فجعل ذلك الصوت كالغناء.

قال العكبري: ومثله قول النمر بن تولب:

تظلل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي
ومثله قول أبي نوس:

إذا قام غنته على الساق حلية لها خطوة وسط الفناء قصير

(٤) ديوانه (٤: ٧).

(٥) الدمن: جمع دمنة؛ وهي آثار القوم بعد رحيلهم. والعرضات: جمع عرصة وهي نواحي الدار.

(٧) التبيان (٤: ١٥٨).

(٦) التبيان (٤: ١٥٨).

(٨) ديوانه (٤: ١٥٨).

(٩) يقول: تناولوا الرماح، وهي جماد لا تنطق، فأسمعوا الناس صريها في الأبطال، فصارت كأنها فرقة طير تصيح.

كثير^(١) :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْهُدْبُ لَمْ يُصِْبْ ظَوَاهِرُ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحِي^(٢)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :

رَمَتْنِي بِأَسْهُمٍ رِيْشُهَا الْهُدْ بْ تَشَقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ

الفرزدق^(٤) :

وَأَبْخَتَ أَمْكُ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارَكَةُ طَرِيقٍ مُعْمَلُ^(٥)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) :

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلِغِ الطَّرِيقَ وَعِزُّهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ^(٧)

الفرزدق^(٨) :

وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَسْمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى كَثِيرًا وَلَكِنْ فُرُقُوا فِي الْخُلَاقِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩) :

فَلَا تَعْجَبَا إِنْ السِّيَوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيِّفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

البحرّي^(١٠) :

وَبَلَوْتَ مِنْكَ خَلَائِقًا مَحْمُودَةً لَوْ كُنَ فِي فَلَكٍ لَكُنْ نُجُومًا

(١) البيان (١ : ٣١٥).

(٢) قال العكبري: ومثله قول جميل:

وما صائب من نابيل قدفت به يد وممر العقدين وثيق
بأوشك قتلاً منك يوم رميتني نوافذ لم يعلم لهن خروق

(٣) ديوانه (١ : ٣١٤).

(٤) نقائص جرير والفرزدق (١ : ١٩٢).

(٥) معمل: مستعمل يداس.

(٦) ديوانه (٤ : ١٢٦).

(٧) كان ابن كيغلاغ طلب من أبي الطيب أن يمدحه، فاعتل عليه بأنه قد حلف ألا يمدح إلى مدة

فأخذ عليه الطريق حتى تنقضي المدة، فهرب منه ومضى ثم هجاه؛ بقصيدة منها هذا البيت

ومطلعها:

(٨) البيان (١ : ٢٧٢).

(٩) ديوانه (١ : ٢٧١).

(١٠) ديوانه (٢ : ٢٤٤)، وروايته هناك:

وشكرت منك مواهباً مشهورة لو سرن في فلك لكن نجوماً

أبو الطيب^(١):

أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالًا^(٢)



ابن الرومي^(٣):

أَخْشَى عَلَيْكَ اتِّقَادَ الْفِكْرِ لَا حَدْرًا

أبو الطيب^(٤):

أَشْفِقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ يَشْتَعِلُ^(٥)



ابن الرومي:

وَمِنْ فَرَحَاتِ النَّفْسِ مَا فِيهِ حَنْفُهَا

أبو الطيب^(٦):

فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمَنْ فَرَحَ النَّفْسُ مَا يَفْتُلُ



بعضهم^(٧):

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نُصْرَتَنَا بِذِي لَجَبٍ أَرْبُ مِنَ الْعَوَالِي

أبو الطيب^(٨):

صَدَمَتْهُمْ بِخَسِيسٍ أَنْتَ غُرَّتْهُ وَسَمَّهَرِيئُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(٩)



أبو تمام^(١٠):

وَرُحْبَ صَدْرِي لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةً كَوْسَعِهِ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(١) ديوانه (٢: ٢٣٢).

(٢) يقول: أنت في علو قدرك وحسن خصالك سماء؛ وإن كانت كواكبها خصالاً.

(٣) التبيان (٣: ٢١٣). (٤) التبيان (٣: ٢١٣).

(٥) حذف أن ورفع الفعل، والتقدير: أن يشتعل.

(٦) ديوانه (٣: ٦٩). (٧) التبيان (٤: ٢٤).

(٨) ديوانه (٤: ٢٤).

(٩) الخميس: الجيش. والغرة: الوجه. والسهمرية: الرماح. والغمم: كثرة الشعر. جعل الرماح

في هذا الجيش كالغمم في وجه الإنسان.

(١٠) ديوانه ص ٥٧.

أبو الطيب^(١):

تَضِيقُ عَنْ جَنَّتِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ

مُسلم^(٢):

وَالْعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤُوسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبُنَّ سِرَّ مُحَدِّثٍ فِي الْأَخْلَسِ

أبو الطيب^(٣):

وَيُغَيِّرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَفْجِيلًا

البحراني^(٤):

وَمَنْ لَوْ تَرَى فِي مُلْكِهِ عُذْتُ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرٍ

أبو الطيب^(٥):

خَفْتُ إِنْ صَرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْ خُذَنِي فِي هِبَاتِكَ الْأَقْوَامُ

البحراني^(٦):

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِائِلُهُ وَيَسْأَلُ رَاحَتَهُ نَدَى وَنَجِيعًا

أبو الطيب^(٧):

مَلِكُ سِنَانٍ قَنَاتِهِ وَبَنَائِهِ يَتَبَارِيَانِ دِمَاءً وَعُزْفًا سَاكِبًا

ومنه^(٨):

إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةً فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا

ابن الرومي^(٩):

يَا أَرْمَدَ الْعَيْنِ قُسْمُ قُبَالَتِهِ قَدَاوٍ بِاللُّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدُكَ

أبو الطيب^(١٠):

مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي مِنَ الْعُذْمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرُّمَدُ

(٦) ديوانه (٢ : ٨٤).

(٧) ديوانه (١ : ١٢٥).

(٨) ديوانه (٤ : ٢٩٣).

(٩) التبيان (٢ : ٨).

(١٠) ديوانه (٢ : ٨).

(١) ديوانه (٢ : ١٢٠).

(٢) التبيان (٣ : ٢٣٤).

(٣) ديوانه (٣ : ٢٣٤).

(٤) ديوانه (٢ : ٦).

(٥) ديوانه (٤ : ٩٩).

البحثري^(١):

اللَّهُ أَكْبَرُ كُفُّوا إِن خِصَمَكُم
أبو الطيب^(٢):

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَّا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ



ابن الرومي^(٣):

أَعْنِدِي تَنْقُضُ الصَّوَاعِقُ مِنْكُمْ مَا
أبو الطيب^(٤):

لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيْمُ



البحثري^(٥):

مَلِكٌ بِقَارَعَةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ
أبو الطيب^(٦):

وَمَلَيْتُ نَحَرَ عَشَارِهَا فَأَصَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدَرَ الْعِشَارَ لِمَنْ قَرَى



البحثري^(٧):

تَشَكَّكْتُ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخِلَّتُهُ
خيالاً أتى في آخر الليل يسري



أبو الطيب^(٨):

مَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرَقَ بَيْنَهُمَا
كل واحد منهما جعله خيالاً، وإن كان البحثري ذهب فيه إلى حيرة السرور، وأراد

أبو الطيب سرعة الزوال. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى على وجه آخر فقال^(٩):

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ

(٢) ديوانه (٣ : ٨٨).

(٤) ديوانه (٣ : ٣٧١).

(٦) ديوانه (٢ : ١٧٠).

(١) ديوانه (٢ : ٢١٤).

(٣) التبيان (٣ : ٣٧١).

(٥) ديوانه (٢ : ١١٤).

(٧) ديوانه (٢ : ٢)، وروايته هناك:

تشككت فيه من سرور وخلته خيالاً أتى في آخر الليل يسري

(٩) ديوانه (٣ : ٩).

(٨) ديوانه (٢ : ١٧١).

يزيد بن محمد المهلب^(١) :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعاً فِي سُورِكُمْ فَلَهُنَا إِذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ انْصَافٍ
أَبُو الطَّيِّبِ - وَقَدْ زَادَ وَأَحْسَنَ^(٢) :
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعُيُونِ سَرَّهَا وَقُلُوبِ



ابن الرومي^(٣) :

هِيَ الْأَعْيُنُ الثُّجَلُ الَّتِي كُنْتَ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ تَرْمِي سِوَاكَ وَتَغْمِذُ
فَاحْتَذَى عَلَيْهِ أَبُو الطَّيِّبِ وَقَلْبَ مَعْنَاهُ فَقَالَ^(٤) :

مُسَى كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خَضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ
فَكَيْفَ أَذَمَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ



إسحاق بن خلف^(٥) :

إِذَا مَا حُدِيدِينَ بِذِكْرِ الْأَمِيرِ سَبَقَنَ لِحَاطِ الْمَخْبِ الْعَجَلِ^(٦)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

شَدُّوا بَائِنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ دَفَارِيهَا كِيرَانُهَا وَالنَّمَارِقُ^(٨)



ابن هرمة : [بذم بخيلاً]^(٩) :

نَكَّسَ لَمَّا أَتَيْتُ سَائِلُهُ وَاعْتَلَّ تَنَكُّبِسَ نَاطِمِ الْخُرْزِ^(١٠)

(١) التبيان (١ : ٤٩) .

(٢) التبيان (١ : ١٨٩) .

(٣) التبيان (٢ : ٣٤٥) .

(٤) رواه العكبري :

(٥) إذا ما حديدين بمدح الأمير سبقن لحاظ الحثيث العجل ديوانه (٢ : ٣٤٥) .

(٦) شددوا بمدح إسحاق ؛ أي غنوا . والذفرى : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين . والنمارق : الوسائد . يقول : لما غنوا بمدح ابن إسحاق نشطت الإبل للسير فرفعت رؤوسها حتى ضربت بذفرياتها كيرانها .

(٧) التبيان (٣ : ٣٢٩) .

(٨) شبه هيئته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق .

أعرابي^(١):

وَهُنَّ حَيْرَى كَمْضِلَاتِ الْخَدَمِ

أبو الطيب^(٢):وُقُوفٌ شَحِيحٌ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهُ^(٣)

وقد أتينا على ما حَضَرْنَا من هذا الكتاب، وَبُنَا عَنْكَ فِي جَمْعِهِ وَاسْتَحْضَارِهِ وَلَقَطِهِ، وَتَصَفِّحِ الدَّوَابِّ، وَلِقَاءِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ؛ وَبَيَّضْنَا أَوْرَاقًا لَمَّا لَعَلَّهُ شَدُّ عَنَا مِنْ غَرِيبِهِ؛ وَمَا عَسَانَا نَظْفَرُ عَلَى مَرُورِ الْأَوْقَاتِ بِهِ، وَمَا نَابَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ، أَوْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ فِيهِ زِيَادَاتٌ لَمْ نَعَثِرْ بِهَا، أَوْ لَطَائِفٌ لَمْ نَفْطِنْ إِلَيْهَا، إِنْ كُنْتَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ عِلْمِكَ، وَبَصِيرَةٍ بِمَا عِنْدَكَ، وَعَرَفْتَ مِنْ طُرُقِ السَّرْقِ، وَوَجُوهِ النُّقْلِ مَا يَسُوغُ فِيهِ حُكْمُكَ، وَتُعَدِّلُ فِيهِ شَهَادَتَكَ، فَلَا بَأْسَ أَنْ تُلْحِقَ بِهِ مَا أَصْبَتْهُ، وَأَنْ تُضَيِّفَ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتَهُ، بَعْدَ أَنْ تَتَجَبَّبَ الْحَيْفَ، وَتَتَنَكَّبَ الْجَوْرَ، وَتَعْلَمَ أَنَّ وَرَاءَكَ مِنَ الثَّقَادِ مَنْ يَغْتَبِرُ عَلَيْكَ نَقْدَكَ، وَمَنْ لَا يَسْتَسْلِمُ لِلْعَصَبِيَّةِ اسْتِسْلَامَكَ.

وَأَنَا أَعْدَلُ إِلَى ذِكْرِ مَا رَأَيْتُكَ تُنْكِرُ مِنْ مَعَانِيهِ وَالْفَاضِلِ، وَتَعْيِبُ مِنْ مَذَاهِبِهِ وَأَغْرَاضِهِ، وَتُحِيلُ فِي ذَلِكَ الْإِنْكَارَ عَلَى حِجَّةٍ أَوْ شُبْهَةٍ، وَتَعْتَمِدُ فِيمَا تَعِينُهُ عَلَى بَيِّنَةٍ أَوْ تَهْمَةٍ، إِذَا كَانَ مَا قَدِمْتَ حِكَايَتَهُ عَنْكَ، وَمَا عُدَدْتَهُ مِنْ مَطَاعِنِكَ، وَأَثَبْتَهُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي اسْتَنْقَطَتْهَا، وَمِلْتَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ لِأَجْلِهَا مِنْ بَابٍ مَا يُمْتَحَنُ بِالطَّبَعِ لَا بِالْفِكْرِ، وَمِنْ الْقِسْمِ الَّذِي لَاحِظٌ فِيهِ لِلْمَحَاجَةِ، وَلَا طَرِيقٌ لَهُ إِلَى الْمَحَاكِمَةِ، وَإِنَّمَا أَقْصَى مَا عِنْدَ عَائِبِهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُمْكِنُ مُعَارَضُهُ أَنْ يَقُولَ: فِيهِ جَهَامَةٌ سَلَبَتْهُ الْقَبُولَ، وَكَزَازَةٌ نَفَرَتْ عَنْهُ النُّفُوسُ، وَهُوَ خَالٍ مِنْ بَهَاءِ الرُّؤُوفِ، وَخِلَافَةُ الْمَنْظَرِ، وَغُدُوبَةُ الْمَسْمَعِ، وَدِمَائَةُ النُّشْرِ، وَرِشَاقَةُ الْمَعْرُضِ، قَدْ حَمَلَ التَّعَسُّفَ عَلَى دِيْبَاجَتِهِ، وَاحْتَكَمَ التَّعَمُّلَ فِي طُلَاوَتِهِ، وَخَالَفَ التَّكَلُّفَ بَيْنَ أَطْرَافِهِ، وَظَهَرَتْ فَجَاجَةُ التَّصْنَعِ فِي أُعْطَافِهِ، وَاسْتَهْلَكَ التَّعْقِيدُ مَعْنَاهُ، وَقَيَّدَ التَّعْوِیضُ مُرَادَهُ.

(١) البيان (٣: ٣٢٨).

(٢) ديوانه (٣: ٣٢٨).

(٣) صدره:

مواقع الكلام

وهذا أمر تُستخبر به النفوس المُهذَّبة، وتُستشهد عليه الأذهان المثقفة؛ وإنما الكلام أصواتٌ محلُّها من الأسماع محلُّ النواظر من الأبصار. وأنتَ قد ترى الصُّورة تستكملُ شرائطَ الحُسن، وتستوفي أوصافَ الكمال، وتذهب في الأنفس كلَّ مذهب، وتقف من التمام بكلِّ طريق، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن، والتتام الخَلقة، وتناصِفُ الأجزاء، وتقابل الأقسام؛ وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأغلقُ بالنفس، وأسرع مَمازجة للقلب؛ ثم لا تعلم - وإن قاسيت واعتبرت، ونظرت وفكرت - لهذه المزية سبباً، ولما خُصَّت به مُقتَضياً.

ولو قيل لك: كيف صارت هذه الصورة، وهي مقصورةٌ عن الأولى في الإحكام والصُّنعة، وفي الترتيب والصِّيغة، وفيما يجمع أوصافَ الكمال، وينتظم أسباب الاختيار أخلَّى وأزشق وأحظى وأوقع؟ لأقمت السائل مقام المتعنت المتجانيف، ورددته ردَّ المُستبهم الجاهل! ولكان أقصى ما في وسعك، وغاية ما عندك أن تقول: موقِعُه في القلب أَلطف، وهو بالطَّبع أَلْيَق؛ ولم تُغدِّم مع هذه الحال مُعارضاً يقول لك: فما عبتَ من هذه الأخرى؟ وأي وَجِهٍ عَدَل بك عنها؟ ألم يجتمع لها كيت وكيت! وتتكاملُ فيها ذيه وذيه!! وهل للطاعن إليها طريق! وهل فيها لغامر مغمر يحاجُّك بظاهر تُجسِّه النَّواظر؛ وأنتَ تحيله عى باطن تُحصِّله الضمائر!

كذلك الكلام: منثوره ومنظومه، ومُجمَلُه ومُفَصَّلُه؛ تجد منه المُحكَّم الوثيق والجزلُ القوي، والمُصنَّع^(١) المُحكَّم، والمنمَّق الموشَّح؛ قد هُذِّب كلُّ التَّهذيب، وثُقِّف غاية التَّقفيف، وجُهِد فيه الفكر، وأُتعب لأجله خاطر، حتى اختَمى ببراءته عن المعائب، واختَجَر بصيحتِه عن المطاعن، ثم تجد لفؤادك عنه ثبوة؛ وترى بينه وبين ضميرك فجوة؛ فإن خُلص إليهما فبأن يُسهَّل بعضُ الوسائل أذنه، ويمهِّد عندهما حاله؛ فأما بنَفْسِه وجوهرِه، وبمكانِه وموقعِه، فلا. هذا قولِي فيما صفا وخُلص، وهُذِّب ونُقِّح؛ فلم يوجد في معناه خَلل، ولا في لفظه دَخَل؛ فأما المختل المَعيب، والفساد المضطرب، فله وجهان: أحدهما ظاهر يُشترك في معرفته؛ ويقل التفاضل في

(١) التصنع: تكلف الحسن.

علمه؛ وهو ما كان اختلاله وفساده من باب اللَّحْن والخطأ من ناحية الإعراب واللغة. وأظهر من هذا ما عَرَضَ له ذلك من قِبَلِ الوزن والدُّوق، فإن العامي قد يميّز بذوقه الأعاريض والأضرب، وَيَفْصِلُ بطبعه بين الأجناس والأبْحُر، ويظهر له الانكسار البَيِّن، والزُّحاف السائغ. والآخر غامض يُوصَلُ إلى بعضه بالرواية، ويُوَقَّفُ على بعض بالدُّراية؛ ويحتاج في كثير منه إلى دِقَّةِ الفِطْنَةِ، وصفاء الفريضة، ولُطْفِ الْفِكْرِ، وُبُعْدِ الْعَوُس. وَمِثْلُكَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَتَمَامُهُ الْجَامِعُ له والزَّمَامُ عليه صِحَّةُ الطَّبْع، وإدْمَانُ الرياضة؛ فَإِنَهُمَا أَمْرَانِ ما اجْتَمَعَا في شخص فَقَصُرَا في إِيصَالِ صاحبهما عن غايته، وَرَضِيَا له بِدُونِ نَهَائِيته.

وأقلُّ الناس حَطًّا في هذه الصناعة مَنْ اقْتَصَرَ في اخْتِيَارِهِ وَتَقْيِيهِ، وفي اسْتِجَادَتِهِ واستِسْقَاطِهِ على سَلَامَةِ الوزن، وإِقَامَةِ الإعراب، وأداء اللغة. ثم كان هَمُّهُ وَبُعْيَتُهُ أَنْ يجد لفظاً مَرُوقاً، وكلاماً مَرُوقاً؛ قد حُشِيَ تخنيساً وترصيعاً، وشُحِنَ مطابقةً وبديعاً، أو معنى غامضاً قد تَعَمَّقَ فيه مُسْتَخْرِجُهُ، وَتَغَلَّغَلَ إليه مُسْتَنْبِطُهُ، ثم لا يَغْبَأُ باختلاف الترتيب، واضطراب النُّظْم، وسوء التآليف، وهَلْهَلَةِ السُّجج، ولا يقَابِلُ بَيِّنَ الألفاظ وَمَعَانِيهَا، ولا يَسْبُرُ ما بينهما من نسب، ولا يَمْتَحِنُ ما يجتمعان فيه من سبب، ولا يرى اللَّفْظَ إِلَّا ما أَدَّى إليه المعنى، ولا الكلام إِلَّا ما صَوَّرَ له الغرض، ولا الحُسْنَ إِلَّا ما أفاده البديع، ولا الرُّونق إِلَّا ما كساه التَّضْنِيع، وقد حملني حُبُّ الإفصاح عن هذا المعنى على تكرير القَوْلِ فيه، وإِعَادَةِ الذِّكْرِ له؛ ولو احتمل مقدار هذه الرسالة استقصاؤه، واتسع حَجْمُهَا للاستيفاء له لاسْتَرْسَلْتُ فيه، ولَأَشْرَفْتُ بك على مُعْظَمِهِ.

وإذا كان هذا محلِّي من التَّحْقِيقِ بهذه الطريقة، ومقامي في نُصْرَةِ هذا الرأي فأنا أَوَّلُ موافق لك على ما ادَّعَيْتَهُ، وراضٍ منك بالمقدار الذي أوردته؛ غير أنَّ العصبية ربما كدَّرَتْ صفو الطبع، وَقَلَّتْ حَدَّ الذَّهْنِ، وَلَبَسَتْ الْعِلْمَ بالشك، وَحَسَّنَتْ لِلْمُنْصِفِ الميل؛ ومتى اسْتَحْكَمَتْ وَرَسَخَتْ صَوَّرَتْ لك الشيء بغير صورته، وَحَالَتْ بينك وبين تأمله، وَتَحَطَّتْ بك الإحسانَ الظاهرَ إلى العَيْنِ الغامض. وما مَلَكَتِ الْعَصْبِيَّةُ قَلْبًا فتركت فيه للثبوت موضعاً؛ أو أَبَقْتُ منه للإِنصاف نصيباً!

دفاع المؤلف عن أبي الطيب

وقد تفقدت ما أنكره أصحابك من هذا الديوان، بعد الأبيات التي حالها من امتناع المحاجة فيها، وتعدّر المخاصمة عليها ما وصفت فوجدته أصنافاً، منها ألفاظ تُسبّت إلى اللّحن في الإعراب، وأدعي فيها الخروج عن اللغة، ومعان وُصِفَتْ بالفساد والإحالة، وبالاختلال والتناقض، واستهلاك المعنى؛ وأخرى أنكّر منها التّقصير عن الغرض، والوقوع دون القصد. وأغيب ما فيها ما عيّنه من باب التعقيد والعويص^(١) واستهلاك المعنى وعموض المراد؛ ومن جهة بُعد الاستعارة، والإفراط في الصنعة، وقد حكيت في كل باب منها ما علّقته من كلام أصحابك، وما قابلهم به خصومك، ورأيت السّلامة في أن أقتصر من هذه (الوساطة) على حسن التبليغ، وحسن التأدية، وتقرّيب العبارة، وجمع المتفرّق، ثم أقت منكما حجرة، وأخرج عنكما صفراً؛ قد أذيت عن كل فريق ما تحملته، وسليمت من الميل فيما تكلفته.

وكما لا أحكم على خصمك بالخطأ في كل ما يذكره، فكذلك لا أبعدك من الصواب في أكثر ما تصفه. وجملة القول في هذه الأبيات وأشباهها أنه لو وُفي فيها التهذيب حقاً؛ ولم يُنَحَس التثقيف شرطه لانقطعت عنها ألسن الغيب؛ وانسدت دونها طُرُق الطعن، ولدّخلت في جملة أخواتها، ولجرت مجرى أغيارها؛ ولاستغنت عن تكلف البحث والتثقيف؛ واستغنى خصمك عن تمخّل الحجج والمعاذير. لكننا لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعره أجمع، بل قلّما تجد ذلك في القصيدة الواحدة، والخطبة الفردة؛ ولا بد لكل صانع من فترة، والخاطر لا يستمر به الأوقات على حال؛ ولا يدوم في الأحوال على نهج. وقد قدمنا لك في صدر هذه الرسالة من شعر أبي نؤاس وأبي تمام وغيرهما ما مهّدنا به الطريق إلى هذا القول، وأقمناه علماً يُرجع إليه في هذا الحكم، وأعلمناك أنه ليس بنيتنا الشهادة لأبي الطيب بالعصمة، ولا مرادنا أن نُبرئه من مقارفة زلة، وأن غايتنا فيما قصدناه أن نُلجّقه بأهل طبقته، ولا نُقصّر به عن رتبته، وأن نجعله رجلاً من فحول الشعراء، ونمنعك عن إحباط حسناته بسيئاته، ولا نسوّج لك التحامل على تقدّمه في الأكثر بتقصيره في

(١) العويص من الشعر: ما يصعب استخراج معناه.

الأقل، والغض من عام تبريزه، بخاص تغديره. ومتى وجدتكَ تحتمل للفرزدق قوله:
وما مثله في الناس إلا مُملَكاً أبو أمه حيّ أبوه يُقَارِبُه
وقوله:

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ دار الخليفة إلا دار مروانا
وقوله:

فإنّ التي ضرتك لو ذقت طعمها عليك من الأعباء يوم التخاصم
وأشباهها. وإن لم تحتمله لم تتعمده بالعيب، ولم تتناول قلائده بالعَض، ولا
تسلك بأبي الطيب هذا المسلك، وتحمله على هذا المنهج علمت أنّك متعصب مائل،
ومتحامل جائر.

ولقد حدثني بعض أهل الأدب أنه حضر عند أبي الحسن بن لنّك البصري -
وكان على فضله في العلم، وتقدمه في الأدب - شديد التحامل على أبي الطيب، وهو
يذكر شيئاً من شعره حتى انتهى إلى قوله^(١):

بقائي شاء ليس هم ارتحالا

فجعل يُعجب من هذا المصراع من حضره ويقول: هل رأيتم أشد تعقيداً وأظهر
تكلفاً، وأسوأ ترتيباً من هذا الكلام! قال: فقلت له: هب الأمر على ما ادّعيته، وأنا
سلمنا لك ما زعمته، أين أنت من قوله في إثر هذا البيت^(٢):

كأن العيس كانت فوق جفني منّاخات فلما نزلن سالا

قال: فاستشاط غيظاً، ثم قال: هذا المصراع يسقط دواوين عدة شعراء!
فإن كان هذا الحكم سائغاً، وكان ما قاله مقبولاً، فإن أحد أبيات الفرزدق يسقط
شعر بني تميم جملة؛ فقد ترى ما بينها من الفضل في النقص، وتبين تفاوتها في سوء
الترتيب واختلال النظم. ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب أن لا
يرى لأبي تمام بيت واحد؛ فإننا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين قد وقر من
التعقيد حظهما؛ وأفسد به لفظهما، ولذلك كثّر الاختلاف في معانيه، وصار
استخراجها باباً منفرداً؛ ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب، وصارت تُتطرح في
المجالس مطارحة أبيات المعاني، وألغاز المعنى.

وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض

(١) ديوانه (٣: ٢٢١) وبقيته:

وحسن الصبر زمو لا الجمالا

(٢) ديوانه (٣: ٢٢٢).

مستتر؛ ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر، ولم تُفردَ فيها الكتبُ المصنفة، وتُشغل باستخراجها الأفكارُ الفارغة.

ولسنا نريدُ القِسْمَ الذي خفاءُ معانيه واستتارُها من جهةِ غزابة اللَّفْظِ وتوحش الكلام، ومن قبل بُعْدِ العَهْدِ بالعادة وتغيرِ الرُّسْمِ، كاختلاف الناس في قول تميم بن مُقْبِل^(١):

يَا دَارَ سَلَمَى خَلَاءَ لَا أَكْلَفُهَا إِلَّا الْمِرَانَةَ حَتَّى تَعْرِفَ الدِّينَا

فإن الذي خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المِرَانَةَ، فقال قائل: هي ناقته، وقال آخر: هي موضع دار صاحبه، وقال آخر إنما أراد الدوام والمُرونة^(٢). وكقول امرئ القيس^(٣):

نَطَعَنَهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لِأَمِينٍ^(٤) عَلَى نَابِلٍ

لَمَّا لم يعرفوا: هل الكاف من كَرَّكَ فتكون اللأمان مفردين، أو الكَرز مفرداً، ويكون اللأم موصولاً اختلفوا.

وإنما أريد مثل قول الأعشى:

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دَصَدَرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

فإنَّ هذا البيت - كما تراه - سليمُ النظم من التعقيد، بعيدُ اللَّفْظِ عن الاستكراه، لا تشكل كل كلمة بانفرادها على أذنَى العامة، فإذا أُرِدَتْ الوقوف على مراد الشاعر فمن المحال عِنْدِي، والممتنع في رأيي أن تصل إليه إلا من شاهد الأعشى بقوله، فاستدل بشاهد الحال، وفحوى الخطاب، فأما أهل زماننا فلا أجزى أن يعرفوه إلا سماعاً إذا اقتصر بهم من الإنشاد على هذا البيت المفرد؛ فإن تقدموه أو تأخروا عنه بأبيات لم أبعد أن يُسْتَدَلَّ ببعض الكلام على بعض، وإلا فمن يسمع بهذا البيت فيعلم أنه يريد: أن الفتى إذا كبر فاحتاج إلى لزوم العصا أطاع لمن يأمره وينهاه، واستسلم لفائده، وذهبت شيرته!

وكقول المَعْلُوط:

بَلْ رَبِّ مِخْرَارٍ تَجَاوَزَنِي بِبَسْطَةِ الْهَامَةِ وَالْمِشْقَرَيْنِ

(١) اللسان: مادة - مرن.

(٢) قال في اللسان: «وقيل هي هضبة من هضبات بني عجلان»؛ يريد: لا أكلفها أن تبرح ذلك المكان، وتذهب إلى موضع آخر. وقال الأصمعي: المِرَانَةُ: اسم ناقه كانت هادية بالطريق. وقال: الدين: العهد والأمر الذي كانت تعهده.

(٣) اللسان: مادة - لأم.

(٤) ويروى: «لفتك لأمين نابل».

مأهولة الأرض إذا أصبحت مجدبة الحيزُوم والمِرْقَقَيْن
 البيت الأول منكشف المعنى، وأما الثاني فلا يُعْلَمُ إلا وَخِياً أو سَمَاعاً، ولو بلغ
 طالبه في علم العرب كُلِّ مَبْلَغ، وحمل على فكره فوق الطاقة، وإنما معناه أنَّ هذه
 الناقة إذا أصبحت وانقادت فإن رؤوس الإبل عند رجلِها، لأنها أقوى على السير
 منها، وصدرها خال لم تلحق بها ناقة لقصورهن عنها.
 وكذلك قول الآخر:

فَجُنُبْتُ الْعَوَارِ أَبَا زَنْيَبٍ وجاد على محلَّتكَ السحاب
 من يسمع هذا البيت يظنه دعاء له واستسقاء لأرضه، وإنما مراد الشاعر الدعاء
 عليه أَنْ يُهْلِكَ اللَّهُ إِبْلَهُ فلا يملك منها ما يُعار عليه، وأن تجود السحاب على أرضه
 وهو مملق، فيشتد أسفه على ما ذهب من ماله إذا رأى الأرض مخصبة، وسائمة الحي
 راعية.

وقول الآخر:

وإني لظِلَامٌ لَأَشْعَثَ بَائِسٍ عَرَانَا ومقدور بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ
 وجار قريب الدار أَوْ ذِي جِنَايَةٍ بعيد مَحَلِّ الدار ليس له وَفَرٍ
 هل يشك من أنشدهما أن الشَّاعِرَ وصفَ نَفْسَهُ بأقبح الصِّفَةِ، وأضاف إليها أَشْنَعَ
 الظُّلَمِ؛ وإنما يريدُ أَنِّي أَظْلِمُ الناقةَ فَأَنْخَرُ فَصِيلَهَا لأجل هذا الأَشْعَثَ والجار، ولو
 قال: وإني لنحار لا تُنْصَحُ المعنى، ولم يختل البيت. وأمثال هذه الأبيات موجودة
 شائعة، واستقصاؤها مُفَارِقٌ لِلرَّسْمِ، وخارج عن الشَّرْطِ، والكتب المُصَنَّفَةُ فيها
 مَعْرُوفَةٌ، والرُّجُوعُ إِلَيْهَا مُمَكِّنٌ.

وأنت لا تجد في شعر أبي الطيب بيتاً يزيدُ مَعْنَاهُ على هذا الغموض، أو تتعقّد
 ألفاظه تَعَقُّدَ أبيات الفرزدق. فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين، ومن
 أنصف حجه حضور البيئتين عن المنازعة.

غُلُوّ القَدَامِي

فأما الإفراطُ فمذهب عام في المُحدَثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقيح راد، وله رسوم متى وقف الشاعرُ عندها، ولم يتجاوز الوصفَ حدّها جمع بين القُصْد والاشْتِيَاء، وسلم من النقص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشُعْبَةٌ من الإغراق، والباب واحد، ولكن له دَرَج ومراتب.

فإذا سمع المحدث قول الأول:

إلا إنما غادرت يا أمّ مالك
وقول آخر من المتقدمين^(١):

ولو أن ما أبقيت بيّ معلق
جنر على أن يقول:

أسر إذا نجلت وذاب جسمي
واستحسن غيره أن يقول^(٢):

ذاب فلو رُجَّ بجسمائه
وسهل لأبي الطيب الطريق فقال^(٣):

ولو قلّم ألقى في شقّ رأسه
وقال^(٤):

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني^(٥)

(١) اللسان. مادة - ثم، والعمدة (٢: ٤٩)، ونسبه للأعشى.

(٢) الثمام: نبت ضعيف شبيه بالخص؛ وربما سد به خصاص البيوت.

(٣) التبيان (١: ١٤٩).

(٤) ديوانه (١: ١٤٩).

(٥) ديوانه (٤: ١٨٦).

(٦) قال العكبري: هو مأخوذ من قول الأخطل:

صفادع في ظلماء ليل تجاوبت
قال: ولبعضهم، ولقد أحسن:

فاستبق ما أبقيت لي فلعلني
من مهجة ذابت أسي فلو أنهما

فدل عليها صوتها حية البحر
يوماً أقيك به من الأعداء
في العين لم يمنع من الإغفاء

وإذا قال عنتره^(١):

وأنا المنيّة في المواطن كُلِّها والطَّغْن مني سابقُ الآجال
وقال النابغة [الجعدي]^(٢):

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وإنَّا لَنرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا
وقال الأعشى:

لو أسندت ميتاً إلى نَحْرِهَا عاش ولم يُنْقَلْ إلى قَابِر
وقال عروة بن زيد:

بجيشٍ تُطَلُّ البلق في حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ شُجْداً لِلْحَوَافِرِ
وقال النابغة^(٣):

تَقْدُ السَّلُوقِيَّ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَابِجِ^(٤)
وقال التمر بن تُوَلَّبِ^(٥):

يَظَلُّ يَحْفَظُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتْ بِهِ بُغْدَ الذَّرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ وَالْهَادِي^(٦)
وقال مهلهل^(٧):

ولولا الريح أَسْمَعَ منِ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ^(٨)
وقال امرؤ القيس^(٩):

إِذَا رَكِبُوا الْحَيْلَ وَاسْتَلَامُوا تَحَرَّقَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قُرْ
وقال الأعور الشَّيْ:

ولو حَلَّ بالدَّهْنَاءِ حَرِثُ بِنِ جَابِرٍ لَأُضْبَحَ بِخَرٍّ بِالْمَفَازَةِ جَارِيَا
وقال الهذلي:

يَرِدُ شِعَاعُ الشَّمْسِ عَارَ رِمَاحِنَا ويَصْرِفُ حَدَّ الشَّمْسِ حَتَّى تَكْرُكِرَا

(١) ديوانه ص ١٠٩، وروايته هناك:

وأنا المنيّة حين تشتجر القنا والطمعن مني سابق الآجال

(٢) مهذب الأغاني (٢: ٧٥). (٣) اللسان، مادة - حبب.

(٤) السلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق؛ وهي قرية باليمن. والصفاح: الحجر العريض، ونار الحباب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة.

(٥) العمدة (٢: ٤٩).

(٦) الهادي: العنق.

(٧) الأمالي (٢: ١٣٣).

(٨) حجر: قصبة اليمامة، وإقامتهم كانت بالجزيرة. والصليل: الصوت. والذكور: السيوف التي عملت من حديد غير أنيث. قال أبو العباس الأحول: أول كذب سمع في الشعر هذا.

(٩) ديوانه ص ٥.

وقال قيس بن الخطيم:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَقَّهَا
تَرَى قَائِماً مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
وقال هذبة:

بِإِجَانَةٍ فَيَسْجَاءُ لَوْ خَرَّ بِأَزَلٍ
مِنَ الْبُخْتِ فِيهَا ظِلٌّ لِلْجَنْبِ يَسْبَحُ
وقال ابن ميادة:

وَلَوْ أَنَّ قَيْساً قَيْسَ عَيْنَانَ أَفْسَمَتْ
عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهَا حِجَابُهَا
وقال الطِّرِمَاح:

وَلَوْ أَنَّ بَرِغوثاً عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ
يَكُرُّ عَلَى صَفْئِي تَمِيمٍ لَوَلَّتْ
وقال العيني في جوابه:

وَلَوْ أَنَّ عُصْفُوراً يَمُدُّ جَنَاحَهُ
عَلَى طَيْئٍ فِي دَارِهَا لَاسْتَقَلَّتْ
وقال طريح:

لَوْ قُلْتُ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَالْمَوَ
لَا رَيْدٌ أَوْ سَاخٌ أَوْ كَانَ لَهُ
وقال العوام بن عمرو:

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا
مُسَوِّمَةً تَدْعُو عُبيداً وَأَزْناً
وقال تميم بن مقبل:

وَلَوْ كَحَلَّتْ حَوَاجِبَ خَيْلِ قَيْسٍ
بِكَلْبٍ بَعْدَ تَغْلِبِ مَا قُذِينَا

وأما هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد مَنْ بَعْدَهُمْ سبيلاً
مسلوكاً وطريقاً موطئاً، فقصدوا، وجاروا، واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة،
واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم، فاجتذبه الإفراط
إلى النقص، وعدل به الإسراف نحو الذم.

عود إلى الدفاع عن أبي الطيب

ولما سمع أبو الطيب قولَ قَيْسِ بن الخطيم في الطعنة نافسه فقال^(١) :
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي فَكَيْلٌ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلَمِ^(٢)
 فلم يحفل بسوء النظم، وهلهلة النسخ لما حصل له الغرض في إنتهار^(٣) الطعنة،
 وتوسيع الجرح.

ولما سمع قول العوام بن عمرو^(٤) :
 وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتُهَا مُسَوِّمَةً تَدْعُو عَيْبِدًا وَأَزْنَمًا
 وَوَجَدَ الْمُحَدِّثِينَ قَدْ نَبَعُوهُ، فذهبوا به مذهب طلب الزيادة فقال^(٥) :
 وضافت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنَّه رَجُلًا^(٦)
 فلم يكثرث بالإجالة، ولم يستقبح أن يجعل غير شيء مرثياً لما استوفى عند نفسه
 الغاية، ولم يبق وراءها مرمى لشاعر، وشجعه على ذلك أيضاً أنه سمع قول عمرو بن لجأ
 وقعنّب يا بن لا شيء هتفت به

وقول أبي تمام:

أَفِي تَنْظِمٍ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنْدِ وَأَنْتَ أَثَرُ مَنْ لَا شَيْءَ فِي الْعَدِّ
 فقال: قد أجاز هذا أن يكون لا شيء واحداً، وهذا أن يكون معدوداً فكيف
 يحظر عليّ أن أجعله مرثياً^(٧)!

(١) ديوانه (٤: ٥٧).

(٢) القرن: كفاء الرجل في شجاعته. والجائزة: ما يعطاها الشاعر. والكلم: الجرح. يقول: إذا
 أجزتني فكل لي ذهباً في جرح القرن إذا نازلته وجرحته. يريد: إنك واسع الضربة؛ فأعطني
 مقدار ما تسع الضربة من الذهب.

(٣) إنهار الجرح: توسيعه.

(٤) عيون الأخبار (١: ١٦٦).

(٥) ديوانه (٣: ١٦٩).

(٦) قال الخوارزمي: رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين؛ وإنما هي من رؤية القلب؛ يريد به
 التوهم، وغير الشيء يجوز أن يتوهم.

(٧) قال ابن القطاع: قد أؤخذ في هذا البيت؛ فقبل: كيف يرى غير شيء، وغير شيء معدوم،
 والمعدوم لا يرى؟ وليس الأمر كما قالوا؛ بل أراد غير شيء يعبأ به.

ولما رأى مُهْلَهْلًا قد أسمع أهلَ حِجْرٍ صَليْلَ البَيْضِ، وهو بالذَّنائب وبينهما
عَرَضُ نَجْدٍ^(١) أقدم على أن قال^(٢):

سَلُّهُ الرُّكْبُ بَعْدَ وَهْنٍ بِتَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَارِ^(٣)

وإذا رآهم قد احتملوا لطريح أن يجعل الوليد بن يزيد يرز السَّيْلُ^(٤) بقوله من
جهة، ويصرفه عن طريقه سامهم أن يحتملوا في ابن حَمْدان قوله^(٥):

أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتُ بِلَا ضَرْبِ أَجَابَ دَمٌ

ومتى سامح الرواة وحملة الشعر الفرزدق في قوله:

لَعَمْرُكَ مَا الْأَرْزَاقُ حِينَ احْتِفَالُهَا بِأَكْثَرِ خَيْرٍ مِنْ خِوَانِ الْعُدَاةِ^(٦)

ولو ضافه الدُّجَالُ يَلْتَمِسُ الْقِرَى وَحَلَّ عَلَى خَبَّازِهِ بِالْعَسَاكِرِ

بَعْدَهُ بِأَجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ كُلِّهِمْ لِأَشْبَعِهِمْ يَوْمًا غَدَاءَ الْعُدَاةِ^(٧)

وسامحوا سُحَيْمًا عَبْدَ بَنِي الْحَسَنَاسِ في قوله^(٨):

وَمَا زَالَ بُزْدِي طَيِّبًا مِنْ رِدَائِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ^(٩) الْبَرْدُ بِالْيَا

وجميلًا في قوله:

وَلَوْ أَنَّ جِلْدًا غَيْرَ جِلْدِكَ مَسَّنِي وَبَاشَرَنِي دُونَ السُّيَّابِ شَرِيثٌ

وَلَوْ أَنَّ وَاقِي الْمَوْتِ يَدْعُو جَنَازَتِي بِمَنْطِقِهَا فِي النَّاطِقِينَ حَيِّثُ

(١) وذلك قوله:

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مِنْ بَحَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تَقْرَعُ بِالذِّكُورِ

(٢) ديوانه (٢: ١٧٧).

(٣) يقول: لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد فرأى أهل الحجاز بريقه، فظنوه برقًا،
فارتقبوا المطر.

قال العكبري: هو منقول من قول الوائلي:

مَا سَلَّهُ أَهْلُ الْحِجَارِ لِحَاجَةٍ إِلَّا يَبْشُرُ بِالسَّحَابِ الشَّامَا

وأخذه علي بن الجهم في قوله في قبة المتوكل:

وَقَبَّةٌ مَلِكٌ كَأَنَّ النَّجْوَى مِ تَصْغِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا

إِذَا أَوْقَدَتْ نَارَهَا بِالْعِرَاقِ أَضَاءَ الْحِجَارِ سَنَا نَارِهَا

(٤) وذلك قوله:

لَوْ قُلْتُ لِلْسَّيْلِ دَعِ طَرِيقَكَ وَالْمَوَى جِ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَمْتَلِجُ

لَارْتَدَّ أَوْ سَاخَ أَوْ كَانَ لَهُ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ عَنْكَ مَنَعَجُ

(٥) ديوانه (٤: ٢٦).

(٦) العذافر هنا: الجمل.

(٧) العذافر هنا: الجمل.

(٨) اللسان: مادة - نهج.

(٩) أنهج البرد: أخذ في البلى.

لزمهم أن يسامحوا أبا ثؤاس في قوله يصف قِذراً:

يعض بحَيَزُوم الجِراة صَدْرُها وينضج ما فيها بِعُودٍ خِلال
تَغْلِي بِذِكْرِ النار من غير قُرْبِها وينزلها عفواً بغير جعال
والعَكُوك في قوله يصف رِجله ومشيا:

إذا اتسعت لم يلحق الدَّرُّ شَأُوها وخامرها دون الذراع ابتهاؤها
وأبا الطيب في قوله^(١):

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي العِظَامَ وَغَضَبَةٌ ورِقَّةٌ وَجْهٌ لَوْ خَتَمَتْ بِنَظَرَةٍ
بها فَضْلَةٌ لِلْجُزْمِ عن صاحبِ الجُزْمِ على وَجَنَتَيْهِ ما امْحَى أَثَرُ الخَتَمِ
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الجَنِّ وَالْإِنْسِ سَيْفُهُ فما الظَّنُّ بعد الجِنِّ بِالْعُرْبِ والعُجَمِ
وَأَزْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعُهُ جَرَتْ جَزَعاً من غير نار ولا فحم

فإن قالوا: أَلَسْنَا نسامح المتقدمين بالخطأ؟ ولا نَحْتَمِلُ لهم هذا الإغراق الفاحش؟ قلنا: أَوَلَسْتُمْ قد سَلِمْتُمْ لهم الإحسان في غير ذلك، وَلَمْ تَسْقُطُوهم من عداد الشعراء لأجله فَأَجْرُوا هذا الرجل مجراهم، وَأَلْحَقُوهم في الحكم بهم. وإذا احتملوا لامرئ القيس قوله^(٢):

من القاصراتِ الطَّرْفِ لَوِ دَبَّ مُحُولٌ من الدَّرِّ فَوْقَ الْإِثْبِ منها لَأَثَرَا^(٣)
ولحميد قوله^(٤):

مُنْعَمَةٌ لَوْ يُضِيحُ الدَّرُّ سَارِيَا على جِلْدِها صَبَّتْ^(٥) مَدَارِجُهُ دِما
فاحتملوا للمحدث قوله:

يَجْرُحُهُ اللَّحْظُ بِتَكْرَارِهِ ويشتكى الإيماء بالكف
ولأبي الطيب قوله^(٦):

تَأَلَّمُ دَرَزُهُ وَالْدَرَزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبُ الصَّنِيعَا^(٧)

(١) ديوانه (٤: ٥٥).

(٢) ديوانه ص ١٠٣.

(٣) القاصرات: النساء: اللاتي قصرن أعينهن عن الرجال؛ أي حبسها إلا على أزواجهن. والمحول: الصغير من الدر. والإثب: القميص غير مخيط الجانبين؛ يريد أن يصفها بالنعمة.

(٤) شرح ديوان امرئ القيس للبطلوسي ص ١٤٠، وروايته هناك:

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

(٥) في الديوان ١٧: بضت.

(٦) ديوانه (٢: ٢٥١).

(٧) الدرز: موضع الخياطة المكفوفة من الثوب. والتألم: التوجع. والعضب: السيف. والصنيع: المعكم الصقال.

وإذا لم ينزل عندكم حميد بن ثور عن مكانه، ولم يؤخره عن مقامه إفراطه في قوله يصف امرأة ركبت هودجها^(١):

فما دخلت في الخدر حتى تنقّصت تأسيرُ أعلى قِده وتحطّما^(٢)
وما ركبت حتى تناول يومها وكانت لها الأيدي إلى الحذب^(٣) سلّما
فجزّجرَ لما كان في الخدر نصفها ونصف على آياته ما تجزّ ما
وما كاد لما أن علّته يقلّها بنهضته حتى اكلاز وأغصما^(٤)
وحتى تداعث بالنقيض حبّاله وهمت بواني زوره أن تحطما^(٥)
وأثر في ضمّ الصفا ثفنائه ورام بلما أمره^(٦) ثم صمما

قال الأصمعي - وقد قرئت عليه هذه الأبيات: لو كانت هذه المرأة المازندر ما زاد؛ فكيف ملتم على أبي الطيب لإفراطه في قوله^(٧):

ذراعها عدوا دملجنيها يظن ضجيعها الرند الضجيعا
إذا ساغ للمتقدم أن يقول:

فلما جئته أعلى محلي وأجلّسني على السبع الشدا
فأما ما جرى مجرى قول أبي نواس^(٨):

وأخفت أهل الشرك حتى إنّه لتخافك الططف التي لم تُخلق

فهو من المحال الفاسد، وله باب غير هذا، وكل هذا عند أهل العلم معيب مرذود، ومنفي مرذول، وإن كان أهل الإغراب وأصحاب البديع من المخدّثين قد لّهجوا به واستحسنوه، وتنافسوا فيه؛ وبازى بعضهم بعضاً به.

ولسنا نذهب بما نذكره في هذا الباب مذهب الاحتجاج والتحسين، ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ؛ وإنما نقول إنه عيب مشترك، وذنب مقتسم، فإن احتمل للكل، وإن ردّ فعلى الجميع، وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد

(١) ديوانه ١٩.

(٢) تنقّصت: انحلت، وتأسير السرج: السيور التي يؤسر بها.

(٣) في الأصل: إلى الخدر.

(٤) اكلاز وأغصم: تجمع واستمسك.

(٥) بواني زوره: أضلاع صدره. والنقيض: صوت المحامل.

(٦) في الأصل: بسلمي. ورام بلما: أي أراد ألا يقوم؛ من قولهم: كدت أفعل ولما، ويروى ورمت سلمي أمره ثم صمما.

(٧) ديوانه (٢: ٢٥٢).

(٨) ديوانه ص ٦٢.

من عرض الشعراء، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين .

فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعوّل في التوسّع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر، وقد قدمنا عند ذكرنا البديع نبذاً منها مثلنا بها المُستَحْسَن والمستقبح، وفصلنا بين المقتصد والمفراط .

الإفراط في الاستعارة

وقد كانت الشعراء تجري على نهج منها قريب من الاقتصاد، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة، فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتفصير والإصابة. وأكثر هذا المصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه، وأقمت لك الشواهد عليه، وأعلمتك أنه يُميّز بقبول النفس ونفورها، وينتقد بسكون القلب وتنبؤه. وربما تمكنت الحجاج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه أو غلطه، وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أحياناً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة، وخرج عن حد الاستعمال والعادة؛ فكان مما عدد منها قوله^(١):

مَسْرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطُّبِّبِ مَفْرِئُهَا وَخَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ^(٢)
وقوله^(٣):

تَجْمَعُ فِي فُؤَادِهِ هَمَمٌ مَلَأَ فُؤَادَ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا
فقال: جعل للطبيب والبيض واليَلْب قُلُوباً وللزمان فُؤَاداً. وهذه استعارة لم تجر على شبه قريب ولا بعيد؛ وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة. فقلت له هذا ابن أحمر يقول:

وَلَهْتَ عَلَيْهِ كُلُّ مُغْصَفَةٍ هَوُجَاءَ لَيْسَ لِلْبُهَا زَبْرٌ^(٤)
فما الفصل بين من جعل للريح لُبّاً، ومن جعل للطبيب والبيض قُلُوباً! وهذا أبو رميلة يقول:

هَمَّ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَنْوَعُ بِسَاعِدِ
وهذا الكميت يقول:

وَلَمَّا رَأَيْتَ الدَّهْرَ يَفْلِبُ ظَهْرَهُ عَلَى بَطْنِهِ فَعَلَ الْمَمْعَكُ^(٥) بِالرَّمْلِ
وشاتم الدهر العبقري يقول:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَغَرّاً سَبِيلُهُ وَأَبْدَى لَنَا ظَهراً أَجَبَ مَسْمَعَا

(١) ديوانه (١: ٩٠).

(٢) اليب: الدروع تتخذ من الجلود.

(٤) الزبر: الرأي أو القوة.

(٥) التمعك: التمرغ.

(٣) ديوانه (٤: ٢٧٧).

ومعرفة حصاء غير مفاضة عليه ولونا ذا عثانين أجدعا
وجبهة فرد كالشراك ضئيلة وصغر خديه وأنفاً مُجدعا
فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصاً متكامل الأعضاء، تآم الجوارح؛ فكيف أنكرت على
أبي الطيب أن جعل له فؤاداً! فلم يُجز^(١) جواباً غير أن قال: أنا استبزت^(٢) ووجدت بين
استعارة ابن أحمر للريح ثباً، واستعارة أبي الطيب للطيب قلباً ثوناً بعيداً، وأصبت بين
استعمال ساعد للدهر في بيت ابن رميلة، واستعمال فؤاد للزمان في بيت أبي الطيب فصلاً
جلياً، وربما قصر اللسان عن مُجاراة خاطر، ولم يبلغ الكلام مبلغ الهاجس.

حدثني جماعة من أهل العلم عن أبي طاهر الحازمي وغيره من شيوخ المصريين
عن يونس بن عبد الأعلى قال: سألت الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فقال: إني
لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطق به لساني.

وما أقرب ما قاله من الصواب وأخلقه بالسداد! وقد أجد هذا الفصل الذي تخيل
له بعض البيان؛ وذلك أن الريح لما خرجت بعُصوفها من الاستقامة، وزالت عن
الترتيب شُهِت بالأهوج الذي لا مُسكة في عقله، ولا زبر لُلبه؛ ولما كان مدار الأهوج
على التباس العقل حُسن من هذا الوجه أن يجعل للريح عقلاً، فأما الدهر فإنما يراؤ
بذكره أهله؛ فإذا جعل للدهر ساعداً وعُصداً ومُنكباً فقد أقيم أهله مقام هذه الجوارح
من الإنسان؛ وليس للطيب والبييض والتلب ما يُشبه القلب، ولا ما يجري مع هذه
الاستعارة في طريق.

وقوله: ملء فؤاد الزمان إحداها^(٣)

إن عدل به إلى أهله وأزيل عن مقتضى لفظه اختل المعنى وانقطع عن قوله
بعده^(٤):

فإن أتى خطها^(٥) بأزمينة أوسع من ذا الزمان أبداها
فهذا فصل واضح وفرق ظاهر. وأما أبيات شاتم الدهر^(٦) فإنما صدرت مصدّر

(١) يقال كلمته فما أحر جواباً؛ أي ما رد جواباً.

(٢) سبر الشيء: خبره، والسبر: استخراج كنه الأمر كالاستبصار.

(٣) بقية البيت؛ وصدده:

تجمعت في فؤاده همم

(٤) ديوانه (٤: ٢٧٨).

(٥) خطها: أي الدنيا إن كان لها حظ.

(٦) السابقة التي أولها:

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله

الهزل، وجرت على عادة في الاستعمال مُتَدَاوِلَةً؛ وذلك أنهم لما ابتذلوا اسم الدهر واعتمدوا على صَرْفِهِ في الشكاية والشكر، وأحالوا عليه باللؤم والعتب، وألقوا ذلك واعتادوه حتى صار أغلب على كلامهم، وأكثر في شعرهم وخطابهم من ذِكْرِ أَهْلِهِ وأبنائه، وَمَنْ تَقَعُ هذه المحامد والملاوم عنه، وَيَخْدُثُ أسبابها عن جهته صار كالشخص المحمود المذموم، والإنسان المحسن المسيء، فوصف بأوصافه، وحلي بحلاه، وجعل له أعضاء تعد وتثنت، وتستكرم وتستهن، ومثل هذه الألفاظ قول امرئ القيس^(١)؛ يريد الليل:

فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَغْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ^(٢)
فجعل له صُلْباً وَعَجْزاً وَكُلِّكَلاً لما كان ذا أولٍ وآخر وأوسط، مما يوصف بثقل الحركة إذا استطيل وبخفة السير إذا استقصر؛ وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غير مستكرهة، وقريبة المشاكلة ظاهرة المشابهة، وإنما يُحْمَلُ ما جاء من ألفاظ المحذثين وكلام المولدين زائلاً عن هذا الموضع وغير مستمر على هذا السَّن على وجوه تقرّبهم من الإصابة، وتقيم لهم بعض العذر، وتلك الوجوه تختلف بحسب اختلاف مواضعه، وتباين على قَدَرِ تباين المعاني المتضمنة له، فإذا قال أبو الطيب:

مَسْرَةً فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرِقُهَا

فإنما يريد أن مباشرة مَفْرِقُهَا شرف، ومجاورته زَيْنٌ وَمَفْخَرَةٌ، وأن التحاسد يقع فيه، والحسرة تقع عليه، فلو كان الطَّيِّبُ ذا قَلْبٍ كما لو كانت البَيْض ذوات قلوب لَأَسِفْتُ؛ وإذا جعل للزمان فؤاداً أمَلَتْهُ هذه الهمة فإنما أورده على مقابلة اللفظ باللفظ، فلما افتتح البيت بقوله:

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ

ثم أراد أن يقول إن إحداها تشغل الزمان وأهله ولا يتسع لأكثر منها ترخص بأن جعل له فؤاداً وأعانه على ذلك أن الهمة لا تحل إلا الفؤاد، وسهله في استعارة الأوصاف. وإذا قال أبو تمام^(٣):

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ

فإنما يريد: اعدل ولا تجر، وأنصف ولا تحف^(٤). لكنه لما رآهم قد استجازوا

(١) ديوانه ص ٣٣.

(٢) لما تمطى بصلبه: لما تمدد بوسطه. والكلكل: الصدر. وناء بكلكل: تهيأ لينهض.

(٣) ديوانه ص ٢١٠، والبيت بتمامه:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْقِكَ

(٤) لا تحف: لا تجر ولا تظلم.

أن ينسبوا إليه الجور والميل، وأن يقدفوه بالعسف والظلم، والخزق والعنف، وقالوا: قد أعرض عنا، وأقبل على فلان، وقد جفانا وواصل غيرنا، وكان الميل والإغراض إنما وقع بانحراف الأخذ^(١) وأزوار المنكب، استحسن أن يجعل له أخدعاً، وأن يأمر بتقويمه. وهذه أمور متى حُمِلت على التحقيق، وطلب فيها محض التقويم أُخْرِجت عن طريقة الشعر، ومتى اتبع فيها الرخص، وأُجريت على المسامحة، أدت إلى فساد اللغة، واختلاط الكلام. وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعُرف. والاقتصار على ما ظهر ووضح.

(١) الأخدعان: عرقان في العنق.

من مآخذ العلماء على أبي الطيب ودفاع المؤلف عنه

قد قلت في هذه الأبواب بقدر ما احتملت الرسالة قولاً مجملاً يسهل لك السبيل، ويوقفك على جهة الاحتجاج. ولم أجد لإثبات كل لفظة، واستعراض كل بيت موقعاً من التدبر مرضياً إذا كان أكثرها مذكوراً في الأبيات المتقدمة، وكان ما لم يذكر منها دالاً على نفسه، و متميزاً عن غيره، لا سيما وقد كشفت لك هذه الجملة عن وجه التمييز، ودلتك على مطلب العيب، كما مهدت لك طريق العذر، فأما ما وقع الطعن عليه من جهة الإعراب، واللكنة في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البيئية، والتقصير الفاحش، فلا بد من تعديده، والحكم على كل واحد بعينه؛ لاختلاف مأخذ حججه، وتشعب مذاهب القول في قبوله ورده؛ وإنما أذكر ما انتهى إليّ منه سماعاً وبلاغاً، وما وقفت عليه كشفاً واستقراء؛ غير أنني لا أتجاوز ما يقع الاعتراض عليه من أهل العلم، وما يجري التنازع فيه بين أهل التحصيل والفهم؛ فإني لو شرعت في تبين كل ما يشكل منه على الشاذي^(١) والمتوسط، وعلى الطبقة الأولى من أهل الأدب لاحتججت إلى تفسير الديوان بأسره، فإن اقتصرْتُ فعلى مُعْظَمه وأكثره فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحويُّ لُغوي لا بَصَرَ له بصناعة الشعر؛ فهو يتعرّض من انتقاد المعاني لما يدلُّ على نقصه، ويكشف عن استحكام جهله؛ كما بلغني عن بعضهم أنه أنكر قوله^(٢):

تخطُّ فيها العوالي ليس تُنفِذْها كأنَّ كلَّ سِنَانٍ فوقها قَلَمٌ^(٣)

فزعم أنه أخطأ في وَصْفِ دِزَعِ عَدُوِّهِ بالحصانة، وأسنة أصحابه بالكلال. ومن كان هذا قدر معرفته، ونهاية علمه فمناظرته في تصحيح المعاني وإقامة الأغراض عتاء لا يُجدي، وتعب لا ينفع؛ كأنه لم يسمع ما شحنت به العرب أشعارها من وصف ركُضِ المنهزم، وإسراع الهارب، وتقصير الطالب، وقولهم: إنَّ الذي نجى فلاناً كرمٌ

(١) الشاذي: المبتدئ.

(٢) ديوانه (٤: ٢٥).

(٣) العوالي: الرماح. يعني إن الرماح تؤثر فيها ولا تنفذها؛ حتى كأنها قلم في كاغد.

فرسه، والذي ثبطني عنه سرعة طرّفه^(١)، ولم يعلم أنّ مذاهب العرب المحمودّة عندهم، الممدوح بها شجعانهم التفضل عند اللقاء، وترك التحصن في الحرب، وأنهم يرون الاستظهار بالجنّ^(٢) ضرباً من الجبن، وكثرة الاحتفال والتأهب دليلاً على الوهن، ولم يسمع قول الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبة ملمومة خرساء يخشى الدارعون يزألها
كنت المقدّم غير لابس جُنّة بالسيف تضرب معلماً أبطلها
ولما أنشد كثيرُ عبد الملك بن مروان^(٣):

على ابن أبي العاصي دلاصَ حصينة أجاد المُسدّي سرّدها وأذالها^(٤)

قال له عبد الملك: وصفتني بالجبن! هلا قلت كما قال الأعشى، وذكر البيتَ المتقدمين. فقال: وَصَفْتُكَ بِالْحَزْمِ وَوَصَفَهُ بِالْحَزَقِ. وأنشد الأصمعي قول مُزَرَّد ابن ضِرار^(٥):

ومسفوحة فضفاضة تُبعية وآها القتييرُ تجتويها المعابيل^(٦)
دلاصَ كظهر النون^(٧) لا يستطيعها سينان ولا تلك الحظاء الدواخل^(٨)
موشحة بيضاء دان حبيكها^(٩) لها حلقٌ بعد الأنامل فاضل^(١٠)

قال الأصمعي: لئن كان أجاد في وصف الدرع لقد عاب لابساها؛ لأن فرسان العرب المذكورين لا يحفلون بسبوغ الدروع وحصاتها؛ وأنشد:

الدرع لا أبغي لها ثروة كل امرئ مستودع ماله
ويروى غيره: «لا أبغي لها نثرة» هكذا الأصمعيّ ينشده ويقول في معناه: كل من قدر عليه شيء أصابه. وأنشد أيضاً بيتي الأعشى اللذين ذكرناهما. فهذا مذهب العرب:

(١) الطرف: الكريم من الخيل.

(٢) الجن: جمع جنة: والجنة: ما وراك من السلاح.

(٣) اللسان - مادة ذال.

(٤) الدلاص: الدروع البراقة الملساء اللينة. وأذال فلان ثوبه: إذا أطال ثوبه.

(٥) المفضليات (١: ٩٦). ومزود لقبه، واسمه يزيد بن ضرار، وهو أخو الشماخ بن ضرار.

(٦) المسفوحة: الدرع المصبوبة، وكأنه يريد الواسعة. الفضفاضة: الواسعة. تبعية: منسوبة إلى ملوك اليمن. القتيير: المسامير. وآها: شددتها. المعابيل: سهام طوال عراض الاتصال. تجتويها: تكرهاها؛ يريد أنها تنبر عنها.

(٧) النون: السمكة.

(٨) الحظاء: السهام الصغار؛ لا نصال لها؛ جمع حظوة.

(٩) موشحة: فيها طرائق صفر، أي نحاس. الحبيك: الطرائق من النسيج.

(١٠) فاضل: زائد، يريد أنها سابعة.

وقد قال الكَلْحَبَةُ العُرْنَى^(١) - لما فاته خزيمة بن طارق التَّغْلَبِي: فَاذْرَكَ إِبْقَاءَ العَرَازَةِ ظَلْعُهَا وقد تَرَكَتْنِي من خزيمة إضْبَعًا^(٢) فاعتذر إذ فاته خزيمة بظَّلَع فرسه، وإنما يريد تقصيرها لا امتلاءها الماء؛ ألا تراه يقول^(٣):

وَنَادَى مُنَادِي القَوْمِ^(٤) أَنْ قَدْ أَتَيْتُمْ وقد شَرَبَتْ ماءَ المَزَادَةِ^(٥) أَجْمَعًا
وقال سَلَمَةُ بن الخُرْشُب يذكر هَرَب عامر بن الطفيل وأنه نجا بسرعة فرسه^(٦):
نَجَوْتُ^(٧) بَنَظْلِ السِّيفِ لَا غِمْدَ فَوْقَهُ وشَرَجَ على ظَهْرِ الرحالة قاتر^(٨)
فَأُثِنَ عليها بِالَّذِي هِيَ أَهْلُهُ وَلَا تَكْفُرْنَهَا، لَا فَلَاحَ لِكَافِر^(٩)
فلو أَنَّهَا تَجْرِي على الأرض أَدْرَكَتْ ولكنها تَهْفُو بتمثال طائر
وقال أوس بن حجر يذكر هَرَب طفيل بن مالك يوم السوبان:
تقبل من خيفانة جرشعية سليلة معروق الأباجل جرشع
ولو أدركته الخيل شال برجله كما شال يوم الخال كعب بن أصمع
في شعر كثير يكاد يفوت الجمع، ولا يأتي عليه العد؛ كل يحيل الأعداء بالسُّبْق
والنِجاء، وينسب خيله إلى التقصير ولا يرى ذلك عيباً، ولا يعده نقصاً، ولم ينقم
نأقِم، ولم يعبه به عائب.

وقد قالت العرب في معنى أبي الطيب بعينه. قال شريح بن قرواش العبسي:
عشبة نازلت الفوارس عنده وزلَّ سناني عن شريح بن مسهر
وأقسم لولا درعه لتركته عليه عواف من ضباع وأنسر
وقال وَرْقَاء بن زهير في هذا المعنى لما ضرب خالد بن جعفر وهو بارك على
زهير بن جَذِيمة^(١٠):

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهَرُ

- (١) المفضليات (١: ٣٠)، واسمه هبيرة بن عبد مناف، والكَلْحَبَةُ لقب له.
- (٢) المبقية من الخيل: التي تبقى بعض جريها تدخره. الظلح: العرج في المشي. ويريد بقوله: «وقد جعلتني من خزيمة إصبعا»: أن خزيمة فاته وهو قيد إصبع منها.
- (٣) المفضليات (١: ٣٠). (٤) في المفضليات: ونادى منادي الحي.
- (٥) المزادة: إناء كبير من جلد يتزود فيه بالماء.
- (٦) المفضليات (١: ٣٥). (٧) يخاطب عامر بن الطفيل.
- (٨) الرحالة: فرسه. والسرَج القاتر: الجيد الوقوع على ظهر الدابة ليس بصغير ولا كبير.
- (٩) أثن عليها؛ إذ نجحتك. والكافر: السائر للنعمة والإحسان.
- (١٠) أيام العرب ٢٤٠، لسان العرب - مادة ظهر.

فهو إنما دعا على يمينه بالشلل تأسفاً، ولم يذم سيفه ولم يذكر نبوءه، ولا نعاه عليه ناع من أعدائه، كما نعي على الفرزدق نبؤ سيفه عن عنق العُلج الخراساني، ولو كانت فيه وَصْمَةٌ أو لحق سيف ورّقاء منه مغابة لما جعله الفرزدق عُذْراً يحسن به فعله، وَحُجَّةٌ يَنَاضِلُ بها خَصْمَهُ فيقول:

فسيف بني عبس وقد ضَرَبُوا به نَبَا يَبِيدِي ورّقاء عن رَأْسِ خَالِدٍ
ولو كان مراده بهذا تقريع بني عَبَس لا الاحتجاج لنفسه لما قال:

كذا سيوف الهِند تُثْبِرُ ظبَاتِها وَيَقْطَعْنَ أحياناً مَنَاطَ القَلَائِدِ

وقال طريف بن تميم لما طعن شيطان بن عمرو الشيباني:

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرة بما أب شيطان بن عمرو بن مرثد
ولم أدر ما أَثْوَابُهُ غير أنسي غبأت^(١) له بالرمح مُسْتَمْكِناً يدي

فهذا يذكر أنه قد طعن مستمكناً مُتَثَبِّتاً؛ وأنه قد استفرغ ما عنده، وبلغ جهده، ولم يعلم ما أَثْوَابُهُ وكيف كانت بِرْثُهُ؟ وهل مَنَعَتْ سِنَانُ الرمح من الخُلوص إلى المَقْتَل، والوصول إلى المَقْصَد، ومن زعم أنه أراد بقوله: لم أذر من أَثْوَابِهِ؛ أي لم أسلبه، فلم يصنع شيئاً؛ لأنه لا يتمكن من سلبه إلا وهو صَرِيح طَرِيح، ولو كان ذلك لم يمكنه الإياب ولم يشك، وقد قتله بما أب به.

وللعرب في وصف السلاح والخيّل مذهبان؛ فإذا وصف شاعرُهم خيلَ قومه، وأداةَ رَهْطِهِ، وسلاحَ عَشِيرَتِهِ، وما أدَّخَرَهُ هو من عَتَادٍ، واقتنأه من رِبَاطٍ^(٢)، فإنما يريد أننا أهلُ حروب ومغارات، ولنا النجدة والمُنَّة، وأنا فينا العزُّ والقهر، ولنا الغلبة والفضل، وإذا وصف بذلك عدوّه ومحاربَه فإنما يطلب الغَضَّ منه والنعي عليه، وليس يفعل ذلك إلا وقد حاذ ذلك العدوُّ عنه في مُلْتَقَى، أو حاجزه في مُعْتَرَك، أو دعاه إلى البراز فلم يُجِبْهِ، أو أجابه فلم يثبت له؛ فهو إذا وصف سلاحه فإنما يقول له: إنك هربت وأنت مُؤَدٌّ^(٣) شاك السلاح، تام الآلة، حديد السيف، ماضي السنان؛ فهو أَثْلَمَ لِعِزِّضِكَ، وأدُلُّ على عجزك، وأبلغ في ذمِّك. وإذا وصف فرسه فإنما يعتذر من بقاءه بَعْدَ لِقَائِهِ، ومن خلاصه بعد تورطه. ويريد أن الفرس نجته وأطلقته؛ وإنما منّت عليه وأنقذته، فهو طليقُها، وأسير مَنُهَا ورقيقها، كما قال:

ولا تَكْفُرْ نَهْأَها، لا قَلَاخَ لِكَافِرٍ

(١) غبأت: قصدت.

(٢) الرباط من الخيل: الخمس فما فوقها، والرباط: ملازمة ثغر العدو، وربما سميت الخيل رباطاً.

(٣) رجل مؤد: ذو أداة، وهو شاك في السلاح.

فهذا هذا.

أو معنوي^(١) مدقق لا علم له بالإغراب، ولا اتساع له في اللغة؛ فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البين، كفعل بعضهم في قوله^(٢):

لَأَنْتَ أَسْوَدُ^(٣) فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

إنَّه أنكر أسود من الظلم، ولم يعلم أنه قد يحتمل هذا الكلام وجوهاً يصح عليها، وأن الرجل لم يرد «أفعل» التي للمبالغة. كإنكار آخر قوله:

فَالْغَيْثُ أَبْخَلَ مَنْ سَعَى

فزعم أن مَنْ لا تكون إلا لما يعقل، و«أفعل» لا يجري إلا على البعض من تلك الجملة، تقول: زيد أفضل من الناس؛ فلا بد أن يكون زيد من الناس، ولو قلت: أفضل الحمير لم يصح. وكذلك لو قلت: أفضل ما يقضم الشعر وبَرَغَى الكَلأ لم يَجْز. قال: فَمَنْ سَعَى لا يقع إلا على عاقل، والغيث ليس من هذه الجملة. وهذا الاعتراض يدل على تقصير شديد في العلم بكلام العرب؛ لأن العرب إذا وصفت الشيء بصفة غيره استعارت له ألفاظه، وأجرته في العبارة مجراه، وإن كان لو انفرد انفرد عنه بصفته، وتميَّز دونه بعبارته؛ فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُمَا لِي سَجْدَتَا﴾ [يوسف: ٤] لَمَّا وصفهما بالسجود جمعهما بالياء والنون، ولا يُجمع بهما إلا جنس مَنْ يعقل، أو ما خَرَجَ عن بابه لعلل مذكورة في مواضعها، لكنه لما أجرى على الكواكب صفة مَنْ يعقل ألحقها في العبارة بهم. وكذلك قوله حاكياً عن السموات والأرض: ﴿فَالنَّارُ أَنْبَأُ طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١] لما حكى عنهما النطق والقول والطاعة والائتمار أجرى الكلام على ذلك فقال: ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢] وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وهو كثير. وفي الشعر؛ فإذا جعل الغيث بخيلاً أو جواداً، ووجد العرب قد أجازت وتكلمت به جاز له إلحاقه بالبخل والأجواد في استعمال العبارة، فكأنه قال: الغيث أبخل السَّعَاة، ولو قال ذلك لم ينكره منكر، وإن كان هذا السعي ابتناء المعالي لا السعي على الأقدام، وقد أنشدني بعض من أثقُّ به لبعض العرب:

مَتَى نَوَّهْتَ فِي الْهَيْجَاءِ بِاسْمِي أَتَاكَ السَّيْفُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيبُ

(١) الثاني الذي يقابل قوله قبل: فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحوي أو لغوي.

(٢) ديوانه (٤: ٣٥). وصدر البيت:

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له

(٣) لا يقال: أسود من كذا؛ لأن الألوان لا يبنى منها أفعل التفضيل، على أن الكوفيين قد حكى عنهم: ما أسود شعره وما أبيضه! ولصاحب البيان هنا كلام يوجه به كلام المتنبي ويصححه.

لَمَّا جَعَلَ السِّيفَ مُجِيباً لَهُ الْحَقَّ بِمَنْ نَصَحَ مِنْهُ الْإِجَابَةُ مِنَ الْعُقْلَاءِ . وَكَإِنْكَارِهِمْ قَوْلُهُ^(١) :

أَثَابَ بِهَا مُغَيَّبِي الْمِطْيِ وَرَازِمُهُ^(٢)

فزعموا أن كلام العرب : ثاب جسم فلان : رجع لقوته بعد المرض ؛ وهذا أبو زيد يروي عن العرب : أثاب الرجل إذا ثاب إليه جسمه ، وقد حكاه عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ، وحكى غيره ثاب وأثاب بمعنى واحد .

ولو عرَّجنا على كل مُعْتَرِضٍ وَأَصْغَيْنَا لِكُلِّ قَائِلٍ لَامْتَدَّ بِنَا الْقَوْلُ وَلَأَعْجَزْنَا كَثْرَةَ الْخَصْمِ عَنْ امْتِحَانِ الشَّهَادَاتِ ، وَشَغَلْنَا بِاتِّصَالِ الدَّعْوَى عَنِ التَّوَسُّطِ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ بِالْكَشْفِ مَا يَشْتَبِهُ ، وَبِتَوْسُطِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَشْكَلُ وَيَلْتَبَسُ . وَنَصُونُ كِتَابَنَا عَنْ سَخِيفِ الْإِعْتِرَاضِ ، كَمَا نَصُونُهُ عَنْ ضَعِيفِ الْإِنْفِصَالِ .

(١) ديوانه (٣ : ٣٣١) وصدره :

إِذَا ظَفَرْتَ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظَرَةٍ

(٢) الرازمة من النوق ، والرازم من الإبل : الذي نام من الإعياء وأقعده الهزال عن الشيء .

ما عاب العلماء على أبي الطيب

فمما أنكره عليه أهل العلم واستضعفوه قوله^(١):

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنُ الشُّيْحُ^(٢)

فقال أهل الإعراب: حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرك إلى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت، فقال لهم المحتج عن أبي الطيب: لعمرى إن وَجْهَ الكلام ما ذكرتم، لكنَّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر، وأنشد فيه لحسيل بن عُرْفُطَةَ^(٣):

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ^(٤) رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى^(٥) بِالْمُرَرِّ

غَيْرِ الْجِدَّةِ عَنْ عِرْقَانِهَا خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ

وأبو زيد ثقةٌ والرواية عن العرب حجة، وقد جاء مثله^(٦):

فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكَ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلٍ

كأنه حذف ثم جاء بالساكن من بعد فتركه على الحذف. وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى، فقال المحتج عنه إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام، وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأول بقية، فأما أن يستوفي مراده، ثم ينتقل إلى غيره فليس بعيب، وإنما المضراغان كالبينين، وهو قد استوفى بقوله:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ

(١) ديوانه (١: ٢٤٣).

(٢) التبريح: الشدة. والجلل: الأمر العظيم. والرشاء: ولد الظبية. والأغن. الذي في صوته غنة، وهي صوت من الخيشوم.

(٣) التبيان (١: ٢٤٣).

(٤) في الأصلين:

لم يك الحق على إنهاجه

(٥) في التبيان: «قد تعفت».

(٦) التبيان (١: ٢٤٣).

هذا المعنى، ثم ابتدأ بالمصرع الثاني مستفهماً فما في هذا من العيب! وقال بعضهم: قد يفعل الشاعر مثل هذا في النسيب خاضة ليدل به على تمكّن الشوق منه، وغلبة الحب عليه، وليزى أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خطابه، قالوا: ولذلك قال:

أَغْدَاءُ ذَا الرُّشَا الْأَعْنُ الشَّيْخُ

وجعلوا من هذا الباب قول زهير^(١):

فَفَ بِالْذِّيارِ الَّتِي لَمْ يَغْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْواحُ^(٢) وَالذِّيمُ

فتنقض بالمصرع الثاني الأول ولم يحفل بتكذيب نفسه، وأنكر هؤلاء قول من ذهب إلى أن معنى البيت أن القدم لم يغفها، وإنما غيرها الأرواح والذيم. ومن النقص الظاهر قول بشار:

لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْتَمْ وَنَفْسِي عَنِّي الْكَرَى طَيْفَ أَلَمٍ

فقال: لم أنتم، ثم زعم أن الطيف أَلَمٌ به، وهو لا يَلُمُ إلا بنائمه. وقال غيره إن بين المصراعين اتصالاً لطيفاً، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه، وشدة أسفه بين أن الذي أورثه التبريح والأسف وهذى إليه الشوق والقلق هو الأعن الذي شككته غلبة شبه الغزلان عليه في غذائه، وهذا الاعتذار قريب.

وعابوا له^(٣):

أَمِطَ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَلَا أَحَدَ قَوْفِي وَلَا أَحَدَ مِثْلِي

فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بمثل وشبهه ونحوهما، ومن الأدوات بالكاف، ثم تدخل على أن فيقال: كأنه الأسد، وقد تُقَرَّبُ العربُ التشبيه بأن تجعل أحد الشيئين هو الآخر، فتقول زيد الأسد عادياً، والسيف مسلولاً، فأما ما قلها مواقع معروفة وليس للتشبيه في أبوابها مدخل. وهذا مما سُئِلَ أبو الطيب عنه فذكر أن ما تأتي لتحقيق التشبيه؛ تقول: عبد الله الأسد وما عبد الله إلا الأسد وإلا كالأسد، تنفي أن يشبهه بغيره، قال:

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَها بَغْلٌ

وقد تجيء مع الكاف قال لبيد:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشُّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ زَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

(١) ديوانه ص ١٤٥، والبيان (١: ٢٢٤).

(٢) الأرواح: جمع ريح. والذيم: جمع ديمة، مطر يدوم مع سكون يوماً أو يومين.

(٣) ديوانه (٣: ١٦١).

فَكَأَنَّ قَائِلًا قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا كَذَا ، وَأَخْرَجُ قَالَ : كَأَنَّهُ كَذَا ، فَقَالَ : أَمَطَ عَنْكَ تَشْبِيهِ بِمَا وَكَأَنَّهُ . وَأَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ بِمَا مُحَالٌ وَإِنَّمَا يَقَعُ التَّشْبِيهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا بِخَرْفِهِ ، فَإِذَا قَالَ : مَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ فَإِنَّمَا الْمَفِيدُ لِلتَّشْبِيهِ الْكَافُ وَدَخَلَتْ مَا لِلنَّفْيِ فَتَنَفَّتْ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ ، فَهِيَ لَمْ تَتَعَدَّ مَوْضِعَهَا مِنَ النَّفْيِ ، لَكِنَّمَا نَفَتْ الْاِشْتِبَاهَ سِوَى الْمُسْتَشْنَى مِنْهَا ، وَإِذَا قَالَ : مَا هِنْدٌ إِلَّا مَهْرَةٌ فَإِنْ مَا دَخَلَتْ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، وَكَأَنَّ الْأَصْلَ هِنْدٌ مَهْرَةٌ ، وَهُوَ فِي تَحْقِيقِ الْمَعْنَى عَائِدٌ إِلَى تَقْرِيبِ الشَّبَهِ ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ مُبَايِنًا ، ثُمَّ نَفَى أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ فَادْخَلَ حَرْفِي النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ، فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ أَنْ يُنْسَبَ التَّشْبِيهُ إِلَى مَا إِذَا كَانَ لَهُ هَذَا الْأَثَرُ^(١) ، وَبَابُ الشَّعْرِ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَضِيقَ عَنْ مِثْلِهِ .
وَأَنْكَرُوا قَوْلَهُ^(٢) :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّاسِ بَوَاقَاتُ لَهَا وَطُبُولُ

فَقَالُوا : إِنَّ جَمْعَ بَوَاقٍ عَلَى بَوَاقَاتٍ خَطَأٌ ، وَإِنَّمَا يَجْمَعُ بَابُ فُعْلٍ عَلَى أَفْعَالٍ فِي أَدْنَى الْعَدَدِ لَهُ : قُعْلٌ وَأَقْفَالٌ . وَعُودٌ وَأَعْوَادٌ ، وَقَدْ يَخْرُجُ عَنْهُ إِلَى أَفْعَلٍ ؛ مِثْلُ بُرْدٍ وَأَبْرَدٍ ، فَأَمَّا فِي أَكْثَرِ الْعَدَدِ فَالْبَابُ فُعُولٌ ؛ نَحْوُ جَنْدٍ وَجُنُودٍ ، وَبُرْدٍ وَبِرُودٍ ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُضَاعَفِ فِإِفْعَالٍ ، نَحْوُ خُفٍّ وَخَفَافٍ ، وَحُبٍّ^(٣) وَجِبَابٍ ، وَقَدْ جَاءَ عَلَى فُعْلَةٍ نَحْوُ تُرْسٍ وَتِرْسَةٍ ، وَجُحْرٍ وَجَحْرَةٍ ، وَعَلَى فِعْلَانٍ ، نَحْوُ كُوزٍ وَكَيْزَانٍ ، وَعَلَى فِعَالَةٍ ، نَحْوُ مُهْرٍ وَمِهَارَةٍ ، وَإِنَّمَا يَجْمَعُ عَلَى فِعْلَاتٍ^(٤) مَا كَانَ عَلَى فُعْلَةٍ ؛ نَحْوُ رَكْبَةٍ وَرَكِبَاتٍ ، فَيَكُونُ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَوْجَهَ : فَتَحَ الْكَافُ وَضَمُّهَا وَتَسْكِينُهَا ، فَأَمَّا فُعْلٌ وَفِعْلَاتٌ فَمِمَّا لَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ فِي صَحِيحٍ وَلَا مَعْتَلٍ . وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : هَذَا الْأِسْمُ مَوْلَدٌ لَمْ يُسْمَعْ وَاحِدُهُ إِلَّا هَكَذَا وَلَا جَمْعُهُ بغيرِ التَّاءِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ خَمَامٍ وَخَمَامَاتٍ وَسَابَاطٍ وَسَابَاطَاتٍ ؛ وَسَائِرُ مَا جَمَعُوهُ مِنَ الْمَذَكَّرِ بِالتَّاءِ . وَقَالَ الْمُحْتَجُّ عَنْهُ : إِنْ أَصْلُ الْجَمْعِ التَّأْنِيثُ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ مَا جَاءَ مِنْهُ بِالتَّاءِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ مَذَكَّرًا . قَالَ : فَمَنْ جَمَعَ اسْمًا لَمْ يَجِدْ مِنَ الْعَرَبِ جَمْعَهُ فَأَجْرَاهُ عَلَى الْأَصْلِ لَمْ يَسْغُ الرَّدُّ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَجْزَ أَنْ يَنْسَبَ إِلَى الْخَطَأِ لِأَجْلِهِ ، وَهَذَا اسْمٌ أَعْجَمِي تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ ، وَلَمْ يَحْفَظْ عَنْهُمْ جَمْعُهُ ، فَلَمَّا احْتِاجَ الْمُؤَلَّدُونَ إِلَيْهِ أَجْرَوْهُ عَلَى أَصْلِ الْجَمْعِ ، وَتَبِعُوا فِيهِ عَادَةَ الْعَرَبِ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُنْقُولَةِ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ ، نَحْوُ سُرَادِقٍ وَسُرَادِقَاتٍ ،

(١) قَالَ فِي التَّبْيَانِ : الصَّحِيحُ مِنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ أَنَّ مَا نَكَرَ بِمَعْنَى شَيْءٍ مَوْضُوعَةٌ لِلْعُمُومِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَمَطَ عَنْكَ تَشْبِيهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ .

(٢) دِيَوَانُهُ (٣ : ١٠٨) .

(٣) الْحَبُّ : الْجَرَّةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَحْبَابٍ أَيْضًا .

(٤) فِي الْأَصْلَيْنِ فِعْلَانٍ - بِالنُّونِ .

وَسَابَاطُ وَسَابَاطَاتُ، وَخَانَ وَخَانَاتُ، وَهَارُونَ وَهَارُونَاتُ، وَإِوَانٌ^(١) وَإِوَانَاتُ، فَعَدَلُوا بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَبْنِيَةِ عَنْ أَصُولِ قِيَاسِهَا، وَأَلْحَقَهَا بِأَصْلِ الْجَمْعِ وَغَلَبُوا فِيهَا التَّأْنِيثَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَازَ فِي خَانَ وَهُوَ مِثْلُ مَالٍ أَنْ يُجْمَعَ عَلَى خَانَاتٍ، كَمَا لَا يُقَالُ: مَالٌ وَمَالَاتُ، وَلَا فِي إِوَانٍ وَهُوَ مِثْلُ جِرَابٍ، وَقَدْ تَرَخَّصُوا فِي الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَغْلِيْبًا لِلتَّأْنِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَأَخْرَجُوهَا عَنْ أَبْوَابِهَا، وَخَالَفُوا فِيهَا أَخَوَاتِهَا؛ قَالُوا: بُوَانٌ وَبُؤَانَاتُ^(٢)، وَخَيَالٌ وَخَيَالَاتُ، وَجَمَلٌ سِجَلٌ وَجَمَلٌ سِجَلَاتُ، وَلَمِيلُهُمْ لِهَذَا الْاِخْتِيَارِ قَالُوا فِي جَمْعِ ذِي الْقَعْدَةِ: ذِرَاتُ الْقَعْدَةِ، وَفِي جَمْعِ ابْنِ آوَى بَنَاتُ آوَى، وَكَذَلِكَ بَنَاتُ عَرَسٍ، وَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الشُّهُورِ، فَجَمَعُوا رَمَضَانَ وَشَوَالَ رَمَضَانَاتٍ وَشَوَالَاتٍ؛ كُلُّ هَذَا تَقْدِيمًا لِلتَّأْنِيثِ فِي بَابِ الْجَمْعِ، وَمَقِيلًا بِهِ عَنِ التَّذْكِيرِ، وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ قِيَاسٌ مَطْرِدٌ وَبَابٌ مُشْتَقٌّ، عَدَلُوا بِهِ عَنْهُ وَهُوَ مُعْرَضٌ. وَتَرْكُوهُ وَهُوَ سَهْلٌ مُمْكِنٌ. فَلِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ اخْتَارَ أَبُو الطَّيِّبِ بَوَقَاتٍ عَلَى أَبْوَاقٍ، وَالْوِزْنَ يَتِمُّ بِهِمَا، وَالضَّرُورَةُ لَا تَدْفَعُ أَحَدَهُمَا.

قَالَ الْخَطْمُ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً عَنِ الْعَرَبِ فَقَدْ تَكَلَّمَتْ بِهَا، وَعَرَفَتْ قَدِيمًا فِي لُغَتِهَا: وَأَنْشَدُوا:

رَحَى طَحَّانَةٍ صَاحَ بُوقُهَا^(٣)

وَقَدْ رَوَى فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي أَمْرِ يَنْصِبُهُ عِلْمًا لِلصَّلَاةِ؛ يَجْمَعُ النَّاسَ عَلَيْهَا؛ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَاقُوسٌ كَنَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ آخَرُونَ: بُوقٌ كَبُوقِ الْيَهُودِ، وَلَسْنَا نَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ عَرَبِيَّةً صَحِيحَةً، وَأَنْ تَكُونَ اللَّغَتَانِ اتَّفَقَتَا فِيهَا، فَإِنَّا نَجِدُ لَهَا اسْتِقَاقًا وَأَصْلًا فِي الْعَرَبِيَّةِ مَشْهُورًا، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: أَصَابَتْنَا بُوقَةٌ مِنَ الْمَطَرِ؛ أَيْ دَفْعَةٌ. قَالَ رُوْبَةُ^(٤):

مِنْ بَاكِرِ الْوَسْمِيِّ نَضَّاحِ الْبُوقِ

وَيَقُولُونَ لِلشَّيْءِ إِذَا انْفَجَرَ دَفْعَةٌ: انْبَاقٌ، وَهَذَا الْبُوقُ الْمَصْنُوعُ يَنْدَفِعُ فِيهِ الصَّوْتُ فَكَأَنَّهُ يَنْفَجِرُ مِنْهُ، وَيَتَنَقَّلُ انْفِلَاتِ الْبُوقَةِ مِنَ الْمَطَرِ، فَإِنْ كَانَتْ عَرَبِيَّةً فَبَابُ جَمْعِهَا مَعْرُوفٌ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْجَمِيَّةً فَالْعَرَبُ إِذَا عَرَّيَتْ أَعْجَمِيًّا أَلْحَقَتْهُ بِكَلَامِهَا، وَأَجَزَتْهُ عَلَى أَبْنِيَّتِهَا؛ أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا: مُهْرَقٌ^(٥) وَمَهَارِقٌ، وَبَلَّاسٌ^(٦) وَبُلَّاسٌ، وَبُسْتَانٌ وَبَسَاتِينٌ،

(١) هو الإيوان. (٢) البوان: عمود للخباء.

(٣) البوق: شبه متقاف ملئوي الخرق يتفخ فيه الطحان فيعلو صوته فيعلم المراد به.

(٤) اللسان - مادة بوق.

(٥) المهرق: الصحيفة البيضاء، وقيل: المهرق: ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل، ثم يكتب فيه؛ وهي فارسية معربة.

(٦) البلاس: المسح. قال أبو عبيدة: ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المسح.

وَيَلْمَقُ^(١) وَيَلَامِقُ، وَرَزْدَقُ وَرَزَادِقُ^(٢)، وأمثال ذلك كثير موجود؛ وإنما يعدلون ببعضها عن بابها إلى التاء كما يعدلون بالعربي في نحو قولهم: بُوَانٌ وَبُؤَانَاتُ^(٣)؛ وإنما هذه الأحرف التي غَذِذْتُموها ألفاظٌ خرجت عن القياس، وشذت عن العبرة، وإنما يتبع فيها السماع، ويوقف عند الرواية، لا يتعدى إلى غيرها، ولا يتجاوز تلك الحروف بأغنيها. ولا تكاد تجد باباً من العربية يخلو من نوادر وشواذ؛ ولو جعلت أصولاً وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الكلام، ولجاز أن يقال في جمل أجمل كما قالوا: جَبَلٌ وَأَجْبَلٌ، وِجَارٌ وَكَلْبٌ وَأَكْلَابٌ كما قالوا: فَرْخٌ وَأَفْرَاحٌ. قال المحتج: ليس هذا من الباب الذي ذكرته، وليس بجار مجرى الشاذ والناذر، بل قياسٌ مستمر في جميع ما لا يوجد له مثال القلة من المذكر، وقد جاء أيضاً فيما له مثال القلة وإن لم يكن مستمراً، وأنشد قول أوس بن حَجَرٍ:

تَكْتَفُنَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِيَنْتَزِعُوا عِلْقَاتِنَا ثُمَّ تَرْبِعُوا
فَجَمَعَ عِلْقاً عَلَى عِلْقَاتٍ لغيره:
يَرَى عَيْساً يَسُودُهُنَّ مَاءٌ مِنَ النَّجَدَاتِ يَحْلِبُهَا الذَّمِيلُ
يريد جمع النجد، وهو الغرق؛ في أبيات كثيرة تشهد لما قاله.



قد قال الفريقان ما حكيناه؛ وقد كان لأبي الطيب في الصَّحِيحِ مندوحة، وفي المُجْتَمَعِ عليه مُتَّسَعٌ. وعاثوا قوله^(٤):

وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفْسُوسَنَا بِهَا أَنْفٌ^(٥) أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمُ وَالْعَظْمَا
فقالوا: قَطَعَ الْكَلَامُ الْأَوَّلُ قَبْلَ اسْتِيفَاءِ الْكَلَامِ وَإِتْمَامِ الْخَبَرِ، وإنما كان ويجب أن يقول: كَأَنَّ نَفُوسَهُمْ لِيَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْقَوْمِ، فيتم به الكلام. وهذا من شنيع ما وُجِدَ فِي شِعْرِهِ، وقد اعتذر له بأمور سنذكرها على ما فيها بمشيئة الله تعالى.

زعم بعض المحتجين عنه أن العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرف الضمير عن وجهه، وتترك رده مع الحاجة إليه؛ لأن المراد بالضمير الثاني هو الأول في الحقيقة، وإن اختلفت العلامتان. قالوا: وقد جاء ذلك عن العرب في الأسماء الناقصة

(١) اليلمق: القباء المحشو، وهو فارسي.

(٢) الرزدق: السطر من النخيل، والصف من الناس، وهو معرب من الفارسية.

(٣) البوان: بكسر الباء وضمها: عمود للخباء.

(٤) ديوانه (٤: ١٠٩).

(٥) الأنف: الاستكاف من الشيء.

التي تتم صلاتها وهي أحوج إلى الضمير الراجع إليها؛ لأنها كالحَرْف المفرد لا يتم إلا بالحروف التي تنضاف إليه؛ فصلته بما فيه من الضمير كبقية حروف الاسم، فهو أَمْسُ حاجة، وأشدُّ افتقاراً إلى رَدِّ الضمير إليه، وتكميل ذلك النقص به، فمما جاء في ذلك قول المهلهل:

وأنا الذي قتلْتُ بَكْرًا بِالقَنَا وتركْتُ تَغْلِبَ غير ذاتِ سِنَامٍ
وإنما وَجْهُ الكلام: وأنا الذي قُتِلَ؛ ويكونُ في قُتِلَ ضميرٌ تقديرُهُ وأنا الذي قُتِلَ هو.
وقول أبي التَّجَم:

يا أيُّها الذي قد سُوِّتَني وفضحتني وطردتُ أُمَّ عِيَالِيَا
ولو رَدَّ الضميرُ على حقيقةِ الكلام لقال: الذي قد ساءني.

وكلُّ هذا حُمِلَ على المعنى، قالوا: وقد جاء في القرآن العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. وليس في الخبر ما يرجعُ إلى الأول، ولو رَدَّ الضميرُ إلى الأول لقل: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ؛ لكنه لما كان من أَحْسَنَ عَمَلًا هم المُضْمَرُونَ بهم، الذي في أَجْرَهُمْ جاز أن ينوب أحدهما عن الآخر، لأنَّ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا هُوَ مَنْ آمَنَ.

ومثْلُ هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّبِيلِ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ إِنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [الأعراف: ١٧٠] لما كان معنى المصلحين معنى الذين يمسكون بالكتاب جاز أن يُقَامَ مقامه فيعود الذكر إليه في المعنى، فكأنه قال: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ. وعلى هذا أجاز النحويون: المؤمنُ أَكْرَمُ من اتَّقَى اللَّهَ، لأنَّ معنى مَنْ اتَّقَى اللَّهَ معنى المؤمن؛ قالوا: فكذلك هذان الضميران في اتفاق المعنيين.

قالوا: وقد جاء في شعر العرب ما يُشَبِّه هذا مما أُقيم فيه أحد الكنايتين مقام الأخرى اعتماداً على المعنى؛ مثل قول لبيد^(١):

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمَكُهُ^(٢) فسَمَّا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَعُغْلَامُهَا

يريد كَهْلُنَا وَعُغْلَامُنَا. قالوا: وشبيه بهذا قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا كُتِرَ فِي الْفَلَاحِ وَجَرَّتْ بِهِمْ رِيحُ طَبَاقٍ﴾ [يونس: ٢٢] عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب اعتماداً على ظهور المعنى. قالوا: ويجوز أن يكونَ اكتفى بقوله: وإني لمن قوم كرام وأشرف.

فخذف الصفة استغناء بما تقدم، وما تعقب من الكلام، ثم ابتدأ خبراً ثانياً،

(١) شرح المعلقات للبريزي ص ١٦٨.

(٢) السمك: الارتفاع.

وصرف الخطاب عن الأول، وهذا سائغ لا يُرَدُّ. ألا تراه لو قال: وإني لمن قوم كرام، ثم أَمْسَكَ لكان قد استكمل الفائدة، واستوفى الغرض، ولم يُخْطَر عليه العدول إلى غيره، ولم يُطالَب برَدِّ الضمير إلى ما تقدّمه. ومن طلب أبواب الحذف والاختصار، والانتقال من كلام إلى كلام، والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجتزأ بظهور الغاية واستيانة المراد. وتَبَيَّنَ ذلك في معادنه. والكتب المصنفة فيه تُصَوِّرُ صحة ما قلناه؛ فأما استقصاء ذلك وذكر جميعه فمما يُعْظِمُ حجم الكتاب، ويُطِيلُ حواشي الكلام، ولا يحصل منه على كبير فائدة.

وَأَنشَدُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ:

فتاتان أمّا منهما فشبّهة هلالاً وأخرى منهما تُشَبِّهُ الشَّمْسَا
فتاتان بالنجم السعيد وَلِذُنْمَا ولم تلقيا يوماً هواناً ولا نُحْسَا

فلم يقل فتاتان وَلِذَاتَا، وهو حقُّ الكلام؛ لكنه عدل إليهما مخاطباً، ولم يَحْفَلْ بتغيير الكنايات والضمائر. قوله: فتاتان كالمنقطع من الكلام قبل استقلاله بفائدة، والكلام الثاني كالمبتور قبل تمامه إلا أن يُحْمَلَ على ما حملنا عليه بيت أبي الطيب، ونحو بيت ابن الرقيات قول أبي الطيب^(١):

قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ^(٢) المنايا فيكم قَرَأْتُ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامٍ^(٣)
كَانَهُ قَالَ: أَنْتُمْ قَوْمٌ هَذِهِ حَالُكُمْ، وقوله^(٤):

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِحتُ حَزْبُ فإِنَّكَ بِإِذِلٍ^(٥)

وأقول: إن هذه القضية إذا استمرت على ظاهرها، واقتصر على القدر المذكور منها، اختلطت الكنايات وتداخلت الضمائر، ولم يَتَفَصَّلْ غائب عن حاضر، ولم يَتَمَيَّزْ مخاطب. وله مواضع تختصُّ بالجواز، وأخرى تَبْعُدُ عنه، وبينهما فصولٌ تَدِقُّ وتَغْمُضُ، وَلِذِكْرِهَا مَوْضِعٌ هو أَمْلَكُ بهما، وأبيات أبي الطيب عندي غير مُسْتَكْرَهَةٍ في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتجُّ منه مبلغاً، غيرَ أَنَّ أبا الطيب عندي غيرُ معذور بتركه الأمر القوي الصحيح إلى المُشْكِكِ الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية، ولا حاجة ماسة؛ إذ مَوْضِعُ اللَّفْظَتَيْنِ مِنَ الْوَزْنِ واحد؛ ولو قال: نفوسهم لأزال الشُّبْهَةَ، ودفع الغالة، وأسقط عنه الشَّعْبَ، وعناء التعب.

(١) ديوانه (٤: ١٤). (٢) تفرست: تأملت.

(٣) وكان الوجه أن يقول: فيهم قرأت لهم، ولكنه حمّله على المعنى، لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح.

(٤) ديوانه (٣: ١١٦).

(٥) في الأصل: نازل. لقحت الحرب: اشتدت.

وقوله^(١):

مَضَى بَعْدَ مَا أَتَفَّ الرُّمَاحَانِ^(٢) سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُذْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُذْبَا^(٣)

فأنكروا تشنية الرماح، وهو جمع رمح فحاجهم أبو الطيب ببيت أبي النجم^(٤):

تَنَقَّلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّنَقُّلِ بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَتَهَشَّلِ

والتشنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس، وأكثر

ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النجم وأضرابه من شعراء العرب، فهم القدوة وبهم
الالتزام، وفيهم الأسوة.

وقوله^(٥):

فَأَرْحَامُ شِعْرِ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ مَا تَبَيَّ^(٦) تَتَقَطَّعُ

فأنكروا تشديد النون من لدن، وإنما هو لدن وذن؛ فأما تشديد النون فغير

معروف في لغة العرب، وقد كان أبو الطيب حوَّطب في ذلك فجعل مكان لدنه ببابه،
ثم احتج بما أذكره جملة. قال: قد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا
للاضطرار إليه، ولكن للاتساع فيه، واتفاق أهله عليه، فيحذفون ويزيدون، وروى
أبياتاً منها:

إِذَا غَابَ غَدَوًا عَنْكَ بَلَعَمَ لَمْ تَكُنْ جَلِيدًا وَلَمْ تَعِطِفْ عَلَيْكَ الْعَوَاطِفُ

إنما هو ابن العم؛ ومنها قول قطري:

عُدَّةٌ طَغَتْ عُلَمَاءُ بَكْرِبْنِ وَائِلٍ وَعُجْنَا صَدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ

وقول ليلى^(٧):

دَرَسَ الْمَنَّا بِمُتَالِيعٍ فَأَبَانَ

يريد المنازل.

وقول الآخر:

ثُمَّ تَنَادَوْا بَعْدَ ذَاكَ الصُّوْضَا مِنْهُمْ بِهَاتِ وَهَلَا وَيَا بَا

نَادَى مَنَادٍ مِنْهُمْ أَلَا نَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلَا نَا

(١) ديوانه (١: ٦٤).

(٢) يريد رماح الفريقين.

(٣) الهدب: أشجار العين.

(٤) التبيان (١: ٦٤).

(٥) ديوانه (٢: ٢٤٠).

(٦) في الديوان: «لا تبني».

(٧) بقية البيت:

بالحبس بين البيد والسويان

ومتالع: جبل بناحية البحرين.

آخر^(١):

قد وَعَدْتَنِي أُمُّ عُمَيْرٍ وَأَنْ تَأْ تدهن^(٢) رَأْسِي وَتُقَلِّبَنِي وَ
وَتَمْسَحَ الْقَنْفَاءَ^(٣) حَتَّى تَنْتَأَ^(٤)

ومما زاد فيه قول شبيب بن ثعلبة:

وَلَسَبَةُ الْحُرْقُوصِ بِالْقَفْنِ^(٥) وَدُمِّلَ فِي الْإِسْتِ مُسْتَقَرَّنْ
أَجِبُّ مِنْكَ مَوْضِعَ الْوُشْحُنِ فَذَاكَ مِنْ ذَاكَ إِلَى السَّنَنِ
قَطْنَةٌ مِنْ أَجُودِ الْقَطَنِ

فزاد هذه النونات .

وقول الآخر:

تَعَرَّضْتُ لَمْ تَأَلْ عَنْ قَتْلِ لِي تَعَرَّضَ الْمَهْرَةُ فِي الطَّوْلِ
فَزَادَ لَامًا . وَقَالَ الْآخَرُ :

يَا لَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ

وقول الآخر:

وَلَيْسَ الْمَالُ فَاعِلُهُ بِمَالٍ وَإِنْ أَعْيَاكَ إِلَّا الْدَيْنِي
وَالْتَشْدِيدُ فِي لَدُنْ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ؛ لِأَنَّ النُّونَ سَاكِنَةٌ مَعَ هَاءٍ ، وَالنُّونُ تَبِينُ
عِنْدَ حُرُوفِ الْحَلْقِ لِتَبَاعُدهَا مِنْهَا ؛ فَزَادَ فِي تَبِينِهَا فَاجْتَلَبَ التَّشْدِيدَ ، وَهَذِهِ زِيَادَةُ نُونٍ .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ^(٦) :

مُذَلِّدُ شَوْلًا فَإِلَى إِثْلَايِهَا

فحذف النون من لَدُنْ . وقال آخر:

مَنَا إِنْ ذَرَقَرْنَ الشَّمْسُ حَتَّى أَغَاثَ شَرِيدَهُمْ غَلَسُ الظَّلَامِ
فَزَادَ أَلْفًا فِي مَنْ وَقَالَ آخَرُ^(٧) :

إِنْ شَكَلِي وَإِنْ شَكَلَكِ شَتَى فَالزَّمِي الْخُصَّ وَاحْفَظِي^(٨) تَبْيِضِي

(١) أنشده الأَخْفَشُ كما في اللسان - مادة قنف، نتأ .

(٢) في اللسان: «تمسح» .

(٣) في الأصلين: القيفاء؛ والقنفاء؛ الحشفة .

(٤) في الأصلين: حتى ساء، وهذه رواية اللسان - قال: أراد ننتأ، فلما أن يكون خفف تخفيفاً قياسياً، ولما أن يكون أبدل إبدالاً صحيحاً، وكل ذلك ليوافق قوله: تا .

(٥) لسبة الحرقوص: عضتها، والحرقوص: دوية كالبرغوث لها حمة كالزنبور .

(٦) اللسان - مادة شول .

(٧) اللسان - مادة بيض .

(٨) في اللسان: «فاخفضي» .

أراد: تَبَيَّنْصِي، فزاد ضابداً أخرى، والعرب تقول: أنظور بمعنى أنظر؛ وأنشدوا:
 وإنني حيث ما يشني الهوى بصري من حيث ما سلكوا أذنو فأنظور
 قال: وللفصحاء المدلين في أشعارهم ما لم يُسمع من غيرهم؛ كقول امرئ القيس:
 «دِيمَةُ هَطْلَاء»^(١). وذو الرمة: «أَدْمَانَةٌ»^(٢) يعني أدماء. وفي شعر ابن أحمر وأمية:
 «الهِيمَان»^(٣)، و«البلقوس»، و«القساوسة»؛ في جمع قَس. ومثل هذا أكثر من أن يُخصى.
 فقال الخصم: قد خلط هذا الرجل في احتجاجه، وجمع بين أمور مختلفة،
 ودلنا على بُعْده عن تحصيل المعاني، وذهابه عن مقاييس النحو، وأجرى كلامه إلى
 غاية توجب قلب اللغة، ونقض مباني العربية؛ لأنه جعل الشعراء بزعمه أمراء الكلام،
 وأباح لهم التصرف على غير ضرورة؛ وهذه القضية إن سبقت على أطراد قياسها زال
 نظام الإعراب، وجاز للشاعر أن يقول ما شاء، وأن يتناول ما أراد عن قرب، فيثقل
 كل مخفف، ويخفف كل مثقل، ويحذف ويزيد، ويغير المجموع، ويتحكم في
 التصريف، ويتعدى ذلك إلى حركات الإعراب، ويتجاوز به إلى ترتيب الحروف؛ فإذا
 كان هذا ممتنعاً محظوراً، ومتعذراً محجوراً، فلا بُد من حد يقف عنده الشاعر،
 وينتهي إليه الفرق بين النظم والنثر، فيزول هذا الأساس الذي مهّده، والأصل الذي
 قرّره، ويرجع إلى ما قالت العلماء فيه، وما أجيز للمضطر من التسهيل، وفُضِّل به
 النظم من التسامح، وهي أبواب معروفة، ووجوه محصور أكثرها، ومُعْظَم ما يوجد
 فيها رد الكلمة إلى أصلها، وإلى ما أوجب القياس الأعم لها؛ مثل صرف ما لا
 ينصرف؛ لأن تَرْك الصرف لعلّة، فأزيلت وألحق الاسم بأصل الأسماء. ومثل قصر ما
 يُمدّ، لأن المدة زيادة عارضة فحذفت. ومثل إظهار التضعيف كقوله:
 إنني أجود لأقوام وإن ضينئوا

(١) من بيت لامرئ القيس:

دِيمَةُ هَطْلَاء فِيهَا وَطْف طبق الأرض تسحري وتدر
 قال النحويون: قولهم هَطْلَاء جاء على غير قياس؛ لأنه لا يقال سحاب أهطل، ولا مطر
 أهطل. اللسان - مادة هطل.

(٢) من بيت له:

أقول للركب لما أعرضت أصلاً أدمانة لم تربيها الأجاليد
 والأدمانة: الأدماء.

وقد جاءت هذه الكلمة في شعر آخر له:

والجديد من أدمانة عنود

قال في اللسان: وقد عيب عليه، فقيل: إنما يقال هي أدماء، والأدمان كأحر وحران، وأنت لا تقول:
 حرانة ولا صفرائة، وكان أبو علي يقول: بني من هذا الأصل فعلانة كخمصانة. اللسان - مادة آدم.

(٣) الهيمتان: الصوت الخفي.

لأنه الأصل، ونحو هذا وشبهه.

وقد يجيء عن العرب شواذ لا تجعل أصولاً، ولا يُلزَم لها قياس؛ لأن ذلك لو ساغ واستمر لأنقلب اللغة، وانتفضت الحقائق، وهُم إلى الحذف فيه أميل، وبالتخفيف أولع، وعلى ذلك قالوا: درس المنا؛ يريد المنازل. وقالوا: قواطن مكة من وُزق الحما يريد الحَمَام. وهذا باب يتسع فيه القول، وتشعب فيه الوجوه، وقد صنفت فيه كتب معروفة. ولأهل الكوفة فيه رُخص لا تكاد توجد لغيرهم من النحويين؛ كإجازتهم مد المقصور، وترك صرف الاسم المنصرف، ونحو ذلك؛ غير أنهم لا يبلغون به مرتبة الإهمال، ولا يُعرّضونه لتحكم الشعراء، ويجعلون هذا الباب من الضرورة، ويقتصرون به على الحاجة.

فأما ذكر أبي الطيب في هذا الكلام بَلَعَمَ وَعَلَمَاء، ونحو ذلك فبمعزل عن هذا الشأن؛ لأنه سائغ في غير الشعر، وجائز في كل الكلام، وأكثر ما تقول العرب: عَلَمَاءُ بني فلان، وله باب ولا حاجة بنا إلى ذكره، بعد أن عرفنا أنه غير متصل بما تنازعه من ضرورات الشعر، وكذلك الأبيات التي عددها في الحذف، فقد قدمنا لك مِثْل العرب إلى الاختصار، وإثارتها الإيجاز، وغلبة الحذف على كلامها، وكثرته في خطابها.

وقد حكى الأصمعي أن أَخَوَيْنِ من العرب مكثا متهاجرين زماناً، وهما يَحْلَان ويرتحلان معاً فإذا أراد أحدهما الرحيل، قال: أَلَا تَا، فيجيبه الآخر آلافاً، وعلى هذا الطريق جروا في استعمال الترخيم، وترك الخبر في كثير من الابتداءات في مواضع من الشروط، وهذا لا يوجب التعدي إلى ما ترخص به أبو الطيب، وسوَّغه لنفسه واحتج به لشعره. فأما قوله: تبيضضي، فجار على ما خبرناك باحتمال الشعر له من إظهار التضعيف، فأما التشديد الزائد فيه، وفي مستقرّ والطول ونحو ذلك، فلأنها حروف الروي وخواتم القوافي، ومُنْقَطع الكلام، فاحتملت ما لا يحتمله غيرها. ولو ساغ أن يُنصب ذلك عَلَمَاء، ويجعل عبرة، وَيُسْتَمَرَّ على شريطة القياس لوجب أن لا ينكر على الشاعر إذا قال: رأيت حسناً؛ فشدّد النون، أو ضربت محمداً فثقل الدال؛ كما جاز لك في الطول ومستقرّ، ويجري ذلك في سائر الأسماء وجميع الحروف والأفعال، وهذا أمر لا ينتهي إليه عاقل. وقد جاء عن العرب التشديد في أواخر الأسماء إذا وقفوا عليها، وهذا ما يؤكد ما قلناه في تمييز القوافي عن غيرها؛ مِنْ حيث كانت العرب تقفُ عليها، وإن كانت مطلقة.

فأما الألفاظ التي زعم أن الشعراء نفردوا بها فإنها موجودة عن أئمة اللغة، وعمن ينتهي السند إليهم، ويُعْتَمَدُ في اللسان عليهم؛ وإنما تتكلم بما تكلموا به، وواحد كالجميع، والثَّغَرُ كالقبيلة، والقبيلة كالأمة، فإذا سمعنا من العربي الفصيح

الذي يعتد حجة كلمة اتبعناه فيها. ثم إن لم تبلغنا عن غيره، ولم نسمع بها إلا في كلامه لم نزعم أنه اخترعها، ولم نحكم أنه أبو عُذْرُهَا.

وعلى هذا أكثر اللغة؛ لا سيما الألفاظ النادرة، والحروف الفردة. وكم نقل الناس عن أبي مهدية، وأبي الدقيش، وأبي الجراح، وأبي الصقر، والقناني، وأم الهيثم؛ وفلان وفلانة من لفظة لم تسمع قَبْلَهُمْ، ولم تؤخذ إلا عنهم، ثم ليس لنا أن نجعلهم منفردين بتلك الكلمات، ومُخْتَصِينَ بتلك الحروف. وهذا سبيل ما وجد في شعر هؤلاء من الشواذ الغريبة، والألفاظ النادرة. وقد أيد بعض من يحتج لأبي الطيب ما قدمناه من كلامه بأن قال: قد بيّن الرجل العلة في حُسْن هذه الزيادة، وذكر أن النون كما كانت خفيفة وكانت ساكنة، ومن حقها أن تتبين عند حروف الحَلَقِي حسن تشديدها لتظهر ظهوراً شافياً، فهذه علة قريبة قد يحتمل للشاعر تغيير الكلام لأجلها. ويؤكد ذلك أن النون أقرب الحروف إلى حروف العلة: الياء والواو، وأكثرها شبهاً بهما؛ ومناسبة لهما؛ لأنها تُدْعَمُ فيهما، وتزداد حيث يزدادان؛ فتنصب علماً للصرف، كما يجعلان علامة للإعراب، وتبدل الألف منها في قولك: اضْرِبْنِ؛ إذا أَرَذَتِ النون الخفيفة؛ كما تبدل منها في مواضع البدل، وتحل محل الواو في قولك: نُهْرَانِي وصنعاني؛ وإنما هو نهراوِي وصنعاوِي، وتحذف إذا كانت خفيفة كما يحذفان لالتقاء الساكنين فلما جرى معهما هذا المَجْرَى، وحل من مناسبتها هذا المحل، احتمل ما يحتملانه من حذف وزيادة، وحروف العلة أكثر الحروف احتمالاً، وأوسعها مُتَصَرِّفاً؛ ولذلك يحمل عليها في الحذف، ويتجاوز فيها بالزيادة، وعلى هذا استجازوا زيادة الياء في صياريف؛ وإنما هو صيارِف؛ إشباعاً للمدة للزوم الكسرة في هذا الموضع. قال الشاعر:

تَنفِي يَدَاها الحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْي الدَّرَاهِمِ تَنَقُّادِ الصَّيَارِيفِ
وقد قال الفرزدق - فزاد ياء لغير علة إلا لإقامة الوزن:

تَبْكِي عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الَّذِي بِهِ يَبْهَجُ السَّارُونَ لَيْلَ التَّمَايِمِ
أراد التمام فزاد الياء. وقال الهذلي:

بِهِ الرُّومُ أَوْ تَنْسُوخُ أَوْ الْآ طَامَ مِنْ صَوْرَانٍ أَوْ زَيْدٍ

فشدد الواو من صوران، وإنما هو صوران، وإلجرائهم النون هذا المجري قالوا:

قَطَنَةٌ مِنْ أَجُودِ الْقَطَنِ

فشدد التون من قُطَنَةٍ وليس هو في موضع قافية، ولا هو حرف روي. وقد احتمل للشعراء لأجل الشعر ما هو أبغ من تغيير الألفاظ وإزالة الكلام عن موضعه. قال الفرزدق:

وَمَا فَارَقْتُهَا شَبَعاً وَلَكِنْ رَأَيْتُ السَّهْرَ يَأْخُذُ مَا يُعَارِ

أراد يُعير، فغير البناء كما تراه. وقال زهير^(١):

ماءٌ بشرقيّ سَلَمَى فَيُذْ أَوْ رَكَكُ

وإنما اسم الماء رك، وليس هذا موضع إظهار التضعيف عند أكثر النحويين. وقال دُزَيْد:

فإن تُعْقِب الأيام والدهر تَعْلَمُوا بني قارب أتا غضاب بمعبد

يريد بعبد الله؛ فغير اسمه كما ترى. وقال حسان بن ثابت:

من مَعْشِرٍ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ الْـ حَارِثِ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ سَحَامٍ

إنما هو حبيب. والكلام في هذا الباب يكثر من الفريقين.

وقوله^(٢):

ليس إلّاك يا علي همام سيفه دون عِزِّهِ مَسْلُوكٌ

وقوله^(٣):

لَمْ تَرِ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا

فأنكروا اتصال الضمير بإلا، وحق الضمير أن يفصل عنها، وبذلك جاء القرآن.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] وهو الظاهر في قياس النحو، والمشهور عن العرب. وقد روى الفراء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه:

فما تُبَالِي إذا ما كُنْتُ جَارِئَنَا أَلَّا يَجَاوِرَنَا إِلَّا كِ دِيَارُ

وأنا أرى أن لا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة وناهيك بالفراء! وقوله^(٤):

أَخَاذٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَخَادٍ

وقد مضى في صدر هذه الرسالة المواضع التي أنكرت في هذا البيت: وقد كان أبو الطيب سئل عنه فأجاب عن قولهم: إن سُدَّاساً غير محكي عن العرب، وأن أهل

(١) ديوانه ص ٤٢، وصدرة:

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم

(٢) ديوانه (٣: ١٥٦).

(٣) ديوانه (٢: ٣٨٣) وبقية البيت:

لَا لِسَوَى وَدَكَ لِسِي ذَاكَ

(٤) ديوانه (١: ٣٥٣)، وبقية البيت:

لَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ

اللغة يزعمون أنهم لم يزدوا على رُبَاع، وإنما هي ألفاظ معدولة يوقف بها على السماع بأن قال: إنه قد جاء عن العرب خُماس وسُداس إلى عُشار؛ حكاه أبو عمرو الشَّيباني وابن السَّكيت، وذكره أبو حاتم في كتاب الإبل، وزعم أبو عبيدة في المجاز أنه لا يعلمهم قالوا فوق رُبَاع؛ وهؤلاء ثقات لم يَحْكُمُوا إلا ما علموا، وقد جاء ذلك في الشعر. قال الكمي^(١):

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرُّجَالِ^(٢) خِصَالاً عُشَارَا
آخر:

ضربتُ خُماس ضربة عبْشَمي أدار سُداس أن لا يستقيما
وقد نسبت العرب إلى كل ذلك فقالوا: خُماسي وسُداسي وعُشاري. قال أبو النجم:

فوق الخماسي قليلاً تُفَضِّلُه

فأما قولهم: إن هذه الألفاظ إنما عدلت في المعنى، فأجريت مجرى واحد واحد، اثنين اثنين، فقد قال المحتج له: إن أصل عدلها وإن كان على ذلك فقد تكلم بها في معنى الأعداد المفردة، وعلى ذلك وقع النسب إليها في الخُماسي والعُشاري، والنسب لا يصح إلا على هذا المعنى. وقد استدلوا بقوله: ضربت خماس... البيت. وهذا غير المعنى الذي ذهبوا إليه، وإنما هو اسم معدول عن خمسة، ولا مدخل للتكرير فيه. وقالوا في إنكارهم تخصيص سُداس من بين الأعداد: إن الأعداد إذا استولت في المعنى لم يحظر على ذكر أحدهما، ولو قال خُماس أو رُبَاع لكان الأمر واحداً، ولو بلغ العُشار لم يَزِدْه غير فَضْل الاستطالة، وليس على الشاعر إذا بالغ في وصف أن ينتهي إلى الغاية، ولا يترك في الإفراط مذهباً؛ على أنه قد يجوز أن يكون قصد استيفاء الأسبوع فقال: أهي ليلة أم ست؟ مضافة إليها، ولم يرد به الحساب، فيحمل على ما يوجهه حكم الضرب، فيكون الواحد في الستة ستة، وإنما قال أواحدة هي أم ست في واحدة، فإذا جعلت الست في الواحدة على جهة الظرف والوعاء صارت سبعة، فهذا وجه قريب.

قال الخصم: قد صغر الليلة ثم استطالها فقال: لُيِّنَتْنَا المَوْتُة بالتناد.

قال أبو الطيب: هذا تصغير التعظيم، والعرب تفعله كثيراً. قال لبيد^(٣):

وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُونِهِيَّةٌ تَضْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

(١) التبيان (١: ٣٤٨).

(٢) قال الصاغاني: والرجال (باللام) تصحيف، والرواية: «فوق الرجاء»، أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه.

(٣) التبيان (١: ٣٥٤).

أراد لطف مَدْخَلَهَا فصَغَرَهَا. وقال الأنصاري^(١): «أنا عَذِيْقَهَا المُرْجَب، وَجُذَيْلُهَا المُحَكَّك؛ فصغر وهو يُريد التعظيم.

وقال آخر:

يَا سَلَمُ أَسْقَاكَ البُرَيْقُ الوَامِضُ والدَّيْمُ العَادِيَةُ الفَضَافِضُ

أما تصغير اللفظ على تَكْثِيرِ المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ لكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دُوِيْهِية في هذا الموضع تصغير في المعنى واللفظ، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا الجذل لا يكون إلا لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتك به الإبل، وكما زاد تحكك الإبل به زاد لطفاً وصِغَرًا وضؤولة. وإنما وجه القول في هذا أن من التصغير ما يكون جارياً على طريق الاستهانة والتحقير، ومنه ما يراد به الصُّغَرُ واللطافة؛ فأنت إذا قلت: جاءني رُجِيلٌ لم تُبَالِ بِصِغَرِ جسمه، وتفاوت خَلْقِهِ، وقَصَر قامته، إذا أردت تحقير شأنه والإهوان به، ومتى أردت الإخبار عن ضؤولته، ودَمَامَةِ خَلْقِهِ لم تعرّج على حاله، ولم تفكر في محله. وقد تقول ذلك للملك على هذا الوجه، وتقول للرجل العادي على الوجه الأول، وقد تفعل ذلك وأنت تريد دَمَهُ؛ وإن كان قوي الخلق، عظيم الشأن. وذكرُ لَبِيدِ الدُّوِيْهِية على لفظ التصغير من باب اللطافة دون النكاية؛ وقول أبي الطيب «لَيْلَتَنَا» خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله: «المنوطة بالتناد»، إذ قد بين أنه لم يرد قِصَر مدتها. ولا قرب انقضائها. فأما قول أبي الطيب: إني لم أرد بالتناد القيامة، وإنما أردت مصدر تنادى القوم، وعينت أنها منوطة بما أهم منه فهو أعلم بقصده، وأعرف بنيته؛ غير أن نَسَقَ الكلام يشهد عليه. ومن تأمله عرف أنه بأن يراد به القيامة أشبه، ولا عيب فيه لو أراده؛ إنما هو ضرب من الإفراط قد استعمله الشعراء. قال بشار^(٢):

أَضَلَّ النِّهَازُ المِستَنِيرُ طَرِيقَهُ أم الدهر ليلٌ كله ليس يَبْرَحُ

ومثله كثير موجود.

وقوله^(٣):

وَلَمْ تَرُدْ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَةٍ وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيَاً بِالنَّوِيلِ وَالْحَرَبِ

(١) هو الحباب بن المنذر. والعذيق: تصغير عذق (بفتح العين) وهي النخلة. والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط؛ فيكون المراد من قوله: «أنا عذيقها المرجب» أن لي عشيرة تعضدني وتمنني وترفدني. والجذل: عود ينصب للإبل الجري تحتك به فتشتفى؛ أي قد جربتني الأمور؛ ولي رأي وعلم يشتفى بهما؛ كما تشتفى هذه الإبل الجري بهذا الجذل.

قالوا: العرب لا تقول دَعَا بالويل والحرب، وإنما يقال: دعا ويَلَهُ؛ كما يقال دعا فلاناً. قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]. وإنما يقال: دعا بكذا إذا طلب أن يؤتى بذلك الشيء؛ كقول الفرزدق^(١):

دَعَوْتُ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى لَهَا الرُّكْبُ مِنْ نُعْمَانِ أَيَّامِ عَرَفُوا
وَتَدَاعَوْا بِشَعَارِهِمْ، وَدَعَا لَكَذَا، أَي مِنْ أَجْلِهِ، فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: فَقَالَ دَعَا لِلْقِتَالِ
وَلِلْخَيْرِ وَلِلْشَّرِّ وَلِمَا بِهِ، أَي إِلَيْهِ. وَمِنْ أَجْلِهِ قَالَ طَرْفَةُ^(٢):

وإن أَدْعَ لِلْجُلَى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وإن يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ أَجْهَدِ
ويقال: دعا بِاللَّهْفِ وبالويل والحَرْبِ بيا، وأيا؛ لأنه لَفْظُ الدَّاعِي. وقال ذو الرُّمَّةِ^(٣):

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ مِنْ مُتَثَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَضْرَةٍ وَسِلَاحٍ^(٤)
وقال الراعي^(٥):

إذا مَا دَعَتْ شَيْبًا بِجَنْبِ عُثْيَزَةٍ مَشَافِرُهَا فِي مَاءِ مُزْنٍ وَبَاقِلِ
وقال:

دَعَا الدَّاعِي بِحَيِّ عَلَى الْفَلَّاحِ

وقال عنترة^(٦):

دَعَانِي دَعْوَةً وَالْخَيْلُ تَزِيدِي^(٧) فَمَا أُدْرِي أَبَا سَمِيٍّ أَمْ كُنَانِي
وإنما يقال: دَعَا بكذا إذا أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ، لأنه ذَكَرَ اسْمَهُ. وَالَّذِي قَالَهُ أَبُو الطَّيِّبِ
مُخَكِّبِي عَنِ الْعَرَبِ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِذَا أَرَادَ ذَكَرَ الْمَدْعُودَ قَالَ: دَعَوْتُهُ، وَإِذَا
أَرَادَ مَا يَلْفِظُ بِهِ قَالَ: دَعَا بِكَذَا وَكَذَا، وَعَلَى هَذَا بَيَّتْ عَنْتَرَةُ، وَقَوْلُ الْآخَرِ:

دَعَا الدَّاعِي بِحَيِّ عَلَى الْفَلَّاحِ

وقوله^(٨):

بَيَاضٌ وَجْهُ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرٌّ لَفْظٌ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبًا^(٩)

قالوا: «مَخْشَلَبًا» لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ. فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: هِيَ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ
فَصِيحَةٌ، وَقَدْ ذَكَرَهَا الْعَجَّاجُ. وَلَسْتُ أَعْرِفُهَا فِي شِعْرِ الْعَجَّاجِ وَلَا أَحْفَظُهَا مُحْكِيَةً عَنِ

(١) ديوانه (٢: ٢٤٥).

(٢) ديوانه ٦٠٩، واللسان: شيب.

(٣) في الأصل: نصرة.

(٤) ديوانه ص ١٥٤.

(٥) من ديوان ذي الرمة.

(٦) تردى: تعدو. وفي الديوان: «تجري». (٨) ديوانه (١: ١١٣).

(٩) المخشلب: من حجارة البحر، وليس دراً.

العرب؛ غير أنني أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظ لأنني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجم إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن، وإتمام القافية، وقد تتجاوز ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه؛ كما سمو الحَمَلَ بَرَقاً^(١) مع كثرة أسماء الغنم عندهم، وكما قال التغلبي^(٢):

وكنّا إذا القيسي نَبَّ عَثُوده ضَرَبناه دون الأنثيين على الكَرْدِ^(٣)

أراد الكَرْدَن، وهو العُنُق، فأقام به القافية. وقال الآخر^(٤):

قد علمت فارس حَمِير^(٥) والأعـ رابُ بالدُّشت^(٦) أيهم نَزَلَا

أراد الدُّشت وهو فارسي، وأسماءه عند العرب كثيرة، فلم يمنعهم ذلك من الارتفاق به. وكذا قال الآخر:

نضمناها وهم ركوب كأنه إذا ضم جنبها المخارق رَزْدَقُ

يريد رَسْتَهُ، وهو الصف من النخل وغيره، إلا أنهم زعموا أنه أراد النخل هنا.

وقد استعمل العجاج في قوافي جيمته ألفاظاً منه. قال:

كما رأيت في الملاء البرَدَجَا

يريد الرقيق؛ وهو بالفارسية بَرْدَه. وقال:

كالْحَبَشِيِّ التَّفِّ أو تَسَبَّجَا^(٧)

يريد لبس قميصاً، وإنما هو بالفارسية شَبِي^(٨) فعريه بسبيجة^(٩) ثم صرّف منه

فِعْلاً، في أبيات غيرها.

فليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم في أمثال ذلك إذا احتاج إليه؛ فأما

المحدثون فقد اتّسعوا فيه حتى جاوزوا الحدّ لما احتاجوا إلى الإفهام، وكانت تلك

(١) البرق؛ قال في اللسان: هو تعريب بره بالفارسية.

(٢) لسان العرب - مادة كرد. قال ابن بري: البيت للفرزدق. وذكر في اللسان رواية أخرى:

وكنّا إذا الجبار صعر خده ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٣) العتود: ما اشتد وقوي من ذكور أولاد الغنم. ويقال: نب عتود فلان إذا تكثر. وأراد بالأنثيين هنا الأذنين.

(٤) لسان العرب - مادة دشت. ونسبه للأعشى.

(٥) في الأصلين: «وجرير»، وما أثبتناه عن اللسان.

(٦) الدشت: الصحراء.

(٧) في الأصلين: كالحبشي التفت أو تشبجا. والتصحيح عن المعرب للجواليقي: ١٨٢.

(٨) في الأصلين شي؛ والتصحيح عن المعرب.

(٩) في المعرب: هو قميص من صوف.

الألفاظ أغلب على أهل زمانهم، وأقرب من أفهام من يقصدون إفهامه.

وقد أفرط أبو نواس حتى استعمل زمرده، وبازبنده، وباريكنده، وغير ذلك، فإن كانت اللفظة مسموعة عن العرب على ما حكاه أبو الطيب، فقد زالت الكلفة، وإن لم تكن محفوظة فما رويناه من أمثالها عن العرب والمحدثين يعتذر عنه، ويقوم بحجته.

وقوله^(١):

ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القنوع بضئك العيش من شيمي
قالوا: القنوع خطأ وإنما هي القناعة، فأما القنوع فالمسألة، يقال: قنَع يَفْتَعُ
قناعة؛ إذا رضي، وقنَع يَفْتَعُ قنوعاً؛ إذا سأل^(٢) والفاعل فيهما قانع.
قال المحتج: الرواية المسموعة هي:

ولا القناعة بالإقلال من شيمي

وقد سمعت رواة الشاميين يذكرون أنه أنشداهم قديماً القنوع ثم غير الإنشاد،
ورجع إلى القناعة، ثم إن القنوع بمعنى القناعة مخيئة عن العرب، وإن لم تكن
مشهورة، وقد ذكرها أهل اللغة، وحكوا عن أوس بن الحارث الطائي أنه أوصى ابنه،
فقال في بعض وصيته: خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخُضوع. ولا يَحْتَمِل معنى
القنوع هنا في هذا الكلام إلا الرضا والقناعة. وقوله^(٣):

واحر قلباه ممن قلبه شيم

فألحق الهاء في قلباه. قالوا: وإنما تَلَحَّق في الوقف لخفاء الألف فتبين بها،
فإذا وصلت حذفت.

قال المحتج: هذا هو الأكثر عند العرب، والاختيار عند النحويين، غير أنه ليس
على الشاعر عيب في اتباع اللفظة النادرة إذا رواها الثقات، ومتى وُجِدَت الرواية على
ثقة لم يُحْطَر على الشاعر قبُولها، والعمل بها لأجل اختلاف النحويين، وقد أجاز
الفراء وغيره إلحاق هذه الهاء في الوصل، وروى فيه:

يارب يارب يارب إياك أسل عفواً أيأرباه من قبل الأجل

(١) ديوانه (٤: ٣٩)، وروايته هناك:

(٢) ومنه قول الشماخ:
ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القناعة بالإقلال من شيمي

(٣) ديوانه (٣: ٣٦٢)، وبقية:
لما المرء يصلحه فيغنى مفافره أعف من القنوع

وأنشدوا:

يا مرحباه بحمار ناجية

وأنشدوا للمجنون:

فقلت أيا رباه أول سؤلتي لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها
وقد قال أبو زيد في بيت امرئ القيس^(١):
وقد زابني قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ وَيَحْكُ أَلْحَقْتُ شَرًّا بِبَشَرِ

أن هذه الهاء هاء الوقف، وخالفه جُلَّ النحويين؛ ففي هذه الأبيات عذر واضح للمتنبي. وأضعف من إلحاق هذه الهاء إسقاط الياء في قلبه؛ وإنما الوجه واجر قَلْبِيَّاهُ، وكذلك: وانقطاع ظهرياه، لأن الياء إنما تسقط حيث يحذف التنوين من المنادى، فلما كنت تقول: يا زيد فتحذف التنوين قلت واغلاماه، فأسقطت الياء، ولو قلت واغلام غلامياه أثبت الياء؛ لأنك تقول في النداء يا غلام زيد فتنون المضاف إلى المنادى، ولك في المفرد إثبات الياء تقول: واغلامياه، وإذا جاء موضع تثبت فيه النون فليس غير إثبات الياء؛ هذا الذي عليه جُلَّة النحويين وحُذِّقْهُمْ، وقد أجاز بعضهم إسقاط الياء في هذا الموضع، وهو في الشعر أقوى منه في الكلام. وقوله^(٢):

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ نَسَائِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الْحِجْيَى سَفْيَ الرِّيَاضِ السَّحَابِ
قالوا: فصل بين المضاف والمضاف إليه [بالمفعول]؛ وإنما يفصل بينهما بالظروف والحروف وما أشبههما؛ لقول الشاعر^(٣):
لَمَّا رَأَتْ سَاتِيْدَ مَا اسْتَعْبَرَتْ^(٤) لَلَّهْ دَرَّ الْيَوْمَ مَنْ لَامَهَا
ساتيدما: جبل؛ يقال: ما طلعت عليه الشمس إلا أريق فيه دم، معناه لَلَّهْ دَرَّ مَنْ لَامَهَا اليوم. وقول الآخر^(٥):

كَتَّخْبِيرِ الْكِتَابِ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٌّ يَقَارِبُ أَوْ يَزِيلُ
وقول الآخر:

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيْعَالَهُنَّ بِنَا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ^(٦) أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ

(١) ديوانه ص ٩. (٢) ديوانه (١: ١٥٨).

(٣) معجم البلدان (٥: ٦)؛ ونسبه لعمرو بن قميئة، وأنشد قبله:

قَدْ سَأَلْتُنِي بَنَتْ عَمْرُو عَنْ الدِّ أَرْضَ التِّي تَنْسُكِرُ أَعْلَامُهَا

(٤) قال في معجم البلدان: سبب بكائها أنها لما فارقت بلاد قومها ووقعت إلى بلاد الروم ندمت على ذلك، وإنما أراد عمرو بن قميئة بذلك نفسه.

(٥) التبيان (١: ١٥٨). (٦) الميس: الرحل.

يريد. كأن أصوات أواخر الميس، فأما في هذا فلا يجوز الفصل بينهما؛ لأنهما كالاسم الواحد.

قال المحتج: قد أجاز الفراء هذا وأنشد فيه:

تري الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائر بهاد إلى الشمس أجمع
والرواية المشهورة رأسه - بالنصب - وأنشد أبو عبيدة:
تفرق آلاف الحجيج على منى وصدعهم مشي النوى عنك أربع
أراد: وصدعهم النوى عنك مشي أربع ليال. وأنشد أيضاً:
وَحَلَقَ الْمَاضِي^(١) وَالْقَلَابِيسَ فِدَاسَهُمْ دَوَسَ الْحِصَاءِ الدَّائِسَ
وقال آخر^(٢):

يَفْرُكَ حَبَّ السُّنْبُلِ الْكُنَافِجِ^(٣) بِالسَّقَاعِ فَرَكَ الْقَطْنِ الْمَحَالِجِ
ومما يقارب هذه الأبيات، مما يحتاج في بعضها إلى تبين وكشف، ويتجه في بعضها الطعن عليه، ويضعف في بعضها الاحتجاج عنه قوله^(٤):
هَـذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَاسِيَا^(٥)

قالوا: حذف علامة النداء من هذي؛ وحذفها خطأ؛ لأن هذي تصلح أن تكون نعتاً لأي، وكل معرفة تصلح جاز أن تكون نعتاً لأي، فحذف علامة النداء منه غير جائز.

قال المحتج: هذا لعمري أصل القياس في النحو؛ غير أن ضرورة الشعر تجيز ترك القياس في النحو، وقد أجازوا ذلك في النكرات، وهو أبعد في الجواز من هذه المعارف؛ قال الشاعر:

صَاحَ هَلْ أَبْصَرْتَ بِالْحَبِّ تَيْنَ مِنْ أَسْمَاءَ نَاراً
وقال العجاج:

جاري لا تستنكري عذيري

فإذا جاز هذا في النكرات فهو في المعارف أجوز؛ مع أن النحويين قد ذكروا ذلك وأدخلوه في أبواب ضرورة الشعر.

(١) الماضي: السلاح كله من الحديد.

(٢) لسان العرب - مادة كنفج.

(٣) الكنافج: المكتنز من السنايل.

(٤) ديوانه (٢: ١٩٣)، وبقيته:

ثم انشيت وما شفيت نسيسا

(٥) الرئيس: مسل الحمى وأولها: والنسيس: بقية النفس. يقول: لما برزت هيئت ما كان في القلب من حبك، وانصرفت وما شفيت نفوسنا التي أبقيت بقاياها بوصل منك.

وقوله^(١):

بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا التَّكَلُّمُ دَلُّهَا يَبْهَأُ وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا^(٢)

فنصب تميس مع حذف أن، وهو عند النحويين ضعيف، لا يجيزون النصب على إضمار أن، إلا أن يكون منها عوض، وقد أجازوه الكوفيون. وأنشدوا قول طرفة^(٣):

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَخْضَرَ الْوَعَى

بإضمار أن، والبصريون يروونه على الرفع.

وقوله^(٤):

عَوَابِسَ حَلَّ يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ^(٥)

قالوا: الماء لا يوصف باليبس، وإنما يقال جمد الماء وجمس السمن، ويبس العود والنبت، ونحو ذلك.

قال المحتج: قد جاء عن العرب وصف الماء باليبس. قال بشر^(٦) [يصف خيلاً]:

تَرَاهَا مِنْ يَبِيسِ الْمَاءِ شُهْبًا مُخَالِطٌ دَرَّةً فِيهَا غَرَارٌ^(٧)

قالوا: وقد استعار الجموس في الماء ذو الرمة فقال^(٨):

وَنُقْرِى سَدِيفَ^(٩) اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسَ

قال الخصم: أما ييبس الماء فإن العلماء رووا عن العرب أنها تُسمى العرق ييبس الماء، فليس هو من هذا الباب بسبيل، وأما بيتُ ذي الرمة فقد رده الأصمعي، وعاب ذا الرمة به.

قال المحتج: أما تسمية العرق ييبس الماء فلسنا ندفعه؛ غير أن هذا البيت يشهد بخلاف ما قلتم؛ لأنه جعلها شهباً، والعرق لا يغير ألوانها، وإنما أراد ما جمد من

(١) ديوانه (٢: ١٩٥).

(٢) يقول: هي ذات حياء، فحياؤها يمنعها من الثني، ودلالها يمنعها من الكلام.

(٣) شرح المعلقات للتبريزي ص ٨٠، وبقيته:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي

(٤) ديوانه (٢: ٢٢٣).

(٥) الحزم: جمع حزام: ويابس الماء: العرف. والمناطق: جمع منطقة وهو ما يشد به الوسط.

(٦) لسان العرب - مادة يبس.

(٧) قال في اللسان: الغرار: انقطاع الدرة؛ يقول: تعطي أحياناً وتمنع أحياناً؛ وإنما قال: شهباً، لأن العرق يجف عليها فتبيض.

(٨) لسان العرب - مادة جمس. (٩) في اللسان: عيط اللحم.

الماء عليها، وبيت ذي الرّمة صحيح عنه، وهو حجة تلزم الأصمعي وغيره. وهل ينكر الأصمعي ذلك إلا برواية عن العرب؟ ومتى ثبتت الرواية عن موثوق بفصاحته فقد وجب التسليم له.

وقوله^(١):

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ

قالوا: خرج عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب مفاعِلن في عروض الطويل غير مصرّع.

قال المحتج: إنما جاء البحر على مفاعيلن، وليس يُخْظَرُ على الشاعر إجراؤه على الأصل، وقد جاء عن العرب مفاعيلن في المصرّع، وما خرج عن الوزن لم يحتمله المصرّع ولا غيره. قال امرؤ القيس^(٢):

أَلَا نَعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي

فجاء بالعروض على مفاعيلن لمّا صرّع. قالوا: وقد جاء في شعر المحدثين ما أجروا فيه غير المصرّع مُجْرَى المصرّع، فقال شاعرهم:

فَالْوَجْهَ مِثْلَ الصَّبْحِ مُبَيَّضٌ وَالشَّعْرُ مِثْلَ اللَّيْلِ مَسْوَدٌ

وأبو الطيب أعذر من هذا، لأنه جرى على أصل البحر في الدائرة. وقد جرى أبو تمام إلى ما هو أقبح من الأمرين، فصرّع المصرّع في قوله:

يَقُولُ قَيْسِمُوعٌ، وَيَمْشِي فَيَسْرِعُ وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَيَوْجِعُ

وعلى مثل هذا الطريق يعاب أبو الطيب بقوله^(٣):

إِنَّمَا بَذَرْتُ عَمَّارِ سَحَابٌ هَطِلَ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ

فإنه أخرج الرَّمْلَ على فاعلاتن في العروض، فأجرى على ذلك جميع القصيدة في الأبيات الغير مُصْرَّعة، وإنما جاء الشعر منه على فاعِلن؛ لكن أصله في الدائرة فاعلاتن، وإن كان غير محفوظ عن العرب.

وقوله^(٤):

وَلَعَلِّي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبَدَ لَعُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدٍ

قالوا: تمنى أن يؤمّل بعض ما يبلغ، وهذا لا يليق بالكلام، وإنما وجهه أن يقول: ولعلي بالغ بعض ما أوَمِّل.

(٣) ديوانه (١: ١٣٣).

(٤) ديوانه (١: ٣٢٠).

(١) ديوانه (٢: ٢٨٧).

(٢) ديوانه ص ٤٩.

قال المحتج: قد يجوز أن يكون أراد: لعلّي أبلغ آمالي، وأزيد عليها بلطف الله تعالى حتى يكون ما أومله بعض ما أصل إليه، وهذا غير مُستنكر. وقوله^(١):

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دُقْتُه فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشُقُ

قالوا: صعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت مَنْ لا يعشق فيعجب منه، وإنما يقتضي أن كل مَنْ يَعْشُقُ يموت؛ وكأنه أراد: كيف لا يعرف مَنْ يعشق! فذهب عن مُرادِهِ.

قال بعض من يحتج عن أبي الطيب: إنه خرج مخرج القلب، وهو كثير في شعر العرب، ومنه قول الأعشى^(٢):

وكل كميّت كأنّ السّليب ط في حيث واري الأديم الشّعارا

يريد: حيث واري الشّعار الأديم، فقلب الكلام. وكقول الأخطل^(٣):

مِثْلُ الْقَنَاذِ هَذَا جُونٌ قَدْ بَلَعْتُ نَجْرَانٌ إِنْ بَلَغَتْ سُوءَاتِهِمْ هَجْرٌ^(٤)

يريد بلغت سوءاتهم هَجْر. وقال الشماخ^(٥):

منه ولدت ولم يُؤشَبْ به حسبي ليّا كما عُصِبَ الْعَلْبَاءُ بِالْعُودِ

أراد كما عصب العود بالعلباء. وقال آخر:

أَسْلَمْتُهُ فِي دَمِشْقٍ كَمَا أَسْلَمْتُ وَحْشِيَةَ وَهَقَا^(٦)

أراد كما أسلم وهَقْ وحشية. وقال آخر:

كَانَ الزَّانَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

أراد كأنّ الرجم فريضة الزناء، ومثل هذا كثير.

وقال غيره: إن الكلام جار على طريقته، غير محتاج الحمل على القلب، وإنما

المراد كيف تكون المنية غير العشق؛ أي أن الأمر المتقرّر في النفوس أنه على مراتب

(١) ديوانه (٢: ٣٣٣).

(٢) ديوانه ٥٣.

(٣) ديوانه ص ١١٠، وروايته هناك:

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أو حدثت سوءاتهم هجر

(٤) القنفاذ: جمع قنفذ؛ وهو حيوان معروف، يضرب به المثل في سرى الليل. وهداجون: من الهدج (بالإسكان) وهو السير السريع. يقول: إن رهط جرير كالقنفاذ بمشبههم في الليل للسرقة والفجور.

(٥) ديوانه ٢٤.

(٦) الوهق: حبل في طرفه أنشودة، تصاد به الدابة.

الشدة هو الموت، وإني لما ذقت العشق فعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتفق على شدته غير العشق، وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولي على الناس، حتى تكون منايهم منه، وهلاك جميعهم منه.
وقوله^(١):

شديد البغد من شرب الشمول تُرُجُ الهند أو طلع النخيل
قالوا: المعروف من العرب الأترج والتُرُج مما يغلط به العامة، فقال أبو الطيب:
يقال أترجة وأترج وترنج، حكاها أبو زيد، وذكرهما ابن السكيت في أدب الكاتب.
وقوله^(٢):

فدَى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبي المائد الجائد القرم
قالوا: لم يُحك عن العرب: الجائد، وإنما المحكى عنهم رجل جواد، وفرس جواد، ومطر جواد.

قال المحتج: هذا الباب يستغنى فيه بالقياس عن السماع لأطراده، واتساق أمره على الاعتدال، فكل فعل في الكلام يقتضي التصريف إلى فاعل ومفعول، وكل فعل فله مُفَعِّل ومُفَعَّل، ولسنا نحتاج في مثل هذا إلى التوقف واتباع المسموع، وهذا أشبه بمذاهب القياس، والأصل الذي عليه أهل اللغة.
وقوله^(٣):

خلائق لو حوّاها الزنج لانقلبوا ظمى الشفاء جعاد الشعر غرانا^(٤)

قالوا: الزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر، وإنما تُفَرِّط الجعودة فيهم حتى تخرج عن حد الاعتدال، فكيف ينقلبون من الجعودة إلى الجعودة! قال المحتج: إن للأوصاف حدوداً إذا فارقتها إلى نقص أو زيادة زالت الصفات إلى ما يخالف حقيقة اللغة، أو عادة الاستعمال، ولنوصف بالجعد نهاية، فإذا زاد فإنما هو المُقْلَعُ والمُقْلَعُ^(٥)، وإن كان على هيئة شعر الزنج فهو المُقْلَقْل، ونحو ذلك من الأوصاف؛ ولذلك صاروا يمدحون بجعودة الشعر ويذمون بشعر الزنج، فلا شك أن ما حمدوه غير ما ذمّوه، وإنما مراد الشاعر بقوله انقلبوا جعاد الشعر أنهم صاروا إلى حد الاعتدال الذي يُحَمَّد ويُسْتَحْسَن ويوصف به ويختار.

(١) ديوانه (٣: ٩٠). (٢) ديوانه (٤: ٥٥).

(٣) ديوانه (٤: ٢٨٨).

(٤) خلائق: جمع خليفة، وهي الخلق. والزنج: جنس من السودان. وظمى الشفاء: رقاق الشفاء مع سمرة. وجران: جمع أعر، وهو الأبيض.

(٥) اقلع الثوب: جعد، واقلع مثله.

وقوله^(١):

بَلِيْثُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي الثَّرْبِ خَاتَمُهُ^(٢)

قالوا: أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره؛ وكم عسى هذا الشحيح بالغاً ما بلغ من الشخ، وواقعاً حيث وقع من البخل أن يقف على طلب خاتمه، والخاتم أيضاً ليس مما يخفى في الثرب إذا طلب، ولا يغسر وجوده إذا فتش. وقد ذهب المحتجون عنه في الاعتذار له مذهب لا أرضى أكثرها، وأقرب ما يقال في الإنصاف ما أقوله إن شاء الله تعالى:

أقول إن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة؛ فإذا قال الشاعر - وهو يريد إطالة وقوفه: إني أقف وقوف شحيح ضاع خاتمته، لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وإنما يريد لأقفن وقوفاً زائداً على القدر المعتاد خارجاً عن حد الاعتدال، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله، وعلى ما جرت به العادة في أضرابه، وإنما هو كقول الشاعر:

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شَقِي طُولاً قَطَعْتُهُ بِائِسِحَابِ

ونحن نعلم أن العاشق بالغاً ما بلغ لا يمتد نفسه امتداد أقصر أجزاء الليل، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أنفاس لا تُحصى؛ كائنة ما كانت في امتدادها وطولها، وإنما مراد الشاعر أن الليل زائد في الطول على مقادير الليالي كزيادة نفس العاشق على الأنفاس؛ فهذا وجه لا أرى به بأساً في تصحيح المعنى، وإن كنت لا أرى أن يؤخذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية ما لم يأخذ نفسه بها، ويتكلف العمل لها، فيؤخذ حيثئذ بحكمه، ويطلب بما جنى على نفسه.

وقوله^(٣):

كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الْأَكْحَلِ^(٤)

قالوا: لم يكن بقراط فصياداً ولا كان الفصد غالباً عليه في زمانه، وإنما كثر

(١) ديوانه (٣: ٣٢٨).

(٢) الأطلال: جمع طلل؛ وهو ما شخص من آثار الديار.

(٣) ديوانه (٣: ٢٠٨).

(٤) رواية الديوان:

كأنها من سعة في هوجل كأنه من علمه بالمقتل
علم بقراط فصاد الأكحل فحال ما للقفز للتعجل
وبقراط حكيم قديم، وبه يضرب المثل في الطب والحكمة، والأكحل: عرق في الذراع.

بعده . قال المحتج : أما هذه الدعوى فلا يُعْلَمَ كَيْفَ وَجْهها؟ وهل أنتم صادقون فيها؟ وقد كان القَصْدُ قديمًا، ولكنهم كانوا يحتذبون العِرْقَ بآلَةٍ شبيهة بالقِتَارَةِ^(١) ثم يَبْضَعُونَهُ، فهذا أَحْوَجُ إلى الحِذْقِ واللُّطْفِ، ولسنا نأبى أن يكون بُقْرَاطُ لا يَفْصِدُ، وليس مَقْصِدُ الشاعر إلا علمه بالقَصْدِ، وقد عَلِمَ موقعَ المعرفة بالتشريح من هذا العلم، وكيف يفتقر إلى الوقوف على تشعب العروق، واتصال ما اتصل منها، وانفصال ما انفصل، وليس بمثل بُقْرَاطٍ - على عِلْمِهِ ومعرفته بالطب، واجتماع الألسن على تقديمه جَهْلُ ذلك، وقد يعلمُ الشيء مَنْ لا يعالجه بيده، ولا يتولاه بنفسه، وليس تَرْكُهُ مباشرةً ذلك بدالٍ على جَهْلِهِ به . ولو كان بُقْرَاطُ أَجْهَلَ الناسِ بذلك لم يَلْحَقْ أبا الطيب من هذا القول نقيصةً على طريقته؛ لأنهم لا يُؤْخَذُونَ بمعرفة الأطباء ومواقعهم من الصناعة، ومهارتهم في العلم والعمل، ولما رأى الأطباء لا يَخْلُونُ من معرفة العروق ومَوَاقِعِ القَصْدِ، ورأى بقراط هو المُقَدَّمُ في الطب ضرب به المثل في ذلك، وهو ليس بأكبر من غلط العربي في اسم داود عليه السلام إلى اسم ابنه سليمان عليه السلام، ثم غَلَطَهُ في اسمه حتى يجعله مرة سَلَامًا، ومرة يسميه سُلَيْمًا .

وقال الآخر منهم :

مثل النَّصَارَى قَتَلُوا الْمَسِيحًا^(٢)

لما سمع القصة ولم يدر كيف حَقِيقَةُ القول فيها أجراها على ما خطر بباله .
وقوله^(٣) :

الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِيُشَدِّدْهُ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ^(٤) وَلَمْ يُقَلْ

قالوا : كيف يكون القول غير متروك ولا مقول؟ وهل هذه إلا مناقضة ظاهرة؟ قال المحتج : إنَّ من عادة الناس إذا اسْتَقْصَرُوا فَعَلَ الْفَاعِلُ قالوا : فعلت وما فعلت؟ أي لم تفعله على وَجْهِ التمام، ولم تَبْلُغْ به شريطة الكمال؛ فقد تَكَلَّفْتَ الْفِعْلَ، وكأنك لم تفعل . فكذا هذا القول لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلْ؛ لأنه قد تعرَّضَ له فلم يُؤَفِّقْهُ حَقُّهُ، ولم يَبْلُغْ الْمَرَادَ فيه؛ فكأنه لَمْ يُقَلْ . وقد يجوز أن يكون المرادُ به أَنَّهُ لَمْ يُتْرَكْ، لأنه لم

(١) القنارة: الخشية يعلق عليها القصاب .

(٢) الرواية في اللسان :

إذ المسيح يقتل المسيحا

قال : يعني عيسى ابن مريم يقتل الدجال . فكلمة المسيح الثانية المراد بها الدجال .

(٣) ديوانه (٣ : ٣٧) .

(٤) أي لم يترك القائلون طلبه، ولما لم يصلوا إليه كان كأنه لم يقل . والمعنى أنه يفعل الفعل الذي قصر عنه الفاعلون؛ ويقول القول الذي قصر عنه القائلون .

يَخْطُرُ بِالْبَالِ فَيُتْرَكُ، وَإِنَّمَا ابْتَدَعْتَهُ أَنْتَ وَسَبَقْتَ إِلَيْهِ؛ وَالشَّيْءُ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِالْبَالِ، وَلَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ الْهَمَّةُ لَمْ يُسَمَّ مَتْرُوكاً فِي الْمُتَعَارَفِ مِنَ الْكَلَامِ؛ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَكَمُ بِالْمُنَاقِضَةِ مَقْصُوراً عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا الْمَعْوَلُ عَلَى الْمَعْنَى وَالْمَقَاصِدِ؛ وَلَوْ ادَّعَى ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ كَانَ أَسْوَعُ:

فِي كِفِهِ مَعْطِيَةِ مَنْوَعٍ

وقوله:

حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ وَمَا نَجَا

فَقِيلَ: كَيْفَ تَكُونُ مَعْطِيَةُ مَنْوَعاً وَكَيْفَ يَنْجُو وَلَا يَنْجُو لَكَانَ دَالاً عَلَى جَهْلِ الْمَدْعِيِّ وَقُصُورِ عِلْمِهِ عَنِ الْأَغْرَاضِ.
وقوله^(١):

يَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا رَزَّتِ الشَّمْسُ سُبُشْشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءٍ

قالوا: الشمس لا تكون سوداء، والإنارة تضاد السوداء، فقد تصرّف في المناقضة كيف شاء.

قال المحتج: إنه لم يجعله شمساً في لَوْنِهِ فيستحيل عليه السواد. وللشعراء في التشبيه أغراض، فإذا شَبَّهُوا بِالشَّمْسِ فِي مَوْضِعِ الْوَصْفِ بِالْحُسْنِ أَرَادُوا بِهِ الْبَهَاءَ وَالرَّوْنَقَ وَالضِّيَاءَ، وَنُصُوعَ اللَّوْنِ وَالتَّمَامَ، وَإِذَا ذَكَرُوهُ فِي الْوَصْفِ بِالنَّبَاهَةِ وَالشُّهْرَةِ أَرَادُوا بِهِ عُمُومَ مَطْلَعِهَا وَانْتِشَارَ شُعَاعِهَا، وَاشْتِرَاكَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ فِي مَعْرِفَتِهَا وَتَعْظِيمِهَا وَإِذَا قَرَنُوهُ بِالْجَلَالِ وَالرَّفْعَةِ أَرَادُوا بِهِ أَنْوَارَهَا وَارْتِفَاعَ مَحَلِّهَا. وَإِذَا ذَكَرُوهُ فِي بَابِ النِّفَعِ وَالْإِزْقَاقِ قَصَدُوا بِهِ تَأْثِيرَهَا فِي النَّشْوءِ وَالنَّمَاءِ، وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّصْفِيَةِ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ بَابٌ مُفْرَدٌ، وَطَرِيقٌ مُمَيِّزٌ؛ فَقَدْ يَكُونُ الْمَشَبَّهُ بِالشَّمْسِ فِي الْعُلُوِّ وَالنَّبَاهَةِ، وَالتَّنْفَعِ وَالْجَلَالَةِ أَسْوَدَ، وَقَدْ يَكُونُ مُنِيرَ الْفَعَالِ كِمَدِّ اللَّوْنِ، وَاضِحَ الْأَخْلَاقِ كَاسِفِ الْمُنْظَرِ؛ فَهَذَا غَرَضُ الرَّجُلِ؛ غَيْرَ أَنَّ فِي اللَّفْظِ بَشَاعَةً لَا تُدْفَعُ، وَبُعْداً عَنِ الْقَبُولِ ظَاهِرٌ.
وقوله^(٢):

لَا يَأْتِلِي فِي تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتِلِي

قالوا: أفسد المعنى، لأن ما يأتلي لا يقصّر؛ فكأنه قال: لا يقصّر في ترك أن لا

(١) ديوانه (١: ٣٤).

(٢) ديوانه (٣: ٢٠٧) وصدرة:

فِي هَبْوَةٍ كِلَاهِمَا لَمْ يَذْهَبْ

والهبة: الغبرة. وما ألوت في كذا، وما اثلت، وما أليت: أي قصرت.

يُقَصِّرُ فوصفه بالتقصير. وبيان ذلك أنه لم يَأْتَلِ؛ فقد جَدَّ في تَرْكِ الجَدِّ، وهو نهايةُ التقصير.

قال المحتج: لا أرى «لا» إلَّا زائدة؛ فتقديرُ الكلام: لا يأتلي في تَرْكِ أن يأتلي؛ فكأنه لا يُقَصِّرُ في تَرْكِ التَّقْصِيرِ، وهذا هو الجَدُّ؛ وزيادة «لا» غيرُ مُسْتَنَكَّرٍ، وقد جاء في القرآن والشعر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ﴾ [الحديد: ٢٩] فمعناه ليعلم. وقال أبو النجم:

وما ألوم البيض ألا تسحرا

فزاد «لا»، فأما زيادة ما فكثير مشهور. وقال العجاج في زيادة لا:

في بشر لا حور سرى وما شعر^(١)

أي في بشر حور.

وقوله^(٢):

كأنك أبصرت الذي بي وخفته إذا عشت فاخترت الحمام على الثكل^(٣)

قالوا: هذا الكلام الذي لا طريق للفهم إليه لتخالف أطرافه وتنافر معانيه وألفاظه؛ يقول: كأنك أبصرت ما بي من الحزن عليك، وخفته إذا عشت، فاخترت أن تموت على أن تشكل، ولو عاش ما أبصر شيئاً مما لحقه ولا خافه، لأن الذي جر ذلك الحزن والضنى هو موته، فكيف يكون - لو عاش - مبصراً له وخائفاً! وما معنى هذا الثكل هاهنا؟ أهو ثكل هذا الميت له أم ثكله للميت؟ فإن كان ثكله للميت فهو الحمام الذي قد حصل، وإن كان ثكل الميت له فكأنه قال:

قد اخترت موتك على موتي، ووجدت الحمام أهون من ثكلك لي! فكيف يقول ذلك وهو لو عاش لم يكن لثكله له سبب! ولو كان له ما يؤذيه إلى هذا الضنى الذي ذكره في حياة هذا الميت لكان مثكولاً وهو حي، مُصِيباً منه الضنى ما أصاب المتنبئ! قالوا: وما نعرف بيتاً يقارب هذا الخطأ إلا بيت أبي تمام^(٤):

لو لم يمت أطراف بين الرماح إذا لمات إذ لم يمت من شدة الحزن

(١) اللسان - مادة حور، و«لا»:

في بشر لا حور يرى وما شفر

وتماه:

بإفكه حتى رأى الصبح جشر

(٢) ديوانه (٣: ٤٣).

(٣) الحمام: الموت، والشكل: فقد الحبيب العزيز.

(٤) ديوانه ص ٣٨٨.

قال المحتج: إنكم ذهبتم عن غرض الرجل، وظننتم أنه أراد: أنك خفت نزول هذا الضنى بي لأجلِك، وأنت حي، ولم يُرذ ما خطر لكم؛ وإنما مذهبُه فيه أنك خُفْتَ أن يصيبني هذا العارض من الضنى وأنت حي، فيبلغ منك الغم به مبلغ الثكل، فاخترت الحمام عليه.

فقال الخصم: هب الأمر على ما قلتم، ما وجه هذه المخافة؟ وكيف يصيبه ذلك الحزن وهو يثكل حبيباً ولم يفقد عزيزاً؟ وما وجه شفقة ابن سيف الدولة على المتنبي حتى يفدي حزنه بنفسه، ويختار الحمام على ثكله، على أنه له في ذلك عادات، منها قوله يرثي والده هذا الممدوح^(١):

بَعِيثُكِ هَلْ سَلَوْتَ؟ فَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ جَاءَتْكَ أَرْضُكِ غَيْرُ سَالِي^(٢)
وقوله يرثي أخته^(٣):

وَهَلْ سَمِعْتَ سَلاماً لِي أَلَمَّ بِهَا فَقَدْ أَطْلَعْتَ وَمَا سَلَمْتُ مِنْ كَثَبٍ

وما باله يسلم على الحرم، ويتشوق إلى الأمهات! ومن سبقه إلى هذا! وإنما يفعل ذلك مَنْ يَرثي بعض أهله، وأمّا استعماله إياه في هذا الموضع فдал على ضعف البصر بمواقع الكلام. ومما تحقّق ذلك فيه قوله^(٤):

وَعَرَّ الدُّمُسْتَقَّ قَوْلُ الْوُشَا وَإِنَّ عَلِيّاً ثَقِيلٌ وَصِيبٌ^(٥)

فجعل الأمراء يُوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوّه، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه؛ لا سيما إذا كان الممدوح مثل ابن حَمْدان والعدوّ الدُّمُسْتَقَّ، وليس بسائع في اللغة أن يُقال: وشى فلان بالسلطان إلى رعيته، ولو قيل ذلك في أميرين لكان قصّر بالموشى به لا محالة؛ وإنما المعروف الصحيح أن يُوشى بالأصغر إلى الأكبر، فإن توسع في ذلك فبالنظير.

قال المحتج: أصل الوشاية استخراج الحديث بالمسألة والتلطّف، كما يستوشى الرجل جَزِي الفرس بتحريكه وغمزه بعقبه؛ فقد يجوز أن يجري هذه الكلمة على أصلها، ويجعل هؤلاء وشاة لما أتوه بهذا الخبر: والكلام هو الأول عندي والعذر فيه

(١) ديوانه (٣: ١٥).

(٢) يقسم عليها بحياتها، ويقول: هل سلوت عن النوال وجهه؛ فإن قلبي - وإن بعدت عن أرضك - غير سال.

(٣) ديوانه (١: ٩٢).

(٤) ديوانه (١: ١٠١).

(٥) الوصب: المرض، وفي الديوان: قول العدة بدل: قول الوشاة، وفسر البيت في التبيان بما يأتي: إنما جاءهم العدو، لأن الأعداء أرجفوا بأنك عليل، وأنت لا تطبق المعجى إليهم لثقل المرض.

يضعف، وإنما أرادَ بالوُشاة الذين بعثوه على قَصْدِ الثغور، وإنما وشَوْا بأهلها لما دَلَّوه على ضَعْفِهِمْ واشتغال ناصرهم.

ومن هذا الضَّرْبِ قوله^(١):

ما يُنْقِصُ المَوْتَ نَفْساً مِنْ نُفُوسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَشْنِهَا عُوْدُ

قالوا: والعودُ لا يشتَم، ولو اشتَم لم يحظ من ريحه بطائل، وإنما يظهر عَرَفُه إذا حللت النار أجزاءه ولطفتها، فانبثَّت في الهواء ودخلت في الخياشيم.

قال القاضي: وليس في المعنى عندي ما ذكره، ولا ذهب الرجلُ حيث ظنَّوا، وإنما أراد أنه لا يباشرها إذا قبضها، ولكن يَقْبِضُها وفي يده عُوْدُ يتناولها بطرفه، كما يريدُ الإنسان أخذَ الشيء يستقذره، فيصوُّ عنه يَدَه، ويتناوله بحاجز، ولم يَرِدْ عُوْدُ الطيب. وإنما أراد عُوْداً من العيدان أيها كانت.

وأمثالُ هذه الاعتراضات كثيرةٌ واستقصاء جميعها بابٌ من التطويل، وإنما يَصْلُحُ استيفاء ذلك إذا قصدنا شَرْحَ المعاني المستغلقة من شعره، فإنَّ القولَ في ذلك يتَّصِلُ بالكَشْفِ عن هذه الأمور، ويتناول الغامضَ الخفي، والمتوسط المحتمل، والظاهر الذي فيه بعضُ اللبس؛ فينفي ما يجب أن ينفي؛ ويعتذر لما يحتمل العذر، ويذكر مثل قوله^(٢):

إِذَا ضَوْؤُهَا لَأَقَى مِنَ الطَّيْرِ فَرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

ويُبين كيف صار ما يقعُ من الشمس على البَيْضِ إذا وَجَدَتْ من الطير فَرْجَةً مستديراً ولم يكن مستطيلاً، وإن كانت المشاهدة صَحَّحَتْ قول الشاعر، وإنما بقي علينا تعرُّفُ العلة. ومثل قوله^(٣):

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوَ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَاءُ^(٤)

كيف يكون من الْوَرَى، والْوَرَى منه: ونحوُ هذه المعاني وما يشاكلها. وقد قدَّمنا عند ذكرنا الاستعارات ووجوه الإغراق والإفراط ما يبين لك القولَ في مثل قوله^(٥):

وضاقت الأرضُ حتى كادَ هاربُهم إذا رأى غَيْرَ شيءٍ ظَنُّهُ رَجُلاً

(١) ديوانه (٢: ٤٢).

(٢) ديوانه (٤: ١١٤).

(٣) ديوانه (١: ٣١).

(٤) اللذ: بمعنى الذي؛ ويريد: لو لم تكن من هذا الوري الذي كأنه معك، لأنك جماله وشرفه، وأنت أفضل أهل له لكأن حواء في حكم العقيم التي لم تلد، ولكنها صارت ذات ولد بك ولولا أنت لكان ولدها كلا ولد.

(٥) ديوانه (٣: ١٦٨).

وقوله^(١):

فَلَوْ سِزْنَا فِي تَشْرِينِ خَمْسٍ رَأَوْني قَبْلَ أَنْ يَسْرُوا السَّمَاءَ
وإنما يطلع السماك في تلك الليلة.
وفي مثل قوله^(٢):

فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَثْمَانِي^(٣)

فجعل للكثمان جسماً. وما لحق بهذين البابين من استعارة بعيدة، وإفراط فاحش.

فأما كتابنا هذا فقد وفّيناه حقه، وبلغنا به نهايته، وآتيناه على ما وصلت الطاقة إليه، وما أسعقنا الإمكان به؛ فإذا زادنا النظر والفكر والمطالعة والبحث بعض ما يليق به أضفناه إليه؛ وإن أفادنا غيرنا منه ما قصّر علمنا عنه استفدناه وأعظمنا النعمة فيه، وعرفنا لصاحبه فضل التقديم، ولرجعنا له بحق التعليم. وبالله نستعين على كل خير، وإياه نسأل التوفيق، ونستوهب العزيمة والتسديد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) ديوانه (٢: ٣٩٥).

(٢) ديوانه (٤: ١٩٢).

(٣) صدره:

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضٍ مِنْ جَسَدِي

فهرس المحتويات

٥	تقديم
١١	مقدمة
١٤	أغاليط الشعراء
١٧	بعض ما كان يجري بين الرواة والشعراء
١٨	احتجاج النحاة
١٨	عود إلى أغاليط الشعراء
٢٣	الشعر
٢٣	القدماء والمحدثون
٢٤	اختلاف الشعر باختلاف الطبائع
٢٥	أثر التحضر في الشعر
٢٦	تكلف أبي تمام وتفاوت شعره
٢٨	اختلاف شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة
٣٠	الأسلوب عند المؤلف
٣١	المطبوعون من الشعراء
٣١	السهل الممتنع من شعر البحتري
٣٣	طبع البحتري في المدح
٣٤	العذب من شعر جرير
٣٦	الحشو في الشعر
٣٩	البديع
٣٩	مثل من الاستعارة الحسنة
٤٤	مثل من الاستعارة السيئة
٤٥	الفرق بين التشبيه والاستعارة
٤٥	التجنيس المطلق
٤٦	التجنيس المستوفى
٤٧	التجنيس الناقص

٤٧	المطابقة
٤٩	التصنيف
٤٩	التقسيم
٥٠	جمع الأوصاف
٥١	الاستهلال والتخلص والخاتمة
٥٢	بدء الوساطة
٥٣	القدماء والشعر الحديث
٥٣	إسحاق الموصلي والأصمعي
٥٣	شعر أبي داود وعدي بن زيد
٥٤	أبو رياش القيسي وشعر البحتري
٥٤	التحامل في النقد
٥٥	موازنة بين ابن الرومي والمتنبي
٥٦	تفاوت شعر أبي نواس
٥٦	جيد شعر أبي نواس
٥٨	رديء شعر أبي نواس
٦١	الللحن في شعر أبي نواس
٦١	فساد العقيدة في الشعر
٦٢	خطأ الوزن في شعر أبي نواس
٦٢	فساد العقيدة عند أبي نواس
٦٤	تفاوت شعر أبي تمام
٦٤	الجيد من شعر أبي تمام
٦٦	الردء من شعر أبي تمام
٧٥	معنى الأيم لغة وشرعاً
٧٧	شعر المتنبي
٨٨	كثرة استعماله لاسم الإشارة
٩٠	التعقيد في شعره
٩١	الحكم على الشعر
١٠٩	قصيدة لابن المعتدل في الحمى
١١٠	موازنة بين المتنبي وابن المعتدل
١٣٤	حسن التخلص والخروج

١٣٦	المستكره من تخلصه
١٣٦	ابتداءاته
١٣٨	حسن ابتداءاته
١٤٠	ضياح كثير من الشعر
١٤٣	أفراد من شعره
١٥٥	تعقيب
١٥٧	عود إلى نقد شعر المتنبي
١٦٠	فلسفته في شعره
١٦١	السراقات الشعرية
١٦١	المعاني المشتركة والمتداولة
١٦٣	التفاضل في الشعر المتداول
١٦٥	السرقه الممدوحة
١٧٤	سرقه المعاني والأغراض
١٧٧	التفنن في السرقه
١٧٩	مناقضة الشعراء
١٨١	ادعاء السرقه في شعر البحتري وأبي نواس وأبي تمام
١٨٥	السرق داء قديم
١٨٦	سراقات المتنبي
٣٤٢	مواقع الكلام
٣٤٤	دفاع المؤلف عن أبي الطيب
٣٤٨	غُلُوّ القُدّامى
٣٥١	عود إلى الدفاع عن أبي الطيب
٣٥٦	الإفراط في الاستعارة
٣٦٠	من مآخذ العلماء على أبي الطيب ودفاع المؤلف عنه
٣٦٦	ما عاب العلماء على أبي الطيب
٣٩٧	فهرس المحتويات

